روضة الآس
العاطرة الأنفاس

في

ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس

تأليف

أحمد بن محمد المقري

(الطبعة الثانية)

1403 - 1983

المطبعة الملكية - الرباط

روضة الآس
العاطرة الأنفاس

في

ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس

تأليف

أحمد بن محمد المقري

(الطبعة الثانية)

1983 - 1403

تصدير

لم يحد عن الحقيقة من وسموا المغاربة باهمال التاريخ وقلة العناية به ، فتلك ظاهرة تجلت فيهم منذ تفتح العقل البشرى وأدرك ما لتدوين الوقائع والأخبار من أهمية بالنسبة لربط ماضى الانسانية بحاضرها ، وسوق المثلات والعبر من الأجيال السابقة الى الأجيال اللاحقة ، فبينما كان أهل البلدان الأخرى ينقشون حضاراتهم ومعتقداتهم على أعمدة الرخام وصخور الجبال ، ويكتبونها على أوراق البردى وسعف الشجر وشقوف الفخار كان المغاربة فى غفلة تامة عن تدوين ما لهم من عقائد ومدنيات ، وأنظمة وأعراف ، والآثار القليلة الموجودة بالمغرب ، والمبعثرة فى بقاع معدودة على أصابع اليد من قسمه الشمالى ما هى الا آثار أجنبية خلدت وجود الأجانب الذين وضعوا أقدامهم فيه ، تجاراً كالفنيقيين ، أو غزاة كالرومانيين، ولم تخلد وجود سكانه الأصليين ، وقد استمرت هذه الظاهرة الى ما بعد الفتح الاسلامى بقرون ، هذا الفتح الذى كان أعظم ما عرف المغرب خلال تاريخه الطويل من الانقلابات الاجتماعية ، والتطورات الفكرية والسياسية ، فرغم أن المغاربة أصبحوا بحكم اعتناقهم للاسلام ملزمين بالرحلة الى المشرق لحج البيت الحرام ، ورغم أنهم لقحوا بعناصر جديدة تتمثل فى العرب الذين حملوا اليهم الدين الجديد ومن جاء معهم لنشره ، ورغم أن بلدهم أصبح ممراً مطروقاً باستمرار للذاهبين الى الأندلس والآتين منها ــ لم يتغير موقفهم من التاريخ ، ولم تستطع هذه العوامل على أهميتها وقوتها أن تلفت أنظارهم اليه الى قيام الدولة المرابطية .

وهذا الاهمال ـ سواء قبل المرابطين أو بعدهم ـ له مظهران : أحدهما عدم كتابة التاريخ وترك تدوينه بالمرة لا فرق بين ما يرجع منه الى الدول أو الجماعات أو الافراد ، وثانيهما قلة العناية والاهتمام بالقليل الذى دون منه ، فلم يتنافس الناس فى انتساخه ودراسته ونقده ، ولم يخصصوا له كراسى رتيبة للتدريس كما خصصوها للعلوم الأخرى ، وقل تداول كتبه حتى كادت تعد فى حكم المفقود ، ولا يستثنا من هذا التعميم الا التاريخ الذى له صبغة مقدسة كقصص الأنبياء ، وسير الرسول والصحابة ومغازيهم ، ومناقب الأولياء والصلاح، فذلك لم يقع اهماله ولم يضعف الاهتمام به ، فبسبب قدسيته راجت سوقه ، وتعبدت الخاصة بكتابته مثلما تعبدت العامة بقراءته .

ومن غير المفيد أن يحاول محاول نقض هذا الحكم الذى لست جديدا فيه فيذكر كتاب كذا وكتاب كذا من الكتب التى ألفها المغاربة فى التاريخ ، فانها لا تبلغ عشر معشار ما ألفوا فى مادة واحدة غيره . كالفقه ، أو التوحيد ، أو النحو، أو التصوف ، وحتى هذه المؤلفات التاريخية المغربية بلغ من اهمالها وضعف الاهتمام بها أن صار أكثرها انما يعرف بالاسم فقط ، وبعضها لا يعرف له مؤلف كالحلل الموشية والذخيرة السنية، وتاريخ الدولة السعدية التمكروتية، وبعضها وقع الخلاف فى نسبته كالقرطاس وهو من أهم مصادر التاريخ المغربى ، وبعضها لا يعرف عن مؤلفه الا اسمه كابن أبى زرع ، وصالح بن عبد الحليم، وأبى الحسن الجزنائى .

كما أنه من غير المفيد أن يحاول محاول مسح هذه الوصمة فيذكر الكتاب الفلانى والكتاب العلانى من هذه الكتب المطبوعة التى أصبحت اليوم فى متناول اليد ، فان حظ المغاربة فى طبعها قليل ، بل يرجع الفضل الى المستعربين الأوربيين الذين اكتشفوها وبعثوها من مرقدها وطبعوا نصوصها العربية وترجموها

الى لغاتهم ونشروا عنها شتى الدراسات والتحاليل ، فلولا جهودهم ، وجهود من حدا حدوهم من اخواننا عرب المشرق الذين سبقونا الى الأخذ بأسباب النهضة الحديثة على الرغم من قربنا من مواطنها وبعدهم النسبى عنها ، لولا جهود أولئك وهاؤلاء لم يكن من السهل معرفة كتب قيمة كتاريخ البيدق ، والمعجب لعبد الواحد التميمى المراكشى ، والبيان المعرب لابن عذارى ، والذخيرة السنية ، والنفحة المسكية وأزهار البستان وعشرات غيرها من المؤلفات التاريخية والأدبية التى كانت تسمع ولا ترى ، أو كانت مجهولة العين والأثر بالمرة .

ولا يتوهمن متوهم أننى أكتب هذا لاساءة سمعة قومى والحط من شأنهم ، فأنا من غزيتهم غواية ورشاداً ، ثم انهم وان فرطوا فى التاريخ - برزوا فى علوم وفنون أخرى تذكر فيذكر طول باعهم فيها وعلو كعبهم بالاجلال والتقدير ، وانما أكتبه لحض حكومة المغرب وشبانه على تلافى هذا التفريط ، وتنبيههم الى هذه النقطة الضعيفة ، وحثهم على أن يولوا تاريخهم ما يجب له من العناية ، فيرفعوا عنه الحجب ويزيحوا الستر ، ويجدوا فى بعثه ونفض الغبار عنه وجلو الصدأ الذى علاه ، ويخصصوا جزءا من فراغهم للبحث عن مصادره وانقاذ ما بقى منها حتى لا يصير الى ما صار اليه جلها ، ويعربوا ما كتبه عنا الأجانب بلغاتهم وهو كثير ، بعد غربلته فى غربال الحقيقة وتنقيته من الشوائب والشبهات التى مزجت عمداً به استجابة لحميات دينية ، وخدمة لأغراض استعمارية . فان الأمم كالشجر ، هذا لا تطول فروعه وتسمق أغصانه وتخضر أوراقه وتطيب ثماره الا اذا رسخت أصوله ، وعمقت جذوره ، وامتدت عروقه فى باطن التربة الطيبة التى استوفت حقها من الماء والهواء والحرارة والسماد . وتلك لا تطول أيامها ، وتسعد أقوامها ، وترفع أعلامها ، وتثبت عند المزالق أقدامها الا اذا كانت شديدة الارتباط بماضيها ، قوية التعلق بأمجادها ، عظيمة الاعتزاز ببناة حضارتها ، وحماة ثقافتها ، ومساعير حروبها ، ومشاهير طعونها وضروبها .

وان مـن حـق الوطـن على شبابه أن تنبـرى منهم طائفة الى سد هذه الثغرة وأداء هذا الواجب ليغسلوا هذه الوصمة ويمحوا هذا العار ، ويجنبـوا قومهم أن تضاف بالاهمال سيئات حاضرة الى سيئاتهم الماضية ، خصوصا وقد زالت الصعوبات التى كانت تعوق فى الماضى عـن التنقـل والبحث ، وتيسرت الأسباب للطباعة والنشر ، وانعدم جل الأعذار التى كان ينتحلها الكسالى كلمـا فوقت نحوهم سهام اللوم وصبت عليهم الالسنة والاقلام سوط التوبيخ .

أكتب هذا بمناسبة شروع المطبعة الملكية فى طبع مؤلف جليل لمؤلف جليل ، وهو كتاب **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** لأبى العباس أحمد بن محمد المقرى القرشى ، فقـد ألقت يد الاهمال بهذا الأثر النفيس فى احدى الزوايا المظلمة فالتقمته الأرضة تخرق أديمه ، وتخلق جديده ، وتسربت اليه الرطوبة تمحو سطوره ، وتعجل دثوره ، فحرم الناس – الا شخصاً واحداً أو شخصين فيما أظن – من الاطلاع عليه ، وبقى ما فيه من أدب وتاريخ مطوياً منذ تأليفه الى أن قيض الله له عناية الملك العالم **الحسن الثانى** تخرجه من رمسه ، وتطلقه من حبسه .

وقبل التحدث عن هذا الكتاب الجليل يحسن التحدث عن مؤلفه العبقرى الذى أسدى الى الآداب المغربية والأندلسية معروفاً وطوق أعناقها بمنن لا تنسى أبـد الآبديـن .

* * *

هو جاحظ البيان ، وحافظ العصر والأوان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبى العيش بن محمد المقرى القرشى ، أصل سلفه من قرية بزاب افريقية تدعا مقرة بفتح الميم وسكون القاف ، أو فتح الميم وفتح القاف المشدد لغتان فيها ، والأولى أفصح وأشهر ، والنسبة اليها مقـرى

بسكون القاف ، وهو الجارى على ألسنة أهل تلمسان وفاس مستقرى أسرته فى القديم والحديث ، ومن قرية مقرة انتقل جده عبد الرحمان بن أبى بكر بن على فى القرن السادس الى تلمسان صحبة مخدومه الشيخ شعيب بن الحسين الأشبيلى المعروف بأبى مدين الغوث ، فاستقر بها وأنجب الذرية ، وتأثل أولاده الأموال ونالوا دنيا عريضة لقيامهم على التجارة بينها وبين الصحراء والسودان ، وتمهيدهم الطرق بحفر الآبار وتأمين التجار ، ومن أشهر رجال هذه الأسرة فى القرن الثامن الهجرى القاضى الأجل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المقرى قاضى الجماعة بفاس والمتوفى بها سنة 759 صاحب كتاب **(القواعد)** و **(الطرف والتحف)** و **(عمل من طب لمن حب)** و **(الافادات والانشادات)** وسواها .

ولد بتلمسان سنة 986 وقد كان مضا على احتلال الأتراك العثمانيين لهده الحاضرة الكبرى ثلاثون سنة ، فبدأت تفقد أهميتها العلمية والسياسية ، وأخد الكثير من علمائها وأدبائها وشرفائها وسراتها يهاجرون منها الى المغرب الأقصا وخاصة الى فاس التى كانت واياها فرسى رهان منذ أشرقت شمس الاسلام والعروبة على هذه البلاد يتسابقان فى حلبات الثقافة ويتنافسان فى ميادين المدنية، ويتباريان فى الحكم والسياسة والتعمير .

وبتلمسان طلب أبو العباس المقرى العلم وتلقاه من أفواه من بقى بها من العلماء والفقهاء والأدباء مقيما لم يهاجر ، وكان عمدته فى التعلم والتأدب عمه أبا عثمان سعيد المقرى مفتى تلمسان وكبير مشيختها الذى قرأ عليه ـ فى جملة ما قرأ ـ صحيح البخارى سبع مرات ، وروى عنه الكتب الستة بسنده عن أبى عبد الله التنسى عن أبى عبد الله ابن مرزوق ، عن أبى حيان ، عن أبى جعفر بن الزبير ، عن ابن أبى الربيع ، عن القاضى عياض بأسانيده المذكورة فى كتابه **(الشفا ، فى التعريف بحق المصطفى)** ،وقد كان سعيد هذا شيخاً مسناً

وقوراً بادى الفضل والصلاح ، غزير العلم مبرزاً فى فنونه ، ولا سيما الفقه والحديث ، وقد استمر مفتياً بتلمسان أزيد من ستين سنة ، وكانت صلته بفاس وشيوخ العلم بها وثيقة ، والمراسلات بينه وبينهم فى الشؤون العلمية غادية رائحة ، وما منهم الا رفيق له وصديق ، عرفه أثناء انتقاله الى فاس فى صغره لطلب العلم ، أو اثناء زيارة من الزيارات التى كان يقوم بها النابهون من طلبة احدا الحاضرتين وعلمائها الى الأخرا ، وانا لواجدون فى **(روضة الآس)** وفى سواها من الأثارات المعاصرة شواهد على هذه الصلات التى لم تكن حبالها رثت بعد ، ولا ريب فى أن سعيد المقرى هذا هو الذى كان يزين لابن أخيه الرحلة الى فاس ويحببها اليه ويرغبه فى أن يكمل بها المعارف والعلوم التى حصل عليها ببلده ، ويروم بالاضافة الى ذلك أن يبوئه مقعداً بديوان السلطان الجليل أبى العباس أحمد المنصور الذهبى الذى كانت شهرته طبقت يومئذ آفاق المغارب والمشارق وأوربا ، ويحله منه مكاناً يضمن له راحة النفس وتفتح المواهب وبسطة الكف مثلما حصل لجده القاضى محمد مع السلطان أبى عنان الذى صحبه معه عند ما بويع بتلمسان الى فاس ، وولاه قضاء حضرته ، وأشركه فى أموره ، وبنا له المدرسة المتوكلية الشهيرة بالطالعة الكبرا ، وفعلا فصل أبو العباس المقرى عن تلمسان الى فاس فوصلها يوم 4 صفر عام 1009 غض الاهاب رطب العود ، لم يعد الثالثة والعشرين من عمره ، فنزل بدار قاضى فاس الجديد أبى محمد عبد الوهاب بن القاضى أبى مالك عبد الواحد الحميدى ،ويوم وصوله قصد جامع القرويين وحضر مجلساً للشيخ على بن عمران السلاسى وناقشه فى بعض المسائل الفقهية التى أشكلت عليه ، وهو من هو يومئذ رسوخاً فى الفقه وتضلعاً فيه ـ فاعترف له السلاسى وأنصفه ، ومن يومها طار صيته كل مطار ، وسار ذكره كل مسير ، فأقبل على الناس وأقبلوا عليه ، وامتزج بالطلبة والأدباء وامتزجوا به ، واستجاز لنفسه

العلماء واستجازوا لأنفسهم من عمه بواسطته ، وكان يبهرهم بقوة عارضته ، وشدة ذاكرته ، وحضور حجته ، وكثرة حفظه ، حتى كتب بعضهم الى عمه بتلمسان يشكره على اتحاف فاس بهذه الدرة الفريدة والياقوتة الوهاجة ، ومنهم الفقيه المؤرخ أبو العباس ابن القاضي الذى كتب الى عمه رسالة ضمنها قصيدة جاء فيها مخاطباً لـه :

أرسلت للغرب القصى بدرة	قد أبهرت وغلت له الأسوام
جمع العلوم على حداثة سنه	قد بارك الله به العلام
أكرم به من عالم علامة	جمع العلا وزكت به الأفهام
فجزيت خيرا يا سعيد عن الورا	بابن الأخ العلامة الصمصام
أدبته هذبته علمته	ما ان يقاس بعلمه بهرام
ضاءت بكم يا مقرى سما العلا	وعلت بكم بين الورا أقوام
دامت كرامتكم ودام المجد فى	أكنافكم ما جلت الأقلام

ومن حسن حظ المقرى أن ورد على فاس بعيد وصوله اليها الفقيه الماجد ابراهيم بن محمد الآيسى أحد قواد المنصور الذهبى مبعوثاً من مخدومه لبناء سد وادى بوطوبة ، وهو المعروف الى الآن بالسد خارج الباب الجديد ، وخلال مقامه بفاس لفت الشاب نظره وكان الرجل من بيت علم وسراوة ، فعزم على أن يتحف به السلطان مخدومه ويزين به مجلسه ، فلما أتم بناء السد ذهب به فى صحبته الى مراكش ، وأدخله على السلطان وعرفه به ، وكان السلطان أيضاً رجلا عالماً أديباً ، أبدأ فى تقريب العلماء والأدباء واكرامهم وأعاد ، وأنفد بضاعة قرائحهم وانتاج أقلامهم بعد كساد ، وكان لا ينتقى وزراءه وقواد جيشه وبطانته الا منهم ، فسر بمقدم هذا الشاب العبقرى الذى لم يكن يجهل مكانة أسرته فى العلم والسراوة وصلاتها المكينة بملوك المغرب .

ولا يحدثنا المقرى عن تاريخ دخوله لمراكش وان كان حدثنا عن نزوله بدار الآيسى وما غمره به أهلها من بر واكرام ، ولكنه يذكر لنا بعض التواريخ لنشاطه بها ، فهو يشير الى زيارته للمسرة فى رمضان عام 1009 ، والى اجازة أبى العباس ابى القاضى له يوم عرفه من نفس العام بالمحلة المنصورة ، واجازة الفقيه المؤرخ سيدى أحمد بابا السودانى التنبكتي له بها فى منتصف محرم من عام 1010 ، وشهوده حفلات المولد النبوى بمحضر المنصور بعد ذلك بشهرين .

وبمراكش تعرف المقرى أيضاً على طائفة من العلماء والأدباء الذين كانت تعج بهم تلك الحاضرة وتزدان ، وروا عنهم الأشعار والنثار ، واستجازهم وأدلى بدلوه بين دلائهم فيما كان يروج بينهم من مساجلات ومداعبات وقضايا علمية ، وملأ عيبته بمجموعة نفيسة من الكتب اقتناها أو أهديت اليه ونقل بعضها فيما بعد الى مسقط راسه فكان أول من أدخلها اليه .

وغادر مراكش يوم السبت 15 ربيع الثانى عام 1010 عائداً الى فاس ، فأقام بها الى يوم الخميس 17 ذى القعدة ، فكر راجعاً الى بلده تلمسان مبهوراً بما رأى من عز الاسلام ومجد العروبة وأبهة الملك وانتشار العلم ورخاء الحياة ، عازماً على هجرة بلده الذى ذهب بما له من مجد ورواء توالى الفتن وتلاحق الحروب واحتلال الأتراك ليستقر نهائياً بجوار من أنس بهم وأنسوا به تحت رعاية الخليفة المنصور .

ولم يمكث المقرى بتلمسان الا مقدار ما دبر أموره ، وصفى علاقاته ، وكان الشوق الى المغرب وحضرة امامها ابى العباس المنصور يلعب بنهاه ويستبد بحجاه ، واننا لنلمس آثار هذا الشوق المبرح فى كتابه هذا **(روضة الآس)** الذى شرع فى تأليفه غب رجوعه من فاس ،والذى لا يكاد باب من أبوابه بل ترجمة من تراجمه يخلو من دعاء وتوسل الى الله ان ييسر رحيله الى المغرب ، ويحقق ما عزم عليه من الانتقال الى الحضرة المنصورية والاستظلال بظلال دوحتها الخضراء ،

ورغم أن خبر وفاة هذا السلطان الجليل بلغته وهو لا يزال فى بلده فانها لم تصرف وجهه عما عزم عليه ونواه من الاستقرار النهائى بفاس ، ان لم يكن فى ظل أبــى العباس المنصور وتحت رعايته ففى ظل ورعاية أحد الأمراء من أبنائه الذين كان تعرف عليهم بالمغرب وتعرفوا عليه، وأورد فى الكتاب الذى كان أخذ نفسه بتأليفه وهو **(روضة الآس)** كثيراً من الاشعار التى قيلت فى مدحهم والثناء عليهم ، وهكذا لا تكاد سنة 1013 تدخل حتى يرد على فاس بقصد الاستقرار النهائى ونفسه يتنازعها فى آن واحد عاملان : عامل الارتياح الى موطنه الجديد، وعامل الحسرة على فراق بلده الحبيب ، موطن آبائه واجداده ، ومستودع طارفه وتلاده ، وانك لواجد فى مقدمــة كتابه **(أزهار الرياض)** ألواناً من التعبير عن هذا الارتياح المريح والتحسر الأليم .

ويستقر المقرى فى فاس فيجد فيها ضالته المنشودة ، وأمله المرغوب ، من مجالس العلم ، وخزائن الكتب ، وكثرة المثقفين، فياخذ ويعطى ، ويتعلم ويعلم، ويشارك فيما يشارك فيه أمثاله من شؤون العلم والأدب والسياسة ، ويتألــق نجمه ، ويعرف فضله ، ويصير مجلسه بجامع القرويين مجلساً مقصوداً يؤمــه طلاب العلم ورواد الأدب ، ويقبل الفقهاء والعلماء والمثقفون على قراءة كتبه الدينية والأدبية والعلمية ويتنافسون فى انتساخها ، ويلتمسون منه الاجازة ويستبيحون منه الروايــة ، ويقــف مــواقف مشرفة دفاعــاً عن قدسيــة الدين ووحدة البلاد لما أراد محمد الشيخ السعدى تبرير تسليمه مرسى العرائش للنصارى بفتــوى من العلماء فتقدر حميته وغيرته ، وبلغ من علو شأنه وارتفــاع مكــانته أن ولى الخطابة والامامة والفتوى بجامع القرويين اثر وفاة شيخه محمد الهوارى عام 1022 .

وتسير الأحوال بالمغرب من سيىء الى أسوأ ، ويشتد التطاحن على الملك بين أبناء أبى العباس المنصور ، ويتعاون بعضهم مع نصارى الاسبان والبرتغال ضد استقلال وطنه ووحدة ترابه ، ويبدأ ذلك الصرح الشامخ الذى شيده والدهم فى

التضعضع والانهيار ، وتصاب الخاصة بما أصيبت به العامة من تصدع وحدة واختلاف رأى وافتراق كلمة ، ويميل بعضهم لهذا الأمير وبعضهم يضلع مع واحد من اخوانه ، وينعدم الأمن ، ويكثر الغلاء ، وتنهب المساكن ، وتنهك الحرمات ، ويؤخذ العلماء بالظنة ، ويحملون على الفتون لصالح المتغلب ، ويقف المقرى مشدوها ازاء هذا التدهور ، ويتهم بالميل الى شراكة ، فيبحث لنفسه عن مفر من خضم السوء الذى أصبحت أمواجه مصطخبة بالمغرب ، فلا يراه الا فى أرض النبوءة بجوار قبر الرسول عليه السلام ، واذذاك يصرح للناس بعزمه على الذهاب الى الحجاز، مستعملا الى الحقيقة المجاز ، ويتأثر تلاميذه وأصدقاؤه من هذه العزيمة ، ويعز عليهم فراقه ، ويكتب اليه صديقه أبو الحسن على الشامى الخزرجي متمثلا بما كتب به أبو جعفر ابن خاتمة الى بعض شيوخه :

أشمس الغرب حقا ما سمعنا ؟ ... بأنك قد سئمت من الاقامه
وأنك قد عزمت على طلوع ... الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب ... بحق الله لا تقم القيامه

ولكن التوسلات والتضرعات لم تكن لتثنى عزمه أو تصرفه عن وجهته ، ويذهب الى السلطان عبد الله بن الشيخ مستأذنا فى أداء شعيرة من شعائر الاسلام ليس الى منعه من أدائها من سبيل ، وينشده متمثلا بقول على بن عبد العزيز الحضرمى :

محبتى تقتضى مقامى ... وحالتى تقتضى الرحيلا
هذان خصمان لست أقضى ... بينهما خوف أن أميلا
فلا يزالان فى خصام ... حتى أرى رأيك الجميلا

فيجيبه السلطان :

لا أوحش الله منك قوما ... سودوا صنعك الجميلا

فينعم المقرى بالا ، ويتوجه من فاس قاصداً بيت الله الحرام فى أواخر رمضان عام 1027 خارجاً كمائها بعد ان دخل اليها كمائها ، تاركاً المنصب والأهل ، والوطن والألف ، وبين جوانحه نيران مضطرمة على فراق المغرب الأقصى (الذى تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصاً ، وطما به بحر الأهوال فاستعملت شعراء العيث فى كامل رونقة من الزحاف اضماراً وقطعا ووقصاً)

واذا كنا نجد فى مقدمة كتابه **(أزهار الرياض)** الذى الفه بفاس آثار شوقه ومعالم حنينه الى مسقط رأسه تلمسان ، فاننا نلفى فى مقدمة كتابه **(نفح الطيب)** الذى ألفه بمصر صفحات رائعة فى الاشادة والتنويه بالمغرب ، وقطعا مرونقة تترحم فى عبارات حرى عن شوقه وحنينه الى فاس بلده الحبيب الذى فارقه وما سلاه ، وكم يعجبنى من بين تلك القصائد والمقطعات العديدة التى أوردها منشئاً أو متمثلا قوله :

وأربع ألاف، اذا ما ذكرتها ... بكيت ، وقد يبكيك ا أنت ذاكر
بطاح وأدواح يروقك حسنها ... بكل خليج نمنمته الأزاهر
فما هو الا فضة فى زبرجد ... تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والهوا ... عبير وكافور وراح وعاطر
وما جنه الدنيا سوى ما ذكرته ... وما ضم منه الحسن نجد وحاجر
بلادى التي أهلي بها وأحبتي ... وروحي وقلبي والمنا والخواطر
تذكرني انجادها ووهادها ... عهوداً مضت لي وهي خضر نواضر
اذ العيش صاف والزمان مساعد ... فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
بحيث لياليها كغض شبابنا ... وأيامنا سلك ونحن جواهر
ليالى كانت للشبيبة دولة ... بها ملك اللذات ناه وآمر
سلام على تلك العهود فانها ... موارد أفراح تلتها مصادر

وقولــــه :

كساهـا الحيا بـــرد الشباب فـانها | بلاد بهـا عـق الشبـاب تمائمـــى
ذكرت بها عهــد الصبــا فكأنمـــا | قدحت بنـار الشوق بيـن الحيـــازم
ليالى لا ألوى عـلى رشـــد ناصـــح | عنانـــى ولا أثنيه عن غى لائـــــم
أنال سهـادى من عيـون نواعــــس | وأجنى مـرادى من غصون نواعـــم
وليل لنا بالســـد بيـن معـــاطـف | من النهـر ينسـاب انسياب الأراقم
تمـــر الينا ثم عنـا كـــأنهـــــا | حـــواسد تمشى بيننـــا بالنمائـم
وبتنا ولا واش نخـاف كأنمـــــا | حللنـــا مكـان السر من صدر كاتـم

وبعد أدائه فريضة الحج انقلب الى مصر سنة 1028 فسكنها وتزوج بها سيدة من أسرة الوفائيين احدى أسرها الشريفة ، ولكنه ألفى فى طباع أهلها غلظة ومن علمائها سوء معاملة ، وكانت تقع بينه وبينهـم مشاحنـات تبعث عليها غيرتهـم منه وحسدهم له ، من ذلك أنه حضر يوماً بسوق الكتب ، وهو اذذاك غير معروف ، فوقع فى يده جزء من تفسير غريب ففتح على سورة النور ، فاذا مؤلفه قد تعرض لمسألة فقهية غريبة ، وذكر فيها اختلافاً وتفصيلا وتحقيقا ، فاستوعب ما أورد فيها وحفظه على الفور ، وكانت سرعة حفظه وقوة ذاكرته ما أهم ما يمتـاز بـه ، واتفق انه اجتمع علماء البلد بعد ذلك فى دعوة حضرها معهم، فلما استقر بهم المجلس اذا سائل بيده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها ، فدفعت الى الأول من أكابر أهـل ذلك المجلس فتأملها ولم يستحضر عنها جوابـا ، فدفعها لمن يليه فدفعها بـدوره الى الآخـر ، وهكذا حتى بلغت اليه ، فلما تنـاولها طلـب دواة وقلمـا وكتب عليها جوابـا مطابقـا لما حفظ فجعلوا ينظرون اليه متعجبين ، فلما فرغ تعاطوها وسألوه عمن ذكرها ، فقال ذكرها فلان فـى تفسيره لسـورة النور . فأحضروا الكتاب فاذا الأمر كما ذكر ، فدخلهم الحسد منه بسبب ذلك ، قـال أبو على اليوسى فى (المحاضرات) معلقا على موقف علماء مصر من المقرى : وليس

هذا ببدع ، فما زال هذا الجنس يتحاملون على من توسموا فيه شفوفاً عليهم ، أو مزاحمة فى رتبة أو حظ الا من عصمه الله وقليل ما هم :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسداً وبغضاً انه لدميم

ويقال ان المقرى سئل عن حظه بمصر فأجاب : دخلها قبلنا ابن الحاجب ، وأنشد فيها قوله :

يا أهل مصر وجدت أيديكم   فى بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدمت القرا بأرضكم   أكلت كتبى كأننى أرضه

وأنشد هو لنفسه :

تركت رسوم عزى فى بلادى   وصرت بمصر منسى الرسوم
ونفسى عفتها بالذل فيها   وقلت لها عن العلياء صومى
ولى عزم كحد السيف ماض   ولكن الليالى من خصومى

ثم زار بيت المقدس فى شهر ربيع الأول من عام 1029 ورجع الى القاهرة ، واتخذ يكرر منها الحج فدخل مكة سنة 1037 خمس مرات ، وفى كل مرة كان يعقد مجالس للعلم ويملى دروساً فى الفقه والحديث والسيرة وغيرها ، وأملا دروس الحديث بجوار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى مرأى منه ومسمع ، وألف بالروضة النبوية بعض كتبه أو نقحها ونسخها ، كـ **(فتح المتعال فى مدح النعال)** الذى أعاد كتابته عند قدمى الرسول، و **(أزهار الكمامة فى العمامة)** الذى ألفه تجاه رأسه ، و **(اضاءة الدجنة ، بعقائد أهل السنة)** التى كتب منها بالحرمين واليمن ومصر والشام أزيد من ألفى نسخة كتب خطه على اكثرها ، ثم رجع الى مصر سنة 1039 ودخل القدس فى رجب من تلك السنة ، وأقام به خمسا وعشرين يوما ، ثم سافر الى دمشق فدخلها فى أوائل شعبان ، وأعجبته مناظرها التى تشبه مناظر

بلديه تلمسان وفاس ، ولا سيما قرية الصالحية التى ذكر أنها كثيرة الشبه بقرية العباد بتلمسان ، كما استحسن أخلاق أهلها وليونة طباعهم وكرم أنفسهم ، وأرسل اليه أحد علمائها وسراتها شهاب الدين احمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية ومعه هذه الأبيات :

كنف المقرى شيخى مقرى	واليه من الزمان مفرى
كنف مثل صدره فى اتساع	وعلوم كالبحر فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع الدهر منه	ملأ الشرق نوره ؟ أى بدر
أحمد سيدى وشيخى وذخرى	وسميى ، وذاك أشرف فخر
لو بغير الأقدام يسعا مشوق	جئته زائراً على وجه شكرى

فأجابه المقرى بقوله :

أى نظم فى حسنه حار فكرى	وتحلا بدره صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينما	من بروض الندا له خير ذكر
أحمد الممتطين ذروة مجد	لعوان من المعانى وبكر
حل مفتاح وصله باب وصل	من معانى تعريفه دون نكر
يا بديع الزمان دم فى ازدياد	بالعلا وازدياد تجنيس شكرى

ولم يمكث المقرى الا مقدار ما استراح من عناء السفر حتى شرع يلقى دروساً علمية بمساجد دمشق ومدارسها على عادته كلما حل ببلد ، ومن جملة ما درسه صحيح البخارى ، كان يمليه تحت قبة النسر بالجامع الأموى بعد صلاة الصبح ، ولما كثر الناس بعد أيام خرج الى صحن الجامع تحت القبة المعروفة بالباعونية ، ولم يكن يتخلف عن هذا الدرس أحد من الطلبة كما كان يحضره جل أعيان العلماء ، وكان يوم ختمه من الأيام الخالدة بالشام ، حضره الألوف من الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس الى وسط الصحن ، ثم الى

الباب الذى يوضع فيه العلم النبوى فى أيام الجمع من شهور رجب وشعبان ورمضان ، وجيء له بكرسى الوعظ فارتقاه ، وتكلم بكلام فى العقائد والحديث لم يسمع له نظير من قبل ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس الى قرب الظهر ، وختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهى قوله .

يا شفيع العصاة أنت رجائى	كيف يخشا الرجاة عندك خيبه
واذا كنت حاضراً بفؤادى	غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش فى البلاد انقطاع	أطيب العيش ما يكون بطيبه

ولما نزل عن الكرسى ازدحم الناس عليه يقبلون يده ويلتمسون بركته ، ويطلبون دعاءه ، ولم يتفق لأحد من العلماء الذين زاروا دمشق من قبل ما اتفق له من الاقبال والقبول فى ذلك اليوم ، ونستطيع ان نقول ان المقرى لم يجد عزاء ولا سلوى منذ غادر فاس الا فى دمشق كما يدل على ذلك ما أورد فى **(نفح الطيب)** عنها من الاطراء والمديح ، ونقل من المساجلات والاستجازات التى جرت بينه وبين علمائها الأعلام ، وسراتها الكرام ، فقد أحسنوا مثواه وأكرموا لقاه ، مما جعله ينجذب نحوهم ، ويقرر الاستيطان ببلدهم والاقامة بجانبهم ، فعاد الى مصر وطلق زوجته الوفائية ، وشرع يعد العدة للرحيل الى الشام ، ولكن الحمام فاجاه قبل بلوغ المرام ، فى شهر جمادى الاخرى سنة ١٠٤١ فدفن بمقبرة المجاورين ، وأفل بموته نجم لامع بل بدر ساطع من بدور الدين والعلم والأدب والفن فى العالم الاسلامى كله لا فى المغرب العربى وحده .

وقد خلف المقرى وراءه ثروة هائلة من الكتب التى ألفها بتلمسان وفاس ومصر والحرمين والشام فى الأدب والتاريخ والعقائد والفقه ، مثل كتاب **(أزهار الرياض)** الذى جعله موسوعة أدبية وتاريخية تستقى مواضيعها من حياة القاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى دفين مراكش ، وكتاب **(نفح الطيب)** الذى

جعله أيضاً موسوعة أدبية وتاريخية تستقى ابوابها وفصولها من حياة الأديب الكبير أبى عبد الله محمد بن الخطيب السلمانى دفين فاس ، وكتاب **(البدأة والنشأة)** و **(الغث والسمين ، والرث والثمين)** و **(والجنابد)** الذى هو فهرسة شيوخه ومقروءاته ومسموعاته ومروياته ، و **(روضة الآس)** هذه التى نكتب لها هذا التصدير .

* * *

ما هى قصة هذا الكتاب ؟

رأينا فيما مضى أن أبا العباس المقرى ورد من تلمسان على فاس فى شهر صفر 1009 وأنه ذهب بعد ذلك باشهر الى مراكش صحبة القائد ابراهيم الآيسى أحد قواد المنصور السعدى الملقب بالذهبى ، وحضر بها سنة 1010 الحفلات التى كان السلطان يقيمها احتفاء بالمولد النبوى ، وأنه عاد منها الى فاس يوم السبت 15 ربيع الثانى من نفس السنة ، وأنه فارق فاسا متوجها الى تلمسان يوم الخميس 17 ذى القعدة بعده ، وذكرنا انه خلال هذه الاقامة التى استمرت واحداً وعشرين شهراً لم يعش فى معزل عن المجالس العلمية والنوادى الأدبية ، بل أخذ وأعطا ، وسمع وأملا ، وعلم وتعلم ، وحاور وساجل واجاز واستجاز ، ولم يعد الى بلده الا ليصفى به علاقاته ، ويهيىء اسباب الانتقال النهائى الى المغرب والاستقرار بمقربة من الحضرة المنصورية ، وفيما كان يدبر أموره ، شرع يرتب (المذكرات) التى كتبها أثناء وجوده بالمغرب، ويستعرض أعلام الفقهاء ومشاهير الأدباء الذين لقيهم، وينظم الرقاع التى قيد فيها ما لهم من منظوم ومنثور ، وما لهم من أشياخ وما الفوا من مؤلفات ، ليضع من كل ذلك مشروع كتاب يسميه **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** يهديه الى الخزانة الأحمدية المنصورية عند ارتحاله الى المغرب اقتداء بعلماء مملكته وأدبائها الذين كانوا يتبارون فى تأليف الكتب برسم تلك الخزانة ، وهو يذكر فى مشروع

(روضة الآس) هذه التاريخ الذى كان يؤلفها فيه وهو أول شوال عام ١٠١١ (١) وبما أن المنية اخترمت السلطان الذى ألف الكتاب برسمه فى ربيع الأول من السنة التالية فاننا لا نظن ان المقرى تعدى هذه المحاولة الأولى بكتابة شيء جديد ، أو اضاف الى مشروع الكتاب الذى وضع خطوطه الكبرى اضافات ما الا أن يلحق بعض النصوص التى لم يثبتها فى البداية ، أو يصحح من الأصول التى ينقل منها ما أثبت ، أو يخط ملاحظة عما ينبغى أن يعمله عند اخراج مشروع الكتاب من مبيضته .

وتشتمل **(روضة الآس)** أو مشروعها على مقدمة وثلاثة أبواب ، وهو قسمها الأول ، وعلى أربعة وثلاثين اسما من أسماء العلماء والأدباء الذين لقيهم اثناء وجوده بمراكش وفاس ، وهذا هو قسمها الثانى .

وقد ردد المقرى اسم **(الروضة)** فى بعض مؤلفاته الأخرى ، ولا سيما **(نفح الطيب)** ، وفى التعليقات والطرر التى كان يكتبها على ما يملك من الكتب مما يدل على انها كانت عزيزة عليه ، لأنها (بكر) مؤلفاته فيما نظن ، وسماها **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** وهو أشهر أسمائها ، ورأيته سماها أيضا **روضة الآس ، العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته فى الرحلة الى الحضرتين مراكش وفاس)** كتب ذلك بخط يده سنة ١٠١١ على ظهر كتاب **انشاد الضوال ، وارشاد السوال** الذى كان يملكه ، وهو محفوظ بالخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 1399 ولكن **(الروضة)** بقيت مجهولة غير معروفة رغم تطلع الناس اليها ، وشدة بحث المؤرخين الذين كانوا معاصرين لمؤلفها أو قريبين من عصره عنها ، وكان من المرجح أن يظن ظان أنه لم يؤلفها وانما نوى ان يفعل ، وكتب صفحات منها ثم مل أو عدل ، لو لم يكن نعتقد أن المقرى رجل ثقة صادق فى أقواله ، ولو لم يحدثنا مؤرخان أنهما اطلعا عليها ، أحدهما المؤرخ محمد الطيب بن محمد بن الشيخ عبد القادر الفاسى المتوفى

١) أنظر صفحة ١٩١ .

سنة 1113 الذى نقل فى كتابه **(مطمح النظر)** تراجم أشخاص واردة أسماؤهم فى **(روضة الآس)** ممن توفوا قبل سنة 1013 وهى السنة التى انتهى اليها المؤلف المذكور فى تاليفه ، مثل محمد بن عبد الواحد الحسنى ، وأخيه احمد ، والشيخ القصار ، والسلطان أحمد المنصور السعدى ، وأحمد بن ابى القاسم الصومعى التادلى ، وثانيهما أبو عبد الله محمد بن حمزة العياشى الذى أثبت له أبو على المعدانى التادلى فى كتابه **(الروض اليانع)** كتابا ذكر فيه أنه وقع بيده طرف من كتاب المقرى سماه **(الروضة العاطرة الأنفاس فيمن لقيت بمراكش وفاس)** فيها ترجمة الفشتالى والزياتي وأضرابهم من علماء حضرة الدولة الذهبية ، وجلب مقطعات من أشعارهم وهي مفيدة في بابها غاية ، ان من الله عليه بكمالها ، لأن ما عنده منها ـ على حـد قوله ـ مبتور الأول والآخر ، ثم لا نلفى لها عيناً ولا أثراً بعد ذلك ، ولا نجد من يتحدث عنها الا فى معرض النقل عن كتاب **(مطمح النظر)** ، ورغم أن اسمها اثبت مرتين فى قوائم كتب الخزانة الملكية بفاس فان الناس بعد ما أيقنوا أن المقرى ألفها ثقة فى أقوالـه ، وبشهادة العالمين اللذين اطلعا عليها ونقل احدهما منها ـ أيسوا من وجودها، وتخيلوا أن تكون آلت الى‌ما أرادت الأهواء السياسية البليدة أن تؤول اليه أكثر المؤلفات التاريخية والأدبية التى ألفت فى العـصر السعـدى **كالمنتقى المقصور ، والممدود والمقصور ، ومناهل الصفا .**

وفى سنة 1380 كلفنى صاحب الجلالة الملك **الحسن الثانى** أيده الله بانقاذ عزم والده العظيم صاحب الجلالة الملك **محمد الخامس** رحمه الله على انقاذ الخزانة السلطانية بالقصر الملكى بفاس التى كانت كتبها ووثائقها وذخائرها عرضـة لعبث الانسان والأرضة والرطوبة جميعاً ، ولم تكن لى حيلة ازاء الأعمال المنوطة بى بديوان جلالته الا أن أنقل تلك الذخائر والأعلاق الى القصر الملكى بالربـاط ، حيث الحفظ والرعاية ، وتوفر وسائل الاصلاح وأسباب الصيانة ، وكنت بعد

نقلها كلما فرغ لى وقت ألتحق بالمكلفين بمعالجتها فأتصفح ما سمح لى الوقت بتصفحه منها ، وذات يوم وقع بين يدى منها مجلد كبير تدلت منه بطاقة كتب عليها (جزء من روضة الآس) للمقرى ، فاقشعر بدنى وأيقنت اننى وجدت الضالة التى نشدها المؤرخون والأدباء قرونا بدون جدوى ، وفتحت دفة الكتاب ، فاذا كاتب يكتب على ظهره أنه جزء من **(روضة الآس)** للمقرى ثم ياتى كاتب آخر فيكتب ـ نقلا عن **نفح الطيب** ـ الفقرات التى ورد فيها اسم الروضة اثناء الكلام على موشحات المنصور الذهبى ، فلم يبق لدى شك أنه هو ، ولكن شد ما كانت خيبتى وفرحتى معاً عند ما شرعت أتصفح الكتاب : خبت لأن الكتاب لم يكن **(روضة الآس)** ، وفرحت لأنى وجدت بين يدى ـ مؤكداً ـ المجلد الاخير من **(مناهل الصفا)** للوزير الفشتالى ، وهو أيضاً من الكتب التى لم تكن معروفة الا بالاسم حتى ذلك التاريخ .

وواصلت التردد على المكان الذى تعالج فيه الكتب المعالجة الأولية التى تتلخص فى نفض غبارها ، وتبخيرها بمواد سامة لقتل الأرضة التى تخرقها ، وذات يوم وقع بين يدى كتاب مهلهل النسج نالت منه الرطوبة كل منال ، تدلت منه أيضاً ورقة كتبت عليها هذه العبارة **(كتاب للمقرى مبتور)** فلم يكن لتلك البطاقة رد فعل قوى فى نفسى ، نظراً للخيبة التى أصابتنى المرة الأولى ، وفات ربما يكون كتاباً من كتب المقرى الفقهية والعقائدية، أو واحداً من كتبه الأدبية المتداولة **كالازهار والنفح وفتح المتعال** ، ولما فتحت دفته وجدت على ظهر الصفحة الأولى اسم الكتاب كاملا ، كما وجدت فيها أسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى داخله، فلم يغرنى ذلك ، لأنى رأيت قبله جزءاً من **(مناهل الصفا)** كتب عليه أنه **(روضة الآس)** ، ولكننى عندما أخذت أتصفح الكتاب أيقنت أنه ذلك الكتاب لاريب فيه .

وصار همى الأول اثر ذلك أن أضع للكتاب (قيدا) حتى لا يفر ويتيه مدة أخرى يعلم الله وحده كم تطول ، فنمرت أوراقه ، وطبع بطابع المكتبة الملكية ، ورتب فى السجلات والجزازات والمرافع تحت عدد 220 .

وبعد ذلك شرعت فى نسخه بيدى ، وقضيت فى هذه العملية الشهور ذوات العدد ، اذ لم يكن من الممكن أن يدفع الى واحد من النساخ العاديين ـ القدماء والمحدثين ـ لاستخراج ما فيه ، لأن بالهوامش ملاحق ومضافات ينبغى التحرى فى اثباتها بالمواضع الملحقة بها حسبما أراد المؤلف ، ولأن الأرضة قامت بدور خطير فى تمزيق صحف الكتاب ومحو كلمات منه ، فكان على الناسخ ان يقابل النصوص المثبتة فيه بنظائرها التى قد تكون مثبتة فى كتب أخرى ، وان يستدل أحيانا بالحرف على الكلمة ، وبالكلمة على الجملة ، وهذا لا يتيسر لكل من علمه الله ان يكتب . وكنت كلما انتهيت من نسخ ملزمة دفعتها الى سفار الكتب الملكية فتغلف أوراقها ظاهراً وباطنا بأوراق البلاستيك الشفاف لحفظها الى ان كمل نسخ الكتاب .

بدراسة علمية بسيطة يستطيع المرء أن يجزم أن الكتاب المعثور عليه هو المشروع الأصلى لـ **(روضة الآس)** الذى كان المقرى يكتبه بتلمسان فى أول شوال عام 1011 قبل سفره بسنتين الى فاس ، ويؤكد هذا الجزم شواهد دامغة من الكتاب نفسه ، منها أنه مكتوب بخط المؤلف ، وقد قمت بمقارنته بالخط الذى كتب به المقرى بعض الكتب والوثائق الاخرى سواء اثناء وجوده بالمغرب او بعد رحيله الى المشرق فألفيته مطابقاً له حذو النعل بالنعل ، فهو ليس مشابهاً له من الناحية التشكلية فحسب ، ولكنه يشبهه كذلك فى الطرق التى كان يتبعها فى الرسم ، ومنها أن الدعاء الذى يدعو به للمنصور دعاء حياة ، كقوله (نصره الله)

أو (أيده الله وأنجده) و (جعل الله الملك فيه.وفى عقبه أبدياً) ، وليس دعاء ممات مثل (رحمه الله) و (صب الله عليه شآبيب رحمته) و (سقى الله ضريحه ونوره) بل ان المقرى لا يفتأ يكرر فى (مشروع) كتابه التوسل الى الله ان يعجل انتقاله الى الحضرة المنصورية ، ومن المعلوم أن أبا العباس المنصور توفى فى شهر ربيع الأول من عام 1012 قبل انتقال المقرى الى فاس بسنة ، فلو ان الكتاب كتب أو نسخ بعد هذا التاريخ لوجدنا فيه عبارات تشعر بموت المنصور ، ومنها هذه الالحاقات التى كان المؤلف لا يفتأ يضيفها الى مؤلفه بخطه ناقلا لها من الأصول التى صحبها معه من المغرب ، ولو انه كان حرر الكتاب فى صيغته النهائية لكانت تلك الالحاقات مدمجة فى متن الكتاب ، ومنها تركه صفحات بيضاء فى بعض التراجم تنبىء عن عزمه على ملئها عندما يعثر فى مقيداته على النصوص التى يريدها ومنها تدوينه بخطه لملاحظات على الهوامش ينبه فيها الى انه سيقدم او يؤخر عندما يخرج الكتاب من مبيضته ، ويمضى على الملاحضة بقوله (قاله مؤلفه أحمد) ، فنحن اذا امام مشروع الكتاب أو مبيضته كما يسميه المؤلف ، بل يغلب على الظن ان يد المؤلف لم تخط الا هذا المشروع ، وأنه لم يخرجه قط من مبيضته، لأن السلطان الذى كتب برسمه أدركته الوفاة ففترت همة المؤلف عن اتمامه ، ولما انتقل الى فاس نقله اليها فى جملة كتبه، ثم تركه مع ما تركه بها عند رحيله منها يوم 28 رمضان 1027 الى المشرق ، ولما أفلت شمس الدولة السعدية عدت أيد أثيمة على صدره المتضمن لحياة المنصور الذهبى ومآثره فأعدمته ، وآلت نسخته الوحيدة الفريدة مبتورة الأول ناقصة الخاتمة الى المؤرخ محمد الطيب الفاسى ، والفقيه محمد بن حمزة العياشى وأخيراً شقت طريقها الى المكتبة السلطانية بالقصر الملكى بفاس ، فألقيت فى زاوية من زواياه لا تمتد اليها الأيدى ولا تلتفت اليها الأنظار ، الى أن قيض الله لها اليوم البعث والنشور .

تبلغ صفحات **(روضة الآس)** أو مشروعها 326 صفحة من الحجم المتوسط ، فى كل صفحة 21 سطراً كتبت بخط دقيق ، وقد ملئت هوامش كثير من الصفحات باضافات تعمر أحياناً جهاتها الأربع ، أو تنبيهات الى ما ينبغى أن يعلمه عندما يخرج الكتاب من مشروعه الذى يسميه آونة (المسودة) وأخرى (المبيضة) : من تقديم أو تأخير أو زيادة ، وهو يبدأ بالشطر الاخير من بابه الثانى ، ونحن نتخيل أن المقرى بدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها دواعى رحيله الى المغرب ومقدمه على حضرة سلطانه أبى العباس المنصور مخللا ذلك بأشعار فى وصف بلده تلمسان الذى رحل منه ، ومدينتى فاس ومراكش اللتين رحل اليهما ، ومدح السلطان الذى وفد عليه ، ثم أتبع المقدمة بالباب الأول الذى نتخيل انه خصصه للكلام على شرف السلطان وطيب أرومته وكرم محتده وذكر ميلاده ونشأته وصيرورة الملك اليه ، ثم أردفه بالباب الثانى وهو الذى خصصه لذكر مآثره وأعماله العمرانية ، وأنا لنجد النسخة المعثور عليها تبدأ بالشطر الأخير من هذا الباب ، وهو يصف فيه احتفالات المنصور بعيد المولد النبوى الشريف وعادته فيه. ووفادة العلماء عليه من الأقطار الشرقية ، وبناءه للمساجد والقناطر والسدود والحدائق والقصور ، وفتوحه لتوات وكورارة والسودان ، مخللا كل ذلك بقصائد وموشحات ومقطعات ، ومداعبات وحكايات ومساجلات . ثم يتبع المقدمة والبابين بباب ثالث يخصصه لذكر أشياخ السلطان وما وقع له من النظم ، وما صدر عنه من تآليف ، وفى هذا الباب يذكر المقرى أسماء العلماء الذين أخذ عنهم السلطان أبو العباس المنصور وأسماء العلوم التى قرأها عليهم ، وينقل عنه ما كتب هو نفسه عن شعره وبيان ما فيه من المحسنات البديعية ، والاختراعات العجيبة ، والتوليدات الغريبة فى نظره ، وتآليفه المفيدة ، التى منها كتاب **(العدد أحمد)** الذى اطلع المقرى على نسخة منه ونقل خاتمتها التى هى من انشاء الوزير الكاتب عبد العزيز الفشتالى ، تلك النسخة التى توجد هى عينها بالخزانة الملكية ،

ويذكر المقــرى فى هذا البــاب أيضا المبانى التى شيدتها السيدة مسعــودة الوزكيتية والدة المنصور والاحباس والجرايات التى أوقفت عليها ، واجــازة المنصور لتحبيسها ، ويختمه بذكر فك المنصور للأسارى ، وما ألف برسم خزانته من التآليف ..

وبعد هذه الأبواب الثلاثة التى لا نعرف الا ثالثها ونصف ثانيها يشرع فى ذكر الأشخاص الذين لقيهم بفاس ومراكش ، وعددهم أربعة وثلاثون .

والطريقة التى اتبعها المقرى فى الكلام على هؤلاء الأدباء والعلماء تتلخص فى أنه يحلى الشخص ويسميه ، ويشير الى أى بلد ينتسب ، وفى أى البلدتين لقيه ، ثم يذكر شيئا من أحواله ، ويشير الى شيوخه وتآليفه ، ولا يغفل تاريخ مولده ان كان اطلع عليه ، ويورد منتخبات من شعره ، ونماذج من نثره ، وقد يستعيض عن الشعر بالنثر ان لم يكن للشخص الذى لقيه شعر معروف ، ولا يستنكف احيانا ان يورد بعض الأنظام التى تفيد فوائد نحوية او فقهية أو منطقيــة ، وان كــان الشخــص المتحدث عنه فقيها مشهورا أو محدثا كبيرا ذكر رواياته وأسانيــده وإجازته له كما فعل لدى الكلام على ابن القاضى والقصار واحمد بابا السودانى .

ولا مجال للكلام على اسلوب المقرى فى هذا الكتاب ، لأنه فى الحقيقة إنما كان يرتب مذكراته ويضع تصميما لكتاب ، انما الملاحظ ان الكتاب موضوعــى اقتصر فيه على المواضيع التى تدل عليها العناوين ولم يجنح فيه الى الاستطرادات وترك الموضوع الى ما يشبهه أو ما له اتصال به ولو كان واهيا ، كما فعل فى **ازهار الرياض ونفح الطيب** ، ولم يجمح به قلمه الا مرة واحدة عند ما ذكر أشياخ بدر الدين القرافى واسانيده فى ترجمة القصار . فلذا جاءت **(روضة الآس)** على خلاف كتبه الاخرى مجموعة الشمل ملمومة الأطراف ، ولو أنه أخرجها فى صيغتها النهائية فهذب ونقح وألحق وأضاف لجاءت فى حجم **أزهار الرياض** ، ولو سلك

فى تحريرها النهائى مسلكه فى تحرير **نفح الطيب** لجاءت فى حجمه ، ومن يدرى ؟ فلعلنا نكون قد بالغنا عند ما جزمنا أن المقرى لم يعد بالتأليف هذا المشروع ، ولعله ان يكون حرره من جديد وأضاف اليه ما ليس فى المشروع الأول ووضع له خاتمة ، ولعل الزوايا تظهر يوماً من الأيام ما فى الخبايا فتضع بين أيدينا أو أيدى من يأتى بعدنا **(روضة آس)** فى حجم **أزهار الرياض** أو **نفح الطيب !**

أما أهمية الكتاب فلا تخفى على باحث ولا مطالع ، فهو قد عرفنا بشخصيات لم نكن نعرفها على الرغم من قرب العهد بها ، ونشاط الحركة العلمية والادبية فى أيامها ، ووسع معلوماتنا ومعرفتنا بآخرين كنا لا نعرف الا أسماءهم أو لا نعرف عنهم الا القليل ، وانت لو قارنت ما كتبه عن الأديب محمد الوجدى وهو يشغل 29 صفحة من هذا الكتاب بما كتبه عنه محمد بن الطيب القادرى فى **(نشر المثانى)** وهو لا يبلغ السطرين لعلمت أى معروف أسداه المقرى بهذا الكتاب الى هذه البلاد، وبالاضافة الى الرجال الذين عرف بهم وأطلعنا على بعض أخبارهم يحتوى الكتاب على مجموعة من القصائد والموشحات والمقطعات التى لم يرد لها ذكر فيما يتداوله الناس من هذه الكتب المطبوعة والمخطوطة على السواء ، وهذه المجموعة الشعرية وان كانت لم تبلغ كلها القمة البلاغية ـ تنمى ثروتنا الادبية من جهة أولى ، وتربط حلقات العصور الأدبية بالمغرب من جهة ثانية، وتبين لنا من جهة ثالثة مدا ما بلغ اليه بلدنا من رخاء وبذخ على عهد منصور السعديين ، وفى الحقيقة هناك من بينها قصائد ومقطعات حلقت فى آفاق البلاغة وبلغت منتهى السمو ، وانا لنجترىء بمثال واحد منها ، وهو القصيدة التى قالها عبد العزيز الفشتالى لما صرف السلطان أحمد المنصور هدية لولى عهده ، والتى يقول فيها واصفاً ما بلغ اليه المغرب من بذخ ، واحتواء قصوره الملكية على التحف والطرف المستوردة اليها من جميع بقاع الأرض :

كنوز الأرض وهى لكم مـلاك ... شمـوس فـى قصورك مجتـلاهـا
متوعـة الفنون يـروق منهـا ... بديـع في بديعك قـد تناهـا
فمن طرف العـراق وكـل أرض ... عجـائب راق أعيننـا رؤاهـا
ومن كسب الملـوك ومقتنـاهـا ... غرائب جـلـل الدنيـا سناهـا
بيوم أصبـح الايـوان منهـا ... يجـر ذيول بـأو من بهـاهـا
ملـوك ملاكك ازدحمـت عليهـا ... لتبصر ما سباها من سباهـا
يكبـر معجبـا فكـأنمـا قـد ... أطل عـلى الفـرادس مـن رآهـا
فمن بيـض القبـاب مدبجـات ... تلـوح بهـا المجـرة فى سماهـا
ومن الديبـاج راق بصفحتيـه ... خمائـل لحـن بـاكرهـا نداهـا
حشين من التمـاثـل كل حسـن ... ومـن صور سواحـر مـن يراهـا
فمن طير شدون بكـل غصـن ... ومن غـزلان رامـة أومهاهـا
توافـر من فـوارس تدريهـا ... وآسـاد لهـن فغـرن فـاهـا
وأبسـط كالريـاض مفـوفـات ... وانمـاط لعبقـر منتهـاهـا
وأصنـاف التخـوت ملونـات ... كمـا وشت يد الأنـوار بـاهـا
وبيـض كالأفـاعـى مطـردات ... لهـا سلـخ اليواقيـت مـن غشاهـا
تمت لـذى الفقـار بكـل حـرب ... الى صفيـن تنسبهـا ظبـاهـا
لهـا نجيـر عـلى الجـد سـام ... لأقيـال شـوامـخ فـى عـلاهـا
ومن طيب العبيـر حقـاق (فاجت) ... وأرخص كـل غاليـة شـذاهـا
وأحجـار نفـاس فـاخـرات ... لـوامـع كالبـرق يشـف مـاهـا
ومن أجرام الصنـادق مـوقـرات ... بأمـوال صوامـت مـلء فـاهـا
ذخائـر ما القيـاصر أحـرزوهـا ... ولا ملـك الاكـاسرة اقتنـاهـا

ويحسن قبل ختام هذا التصدير أن نعرف جهد المستطاع بالشخصيات المذكورة فى الكتاب ، ونشير الى المراجع التى يمكن لمن أحب أن يرجع اليها ليزداد بهم معرفة ، فان بعضهم كان مجهولا أو معدوداً فى حكم المجهول ، والبعض الآخر اقتصر المؤلف على ما علمه عنه أثناء التقائه به ، مع أنه عمر عشرات السنين ، وامتدت به العيش الى ما بعد وفاة المؤلف ، وأخصبت حياته السياسية والثقافية بعد تأليف الكتاب ، وسنعرف بهم جهد الاستطاعة فيما يلي ملتزمين الترتيب الذى التزمه مؤلف **(زهرة الآس)** :

السلطان أحمد المنصور الذهبى

أبو العباس أحمد ، ابن أبى عبد الله محمد الشيخ المهدى ، ابن أبى عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدى فخر سلاطين الدولة السعدية التكمدارتية ، وأحد ملوك المغرب العظام ، تنتمى أسرته الى النسب النبوى ، ومن النسابين من رفع نسبهما الى العباس بن عبد المطلب والى بنى سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليمة السعدية ظئر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولد بفاس سنة 956 وهى السنة التى استولى فيها السعديون على فاس ، وقضوا على ملك بنى وطاس المرينيين ، ونشأ فى بيت النعمة والملك ، محاطا بخيرة المعلمين ونخبة المربين ، فتبحر فى العلم واستوعب كثيرا من فنونه وصنوفه ، وكان معروفا من صغره بثقوب الذهن ، وسداد الرأى ، وشدة النجابة ، ولما اشتد ساعده وأصبح رجلا سويا شارك فى سياسة بلده ، وأسندت اليه الخلافة عن الملك بفاس وكان السعديون يقيمون فى الغالب بمراكش منذ وطدوا أركان دولتهم ، ومن فاس جاء الأمير أبو العباس أحمد بجيش المغرب الشمالى لصد زحف نصارى البرتغال وايقاف مدهم سنة 986 وأبلا البلاء الحسن فى وقعة وادى المخازن التى خرج منها المغرب منيع الجانب مرتفع الأعلام ، وباء البرتغاليون بالخزن والهوان مخلفين فى ميدان المعركة جثث ملكهم

وقواد جيشهم وآلاف من جنودهم . وعندما انجلت الغمرة بويع له بالملك خلفاً لأخيه الذى لفظ أنفاسه بوادى المخازن والحرب حامية الوطيس فمهد البلاد ، وساس الرعية بحزم وعدل، وثبت السلطة باقليمى كورارة وتوات وفتح السودان، وجدد النظم الادارية وأعاد للدولة شبابها ، واعتنى بالمرافق العامة فبنى المساجد والقناطر والمستشفيات ، وأقام المصانع ، ونشط التجارة والتبادل مع الخارج ، وعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية وتبادل واياها السفارات ، ومن أكبر مآثره بناء القصور والحدائق الملكية بعاصمته مثل البديع والمسرة والمشتها ، وتشييد الخزانات العلمية وتحبيس الكتب النفيسة عليها ، والاحتفال الباذخ بالاعياد والمواسم الدينية والقومية ، ولا سيما المولد النبوى الذى بذ فى الحفاوة به ملوك المسلمين ، وقد نفقت فى أيامه أسواق العلوم بعد كسادها ، وأحيى فى عهده ما اندرس من الحرف والفنون المهمة كالمنطق والنحو والفقه والحساب والهندسة والطب والموسيقى ، وتعاطى الناس الآداب وتنافسوا فى تأليف الكتب واقتنائها وكان هو قدوتهم فيها ، وألف برسم خزانته مآت الكتب وأجاز عليها مؤلفيها من مغاربة ومشارقة ، وعربت فى أيامه بعض مؤلفات الأوربيين، وكان بلاطه غاصاً بفحول الشعراء وبلغاء الكتاب ونبغاء الفقهاء والعلماء وكان جواداً كريما يصل الخاصة والعامة ويقضى الحاجات ويقعد لسماع المظالم ، وله ألف أبو العباس المقرى **(روضة الآس)** .

مرض بظاهر فاس يوم الأربعاء 11 ربيع النبوى عام 1012 والتزم الفراش الى ليلة الاثنين بعده فتوفى مطعوناً ، وصلى عليه عند صلاة العصر يوم الاثنين ودفن بفاس العليا ، ثم أمر ابنه زيدان فيما بعد بنقله الى مراكش ، فنقل اليها ودفن بمقابر السعديين .

وقد خصت حياته وأيامه بتآليف ، كـ **(المنتقى المقصور)** لابن القاضي ، و **(الممدود والمقصور)** لابن عيسى ، و **(مناهل الصفا)** للفشتالي ، وتمكن مراجعة ترجمته في **نزهة الحادي** (71 ـ 171) **ونشر المثاني** (1 : 73) **والاستقصا** (5 : 89) **وصفوة من انتشر ، وجذوة الاقتباس ، والاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام .**

محمد بن علي الوجدي

الأديب الكبير ، الشاعر الناثر ، أبو عبد الله محمد بن علي الوجدي الفاسي المعروف عند أصدقائه بالغماد .

أحد الأدباء الذين أنس المقري بلقائهم في رحلته الأولى وأثنى عليهم ، وقال انه من نبغاء فاس الذين يحصل الفخر بلقائهم والتعرف عليهم ، وهو من بركات **(روضة الآس)** اذ لم ينبه له في غير هنا ذكر ، ولم يثبت له في ديوان شعر ولا نثر ، رغم بلاغته وبراعته ، لأن الفقر عضه بنابه ، وتركته حرفة الأدب في معترك الحرمان طريحا ، أخذ عن يحيى السراج ، وعبد الواحد الحميدي ، ومحمد القصار ، والحسن الدرعي ، وأبي القاسم الوزير الغساني ، وسمع الصحيحين من عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، واجازه فيهما وفي كل ما تصح له وعنه روايته ، ومن تآليفه **(الألباب الطائشة ، في مناقب أم المؤمنين عائشة)** و **(العنبر الشحري ، فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقري)** و **(تميمة الالباب ، ورتيمة الآداب)** ذكر المقري أن فيه شيئا كثيراً من أشعار القدماء والمعاصرين ، وأورد فيه مؤلفه أكثر من مئتي قطعة في لابسي ثوب كذا من أنواع اللباس فقط الشيء الذي يدل على غزارة حفظه .

توفي بفاس عام 1033 ، ذكره محمد بن الطيب القادري في **(نشر المثاني 1 : 148)** في أقل من سطرين ، ووصفه بالفقيه الاديب العلامة ، ومحمد اليفرني في **(نزهة الحادي ص 150)** وذكر في **(الاكليل والتاج ، في تذييل كفاية المحتاج)** و **(أزهار البستان ، في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمان)** و **(التقاط الدرر)**

علـى الهوزالى

أسرة الهوزالى أسرة سوسية تنتمى الى قبيلة ندو وزال ، وايدا وزال مـن قبائل الاقليم السوسى ، ولم ينبه ذكر هذا الشخص رغم انه كان شاعراً ومـن كتاب الامير محمد الشيخ الملقب بالمامون ولى عهد السلطان أحمد المنصـور الذهبى وخليفته بفاس ، ولعل عمله مع الامير المذكور الذى كان معروفا بخبث السيرة وقبح السلوك هو الذى جعل المؤرخين يغفلونه ، وهو أيضاً من حسنات **(روضة الآس)** اذ هى التى عرفتنا ببعض شيوخه وتنقلاته ، واطلعتنا على بعـض **قصائده ومقطعاته** ، وهو فى غالب الظن والد الأديب الكبير النابه الذكر محمد **بن علي الهوزالى** كاتب السلطان احمد المنصور .

أحمد بن عبد العزيز

هـو كسابقه ، لا أعـرف عنه الا مـا ذكره المقـرى فى **(روضة الآس)**

عبد الرحمان العلج

بيتهم شهير بفاس ، وهو أيضاً كسابقه ، لا أعرف عنه الا ما ذكره المقرى فى **(روضة الآس)**

عبد العزيز الفشتالى

من أهل فاس ، وأصل سلفه من فشتالة قبيلة جبلية بشمالها ، أشهر وزراء الدولة السعدية وأكبر كتاب المغرب وشعرائه فى عهدها ، وصفه الشهاب الخفاجى شارح **الشفا** فى رحلته لما ذكر محاسن أهل عصره من المغاربة فقال : أديب عذب **اللسان** ، ماضى السنان ، له دمث أخلاق وشمائل ، تجر وراءها ذيـول الصبـا **والشمائل** ، **ألطف** من وجنات ورد عذارها ، وأسحر من عيون غيد اذا غازلهـا **النعاس** ، ان خط زين طرس البلاغة ووشاه ، وتعاين على أخذ الرنة لفظه ومعناه ،

فيطرب السمع لألفاظه ويرقص القلب لمعناه ، بهمة هى حدت الفضا ، ولطف طبع ألذ من ذنب محاه الرضا .

ووصفه محمد بن الطيب القادرى بقوله : الكاتب الأرفع ، البليغ الأبرع ، صاحب القلم العالى ، والقدم التى رسخت بالبلاغة على هام المعالى ، جامع أشتات فنون الأدب على التمام ، والمزيل عن خفايا بدائعه النقاب واللثام .

ولد سنة 956 وهى سنة ميلاد مخدومه ، واكب على العلم والطلب فظهرت براعته على صغر سنه فى الشعر والترسل ، ومن شيوخه احمد المنجور ، وعبد الواحد الحميدى ،وأحمد الزمورى ، وكان رفيقاً لمخدومه فى صباه وربى نعمة بيتهم ، ولما تولى الملك يوم وقعة وادى المخازن تألق نجمه وصار المقدم على رجال الدولة ، وأصبح اسمه مقترنا بنشاط السلطان ومذكورا كلما ذكرت واقعة او أشير الى حادثة .

من تآليفه العظيمة **(مناهل الصفا ، فى مآثر موالينا الشرفا)** المشتمل على عدة أسفار ، وقد ظل هذا الكتاب سرا مكتوما حتى عثرت على نسختين كاملتين من جزئه الاخير بالخزانة السلطانية بفاس ، وقد ذكر المقرى انه فى عدة أسفار ، وأن مؤلفه أخبره انه ذكر فى الباب الخاص بفتح السودان منه ما يحمله سفر ضخم ، ومنها **(تقديم الامام)** فى فن التورية ، و **(مدد الجيش)** ذيل به **جيش التوشيح** لابن الخطيب ، و **(ترتيب ديوان أبى الطيب المتنبى)** .

توفى عام 1031 ، وانقرضت أسرته بوفاته

تراجع أخباره فى أخبار دولة مخدومه أبى العباس المنصور من كتب التاريخ والأدب ، وتنظر أيضا فى **نشر المثانى** (1 : 140) .

الحسن المسفيوى

الحسن بن أحمد بن الحسن بن يعقوب بن محمد المسفيوى المراكشى . أحد كتاب الانشاء بديوان السلطان أحمد المنصور ، ولد عام 968 وأخذ العلم عن اشياخ كثيرين كالحميدى ، والزمورى ، والمنجور ، وعبد الواحد الحسنى ، ومحمد المرى مفتى مراكش ، وقرأ علم الطب على أبى القاسم الوزير الغسانى . وكان مبرزاً فى الطب والتاريخ ، وله مؤلفات فى التاريخ والأدب . ونقل الى العربية بعض المؤلفات الطبية التى كتبها الأوربيون ، وهو أيضا من حسنات **(روضة الآس)** اذ لم أر له فى غيرها ذكراً الا ترجمة قصيرة فى **درة الحجال** لابن القاضى (I : 128 ع 356) .

على بن منصور الشيظمى

أبو الحسن على بن منصور بن المرابط الشيظمى المراكشى ، أحد قواد جيش المنصور الذهبى وأدباء بلاطه . ولد سنة 951 وأخذ عن المنجور وغيره ، وكان متضلعاً فى النحو والفقه زيادة على الأدب

ترجمه ابن القاضى فى **درة الحجال** (2 : 449 ع 1285) ووصفه بالفقيه الاديب المتفنن ، وذكر أن له نظماً رائعاً ، ونثراً فائقا .

أحمد الغرديس التغلبى

أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضى محمد بن الغرديس التغلبى من بنى الغرديس أحد بيوتات فاس الشهيرة الأصيلة ، ولد سنة 947 بفاس ، ودرس على مشيخة الوقت ، وبرع فى الشعر والترسل ، واستكتبه محمد الشيخ الملقب بالمامون بن السلطان أحمد المنصور أيام خلافته عن والده بفاس وبعد صيرورة الملك اليه .

وكان مولعا باقتناء الكتب ، جرياً على عادة سلفه وينسخ منها لخزانته ما لا يستطيع اقتناءه ، ومن حكاياته فى هذا الباب فى ذكره سيدى العربى الفاسى فى

شرحه لدلائل الخيرات عند قوله : كان لى جار نساخ الخ أنه استعار منه كتاب **الأنباء في شرح الأسماء** للاقليشى ، ثم مرض مرض موته فعاده فوجد الكتاب عند رأسه ، ومعه كراريس منسوخة واخرى معدة للنسخ فقال له : انى اذا وجدت راحة كتبت ما قدرت عليه ، فاذا غلبنى ما بى أمسكت ، فقال له : ولم تكلف نفسك بذلك ؟فقال له انى عصيت الله بهذه الأصابع ما لا أحصيه ، فرجوت ان يكون ما أعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملى بها وكفارة لذلك ، فكمل الله قصده وأتم الكتاب .

توفى من مرضه بعد أن طال من عام 1019 الى عام 1020 ، وفى **نشر المثانى** ، وكذا فى طرة بهامش **(روضة الآس)** توفى عام 1021 .

وفى شعره فى مرضه :

فلما انقضى سبعون حان حماميا ... وأذهلنى ما ذا ألاقى اماميا

وبدل منى كل وصف بضده ... وأقعدنى عما أروم سقاميا

فلا أنا حى أرتجا لمهمة ... ولا انا ميت اكف هم ملاميا

وفيه يقول الشاعر :

تمتعت يا غرديس والدهر راقد ... وأنت بفاس وابن حيون واجد

لسعدك راحت خيزران لقبرها ... (مصائب قوم عند قوم فوائد)

وردت ترجمته فى كتب كثيرة مثل **(نشر المثانى)** و **(صفوة من انتشر)** و **(درة الحجال)** و **(الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام)** .

ادريس بن راشد الحسنى

أبو العلاء ادريس بن على بن ابراهيم بن راشد الحسنى من بيت بنى راشد أمراء شفشاون ومختطيها . ولد بعد عام 960 ، ورد ذكره فى **(درة الحجال 1 : 116 ع 306)**

احمد بن محمد الآيسى

من أسرة سوسية ذاع صيتها فى عهد السلطان المنصور ، وببيتهم نزل المقرى عند ما ورد على مراكش ، وأخوه القائد ابراهيم هو الذى أشرف عـلى بنـاء سند بوطوبة بفاس ، وذهب بالمقرى الى مخدومه ، لا أعرف عنه وعن أخيه الا ما ورد فى **(روضة الآس)** .

الحسن بن عبد الكريم المراكشى

كاتب المظالم بديوان السلطان أحمد المنصور ، عـرف بـه ابن القاضى تعريفا هزيلا فى **(درة الحجال** 1 : 133 ع 374) .

محمد بن عبد الواحد الحسنى

لم يزد المؤرخون شيئاً على ما ذكره فى حقه المقرى فى **(روضة الآس)** ، انظر **نشر المثانى** (1 : 57) و **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** (2 : 208)

احمد بن عبد الواحد الحسنى

أخو المتقدم ، لم يزد المترجمون شيئاً على ما ورد عنه فى **روضة الآس** ، انظر **نشر المثانى** (1 : 57) و **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** (2 : 44)

محمد بن عبد العزيز الفشتالى

لا أعرف عنه شيئاً أكثر مما ورد فى **(روضة الآس)**

على المروانى المطاعى

لا أعلم عنه شيئا اكثر مما ذكره المقرى فى **(روضة الآس)**

احمد المريد المراكشى

أبو العباس أحمد بن عبد الحميد بن الناصر بن عبد الرحمان الشهير بالمريد من أهل مراكش .

عرف به اليفرني في **(صفوة من انتشر)** ، وقال انه كان اماما جامعاً في جميع الفنون ، حكيما ماهرا في الطب ، دمث الاخلاق متواضعا ساقط الدعوى .

وترجمه الحضيكي في طبقاته ، وحكى عنه الفقيه محمد بن سعيد المرغيثي انه كان يمنع قراءة القرآن بلا تجويد .

توفي عام 1048 على ما في كتاب **الاعلام** لعبد الله الفاسي

وانظر أيضا **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام (2 : 114)**

عبد الله بن عجال المزوري

لا أعرف عنه شيئا اكثر مما ورد في **(روضة الآس)**

أبو القاسم الوزير الغساني

الطبيب الماهر، الاديب الكاتب أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم الوزير الغساني ولد بفاس عام 955 وأخذ الطب عن أبيه ، وسائر العلوم عن المنجور ، والحميدي ، وابن مجبر المساري ، وأحمد القدومي ، ويحيى السراج ، وغيرهم ، ومن تلاميذه أبو العباس المقري ، وعبد الواحد بن عاشر ، وعلي بن الزبير المكناسي، والعربي بن يوسف الفاسي ، وأحمد بن علي السوسي ، وعبد القادر بن علي الفاسي ، وله مؤلفات في الطب ، وكتاب في الأعشاب ، وشرح على حميات ابن عزرون ، وكان على اشتغاله بالعلوم الرياضية والطبيعية صحيح الاعتقاد ، واكثر مؤلفاته في الطب ، بعضها ألفها ، وبعضها عربها ، وله قصائد ومقطعات وموشحات .

وهو غير القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني المعاصر له ، فهذا فقيه وذاك طبيب ، وكثيرا يختلط أحدهما بالآخر عند المؤرخين لتشابه اسميهما وتعاصرهما ، وسنأتي ترجمة القاضي بعد .

ترجمه ابن القاضي في **درة الحجال** (2 : 466 ع 1347) .

عبد الوهاب الحميدي

ذكره القادري في **نشر المثاني** 1 : 117 فيمن توفوا عام 1022 ، وأخبر أنه تولى قضاء فاس بعد ابن أبي النعيم ، ثم أخر وقدم ابن أبي النعيم ، وهو أول من بادر الى اكرام المقري لما دخل الى فاس .

قاسم بن القاضي

القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن أبي العافية المكناسي

ولد عام 959 ، وأخذ عن ابن مجبر المساري ، وأبي القاسم بن ابراهيم المشترائي ، والقدومي ، وعلي الحاجي ، ويحيى السراج ، والحميدي ، وابن عرضون ، والمنجور ، واليدري ، وكان ذا شهرة في تدريس النحو ، له شرح على الالفية في مجلدين ، وشرح على مقدمة ابن آجروم في مجلد عظيم ، وشرح تصريف المكودي .

توفي عام 1022

انظر **نشر المثاني** (1 : 117) **ودرة الحجال** (2 : 464 ع 1342)

سعيد الماغوسي

سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي المعروف بالحاج أبوجمعة المراكشي ولد بعد عام 950 وأخذ عن أعلام بلده ، ثم رحل الى الشرق سنة 974 ، ثم عاد سنة 983 ثم رحل مرة ثانية سنة 987 واخذ خلال الرحلتين عن اعلام الجزائر وتونس ومصر والشام والحجاز والقسطنطينية العظمى ، ولما رجع للمغرب أضفى عليه

المنصور حلل اكرامه ، وأسبغ عليه فواضل نعمه ، فحبس عليه من جهته ما يصدر عنه من نظم ونثر وتاليف .

ذكره ابن القاضي في **درة الحجال** (2 : 475 ع 1366) وقال ان له خطا رائقا ، ومشاركة في العلوم وفهما ثاقبا .

أحمد بن القاضي

الفقيه الأديب المؤرخ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي الفاسي ، صاحب التآليف المفيدة مثل **(درة الحجال ، في غرة أسماء الرجال)** و **(جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس)** ، و **(المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور)** ، و **(درة السلوك ، فيمن حوا الملك من الملوك)** ، و **(درر الملوك في شرح درة السلوك)** ، و **(لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد)** ، و **(رائد الفلاح ، في ذكر ما لي من الأسانيد الصحاح)** وغيرها

ولد سنة 960 وتوفي سنة 1025

وهو أشهر من نار على علم ، ونكتفي بالاشارة الى بعض المؤلفات التي عرفت به لمن أراد التوسع في معرفته ، فمنها **نشر المثاني** (: 128) و **صفوة من انتشر** ، **والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** (2 : 93) **واتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** (1 : 324) و **فهرس الفهارس والأثبات** (1 : 77) الخ

أحمد الصومعي التادلي

أبو العباس احمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز بن شعيب الشعبي الهروي الزمراني دفين الصومعة من بلاد تادلة أحد مؤلفي المغرب المكثرين، وصلاحه المشهورين

توفي في اوائل ربيع الأول عام 1013

عرف به في **نشر المثاني** (1 : 84) **وصفوة من انتشر** ، و **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** (2 : 72)

أحمد بابا التنبكتى السودانى

أبو العباس احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن أقيت المسوفى التنبكتى المعروف ببابا السودانى الفقيه المصنف المؤلف الذائع الصيت ، بيته بيت علم وصلاح توارث أهله العلم ببلدهم خمسمئة سنة .

ولد ليلة الحادى والعشرين من ذى الحجة عام 963 وتوفى فى 7 شعبان عام 1032 .

ترجمه فى **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** (2 : 99) **ونشر المثانى** (1 : 151) و **صفوة من انتشر** ، و **فهرس الفهارس والأثبات** (1 : 76)

عبد الواحد الركراكى

ترجمه ابن القاضى ترجمة وجيزة جدا لا تغنى فى **درة الحجــال** (2 : 384 ع 1079) .

محمد القصار

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن على القصار القيسى الأندلسى الفاسى أحـد محدثى المعرب وفقهائه النابهين فى القرن الحادى عشر

ولد بفاس عام 939 وتوفى سنة 1012 بزاوية ابن ساسى اثناء ذهابه الــى مراكش ، ونقل اليها فدفن بازاء باب روضة أبى العباس السبتى .

عرف به فى **نشر المثانى** (1 : 12) و **والاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام** (4 : 227) **وفهرس الفهارس والاثبات** (1 : 316) **والفكر السامى** (4 : 107) ، **ودرة الحجال** (1 : 227 ع 618)

على بن عمران السلاسى

ابو الحسن على بن عبد الرحمان بن عمران السلاسى الفقيه المفتى قــاضى الجماعة بفاس

ولد بفاس سنة 960

كان مجلسه بفاس لا نظير له فصاحة لسان ، وصراحة بيان ، وحسن ايراد وترتيب وتنميق ، امتحن بالسجن فى فاس الجديد عام 1017 فكاتبه الاديب محمد ابن أحمد المكلاتى بهذه الابيات :

أما لهلال غاب عنا سفور ... فيجلى به خطب دجاه يثور
تصبر لدهر راح يمنحك الاسا ... فأنت عظيم والعظيم صبور
سيظهر ما عهدته من جمالكم ... فللبدر من بعد الكسوف ظهور
ونحيى رسوم للمعالى تغيرت ... فللميت من بعد الممات نشور
أبا حسن انى على العهد لم أزل ... مقيماً عليه ما أقام ثبير
ففى فى ماء من بقايا ودادكم ... فطعمه عندى سائغ ونمير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا ... وغنت بأغصان الرياض طيور

فلما أنشد ذلك بمحبسه بكا حتى ظن أنه سيهلك ، ثم أفاق وتلا : لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم أجابه بعد أيام بالابيات التالية :

تفتق عن زهر الربيع سطور ... فما هى الا روضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح همومه ... فانت على جند الكلام أمير
محمد هل فى العصر غيرك شاعر ... له معكم فى الخافقين ظهور
بنى كذا هو الوداد ، واننى ... سأشدو وقلبى بالهموم كسير
متى وعسى يثنى الزمان عنانه ... لعثرة جد والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب ... وتحدث من بعد الأمور أمور
عليكم سلام الله منى واننى ... غريب بأقصى المغربين أسير

توفى مسموماً فى جامع المشور بفاس فى سجن السلطان زيدان بن احمد المنصور فى ربيع الثانى عام 1018 .

تراجع ترجمته فى **نشر المثانى** (1 : 104) **ودرة الحجال** (2 : 447 ع 1276) **وصفوة من انتشر** .

أبــو القاسم الغسانى

أبو القاسم بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن أبى النعيم الغسانى قاضى فاس وقبيلة زمور

ولد فى رمضان عام 952 وتوفى قتيلا وهو نازل من صلاة الجمعة بفاس الجديد يوم 5 ذى القعدة عام 1032 قتله اللصوص بباب المدرسة العنانية لاتهامه بالميل لعبد الله بن الشيخ ، وثارت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين أهل فــاس . وهو غير أبى القاسم الوزير الغسانى الطبيب المتقدم الذكر

انظر **نزهة الحادى** (ص 212) ، و **نشر المثانى** (1 : 147) **ودرة الحــجــال** (2 : 464 ع 1340)

عبد الرحمان بن ابراهيم المشترائى

أبو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن ابراهيم المشترائى الدكالى المشهور بيتهم بفاس بأولاد ابن ابراهيم ، خطيب مسجد باب عجيسة بعد أبيه

ولد بفاس سنة 969

ترجمه ابن القاضى ترجمة وجيزة فى **درة الحجال** (2 : 362 ع 1008) .

محمد بن رضوان النجارى

ولد بفاس سنة 967 وتوفى سنة 1025

وهو من ذرية أبى القاسم بن رضوان صاحب المؤلف الشهير فى السياسة ، وكان بيتهم بفاس بيت ثروة وعلم ثم انقرض .

ترجم بايجاز فى **نشر المثانى** (1 : 130)

على بن الزبير السجلماسى

أبو الحسن على بن الزبير السجلماسى الملقب بين أصدقائه بالعضد ، الفقيه النحوى الاديب توفى عام 1035

ترجم بايجاز فى **نشر المثانى** (1 : 147)

عبد العزيز الجيار

أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن عمر الجيار الفاسى

ولد قرب سنة 960

ترجم بايجاز فى **درة الحجال** (2 : 380 ع 1067)

محمد الغجاف

لا أعرف عنه الا ما أورده المقرى فى **(روضة الآس)**

الحسن بن يوسف الزيانى

الحسن بن يوسف بن مهدى الزيانى فقيه نحوى أديب

أخذ عن الحميدى **مختصر خليل** ، وعن القصار **الموطأ والصحيحين** ، واجازه اجازة عامة ، ثم اتصل بالشيخ أبى المحاسن ، ورفض الدنيا وأقبل على العبادة ، وانتفع بدروسه خلق كثير . له مؤلفات كثيرة فى النحو والفقه والتوحيد ، وهو – كأبى العباس المقرى – واحد من العلماء الذين اختفوا فراراً من الفتوى لمحمد الشيخ السعدى بجواز تسليم ثغر العرائش للنصارى .

انقطع بجبل كرت من بلاد الغرب لما كثرت الفتن بالمغرب ، وتوفى بمكان هناك يسمى زاوية الهبط عام 1023

ترجمه القادرى فى **نشر المثانى** (1 : 125) وابن القاضي فى **درة الحجال** (1 : 132 ع 373) وأنشد له مما لم يورده المقرى فى **روضة الآس** قوله :

يا ناصبا علم الحساب حبالة ليصيد طبيا ساحر الألباب

ان كنت ترزق بالحساب وصاله فالله يرزقنا بغير حساب

وبعد ، فهذه **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** أجلوها من الخدر عذراء لم ترقب ، ومن الصدف درة لم تثقب ، وقد بذلت من الجهد ما وسعني الاطلاع والوقت بذله في تصحيحها وترتيبها ، وشرح طرف مما ينبغي شرحه من ألفاظها ومعانيها ، وكم كنت أتمنى أن لو سمحت الأشغال من الوقت بأكثر مما سمحت لأوفيها حقها من العناية ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، وعلى قدر الكساء مددت رجلي ، ولو طال الكساء لها لطالت ، وحسبي أن أبرز هذه النوادر من مخابئها ، وأبعثها من مراقدها ، وأجعلها في متناول عشاق ثقافتنا وآدابنا ، وكما قلت في تصدير واحد من هذه المطبوعات الصادرة عن القصر الملكي : المهم في الساعة الراهنة ليس هو الشرح والتعليق ، بل المهم نبش التربة لاستخراج المادة الخامة منها ، فلعل الله يهيىء لها منا أو من أجيالنا اللاحقة من ينكب بعبقريته عليها ، فيخرج منها من نخب الصنائع وتحف البدائع ما يقر النواظر ويرضي الضمائر ويريح الخواطر .

الرباط ـ الأحد { 17 رمضان 1383
2 يبراير 1964 }

عبد الوهاب بن منصور

روضة الآس
العاطرة الأنفاس

في

ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس

تأليف

أحمد بن محمد المقري



بسم الله الرحمن الرحيم

. . . . لم يسبقوا اليه ، فاذا فرغوا من ذلك كله دعوا كلهم لمولانا نصره الله ، ثم يشرع الفقهاء والكتاب من أهل حضرته نصره الله (فى انشاد) قصائد قد اخترعوها فى مدح مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتخلصون بأحسن تخلص الى مدح سبطه مولانا المنصور ايده الله وأنجده ، وسيأتى فى تراجمهم كثير من هذا النوع .

ومن بعض ذلك قول الامام العلم ، العلامة الحجة القدوة ، المحقق المجتهد، مفتى الحضرة المراكشية وشيخ أعلامها ، أبو مالك ، سيدى عبد الواحد الشريف (1) صب الله عليه شآبيب رحمته :

حدث حديث أصيحابى وسمارى ... وجيرتى حالتى يسرى واعسارى
القادحين بزند البين نار أسا ... بين الجوانح من شوق وتذكار
ركب سرا وظلام الليل معتكر ... يؤم بيداء لا يسرى بها السارى
بانوا فما زلت أبكيهم وأندبهم ... أكابد الوجد آصالى وأبكارى
وخلفونى صريعاً فى ديارهم ... نضو ضنا فى أسيحاق (2) وأطمار
والثم الربع من شوقى ومن حزنى ... أبيت حلف صبابات وأفكار
أسامر الشهب فى جنح الدجا سهراً ... شوقاً اليهم لقرب العهد بالدار
وأسأل البارق النجدى عن نبأ ... منهم ، أو الريح ان هبت بأسحار
أين استقلوا وأين يمموا سحراً ... بظعن بين أنجاد وأغوار

1) ظ ترجمته فى **نشر المثانى** 1 : 14 .
2) تصغير أسحاق ج سحق : الثوب البالى .

كانوا لناجيرة والدار واحدة ... فاليوم مالى من دار ولا جار

أقوت (3) معاهدهم من بعدما أهلت ... فيامحاقاً أتا من بعد ابدار

أذكرهم لبروق فى الهوا ومضت ... فترسل الوبل أجفانى واشفارى

عجبت من خورى لبينهم أسفاً ... ولم أكن قبل فى بين بخوار

ولم أموت صبابة الى نفر ؟ ... على هواهم . . . . ـا عقد أزرارى

آهاً وآهاً لأيام لنا سلفت ... قضيت فيها لباناتي وأوطارى

أجريت فيها جياد اللهو جامحة ... ملء العنان واعلانى كاسرارى

سقياً لأربعنا الأولى التى حمدت ... فيها شؤونى وأحيانى وأطوارى

ولصحابتى الغر الذين نأوا ... وخالص الود لم يشب بأكدار

لا تنكرن حنيننا ظلت شاهده ... منى اليهم فقد أوضحت اعذارى

ما خلفونى سآمة ولا مللا ... كلا وحاشاهم شيء من العار

لكن ترامت بهم أيدى المطى الى ... خير الورى من بنى عدنان مختار

أسما النبيئين قدراً غير مزدحم ... قدماً به بشرت أخبار أحبار

وأفضل الرسل الشم الذين مضوا ... فى مدد قد خلت قبل وأعصار

هم النجوم وخير الخلق بدرهم ... شتان ما بين أنجم وأقدار

لئن تأخر عنهم بعثه فلقد ... خص قديماً بأسرار واسرار

اكرم به من رسول جاء مبتعثاً ... الى العباد بآيات وأنوار

كم منقذ بعلاه من معاطبه ... لولا هداه تردا من شفا هار

أجل من مرحت به جياد وغا ... لمزبد من بحور الطعن زخار

وخير من قد أقل رحل ناجية ... وأشرف الخلق فى ورد واصدار

هو الملاذ اذا خطب ألم ولا ... يرجا سواه لاوجال وأخطار

هو العتاد لنا فى كل نائبة ... والمستجار به حقاً من النار

اليه مفزع أهل الحشر قاطبة ... عند تفاقم أهوال وأغيار

---

3) خلت .

كم آيـة أعلنت بصـدق بعثتـــه   وكم وكم من براهـين وأخبـــار
إعيى الأعـادى ما راموا وما طلبـوا   بلا دليل ســوى جحـد وانكـــار
ويـحـهـم و . . . . . ق . . . .   وحسبهم مـن دلـيـل قصة الـغـار
بذ المعارض من قرب ومن بعـــد   بما تحدا به من خـارق البـــارى
يا معشر العرب العربـاء مالكــم   الستـم فى الورى أصحـاب أقـدار
أما الفصاحة لا تعـزا لغيركــم   وقد أحطتـم بهـا عـون وأبكـــار
هذا المنـزل يتـلا بين أظهـركـم   بكل دار مقـام أو بأسفـــــار
يدعوكم للـ . . . . . أيـن السنـة   لهـا العجائـب فى نثـر وأشعـار
عجزتـم أو صرفتـم عن معـارضـة   بقدرة من الـه الخلـق قهـــار
هـذى الخوارق فى حل وفى ظعـن   فأين كهانكـم أو سحـر سحـار ؟
تبأ لهسم ولقـوم كذبـوا سفـهـا   أوفـا الورا ذمة مـن غيـر اخفـار
يا خير من شد رحـل لزيـارتـه   وخير مـن يممت وفــود زوار
صلى عليك الاه مـا بـدا قـمـر   بفلـك بجميــع الشـهــب دوار
وما سرت نسمات للصبـا سحـراً   وما شدا الطيـر فى أغصـان أشجار
وما حدا الركب حاديـه وما مزجـت   يد المقاديـر احــلاء بامـــرار
بك اعتـلاقى يا خير الـورا كـرمـا   قـد خفـت شؤم اساءاتـى وأوزارى
فاجعل شفاعتك العظمـا لنـا وزرأ   وملجـأ وملاذاً يـوم احـضـــار
لا زلت منى مخصوصاً بحسن ثـنـا   عـلى المـدا وبـاجـلالى واكبـارى
انـى بكم وبآلكم لمغـتـبـــط   ومدحهـم خيـر أورادى وأذكـارى
قوم على غيرهـم بالأحمدين لهـم   فخر وأى فخار فى الورا جـــارى
ذاك رسول وهـذا مـن خلائـفـه   لله من شرف جـم ومقـــدار
خير الخلائف فى خلـق وفى خلـق   عديم شبـه وأمثـال وأنـظـــار
جرى له لقب المنصــور منفــردا   فالنصـر عـادته من غير انصـــار

فخر البنوة . . . . لابى حسن ... ربى محتد افضال وايثار

لله أى نجار ارتقى نسبا ... تكل عن وصفه أقلام مكثار

أعلا الملوك وأسماهم وأشرفهم ... جاءت به الصيد أخياراً لأخيار

شاد المعالى لا زالت مدائحه ... تهز من طرب أعطاف سمار

ولا تزال على الأيام متلوة ... سورها فوق أرحل وأكوار

أجل من قد أقام رسم مملكة ... بصارم من سيوف الهند بتار

أذل كل مليك بمهابته ... وأخمد الكل من باغ وثوار

فى السلم سهل وفى يوم الوغا خشن ... فى عسكر من ليوث الغاب جرار

يهتز كالنصل ان دعى لمكرمة ... أو حادث جلل فى الأرض ضرار

بسيفه وبسيبه جرا مثل ... لله من مثل فى الأرض سيار

تسابقت للدخول فى خفارته ... قبائل الناس فى قرا وأمصار

هذى الأقاليم قد دانت لسطوته ... لتأمنن غب اعذار وانذار

مدت اليه رقاباً لمبايعة ... من كل فج وأكناف وأقطار

تعنو الملوك وأبناء الملوك له ... فهم به بين أنياب وأظفار

أرى الليالى والأيام جارية ... بما يريد بداراً دون انظار

فاغمد سيوفك لا تفلل ظباها فقد ... كفتك ما تتقى سيوف أقدار

يا مالكاً طمحت للمجد همته ... رفقاً على فقد أتعبت أشطارى

فان مدحك بحر لا يحاط به ... سيان فى ذاك اقلالى واكثارى

أعيت مفاخرك الغر التى انبسطت ... على البسيطة أعجازى وأصدارى

هذا البسيط جرى شأوا فعن له ... عجز لبحر من الامداح تيار

ان الحديث يمل من تكرره ... وفى مديحك يحلو كل تكرار

وما تشرفكم حقاً قصائدنا ... لكن امداحكم تشريف أشعارى

قلت ولهذا الامام ، شيخ الاسلام ، سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله أشعار كثيرة فى مولانا نصره الله فى المواسم والفتوحات وغير ذلك ، وقفت له على أكثر من عشرين قصيدة ، ولولا الاختصار الذى بنيت عليه هذا التأليف لذكرت جملة منها ، وفيما ذكر كفاية .

ومن القصائد الميلادية قول الكاتب البليغ ، الرئيس الأسنا الأسما ، أبى عبد الله سيدى محمد بن على الفشتالى أدام الله رياسته :

سرا ومنام العاشقين حرام   نسيم له بين الحجون مقام

وجر ذيولا بالكثيب عليلة   وفض هناك عن شذاة ختام

وماس قضيب البان وهو كأنما   تمايل صب أثقلته مدام

وكنت أرجى سلوة بهبوبه   فزاد فؤاداً نال منه غرام

وأنت خبير بالذى تفعل الصبا   تلاقى هشيماً حل فيه ضرام

لئن كنت عن عذل العواذل معرضاً   عروض جموح ما ثناه لجام

وملت الى دوح اللذاذة قاطفاً   ثمار الأمانى والزمان غلام

فانى ذاك أمس واليوم آخر   وقد حط عن وجه الصواب لثام

فيا لغراب طيتى قد أطاره   ورو عه بعد الهدوء حمام

تسترت فى عصر الشباب بليله   وغاب الرقيب والعواذل ناموا

وأسلمنى ذاك الدجا لبديله   نهار المشيب ليس فيه ظلام

ألا ليت شعرى هل لدهرى عطفة   يطيب شراب بعدها وطعام

أسلى فؤادا طالما عيل صبره   لـ . . . . أهل الرسول أوام

لمهبط وحى الله والمربع الذى   يغاديه من عين اليقين سجام

وجر به ذيل الرسالة ضافيا   وسل لنصر الدين فيه حسام

ولاح بيان المعجزات كأنها   بدور سماء ما كساها غمام

فمنها انشقـاق البدر والحفل شاهد   ومنها لعجماء الوجـود كـلام
كبزل وذيب او كضب ومثلـه   غـزال وجـذع النخل فيه . . . . ام
وحسبك فيض الماء بين أنـامل الـ   رسول فأروى الجيش وهـو لهـام
وهذا كتاب الله أعظـم آيـة   لها في صدور المشركين سمـام
فماذا أطيـق والجنـاب معظـم   وسيف لسانـي في البيـان كهام
أقطب الوجود في حماك مخيـم   رجائي ، وهل جار النبي يضـام ؟
وأنت الذي لولاه ما هـز ذابـل   ولا شد في ركب الجهـاد حـزام
ولولاك ما كان الوجود ولا بـدا   كثيف الغمام : صيب وجهـام
ولا هاج راعي الرعد فيـه وبـرقـه   عصا من نظـار والسحـاب سـوام
ولا نسجت أيدي السحـاب مطارفـاً   على الأرض فازدهت ربـا وأكـام
ولا كان في أمر الخليفـة أحمـد   على الخلـق فرض ليس فيـه خصـام
هقيم مواسـم النبوة غبطـة   وليست على غير السـداد تقـام
ومعطي المعالي حقهـا والذي غـدت   ربـوع الفخـار له ؟ وهـو أمـام
حقيق الوراثـة التي عـز نيلهـا   لدعوتـه تقـدم وامـام
أيالتـه أمـن وظـل عـلى الـورا   مديد ، وفـي أنف العصي زمـام
تسليت بالفرع الـذي طاب أصلـه   فلي في ذاره خـدمـة ولـزام
ألست أمير المـومنـين . . . .   له بمنـاط الفـرقديـن مقـام ؟
ألست الذي اضحى على الشمس نعله   وتبنى له فـوق الـدراري خيـام ؟
ألست الـذي . . . . وأرغمـت   سيوفك أنفـاً كـان فيـه عرام ؟
ألست الذي سـاد الملـوك ولو علت   بـآل عـلـى ذروة وسـنـام ؟
ألست الذي كالشمس مجدك في الورا   شهير وليس بـالجحـود يـرام
ألست الذي أحيـا الوفـاء وأقبرت   ظباه صروف الدهـر وهـي عظام ؟
ألست الذي قد صار عدله في الورا   خطيبـاً وعود الحـق فيـه قـوام

وجردت فى ذات الالــه صوارمـــــاً تصول بهـا والعـاجـزون نيــــام
ضربت بها التثليث للحتف ضربـــة فلم يبـق بعـد للصليب قيـــــام
وأمطرت وبلا بالمخــازن (4) قطـره بموت الأعـادى بنـدق وسهـــــام
فكم لك فيها من سيـــول مواكـــب طلعت بهـا كالبـدر فيـــه تمـام
وحولك عقبـان الكمـاة تساقـطـت لبطشتها يـوم الأعـادى وهـــام
تـــزاحم قضبـــان الوشيـج كأنمـا تـروم عنـاق الموت وهـــو زؤام
عوامل تبدى الفتح بعـد خفـائـــه وتصحبهـــا عند النـواصب لام (5)
ولاح وميض المرهفـــات كأنـــــه وميض نجـوم والديـــاجـى قتـــام
فأبرزت فتحاً دوخ الأرض صيتــــه وزين أشتات المعـــالى نظــــام
اذا للعـدا ألفت عزمـاً ومرهـفـــاً فأن نتيجـة القيـــاس حمــــام (6)
كأنك فى غـــاب الخلافـة ضيغـــم فهل لرعـاة البهـم فيهـا مـــرام
فيمناك مجمع العطايـــا ومنبـــع الـ ـمنايا فللجنسين فيهـا زحـــام
نوالك غيث جـــلـل الأرض صوبه وفتـح جنا زهـر الأمـــانى كمـام
رويدك فافعـل ما تراه فاننـــــا نـرا الدهـر شيئاً قد تبنـاه حـــام
كسوت بحمراء الحواضر حلـــــة تضاءل بـغـداد لهـا وشـــــا م
فتاهت بهـا تيه الذى أنت ذخـره له من حمـــاك حرمـة وذمـــــام
عليك أبـا العباس من طيبة التـــى بها المصطفا تحيـة وســـــلام

ومن ذلك أيضا قول الأديب العلامة البارع المكثر ، أبى عبد الله سيدى محمد بن على بن ياسين الهوزالى ، أبقاه الله ملجأ للعشى والنوابغ ، والحكم البوالغ ، والنعم السوابغ ، فى بعض الموالد الشريفة :

---

4) يشير الشاعر الى الموقف البطولى الذى وقفه ممدوحه السلطان أحمد المنصور السعدى الذهبى بوقيعة وادى المخازن التى جرت يوم الاثنين متم جمادى الأولى عام 986 انظر عن هذه المعركة وما وهب الله فيها المغاربة من نصر كتاب **الاستقصا** 5 : 69 .

5) قف على هذه التورية النحوية التى أجاد فيها (مؤلف) .

6) قف على هذه التورية المنطقية أيضا (مؤلف) .

يا حبذا ريح أتاك نسيمها … ولديه من أخبارهم مكتومها

أهداه من سلع بريق لامع … فانصب من نثر الدموع نظيمها

فاجت به نفحات رملة عالج … بشذا عريب باللوا تخييمها

ينبيك عن مسراه فجر باسم … بحديث أشواق شواك أليمها

يا ساكناً تلعات جرعاء الحما … فربا العذيب ظعينها ومقيمها

هل لى الى تلك المرابع (7) عودة … تشفى شجوناً فى حشاى سمومها

بأبى عشيات هنالك تزدهى … حسناً ، ويعبق نشرها وشميمها

بيوانع عين سقام جفونها … سقم الجوانح لا يبل سقيمها

غيد تشب على القلوب غرامها … حتى يذوب غشاؤها وصميمها

من لى بمن حل العذيب ودونه … أعلام نجد سهلها وحزونها

ومهامه لو كلفت بسلوكها … ريح لكل بليلها وسمومها

هل من خوانف مهريات صلب … أخفافها ولحومها وأديمها

وقف على أسرا السرا ارقالها … وذميلها وعنيفها ورسيمها

تسم المزورات المجاهل فاغتدت … بزلا لها ءاكامهن وكومها

حتى نشق الدرب فوق ظهورها … ويسيل فى بطن المسيل سعومها

وتنيخ بالبطحا فيحطم كل ما … حطمت عليهن النفوس حطيمها

وتصب فى تلك الجمار مدامعا … تطفى لظا جحم القلوب جحيمها

وتعرفت عرفاتها وحراؤها … شوقى وزمزم والصفا ورسومها

وأميط عند المشعرين كليهما … شعرى وميط عن القلوب همومها

فأكون ممن قد أجاب ولم ين … لما دعا للبيت ابراهيمها

وارى بروقا موشمات موهنا … من نحو طيبة لا أزال أشيمها

لاحت فزمت للرحيل رواحل … يحكى وشيك وميضهن طهيمها

تخوى بنا فى كل مرت ضحضح … والآل يخفضها به ويقيمها

---

7) فى **مناهل الصفا** : المعالم .

حتى وردن بنا العقيق فراقها ... بتلاع هاتيك الربا تنومها

وتنسمت نفحات تربة من به ... طابت أباطح طيبة ونسيمها

وتلألأت أنواره فسمت لنا ... غرر طوا حجب الضلال نجومها

قبب حوت سر الوجود ومن له ... وجدت فراديس العلا ونعيمها

من تنجلي يوم الجزاء بجاهه ... عن أوجه الرسل الكرام غمومها

فخليلها ألجا لأحمد قومه ... يبغي الجوار ، وروحها وكليمها

من أفصح الحجر الأصم بصدقه ... وأجابه ذئب الفلاة وريمها

وسقا وأطعمها كتائب جيشه ... صاعاً فأشبع هيمها ونهيمها

والبدر منشق لبعثته كما ... خمدت لفارس نارها وضريمها

قسماً بساطع نوره ان حم لي ... زور لتربته الكريمة خيمها

لأعفرن جبين وجهي لاثماً ... لثرا رسوم لا يمل لثومها

لمعالم جاست خلال ديارها ... ءاى ملائكة السماء تسيمها

ءايات وحي أحكمت وأتى بها ... مثوى الأمانة روحها وحميمها

ما زال روح الله يعبق عرفه ... بحمى مدينته المنيع حريمها

وصلاته أبداً يضاعفها له ... حتى القيامة لا يزال يديمها

وأدام تأييداً لوارث مجده ... أسنا الخلائف فخرها وعظيمها

ملك نمته دوحة نبوية ... وسمت به أقيالها وقرومها

شمسية أحسابها وبهاؤها ... بدرية أنسابها وأرومها

سهلية رحبية أخلاقها ... جبليه ءاناتها وحلومها

مضرية فهرية مرية ... أسنا مناسب خندف وصميمها

أقمار مجد فى مطالع سؤدد ... كشفت بهم بهم الخطوب وشيمها

أعلام فخر سودت هضباتها ... علما نزار قيسها وتميمها

لم تاب سؤددهم أباة ربيعة ... بكر وتغلب ذهلها وجشومها

يمن بن قحطان عشت أذواءهـا — أضواء خندف فاستنار بهيمها
نسب تهز به قصى عطفها — تيهاً وهاشمها كذا مخزومها
وتفرع النور المبين محمد — من هاشم أرج الأصول كريمها
ونما لنا المنصور فهو سليله — وأمام أمته فنعم مسيمها
وأتا به المهدى فارع نبعة — ينبوع عذب المكرمات نديمها
تتفيأ الآنام وارف ظلها — وتصوب فيهم بالمواهب ديمها
وافا أبو العباس فانتشرت به — أغصانها وظلالها وغيومها
حتى أعاد لنا خلافة هاشم — موطودة أكنافها ورسومها
مخضرة عرصاتها قد فوفت — تلع المنا صمعاؤها وجميمها
لا زال منه للبرية سائس — يقظان في مهد الأمان ينيمها
وغدت معاصم المواسم تزدهى — بحلا محاسنه ودام يقيمها

ومن ذلك أيضا قول الأديب المؤرخ أبى عبد الله محمد بن يعقوب رحمه الله من قصيدة :

حديث الركب ريحانى وراحى — الى ذكر الحما سكن ارتياحى
أدر لى من حديثهم كؤوسا — ففيها من شفا هذى الجراح
وأطنب فى ادكار عهود ليلى — تعاودها المساء مع الصباح
يحن القلب ان ذكرت مغان — كما حن الشجاع الى الكفاح
سعيت لتبلغ الرضوان منها — وقد وضح الصدود من الرداح

وهى طويلة تركتها اختصارا ، وآخرها :

اذا اقترعت بمحضركم نزار — فحظكم المعلى (8) من قداح

8) سابع سهام الميسر .

وما قيل في الموالد النبوية التي احتفل لها هذا الخليفة أيده الله كثير لا يمكن حصره ، وسيأتي ان شاء الله كثير من ذلك في ترجمة الامام ، رئيس الكتاب ، علم الأعلام ، وقدوة أكابر أهل المحابر والأقلام ، أبي فارس ، سيدي عبد العزير الفشتالي أبقاه الله ، وكذا في ترجمة الكاتب البليغ المجيد، أبي محمد سيدي الحسن بن أحمد المسفيوي أدامه الله ، وكذا في تراجم غيرهم ممن نذكره ان شاء الله .

فاذا فرغ الفقهاء من انشاد قصائدهم أتي بأنواع الطعام التي لم يسمع قط بها ، فاذا قضا الناس أربهم منها رفعت وأتي بغيرها ، ويؤتى في آخر ذلك بالكوامخ (9) ونحوها التي من شأنها ان تستعمل أخيرا . فاذا فرغ منها أتي بصحاف كبيرة يحمل الواحدة منها جماعة كثيرة من الرجال فيها اللوز المقشر بالسكر ، فيأكلون منها أيضاً ، ثم بعد ذلك تنشر على المسمعين (10) فيتناهبونها ، ومولانا نصره الله على أريكة ملكه ، وهم بمرآى منه ومسمع ، فاذا قضوا أرباً من ذلك شرع نصره الله في الدعاء والناس يؤمنون على دعائه بنيات صادقة ، ثم ينصرفون وكلهم شاكر آلاءه نصره الله داع له بدوام النصر .

ومن عادته نصره الله في الميلاد النبوي أنه تصنع له شموع (11) أعظم من الأسطوانات يطاف بها في البلد ، ومعها الآلات ، وجميع أهل الحضرة قد جاءوا لينظروا اليها ، وذلك اليوم الذي يطاف بها عيد عظيم عندهم وحق لهم ذلك ، فاذا وصلوا بها الى قصر الخلافة (أدخلوها الى) المشور (12) العلي ، وقد اتخذت لها آلات عظيمة من النحاس المحكم الصنعة ، فتجعل على تلك الآلات ، فترى صعداً في السماء كالمنارة .

9) ج كامخ : ادام يؤتدم به ، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام .

10) المنشدون ، والسماع الغناء والانشاد ، وهو في عرف المغاربة خاص بانشاد المدائح النبوية ، والموشحات الدينية .

11) ما زالت عادة صنع هذه الشموع العظيمة والطواف بها ليلة المولد النبوي – موجودة الى الآن بمدينة سلا .

12) ساحة مجاورة لأحد القصور الملكية (مغربية) .

وفى سابع الميلاد يذهب بتلك الشموع الى ضريح والده أمير المومنين المهدى بالله رضى الله عنه ، فيأتى أيضاً أولئك المسمعون الى هذا الضريح الذى حل به أمير المومنين مولانا المهدى بالله رضى الله عنه ، فيذكرون هنالك أيضاً ، ويحضرهم أولاد مولانا أمير المومنين نصره الله ويحشر الناس الى ذلك ، ثم يدعو المسمعين نصره الله ليلا الى قصره مع خواصه ، فاذا فرغوا مما هم بصدده ، نثرت عليهم الفضة فيتناهبونها بين يديه نصره الله ، فمنهم من ينهب ما يكون فيه غناء ، وبعد ذلك يذهبون الى الدور التى أعدت لهم ، هذا كله والجرايات السلطانية تعمهم كلهم ، ثم يأمر نصره الله لكل واحد منهم بكسا وجوائز ، كل على قدره ، فيذهبون وكلهم راض . أخبرنى بعضهم أنه قد ينوب الواحد منهم من ذلك الأربعة آلاف ونحوها ، هكذا فعله نصره الله فى الميلاد النبوى ، فالله تعالى يجعل الملك فيه وفى عقبه أبديا ، آمين ، وبالله تعالى التوفيق .

ومن مآثره نصره الله التى اختص بها ولم يشارك فيها اكرامه للفقهاء ، لاسيما الوافدين على مقامه من البلاد الشاسعة ، فتعم جميعهم آلاؤه الواسعة ، ولذلك تجدهم قد وفدوا عليه من أقاضى الارض كالشام والعراق ومصر والحجاز وغيرها ، ومن غريب ذلك أنه اجتمع يوماً بين يديه نصره الله ثلاثة أعلام ، كل واحد من أهل المدن الثلاث التى تشد اليها الرحال ، أحدهم من مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، والآخر من مكة زادها الله تشريفا ، والثالث خليلى من بيت المقدس يقال له امام الدين ، فألقى فى خاطر الخليلى المذكور ما اتفق من اجتماعهم فى حضرة مولانا نصره الله ، فأنشأ بيتين فى الحال وقام على قدميه وأنشدهما أمير المومنين نصره الله وهما :

ان أمير المؤمنين أحمد ... بحر الندا وفضله لا يجحد
فمكة وطيبة أهلهما ... والمسجد الأقصا بذاك شهدوا

فلما بلغ قوله : فمكة وطيبة أشار الى كل من صاحبيه ، ولما بلغ قوله والمسجد الأقصى أشار الى نفسه ، ثم قال : نصرك الله ، لم يتفق مثل هذا لملك قصدت ايالته قبلك ؟ فتبسم لذلك أبقاه الله وأجزل لهم فى العطاء ، ولله در المتنبى :

واذا كانت النفوس كباراً ... تعبت فى مرادها الاجسام

واحد هؤلاء الثلاثة هو الشريف أبو الفضل بن محمد العقاد من أهل مكة ، كان أديباً فاضلا ناظماً فكاهة ، فمن شعره رحمة الله عليه :

لا وفرع كدجا الليل غسق ... وجبين ضوءه ضوء الفلق

ومحيا كلف البدر به ... وخديد من حواليه شفق

ما أرى الغزلان الا سرقت ... منه جيداً والتفاتا وحدق

ثم خافت فتولت شردا ... كيف لا يشرد خوفا من سرق

وقد مدح أمير المومنين ايده الله بموشحة عجيبة عارض بها موشحة ابن الخطيب وابن سهل ، وهى :

ليت شعرى هل أروى ذا الظما ... من لما ذاك الشنيب (13) الألعس

وترى عيناى ربات الحما ... باهيات بقدود ميس

* * * *

يدخلون السقم من دار اللوا ... كلم الهجر فؤادى وأسر

هد من ركن اصطبارى والقوى ... مبدلا أجفان عينى بالسهر

حين عز الوصل عن وادى طوا ... هملت عينى بدمع كالمطر

* * * *

13) فى نزهة الحادى (115) : الثغير .

فعساكـــم أن تجـودوا كرمـــــا بلقــاكم فـــى ســواد الحنـــــدس
وتداووا قلب صـب مغـرمـــــا من جراحات العيون النعـــــس

* * * *

كلمـــا جـن ظــلام الغســـــق هزنى الشــوق اليكـــم شغـفـــا
واعترانى من جفــاكم قلقـــــى مذ تذكرت جيـــاداً والصفـــا (14)
وتناهت لوعتـى مـن حـــرقـــى ثم زاد الوجد فى التلفـــــــا

* * * *

فانعموا لى ثـم جودوا بـمـــــا يطفى نيـــران الجــوا والقبس القبس
ساعــة لى من رضاكـم مغنـمـــا وتــداوى جثتـى مـــع نفســـى

* * * *

كنت قبل الآن (15) فى زهــو وتيـه مـــع أحبابى بسلـــع (16) ألعـــب
ومعى ظبـى بـاحـــدى وجنتيـــه مشرق الشمس وأخـرى مـغرب
فرمانــى بسهـام مـن يديــــه ضارب البيـن فقلبـــى متعـــب

* * * *

لست أرجـــو للقــاكـــم سلمـــا غير مدحـى للامـــام الأقـــدس
أحمد المحمـود حقـاً من سمـــا الكريـــم ابن الكريـــم الكيـــس

وله فى مولانا نصره الله موشحات غير هذه .

واما الأديب المدنى فمن قوله :

عللانـى عن الحجــاز بـــذكـــرى ان قلبـــى اليـه بالاشــــواق
مـــا تمثلتـــه بفـكـــرى الا صرت أمشى هنـــاك بالأحـــداق

---

14) مكانان بمكة .

15) فى **نزهة الحادى** : اليوم .

16) مكان بمكة .

وأما القدسي فهو الفقيه امام الدين ابن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحي الخليلي الخزرجي الشافعي الأشعري . أخبر عن نفسه قال : جلت في الأقاليم فما رأيت من تسمى بهذا الاسم أعني امام الدين غير رجل بصعيد مصر في الصدر الأول .... وكان ذا نوادر وطرف ، له في مولانا أمير المومنين نصره الله أمداح كثيرة ، وفي أولاد مولانا نصره الله أيضاً ، فمن ذلك ما خاطب به أمير المومنين مولانا نصره الله عند وداعه اياه :

أسير عنك ولي في كل جارحة ... فم يحدث عن احسانكم عجبا
لا نلت قصدي اذا ما كان في أملي ... أكون في خدمة المنصور ان رغبا
فان رضي بي فيا فخري ويا شرفي ... وان أبا الملك المنصور واحربا

فوقع له نصره الله : رغبناك وأردناك ورضيناك !

ولامام الدين أيضاً :

يا قومنا شدوا الرحال وأدلجوا ... وارجوا اماماً لا يشق غباره
هذا أبو العباس طود علمه ... ان لم تروه فهذه آثاره

وله أيضاً في أحد أولاد مولانا الخليفة نصره الله نصراً مؤزراً :

ازجر مطيك واسرعن يا حادي ... حتى تحل بساحة الأولاد
لولا بنون لوى الحشاشة بعدهم ... للزمتهم عمري بهذا النادي
أهلي بارض القدس ينتظرونني ... قد مسهم ألم النوا ببعادي
لي طفلة كلف الفؤاد بحبها ... وتشتتت لفراقها أكبادي
لهفي عليها ما أمر فراقها ... والله اني قد فقدت جلادي
يا دهر مالك هكذا أقصيتني ... أبعدتني عن جيرتي وبلادي

يا دهر ما أقساك ما قلبى كـــــذا ... رفقا فقـد واصلتنــى بسهـــــادى

هــلا رحمت لحالتى ولغــــربتـــى ... أو ما ترا دمعــى كــــواد غـــاد

فسقى الخليل معــاهد صوب الحيــا ... حتــى يعـــم ثغـوره والبــــادى

ومنهـــا :

بعــد وشـوق وفـــراق احبــــة ... فكأنما كانت عـلى ميـعــــاد

ومنهـــا :

والله ان لــم تنتـهـــى أو تـرعـوى ... فلأشكـونك لـلامـام الهـــــادى

ومنهـــا :

جست الأراضى واختبـرت ملـوكهـا ... ولقيت من فيهـا مـن الأمجـــــاد

ما شاهدت عينـاى مثلك فى الـورا ... تتبين الأشيــاء بالأضـــــداد

بل جودكــم عم الأنـــام وقدركـــم ... أربـــا على المامـون فى بغـــــداد

وهى طويلة ، وله غيرها مما لا يحصا كثرة رحمه الله بمنه .

ولما تقرر عند أعيان البلاد الشرقية حب مولانا نصره الله فى العلمـاء ، وبره بهم ، واجزاله عطاياهم ، نسلوا اليه من كل حدب ، ومن لم يمكنه الاتيان خدمه نصره الله بالتآليف ، فألف تاريخ دولته نصره الله جماعة من أكابر علماء القسطنطينية العظمى ، وكذا جماعة من أعلام مصر وغيرها مما لا يحصا عدده .

قلت : ومما ينخرط في سلك هذا المعنى حكاية ها أنا ذاكرها مع أن فيها شيئاً من المزاح ، لأن ذلك سنة الفضلاء فى بعض الاحيان ، رأيتهـا بخـط الامامين الشهيرين الكبيرين ، مفتى الحضرة المراكشية سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى ، وقاضى الحضرة الفاسية أبى مالك سيدى عبد الواحد الحميدى ، نصها وهى بخط المفتى على صورة سؤال :

الحمد لله وحده

سيدى أعزكم الله ، جوابكم فى . . . . على رجلين اشتركا فى الاسم ، كل منهما يسمى عبد الواحد ، أحدهما قاضى الجماعة ، والآخر فى العلم مزجى البضاعة ، ولم يزل مولانا المنصور أيده الله يدر عليهما الأرزاق ، ويولى كليهما وجوه الارتفاق ، ثم ان ليلة من الليالى أرخت السماء عزالها بالطل والوابل، فلم يتمكن اعمال الرجلين أقدامهما الى المضرب المولوى ، فوجه نصره الله الحرس والخدم بالطعام الى من عادته نصره الله نداؤه من الرجلين وغيرهما ، فسمع عبد الواحد ، مزجى البضاعة النداء بعبد الواحد ، فأجاب ، فاذا الحرس والخدمة يحملون كذا من أنواع الأطعمة الملوكية ، فأخذه منهم وهو يعلم ويغلب على ظنه أن المراد بذلك انما هو عبد الواحد قاضى الجماعة ، فأخذه وأكله ، هل يلزمه غرم ويكون متعديا بهذا أم لا ؟

انتهى سؤال السيد المفتى المذكور .

ووجدت اثره بخط قاضى الجماعة مجيباً عن السؤال ما نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الجواب والله الموفق للصواب : ان كان الأمر كما ذكر فهاذه نازلة عظيمة ، وكان الأليق بمثل هذا السيد العالم أن لا يزل به القدم فى مثل هذه ، وان يتثبت ولا يدخل جوفه من الطعام الا ما علم وجهه وحليته ، لاسيما والمبعوث اليه رجل غريب ، شيخ كبير ، وذلك الطعام الذى بعث مولانا به هو حياته ، وبه حركاته ، والجواب بعد الوقوع والنزول أن المبعوث اليه والمتعدى كل منهما مملوك لمولى غنى ، وقد تقرر فى مذهب امامنا مالك رضى الله عنه أن العبد اذا تعدا وثبت تعديه فان كان ذلك مما يرجع الى بدن العبد كما اذا أمر بقتل أو قطع أو ما أشبه ذلك

فـان العبـد يـو . . . . وان كان ما تعدا فيه مما يرجع الى المال كنازلتنـا هـذه فالغرم على المولا الغنى ، فخرج لنا من هذه الفتوا قياس من الشكل الأول ، وهو أن يقال فيه : المتعدى مملوك ، وكل مملوك يغرم عنه سيده ما أتلفه مـن المـال ، فالنتيجة : أن المتعدى يغرم عنه سيده ما أتلفه العبد من المال . الصغرى : وهو ان المتعدى والمتعدى عليه مملوكان مسألة لانزاع فيها ، ودليل الكبرى وهو أن السيد يغرم ما أتلفه عبده ما نص عليه مالك فى (المدونة) وتبعه على ذلك المختصرون ، مثل ابن الحاجب وخليل وغيرهما ، واذا سلمت الصغرى والكبرى فالنتيجة حق ، هذا اذا وقفنا مع النص ، والا فالذى يقتضيه النظر ، ويجمع عليه كل ذى عقل ، أن المولى نصره الله يغرم عن عبده لعبده الطعام المذكور ثلاثة أيام متوالية ، مضموماً الى ذلك كذا مع كذا وكذا ، وهذا النظر يوافق عليه أبـو حنيفـة رضى الله عنه ، والحاصل ان هذه النتيجة التى أوجبها الاشتراك فى الاسم للنظر فيهـا مجـال ، واقتصرنا على ما ذكر خشية الاطالة والسلام .

وكتب عبد السلطان نصره الله : عبد الواحد بن أحمد الحميدى لطف الله به

انتهى ما وقفت عليه من خط الامامين المذكورين وفى كلامهما تعيين الطعام المذكور الا انى لم اذكره خشية الاطالة .

وأخبرت أنه لما اطلع نصره الله على هذا الجواب أجاز كلا من الامامين بمـا يليق بقدره ، فهذا ما فعله نصره الله مع الفقهاء ، ولو تتبعت ما بلغوا فى زمانه من العلو والرفعة واجراء المرتبات العظيمة لخرجت عن الاختصار ، وفيما ذكر كفاية ، جعل الله الملك فيه وفى عقبه أبدياً لا الى غاية ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ومن مآثره نصره الله السنية، ومفاخره العلوية النبوية، بناء القناطر والمساجد، حسبما ظهر ذلك للغائب والشاهد ، وها أنا ذاكر طرفاً مما رأيت من ذلك ، فمن ذلك بناء المسجد العظيم بحارة ياسر من حضرتهم المراكشية ، عهدى به قد قارب

اتمامه ، أخبرت أنه أراد أن يجعل به مدرسة وحمامات وغيرها محيطة بالمسجد المذكور ، أعانه الله على اكماله ، وبلغه غاية آماله .

ومن مآثره نصره الله بناء القبة العظيمة على الخصة (17) بصحن جامع القرويين عمره الله بذكره ، وقد رأيت هذه القبة وقد أكملت صنعتها الى الغاية ، وجعل على خارجها وداخلها الذهب الأحمر ، فهي عبرة لمن اعتبر ، وجعل مكان خصتها القديمة خصة عظيمة سيق رخامها من بلاد افرانسا بناها في سنة 996 ، وفي ذلك قال شيخنا الامام العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي أدام الله وجوده مما يكتب داخل القبة المذكورة المزركشة بأنواع الألوان والنقوش والمقربس وغير ذلك من أنواع الصناعات هذه الابيات مضمنة التاريخ :

كهف الملوك أبو العباس أنشأني (18)	بحر المكارم من معد بن عدنان
عين السلاطين من أبناء فاطمة	انسان عين غدا في عين انسان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها	ومن علاه سنام المجد أوطاني
من جاء يشكو الظما يوماً وقبلني	أغناه ما قد هما من صوب أجفاني
لا تنكرن وجود الدمع من فرح	فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئاً من السلسال لاحرج	معين دمع جرا من بيض خلجان
فخر الخلائف والأقيال من مضر	أشاع صيتي في أطراف عمان
ومذ جرت مقلتي حكت سحائبها	كف الخليفة من أبناء زيدان
لازال للدين والدنيا يسوسهما	ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
أنشأني زمن التاريخ وافقه	(للدين) والاجر بحر الجود أجراني

---

17) الفسقية في وسطها نافورة .

18) في نزهة الحادي : امام دين الهدى المنصور شيدني .

فالتاريخ هو (للدين) ، والحرف المضعف من حرفين ، وتحسب فى الدين لام الجر ولام التعريف .

وكتب فى خارجها الاديب الكاتب البليغ الحسيب الماجد أبو العباس أحمد بن محمد الغرديس التغلبى هذه الابيات :

حسن سنـا منظـرى يستوقف النظرا ... وفائق الصنع منى طـرز الطـررا
حباب ماء من الدر النثير غـدا ... وصوب وردى من ذوب اللجيـن جرا
لا ينثنى راشف ثغـرى من ظمـأ ... الا ويحمد منى الـورد والصـدرا
من أم قربى بفـرض أو بنـافلـة ... يجد معينى معينـاً للطهـور سرا
ابن نبى الهـدى المنصـور أبدعنـى ... من فيض نعماه ما بين الورى انتشـرا
فعـال بره لا يحصـا تعـددهـا ... وخُبـر آثـاره يصـدق الـخبـرا

ورأيت القطعتين معاً مكتوبتين بها ، تلك من داخلها ، وهذه من خارجها .

ومن آثاره نصره الله الخزانة العليا التى صنعت بازاء المحراب عن يساره بجامع القرويين عمره الله بذكره ، تركتهم مشتغلين بسقفها وحبس عليها نصره الله من غرائب الكتب ما لم يسمع بمثله قط ، وقد أشهد نصره الله بتحبيس الكتب ، وحيزت كما يجب ، أبقاه الله وشمس ايالته لا تحتجب .

ومنها بناء القناطر المتعددة كقنطرة تانسيفت ، كنت بمراكش حين ذهب السيل بنحو الأربعة أقواس منها ، فبناها نصره الله احتساباً ، وكذا قنطرة وادى ام الربيع السفلى ، وكنت أيضاً هنالك حين ذهب بها السيل ، فأخبرنى الثقات أنه قد بناها فى هذه السنة ، وكذا قنطرة (بين المدن) بمحروسة فاس بناها أيضاً فى هذه السنة ، وأخبرت أيضاً أنه مشتغل هذه الايام ببناء القنطرة العظيمة التى على وادى سبو ، وهى من مفاخر والده مولانا أمير المومنين المهدى بالله رضى الله

عنه ، وهي قنطرة لا نظير لها عظماً ، وأخبرت أيضاً أنه نصره الله أمر لهذا التاريخ ببناء أسوار مدينة فاس صانها الله .

ومنهما بناء السدين العظيمين بوادى بوطوبة (19) وقد أنفق عليهما نصره الله أموالا كثيرة، كنت اذذاك بفاس حين بعث نصره الله لبناء السد الأعظم منهما قائده الفقيه الأسنى ، الماجد السرى النحرير ، صاحب القريحة الوقادة ، سيدى ابراهيم بن محمد الايسى أبقاه الله وحرس علاءه ، وشكر عنى أياديه وآلاءه ، فهو الواسطة بينى وبين مولانا أمير المومنين نصره الله ، كنت حينئذ بفاس ، فلما فرغ من بناء السد ذهب بى فى صحبته الى الحضرة المراكشية ، وأدخلنى الى أمير المومنين ، فيالله من نعمة حصلت على يديه قد عظمت وجلت ، ومشاهدة لحضرة الامامة انماعت لها صروف الدهر واضمحلت ، نسأل الله سبحانه أن ييسر على العود الى حضرة هذا الخليفة الميمون النقيبة ، فأحوز حينئذ من المجد معلاه ورقيبه ، آمين .

قلت : ولما فرغ هذا القائد من أمر هذا السد أشار على فقهاء الحضرة الفاسية باختراع قطع فى مدح مولانا نصره الله فأجابوا مسرعين ، فمن ذلك قول شيخنا الامام ، أبى العباس سيدى أحمد ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى حفظ الله مكانته .

وجب الثنا للقاطنين بفاس	شكراً لمولانا أبى العباس
اذ سد سداً من سديد صنيعه	كم مسجد أحيا وكم أغراس
كم منزل بالحال أضحى منشداً :	الملك أصبح ثابت الآساس
اذ سياسه مولى الملوك وتاجهم	نجل النبى الطاهر الأنفاس
لما تأسس جاء فى تاريخه	سد مرى ؟ ما به من باس

(19) هو أعلا وادى بوخرارب عند مدخله لفاس من باب الجديد ، ولا يزال السد موجوداً الى الآن على حالته التى بناه عليها أبو العباس المنصور ، وهو واقع عن يسار الذاهب الى باب فتوح قريباً من معمل الكهرباء (مكينة الضوء) .

وقال فى ذلك الاديب البارع المكثر ، الفقيه سيدى محمد بن على الوجدى :

اذا قصر الأملاك عن دفع معضل وجلب صلاح ، وانطوى العزم والرشد
فللملك المنصور حزم ونجده يفل بها عضب الخطوب التى تبدو
امام له فى المعلوات مآثر مسلسلة عالى أسانيدها المجد
رواها عطاء عن مجاهد كفه وصحت عن السيد الذى ماله ند
وحين طغا ياجوج ماء على الثرا ولم يستطع ردع لذاك ولا رد
أقمت له السد الحصين وشدته فطاب لفاس بعد ما ظمئت ورد
جزاك اله العرش نصراً مؤبدا وملكاً عريضاً لا يرام له حد
ومذ تم منه الرصف قلت مؤرخا بسد متين لا يطاق له هد

وقال فيه أيضا جماعة من الاعلام حسبما ياتى فى تراجمهم ، كالامام الماهر المجيد ، الحجة السرى الشهير الكبير ، سيدى أبى القاسم الوزير الغسانى ، والفقيه النحوى سيدى على بن الزبير السجلماسى ، وكالفقيه الاصيل سيدى محمد بن رضوان البخارى .

قلت : وكلفت حينئذ أن أفعل كفعل هؤلاء الاعلام ، فقلت وان كنت فى ذلك مزجى البضاعة :

سعد الزمان بدولة المنصور وغدا الورا فى غبطة وسرور
فخر الخلائف من ذؤابة هاشم سبط الرسول فحسب كل فخور
أنشا وأتقن من ذؤابة هاشم قصرت مرين عنه أى قصور
هذا وكم أبدا مآثر شادها ضربت بها الأمثال فى المعمور
لا زالت الأيام طوع يمينه والنصر يخدمه ممر دهور

وأما مصانع مولانا الملوكية فلا يخفى أنها أزرت بالرصافة والزهراء ، ولم يوجد مثلها لملك على وجه الغبراء ، خجل منها الخورنق والسدير وغمدان ، وحجت

كعبتها المحاسن القاصى منها والدان ، كالمسرة التى أنشأها نصره الله بحصرتهم العلية المراكشية .

قلت زرتها فى أواسط رمضان المعظم من عام تسعة وألف ، فرأيت العجب العجاب . أخبرنى الثقات الذين لا أمترى فى أخبارهم أن عدد ما اشتملت عليه من أشجار النارنج ستة عشر الفا ، فاذا كان هذا العدد نارنجا فما بالك بغيره ، وبها صهريج عظيم لا نظير له عظماً ، وعليه مبانى مونقة ، وقد تركت هذا الخليفة أيده الله شرع فى بناء مدينة عظيمة بازاء هذا الصهريج ، وقد قال فى وصفها الكتاب والفقهاء فأجادوا ، وكذا وقع لمولانا نصره الله فى نظمه كثير من التورية بها على ما ياتى فى نظمه نصره الله .

ورأيت فى المسرة للأديب الكاتب السيد محمد بن يوسف التاملى . . . . الله ما نصه :

اجتمعت بعض العشيات مع بعض الأصحاب ، ممن له أدب منساب ، على ضفة صهريج المسرة ، نتعاطى على ذلك البحر ، كؤوس الخمر ، أيام كلفى بالمعاقرة . وأجلنا جياد الالسنة فى ميدان المذاكرة ، من حكايات ظريفة ، الى أبيات لطيفة ، ومقاطيع منيفة ، ثم أفضا بنا القول الى ذكر متنزهات الدنيا على ما ذكره أهل الادب ، وتلك المناظر التى تسر وتطرب : شعب بوان ليس له فى الحسن ثان ، ونهر الأبلة والغوطة وحدائقها البسيطة ، والنيل ، الذى ليس له فى النضارة من مثيل ، فتناشدنا ما قيل فى ذلك من الابيات، وشربنا على ذكر هذه المنازه كاسات، فقال بعض الحاضرين من الفاسيين : ما فى زيادة وادى فاس ، على هذه الاربعة من باس ، فقلت : وأنا عندى المسرة ، التى يود لوحل فى نهرها نهر المجرة ، وتتمنى الفراقد ، أن تتمشى فى بسائطها مشى الـ ...... قد ، ويشتهى سرطان ...... حوت بروجها ، السباحة فى بركتها وصهريجها ، أفضل من النيل ، وربا نهرها على الأبلة

وشنيل ، واتضح فضل نضارتها وبان ، وزاد على الغوطة وشعب بوان ، هيهات ، أين المسرة من هذه المنتزهات ؟ فقال بعض الحاضرين لقد حكمت عقلك ، وخالفت مر . . . . وأفرطت فى الاوصاف ، وما كنا نعتاد منك هذا الانصاف ، لكن ان قويت دعواك بشعرك ، ورجحتها ببنات فكرك ، ملنا الى دعواك ، وأعرضنا عن قول سواك، فقلت ارتجالا :

انا المسرة لا شىء يشـاكلنـــــى ... يـ . . . . من حــل بى من لاعج الكرب
. . . . الى الســـرور مــع اللــذات والطرب
. . . . الحسن نفسى كــل ذى ادب
دع الابلــة وا . . . . ــول مــادحهــا ... وذكر غوطتهــا والنيل وا . . . . نب
قيو ..... بيـــن ..... رقــا .... وبــ ...... اليوم شىء غ ..... رب
..... مفوفة بالزهر .... والنهــر فيهـا ..... شطب
..... بحــر حلق با ....

ومنها البديع الذى يضرب به المثل الآن فى مشارق الارض ومغاربها ، ونالت منه العناية المولوية أسنا مآربها ، وهو ساكن به الآن نصره الله ، أخبرنى جم غفير ممن شاهده بغرائب لا يمكن وصفها ، وبه منزه مشرف ساما منارة الكتبيين التى يضرب بها المثل فى الدنيا ، وبالبديع البستان الشهير الذى أنشأه مولانا نصره الله ، ويسمــى المشتها ، وقــد أكثر أعلام حضرته فى وصف البديــع والمشتهــا فأجادوا الى الغاية ، وسيأتى كثير من ذلك فى ترجمة الامام وزير الكتاب أبى فارس الفشتالى وفى ترجمة غيره ان شاء الله تعالى .

ومما يستجاد فى ذلك قول الامام الحجة شيخ الاسلام أبى مالك سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله فى البديع المذكور :

أجـل اللواحظ فى رقـوم لبـــاسى ... فلها به حرس من الأحـــــراس
فمتى نظـرت فـان طرفـك مـورد ... للقلب أعـذب من رحيـق الكـــاس
ومتى ضجـرت فـان عنـدى شأو ما ... قد شئت مـن طـرب ومـن ايناس
ومتى تنافست القبـاب فانـنـــى ... ببدائـع الفـردوس كـان قيـــاسى
او ما رأيت النهـر تحتـى جـاريـاً ... والـدوح يعبـق من حنـايـــا آس
وحصـاى در فـى بسـاط زبرجـد ... والسقف حـال باللجيـن وكـــاس
ساميت فرقـدى السمـــاء وكللـت ... بزواهـر الاكليـل قنـــة راســـى
فلئـن ربيت عـلى القصـور وفقتهـا ... طـراً فمخترعـــى أبو العبـــاس
ملك تقـاصرت الملـوك بأسرهـــا ... عن شأوه من بعـد فـرط ايـــاس
وتسابقـوا متفيئيـــن لظلـــــه ... مستمطرين لجـوده البجـــاس
من كل قطر وافديـن وفـــدفـــد ... متبايـن الأوصـاف والأجناس
والعجـم من أقصـا البـلاد عنت لـه ... فزعين فى الآجـــام والأخيـــاس
فأتت تخوض البحـــر من قسطينـــة ... وتشـق كل ثنيـة ووهـــــاس
والروم جاءت رسلهـا مـن رومـــة ... متخوفين لبطشـه والبـــأس
أفلا أطاول للثـريـــا أذنهــــــا ... والبهـــو منى كاشـف الأغـــلاس
لا زلت أكشف منـه ليث عرينــــة ... بين الجـآذر من ظبـاء كنـــاس

وللكاتب البليغ المجيد الناظم الناثر الرئيس الاجل ، أبى عبد الله محمد بن علي الفشتالى ، أدام الله وجوده ، هذه القصيدة الفريدة الحائية ، قالها لتكتب فى القبة الخمسينية (20) من البديع المذكور وهى هذه :

20) أخبرنى مـ ... الشيخ سيدى عبد الله ... ومـ ... بن الحسن المعلم ... أن سبب تسمية هذه القبة بالخمسينية أنه أنفق على بنائها خمسون قنطاراً (مؤلف) .

الى حيث أطناب المعالى فساح … وزند الأمانى ليس فيه شحاح

ومرمى نفوس الاكرمين وملتقا … حجيج العفاة والورود مباح

ومجمع أشتات الجلال الذى به … مناخ الورا والمجد فيه صراح

فحث المطايا واقطعن مهامها … عراض النواحى ليس فيها قداح

الى أن تحل من جنابى بجنة … يطيب مقيل عندها ورواح

تجد روضة غناء باكرها الحيا … تقابل فيها نرجس وأقاح

وصفف آذريون فيها كؤوسه … تثلم بعض والبواقى صحاح

كان بياض الياسمين بسحرة الـ … ـرياض ظلام بان منه صباح

كان احمرار الورد خد عقيلة … علاها الحيا ان حط عنه وشاح

كان البنفسج النضير خمائل … تقلدها بين الوفود سلاح

كان جداول المعين صفائح … تسل ، وقضب الروض فيها مراح

كان خرير الماء فى عرصاتها … شخير عتاق جدلتها رماح

كان الطيور والغصون منابر … أئمة وعظ للقلوب فصاح

ولكنها تدعو الى كل نزهة … تريك وجوه اللهو وهى صباح

فما الحسن الا ما حوته بدائعى … وصيد الفلاة فى فراه متاح

فلو قابلتنى فى الظلام نواظر الـ … ـجوس لخروا ساجدين وصاحوا

يظنون أنى الشمس والراى ما رأوا … فكيف يعاب قولهم ويزاح

وانى لكعبة المحاسن كلها … وليس على فى العموم جناح

فما الشعب والزهراء والصنعة التى … بصنعاء ؟ تلك فخرهن مزاح

فهذا البديع قد تناهى نضارة … وعندى المعلا اذ تجال قداح

فكم غادة حسناء ماست كأنها … قضيب رياض صافحته رياح

اذا ما تبدت يفضح البدر حسنها … لها فى بسيطى متغدا ومراح

وشكلى لانتاج المحاسن سورة … لكل قضايا السعد فيه نجاح

ففخرى بمن دان الملوك لقهره وزفت له العلياء وهى رداح

امام يهاب الموت حد حسامه ويفنى العدا فما يقيها سلاح

وحسبك من وادى المخازن اذ طمت بحار الردا والخيل فيها جماح

فكان به كالصقر ينقض ظافراً تساعد منه مخلب وجناح

له حالتا سيف وسيب كأنما تجمع فى يمناه سم وراح

هو الملك المنصور ، لا زال عدله تروا به الغبرا ربا وبطاح

ولا زال ملك المسلمين يصونه بحوز حماه ساتر ووجاح

ومما قيل فى مدح الامام نصره الله وفيه ذكر البديع أيضا هذه الموشحة لبعض أعلام الحضرة الامامية زادها الله سمواً ولم يحضرنى الآن اسمه وهى :

واخجلتا للصباح والشمس اذ لاح جوذر

ساق يدير الكؤوسا تضىء خمراً وتزهر

* * * *

تقادمت فى الدنان من عهد نوح تروق

فى لونها البرهان تدار فينا وتعبق

قد أطلقت من عنان من عن صبوح يرقق

* * * *

يسعى بها من ملاح من كان باللحظ يسكر

بالحسن يصبى الجليسا ويستخف الموقر

* * * *

يثير كامن وجد فى قلب كل سقيم

يسطو علينا بقد يزرى بغصن قويم

أشقى بعشقى وودى فى جنة من نعيم

* * * *

من ذى الوجوه الصباح يا شاذنا غن واذكر
وهات لحنا نفيسا نرويه عنك ونأثر

* * * *

فى مدح من ساد طفلا هذى البرايا وفاقا
من حاز مجداً وفضلا بين الأنام وفاقا
فى عدله قال قولا يسرى فيعدو العراقا

* * * *

فى أحمد ذى السماح فى الشرق والغرب ينصر
أحيى الهدى والنفوسا وذل ملة قيصر

* * * * *

تراه سلما وحربا من رأيه فى جنود
يختال قدراً لاعجبا من عزه فى برود
يحوى المعالى كسبا ويقتنيها بجود

* * * *

فخار أهل البطاح وعز من قد تمضر
ثناه ...... الطروسا عن صورة المجد عبر

* * * *

بدر علا فى البديع منازلا كالبدر ارى
فياله من صنيع الروض والماء جارى
فقل بصوت رفيع اذ بان فجر النهار

* * * *

أهدى نسيم الصباح . . . كا نسيما وعنبر
بحـ . . . . خند ريسا فى خد ساقيها تعصر

انتهت الموشحة

الى غير ذلك مما قيل فيه ان تتبعناه خرجنا عن حد الاطالة ، وقد حاز في ذلك قصب السبق رئيس الكتاب أبو فارس الفشتالى أسماه الله حسبما يأتي في ترجمته ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق .

أما الفتوحات التي أربى فيها على غيره من أسلافه وغيرهم فمن ذلك فتحه صقعي توات (21) وتيجورارين (22) حسبما ذلك مشهور فأغنى ذلك عن شرحه ، وهنىء أيضاً نصره الله في ذلك بقصائد متعددة سيأتي بعضها ان شاء الله .

ومن ذلك قول (أبي عبد الله محمد بن علي الهوزالي 23) :

جرت بمناك الدهر ملء عنانها	مساعدة الأيام في عنفوانها
ولاحت لنا من أفق يمناك غرة	بلوغ مدا ءامالنا في ضمانها
بشائر تاتينا ولاء كأنها	لطائم مسك أخرجت من صوانها
فتوح جنا المنصور في عرصاتها	أزاهر نصر يانع من غضانها
ولا روض الا من كثيف كتائب	ولا سقى الا ما جرا من طعانها

21) اقليم مغربي واقع في الجنوب الشرقي للملكة المغربية جنوبي اقليم فجيج ، واهم واحاته واقع على نهر وادي الساورة وسائرها واقع في شرقه ، وتسقى هذه الواحات من مياه تستنبط من باطن الارض ، ويزرع فيها مختلف انواع الحبوب والخضر وينتج نخلها تمراً جيداً يسد احتياجات السكان المحليين ، ويصدر ما زاد منه على حاجتهم الى الشمال .

وقد قام أبو العباس أحمد المنصور السعدي بتنظيم شؤونه الادارية بعد الانحلال الذي أصابها منذ دب الضعف الى الدولة المرينية ، فبعث لهذه الغاية سنة 990 قائديه ابا عبد الله محمد بن بركة ، وأبا العباس احمد بن الحداد العمري المعقلي في جيش كثيف ، قطع اليه القفر من مراكش وانتهى اليه بعد سبعين مرحلة ، فنازلا ثواره وافتتحا قراه وأمصاره ، وأعادا أهله الى الطاعة والنظام ، فعم الفرح سكان المغرب باجتماع الشمل وتوحيد البلاد ، وهنأ الشعراء السلطان بالقصائد الغر الطوال على ذلك .
وظل اقليم توات مثلما كان من قبل جزءا من التراب الوطني للملكة المغربية الى ان احتلت فرنسا الجزائر ، فتشوف ولاتها الاستعماريون الى الاستيلاء على ذلك الاقليم لعزل باقي المغرب عن طرابلس والسودان ، ولم تزل تغتصبه جزءاً جزءاً حتى احتلته جميعه في أول هذا القرن وضمته الى المقاطعات الصحراوية الجنوبية التي كانت تديرها الولاية العامة الفرنسية بالجزائر. وقد احتج سلاطين المغرب وحكوماته المتعاقبة – في حينه – على الاعتداءات الفرنسية ، وأيدتهم الدول في موقفهم ولا سيما الدولة الانجليزية ، وفي خزانة الكتب السلطانية عدد عديد من الوثائق القومية والدولية التي تثبت اعتداءات فرنسا وحق المغرب في ذلك الاقليم ، والمؤمل أن يصل المغرب مع شقيقته الدولة الجزائرية الجديدة الى حل مرض لهذه المشكلة ويصفيا هذه التركة الاستعمارية بالتي هي أحسن لخير البلدين .

22) كلمة بربرية عربت الآن بكورارة ، وهي اسم لمنطقة فسيحة واقعة في شمال اقليم توات بين العرق الغربي ، وهضبة تدمايت ووادي الساورة ، ففيها تقع واحات تبلكوزة ، وطلمين ، وشروين ، وأولاد سعيد ، وتيميمون ، ووكروت ، والخنافسة ، ودلدل ، وقصور كرارة التي تقع في وسطها .

23) ما بين القوسين من **مناهل الصفا** ، ولم يذكر المؤلف اسم الناظم .

ولا غصن الا من قناة قويمة ... ولا زهر الا من شباة سنانها

كتائب منصورية قذفت بها ... مرام نأت عن أرضها ومكانها

تهيج بها الارواح حتى تخالها ... تناغى عزيف الجن فى دورانها

طويت بساط أرضها بقنابل ... سنابكها أطوالها من بنانها

سحائب من مراكش قد أثارها ... صبا النصر يحدوها حدا كتعانها

يؤم بها الصحراء يرتاد أمة ... سدا أنفت آنافها من عرانها

فكم ملك قد رامها فتصعبت ... عليه ولجت فى مجون حرانها

فلما همت تلك السحائب فوقها ... أفاقت وهبت من كرا هيمانها

فألقت مقاليد الأمور الى الذى ... نضا العز عنها فارتدت بهوانها

الى الملك الشهم الذى لقحت به ... لقاح الحروب بكرها وعوانها

الى ابن البتول المجتبى من نجارها ... وفرع العلا المعتام من خيرانها

الى ابن الهدا وابن الندا وردا العدا ... وفخر بنى ابن المصطفا وهجانها

بنى الحسن السبط الذكى الذى خبت ... به فتن الاسلام فى هيجانها

وفاءت الى الالف القلوب التى غدت ... بمستعر الأضغان فى غليانها

هديت أبا العباس فينا كهديه ... فكم فتنة كشفت ليل عثانها

وأطفيتها بالسيف لا السلم بعدما ... تصدع شمل الدين من شنآنها

وكم وكفت من كف يمناك ديمة ... ففاضت شعاب العرف من هطلانها

فلا زالت الأقطار تعطى قيادها ... لسيفك من سوس الى خرسانها

اليك أمير المؤمنين قلادة ... تروق بأفق الملك زهر جمانها

مفصلة أقطارها بيواقت ... نحور المعالى تزدهى بازديانها

فرائد من أوصافك الغر صغتها ... لتنشر فى الازمان فضل زمانها

تكاد قلوب السامعين اذا انتشوا ... بها تخرق الأحشاء من خفقانها

لئن هجر الجد الخون . . . . بماأحكم الحجاب من رسفانها

ف . . . المنصور بالله انها ... تحوز خصال السبق يوم رهانها

وان فاخر البدر الذكاء بسبقه ... فأين ضياء البدر من لمعانها ؟

وأما فتحه لبلاد السودان فلم يسمع قط أن ملكاً أبيض وطأها جيوشه غيره ، ملك منها قواعد عظيمة كتنبكتو وجني وجاغو وغيرها ، أخبر أنه ملك منها نصره الله مسافة شهرين ، وكنت يوماً بمحلته نصره فاذا بعير قد قدمت منها ، نحو العشرين منها موقرة تبراً ، وباقيها بسائر الطرف التي لا توجد الا بتلك البلاد ، وكان فتحها في احدى الجمادين من سنة تسع وتسعين وتسعمئة على يد فتاه جؤذر ، وقد قال في ذلك الفقهاء من النظم والنثر ما لا مطمح وراءه ، وسيأتي في ترجمة الكاتب العلم أبي فارس الفشتالي ، والكاتب أبي محمد الحسن المسفيوي طرف من ذلك ان شاء الله .

ومما أنشدني لنفسه في ذلك شيخنا الامام العلم القاضي الأجل ، أبو العباس بن أبي العافية ، أبقاه الله قال : قمت بها بين يدي أمير المومنين نصره الله، فقرأها عني شيخنا الزموري (24) رحمه الله :

حمداً من المسك المفتق أعطر	عن غرة النصر المبارك يسفر
يا أيها المنصور أبشر بالمنى	النصر حقاً من لوائك ينشر
عقدت يمين النصر منكم سنجقاً (25)	فبذاك أهل الأرض طراً تقهر
هكذا كذا فتح البلاد اذا سمت	همم الملوك الى المآثر يذكر
جند رمت نحو الجنوب خيامها	فارتج مصر والعراق وزنرر
قطعت رؤوس المعتدين سيوفهم	من ما ت منهم في الحـ . . ا . . ر يقبر
قادوا من الأبطال كل غضنفر	أسد هصور في الكريهة أكثر
ملئت بهم عين الزمان وقلبه	واسود وجه الكفر فهو الأغبر
أيها الجنوب فان جندك لم يدع	شخصاً بها ينوي الشقاق فيعذر
أجليتهم منها وجسمك قد ثووا	مراكشاً ، هذا لعمرك أكبر
تركوا لك الأوطان دون منازع	تالله ان الترك موت أحمر
لا زلت بالسيف المهند بانيا	شرفاً به نحن الموالي نفخر !

(24) الفقيه الأديب العالم أبو العباس احمد بن علي الزموري المتوفى بفاس في رجب عام 1001 . ظ ترجمته في نشر المثاني 1 : 19 .

(25) راية ، لواء ، والكلمة تركية .

وأنشدني أيضا لنفسه في ذلك مطلع قصيدة نذكر بعضها ان شاء الله في ترجمته :

بشراك بالفتح المبين المتاح   قطفته تحت القنا والصفاح

وقد خرجنا عن حد الاختصار ، فان فتوحات هذا المولى أيده الله كثيرة فالأولى على ما ذكرنا الاقتصار ، وبالله تعالى التوفيق .

ومن مآثر هذا المولى أيده الله زيارة الأولياء الذين ترجى بركاتهم ، خرج الى أغمات لزيارتهم سنة 996 وسيأتي في الباب بعد هذا ما قيل في ذلك ، نسأل الله سبحانه أن يديم سلطانه ، وينجد أنصاره وأعوانه ، آمين .

الباب الثالث

في أشياخه ، وما وقع له نصره الله من النظم ، وذكر تآليفه وما يتصل بذلك

لا خفاء أن لهذا المولى أيده الله قدماً راسخاً في أنواع العلوم ، من معرفة الشعر والتاريخ والمنطق والبيان والأصلين والفقه واللغة والتفسير والحديث والسير وعلوم الحديث والحساب والهيأة والهندسة والنحو ، وغير ذلك .

أخذ أيده الله عن الامام العلامة أوحد عصره في علمي المعقول والمنقول ، أبي العباس سيدي احمد المنجور (26) ما اشتملت عليه فهرسته التي عد فيها مقروءاته أيده الله عليه .

وأخذ النحو عن أبي العباس أحمد بن قاسم القدومي الأندلسي(27) ، وقد وقع الاصفاق من أهل عصره أعني القدومي أنه لا يجارا في علم النحو ، ولخزانة مولانا أمير المومنين نصره الله ألف كتاب **(الهادي في حل مقفلات المرادي)** في أربعة أسفار

---

26) أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور المولود عام 926 والمتوفى بفاس في 16 ذي القعدة عام 995 ظ ترجمته في **درة الحجال** I : 84 أما الفهرسة التي أجاز بها أبا العباس المنصور الاجازة العامة فقد أتم تاليفها عام 989 وهي موجودة بالخزانة السلطانية .

27) أحمد بن قاسم بن علي القدومي الأندلسي توفي بفاس في شعبان عام 992 ودفن خارج باب الفتوح . ظ ترجمته في **درة الحجال** I : 83 أما كتابه **(الهادي ، في حل مقفلات المرادي)** الذي ألفه للمنصور الذهبي فيوجد بالخزانة السلطانية .

وأخذ نصره الله ايضاً النحو والتفسير عن القاضى أبي مالك عبد الواحد الحميدى (28) رحمه الله

وأخذ نصره الله الحديث عن أبي النعيم ولى الله سيدى رضوان بن عبد الله الجنوى(29)، وأجاز له عن سقين، عن زكرياء والقلقشندى عن ابن حجر ، وقد رأيت اجازته له على النسخة الرائقة التى أنشأها نصره الله من صحيح البخارى وقد تقدم ذكرها .

وقرأ كتاب الله العظيم على معلم أولاد الملوك بالدولتين الفقيه الاستاذ أبي عبد الله محمد الدرعى (30) وعن الفقيه القاضى سليمان بن ابراهيم .

وأخذ رسالة الامام ابن أبى زيد عن الفقيه أبى عمران موسى السوسى ، وكذا مختصر الشيخ خليل بن اسحاق .

وأخذ الرسالة أيضاً عن أبى فارس عبد العزيز بن ابراهيم الدمناتى .

وقرأ مقدمة ابن آجروم ، وألفية ابن مالك ، ولامية الأفعال له على أبى عبد الله محمد الحارثـي .

وأخذ المعانى والبيان والأصلين والمنطق والفقه والتفسير على أبى العباس أحمد بن على بن عبد الله المنجور ، وعلم الحساب .

وفتح الله عليه أيده الله فى فهم كتاب أوقليدس من غير شيخ لعزة وجوده فى المغرب ، أخبرنى شيخنا الامام ، أبو العباس أحمد بن أبى العافية ، معتق ايالته نصره الله ، وكان يتناول معه كتاب أوقليدس قال : رأيت من قوة ادراكه نصره الله ما لا يمكن وصفه ، قال لى الشيخ المذكور : ربما تكون هنالك أشكال صعبة فأريد ايضاحها فيسبقنى الى ذلك وأصير مستفيدا لا مستفاداً منه (عقول الملوك ملوك العقول) . وأخبرنى الشيخ المذكور أنه نصره الله كان يفك شكلا من أشكاله فـي

28) الامام العلامة قاضى فاس أبو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدى ولد عام 930 وتوفى عشية السبت 18 ربيع الثانى عام 1003 بفاس ظ ترجمته فى **نشر المثانى** 1 : 27 .

29) رضوان بن عبد الله الجنوى الولى الصالح المحدث المكثر الراوية ، ولد بفاس عام 910 وتوفى بها عام 991 ظ ترجمته فى **درة الحجال** 1 : 147 .

30) لعله محمد بن على الدرعى المترجم فى **دوحة الناشر** ص 69 .

كل يوم مع سعة ملكه الى أنا عليه ، وأخبرني الشيخ العلامة الماهر ، سيدى أبو القاسم الوزير حفظه الله - ولهذا الشيخ أبقاه الله ملكة في علم الطب مع المشاركة في غيره - قال : رأيت من ادراك هذا الخليفة أيده الله في علم الطب ما لم أر لغيره قط ، وكذا أخبرت أنه كان يورد في مجلس البخاري اشكالات صعبة يصعب الانفكاك عنها. واذا أورد غيره اشكاله أجاب عنه سريعا (طرق الجد غير طرق المزاح)!

وأما نظمه نصره الله فالغاية العليا ، وستقف من ذلك على ما يسحر الألباب ، والملوك لا تأتي بالكثير من النظم ، وانما تأتي بالقدر الذي يدل على سلامة طبعها فقط .

فمما ألفى بخطه أيده الله ما نصه : من أوليات شعري ما قلته في وردة مقلوبة بين يدي محبوب .

وردة شفعت لي عند مرتهني   راقت وقد سجدت لفاتر الحدق
كأن خضرتها من فوق حمرتها   خال على خده من عنبر عبق

ثم قال أيده الله : ومن يعلم ذلك الخال العنبري الذي يوضع على الخدود يعلم عظم هذا التشبيه .

وله أيضاً نصره الله من التورية وهو من أولياته :

شاذن ثم عليه نفحه   ما خلاصي من سهام كامنه ؟
أحلال فيه أني خائف   وغزالي بعد خوفي آمنه

وقال نصره الله وسدده في وصف رقيب ملازم :

رقيبي كان الأرض مرآة شخصه   فأين تولى الطرف مني يراه
مقيم بوجه الوصل حتى كأنما   وصالي هلال والسواد صداه

وقال نصره الله أعلامه ، وعمر بالفتوحات لياليه وأيامه ، ويغنـــى به فـــى رمــل المايــة :

أيا روضـــة ضنت على بـزهـرهـــــا ولـم يتلـق نـاظـراى سنـــــاك
أبيحــى لنفســـى من شذاك بقاءهـا اذا فت طرفى عل أنفـى يـــــراك

وقال أيده الله وهذا مأخوذ من قول الشريف الرضى رحمه الله :

عارضا بى ركب الحجـاز وسلـــه فمتى عهده بأكنـــاف جـمـــــع
واستمــلا حديث مــن سكــن الخيــ ف ولا تكتبـاه الا بـــدمــــــع
فاتنـــى أن أرى الديــار بـطـرفـــى فلعـلــى أرى الديـار بسمعـــــى

وهو أخذ من بشار قوله :

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهـــم الأذن كالعيـــن توفـــى القلب ما كانـــا

وأنت اذا تأملت هذا وجدتنى أقنـــع بالقليـــل من الرضى وبشار ، وذلك أن من يحدثهما يصف لكل منهما حبيبه ، وأين هو ؟ وباى حالة تركه ؟ فيتعلل بذلك ، وربما شفا بذلك غليله ، وقد قيل :

. . . . يكفى المحب من الحبيب قليـــــل
وينوب عن شخــص الحبيب خيـالــه ان لــم يكنــه فانــه تمثيـــــل

وما قنعت أنا به لا يغنى فتيلا ، وربما ألهب غليلا ، وما هو الا كمـا قــال الأرجــانــى :

سأل الصــدى عنه وأصغــى للصدى كى ما يقول فقــال مثل مقـالـــه
ناداه أين ترى محط رحـــالـــه ؟ فأجاب أين ترى محــط رحـالـــه ؟

وقد علمت أن الشم انما يحصل بواسطة تكييف الهواء المتصل بالخيشوم بتكييف الرائحــة، لا بطريق نقل الرائحة من ذى الرائحــة الى الهــواء لامتنــاع انتقال الأعراض .

وقولى أبيحى لنفسى بقاءها التى هى الرائحة ولا بقاء لها بغيره ليس كفول الرضى ولا تكتباه الا بدمع .

انتهى كلامه نصره الله .

وقال أيضاً أدام الله كلمته العالية ، وعمر بالفتوح أيامه ولياليه :

على جدول غطت عليه بشعرهــــا	ليلا يرى الشمس الرقيبة لى طرف
فبت أرى فى جدولى بدر وجهها	غريقاً ونقطات العبير به كلف

وقال أيده الله :

طرقت حماه والأسود خوادر	به فتولى فى الظبا وهو يبعد
فعلمت آساد الشرى كيف تقدم	وعلم غزلان النقا كيف تشرد

وقد خمسها الامام القاضى العلم ابو . . . . بن عمرا . . . . حسبما يأتى فى ترجمته .

وله أيده الله من الجناس المركب ويغنى به فى الحسين :

لما نأى المحبوب رق لى الدجا	وأتى يعللنى برعى كواكبه
أولى غراب البين ودك يا حشا	والبين مزنى الصباح كواك به

وقد ذيلهما القائد الأجل أبو الحسن الشيطمى حسبما يأتى فى ترجمته ، كما عارضهما أحمد بن عبد السلام . . . . . . سنى المصرى .

. . . .	. . . . ويحل سواك بـــه
يا ظبيه ..... بالمنحا من أضلعى	رفقاً به من ذا الذى أغراك به ؟
يا نار شوقى فى حشاشته اخمدى	من بـ أذكاك أو أوراك به
. . . .	كبهيم جنح قد أضل براكبه
فمتى نرى شمس الوصال تبرجت	فى ظل ناد ظل لى مثواك به

وقال أيضاً نصره الله من طريق التعمية فى اسم نسيم :

يا هلالا طلـوعـه بيــن جفنــــى وغزالا كنـــاسه بيــن جنبـــــى
ان سهمــاً رميت غادر همـــــاً لو تناهـى ما شك آخـــر قلبـــى

قال أيده الله : فقولى ان سهماً تنصيص ، وغادرهما اسقاط ، وهـو اشـارة لاسقاط هماً من هذا الاسم . وقولى لو تناهى انتقاد ، والانتقاد هو اشارة الى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء الاسم المطلوب كأن يذكر الوجه والصدر والتاج والصافى والرأس ويريد به الحرف الاول من الكلمة ، أو يذكر القلب والجـوف والحشا والخصر ويريد به الوسط ، أو يذكر الآخر والمنتهى والختام ويريد آخر الكلمـة ، فقولى لو تناهى معناه أنه أخذ لفظة هم غير متناه فبقيت الميم من هم ، وقولى ما شك آخر قلبى انتقاد أيضا ، وأردت بآخر قلبى الياء ويسمى أيضا التسمية ، وهو أن تذكر الاسم وتريد المسمى ، أو تذكر المسمى وتريد الاسم ، وقد تم الاسم .

واعلم أنهم لم يشترطوا فى استخراج الكلمـة بطريـق التعمية حصـولهـا بحركاتها وسكناتها ، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة هيأتها الخاصة فاذا وقع ذلك فمن المحسنات ، ويسمى العمل التذييلى .

انتهى كلامه أيده الله على البيتين .

وقال أيضاً أدامه الله فى حصن من النصر حصين ، وملكه من سوس الأقصا الى الصين ، فى اسم غزال ، وقد جمع فيه تعميتين ولغزاً :

وأملـد مطوى الحشـا زال ردفـــه فلا خصر الا ان تصـورتـه وهمـــا
بنصف اسمه يرمى القلوب وعكس ما بقى أبـداً اذن الحبيب بـه صمـــا

قال أيده الله : فقولى أملد أردت به بعمل الترادف غصن مطوى الحشا انتقادا، وزال ردفه قضيت بـه غـرضين أزلت به النون بعمـل الاسقاط الباقى من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه ، وأثبتته بموضعه بعمل الانتقاد ، وأوضحت ذلـك بقولى فلا خصر وأن كنت لا أحتاج اليه ليلا يكون فى البيت شىء خارج عن التعمية .

انتهى تفسيره نصره الله .

قلت : فتأمل هذه القريحة الوقادة ، التى أضحت جميع الأغراض لها منقادة ، واعجب لهذا الغوص الذى غاص هذا الامام ، فوالله ما رأيت مثل هذا قط لملـك أو سوقة ولو أوتى بالبراعة فى زمام ، ويعنى نصره الله بقوله ، بنصف اسمه يرمى القلوب غز . . . . . غـوال ، ويعنـى بقوله : عكس ما بقـى اذن المحب بـه صماء . . . . ما بقى وهوال .

وقال نصره الله فى اسم سلاف على منهج ما تقدم أيضاً :

وأحـور وسنـان الجفون كأنـمـا	سقى لحظه من ريـق فيـه بقـرقـف
نضا صارماً لافـل صارم لحظـه	تـزايد منـه منذ سـل تـلاه ف

قال أبقاه الله تعالى وأنجده : فقولى تلاه ف من طريق التعمية ، وفى العمـل التذييلى وهو أن يأتى بالكلمة بحركاتها وسكناتها وهو من المحسنات كما سبق .

وقال نصره الله أيضاً فى اسم آمنة من التعمية أيضاً :

من شقـائى قنصته وهـو خشـف	لم أقل ف أن قلت فات فهمـت
أملـد منه مذ تحلـل خصـر	وتثنـى عن حبـه ما عـدلـت

قال أيده الله : فقولى أملد أردت الألف بعمل التشبيه ، وتحلـل خـصر منه انتقاد ، أردت بالخصر وسط لفظة منه ، وتحلله أن ينحل السكون الذى على النون،

وقولى : وتثنى أى الألف من التثنية لا التثنى ، فتم الاسم بحركاته وعدده .

انتهى تفسيره أيده الله بمنه

وقال أيده الله بمنه : ولهما حكاية ، وذلك لأنه كان أيده الله لابساً منصورية من الملف الذى يقال له قلب حجر ، والمنصورية نوع من اللباس معروف استخرجه نصره الله ولم يسبق اليه ، فلذلك أضيف اليه فقيل له منصورية ، كما استخرج أيضا نصره الله أنواعاً غير اللباس أضيفت اليه أيضاً حسبما ذلك مشهور هذين البيتين :

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهم	قول الحبيب أنا أنا فيه
قلبى له حجر ، فقلت مغالطا	للعاذل الموذى أنا فيه

قال أيده الله : وفى هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية ، منها جناس التورية المسما عندهم بالجناس الملفق، وحده أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين، وهذا هو الفرق بينه وبين المركب، وقل من فرق بينهما، ومنها الانسجام، ومنها الاستخدام ، وعهدى بالفقيه على بن منصور الشيظمى تعرض الى شرحها بكراسة ، والتعمية فى هذين البيتين بالعد الحسابى وهو كثير ، الا أن هذا العمل أحسبنى أبا عذرته اذ لم أره لغيرى ، ومادة التعمية فيه أنا أنا فيه ، قلبى له حجر ، فقولى أنا فيه اضرب أنا فى هـ وقولى فى هـ نص فى الضرب ، ويخرج من هذا 260 عدد حروف هيمانى وحقك ، وقولى : قلبى له حجر بعمل القلب يصير رجح فصار المجموع هيمانى وحقك يرجح ، وفيه التورية وهيمانى وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشى ، فهو من المحسنات أيضا أعنى قوله وحقك ، وتصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان ، لأن الافتنان عندهم أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد ، وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة ،

فظاهر أنا أنا فيه يضاد هيمانى وحقك يرجح الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ، ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولى للحاسد أنا فيه .

انتهى تفسيره أيده الله للبيتين .

وقوله نصره الله : الا أن هذا العمل أحسبنى أبا عذرته صدق نصره الله ، ولم نقف على مثله لاحد أصلا ، وهذا العمل والله أعلم لا يمكن أن يؤتى بمثله ، فهو كالمعجز فى نوعه ، فاعجب لانقياده لهذا الخليفة أيده الله وطوعه ، قوله نصره الله ومنها الاستخدام يعنى فى قوله أنا فيه ، أى فى قلب حجر كما دلت عليه الحكاية وهذا معنى آخر . . . . لقوله أنا فيه ، وقد علم أن حقيقته الاستخدام وهذا هو الموجود فى كلام المولى نصره الله ، والاستخدام عند أهل البيان أن يكون اللفظ له معنيان ، فيراد به أحد المعنيين ، وبضميره المعنى الآخر ، وهذا هو الموجود فى كلام المولى نصره الله ، وللاستخدام نوع آخر ، وهو أن يكونا معاً ضميرين حسبما ذلك مذكور فى موضعه ، وحق لامام اهتدى فكره الى مثل هذا المعنى أن يكون بالخلافة جديراً ، نسأل المولى العظيم أن يزعجنا فى هذه الايام الى حضرته لمشاهدة تلك المآثر النبوية ، انه كان ولم يزل قديراً .

ومن له فى صناعة النظم أدنى ذوق يدرك ما ذكرناه ، ولكن كما قيل فى المثل، شب عمرو عن الطوق .

وقال أيده الله : ومن الأبيات المثلثة قولى وقد قطفت وردة من روض المسرة فى زمن النرجس :

وافى بها البستان صنوك وردة	يقضى بها لما مطلت وعودا
أهدى البهار محاجراً وأتى بها	فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها	تثنى من الروض النضير قدودا

وله أيده الله من الأبيات المثلثة أيضاً :

لى حبيب ياتى بكل غريب	فهو عندى منكر ومعرف

لست أشكو لصيرفي ونحوي ... انه لي نحا وفي تصرف
فعله في لازم متعد ... ومزيد مجرد ومضعف

وله أيده الله من الأبيات المربعة :

لا وطرف علم السيف فقد ... في قوام كقا الخط نهد
ووميض لاح لما بسمت ... فأرتنا منه دراً أوبرد
ما هلال الأفق الا حاسد ... منك حسناً وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا ... كيف لا يفنى نحولا من حسد ؟

وقد ضمن امام الدين الخليلي الوافد على مقام أمير المومنين نصره الله وقد تقدم ذكره هذا البيت الذى قبل الاخير فقال :

قسماً بالبيت والركن الذى ... طاب حجاً واستلاماً للابد
ما هلال الأفق الا حاسد ... منه حسنا وعلاء وغيد

قلت : ولما قال مولانا أمير المومنين هذه الابيات تنافس كتابه نصره الله وقواده وغيرهم فى هذا المعنى حسبما وقفت على كلام جماعة منهم فى ذلك ، وقد تقدم ما قال فى ذلك الشريف المكى الوافد على أبوابه العلية ، ومن ذلك أيضاً قول الكاتب الأجل القائد أحمد بن يحيى الهوزالى رحمه الله :

لا وصدغ كدجا الليل اكتنف ... وشفوظ الخد كواو قد عطف
وجبين أطلع البدر على ... غصن بان ما عليه من كلف
وغزال غزل الحسن بها ... رقة الخصر وعب المرتدف
ما برا الأقمار الا طلعة ... وسنا ثغر بها لما خطف
فتوخت دوراناً ولها ... من نزوع وولوع وشغف

ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر نظم أمير المومنين نصره الله :

قال أيده الله وخلد ذكره من مقطوع .

من عنبر الشحرام أم من مسك دارين ؟	بلى ، ومنه نسيمات الرياحين
مهفهف ان تثنا قلت مقتضب	من قضب نعمان أو من كتب يبرين
ذنبي اليه ولا ذنب محبته	من أجلها بسهام اللحظ يرميني
يا ما أميلحه ظلماً رضيت به	لو أنه دام منه كان يكفيني
معذبي قد حرمت النوم بعدكم	فانعم بوصل هني غير مفتون
ومض على ورد ذاك الخد برق فم	يعوض الخد من ورد بنسرين

وقال نصره الله أيضا من الأبيات المربعة :

تخالفت منه عيناه الى سبب	كان اتفاقهما به على عطب
فحدقة العين تقصيني وتويئسني	واللحظ يطمعني فيه ويسخر بي
أشكو نهاى وشوقى كيف يفترقا	فى أمره وكلا ذا زاد فى تعبي
فان أطع ذاك من لى فاتنى أربي	أو طعت هذا فمن لى فاتني حسبي

قوله نصره الله : كيف يفترقا فيه حذف النون من غير جازم ولا ناصب ، وذلك جائز عند بعض العرب كما نص عليه ابن مالك فى شرح الكافية وغيره ، قلت وانما نبهت على هذا لأنى رأيت بخط رجل من أهل مراكش يقال له ابن يعقوب الأديب على هذا المحل : انظر كيف حذف النون أمير المومنين من غير موجب مع رسوخ قدمه فى علم العربية هـ . ولم يعلم هذا المسكين أن ذلك جائز كما أشرنا اليه، وأن أمير المومنين نصره الله مصيب وهو مصاب .

وقد وقفت على تذييل جماعة من أهل حضرة مولانا نصره الله لهذه القطعة ، فمن ذلك قول الرئيس العلم ، وزير القلم ، أبى فارس الفشتالى أبقاه الله :

فنرجس . . . سرمى بالذبول الى	قاضى الهوا فى انتهاز فرصة الادب

وسجل الحكم فيه شاهدان له : ورد الخدود وبرد الثغر والشنب
حتى أتيت خطيب العقل لقنني من القضايا نقيض الحكم والسبب
فصح لى ولسان الحال ينشدني ان طعت هذا فمن لى فاتنى حسبى

ومن الأبيات المزدوجة قوله نصره الله :

هذا الحفيد الذى وافى على قدر أقر عينى ولكن زاد فى فكرى
بشارة لو تلقى مثلها حجر لبان تأثيرها فى ذلك الحجر

وذيلهما أيضا جماعة من أعلام حضرته نصره الله ، فمن ذلك قول . . . . . .

طوالع السعد لاحت وهى شاهدة بما يفيد دليل العز والظفر
وأن دولة منصور اللواء لها حكم البسيطة بين الناب والظفر

وقوله أيضاً :

بشارة رفعت للمجد قبته وآية تليت بألسن البشر
فهى تشير اشارة الحفيد الى طى برود الصبا براحة النظر

وقال نصره الله من الأبيات المزدوجة أيضاً :

أقام بقلب فى هواه مقلب وأنى له بين الضلوع مقام ؟
فيا شاذناً يرعى الحشا أنت بالحشا أما لمحل أنت فيه ذمام ؟

وقال نصره الله يخاطب كاتب أسراره أبا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالى.

ياكاتباً اذا كتب يغرس روضاً ذا فنن
ان جوابى للذى يشكو دناه اردد حزن

وقال أدام الله نصره ، وأولاه معونته ويسره ، من المزدوجة أيضا وفيه تورية :

بستان حسنك أينعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك بالمسرة ينثني   يا حسنه رمانة للمشتهي

وقعت التورية في كلامه نصره الله بالبديع والمسرة والمشتهى ، وهذه الثلاثة من مآثره الملوكية التي لم يخترع مثلها ، وقد تقدم ذكرها .

وقال نصره الله وفيه تورية :

ان يوماً لناظر من قد تبدا   فتملا من حسنه تكحيلا

قال جفني لصنوه لا تلاقي   ان بيني وبين لقياك ميلا

وقعت التورية بقوله نصره الله ان بيني وبين لقياك ميلا ، فالميل له معنيان ، أحدهما قريب وهو الميل الذى تقدر به الأسفار ، وهو المورى به ، والآخر بعيد وهو المرود ، وهو المورى عنه ، وقد خمس هذين البيتين الامام العلامة الحجة الاستاذ النحوى الحافظ ، سيدى أحمد بن علي الزمورى رحمه الله فقال :

ورقيب يردد اللحظ ردا   ليس يرضى سوى ازديادى بعدا

ساءه الطرف مذ جنا الخد وردا   ان يوماً لناظرى قد تبدا

فتملا من حسنه تكحيلا

وتصدى من فحشه في استباق   يمنع اللحظ من جنا واعتناق

أيأس العين من لحاظ ائتلاق   قال جفني لصنوه لا تلاقي

ان بيني وبين لقياك ميلا

وقال أيده الله في نهر المسرة ، وقد تعددت فيه التورية :

نهر المسرة ان تسل   منه الرحيق الأطيب

الطير فيها تنتقل   والغصن فيها يشرب

فقوله نصره الله : منه الرحيق الأطيب ، يحتمل معنيين قريب وبعيد ، وكذا

قوله الطير فيها تنتقل يحتمل معنيين أيضاً كونه من النقل وهو طعام الشراب، أو من الانتقال وهو الحركة ، وكذا والغصن فيها يشرب يحتمل الحقيقة، ويحتمل التشبيه وان تأملتهما وجدت فيهما غير ما ذكرنا .

وقال أيضا زاده الله شرفاً الى شرفه ، وبوأه من النصر أعلا غرفه هذين البيتين ولهما حكاية تأتي بعد انشادهما :

لقد أتى صارما صقيلا ولم يرث ذاك من بعيد
شديد بأس متى يعادى وشدة البأس في الحديد

وسببهما أن ابن الأثير الامام المشهور ، ألف كتاباً في علم البيان سماه **(المثل السائر)** فانتقده الشيخ ابن أبي الحديد بكتاب سماه **(الفلك الدائر ، على المثل السائر)** ، فألف امام ثالث لا أدرى من هو الآن في الانتقاد على ابن أبي الحديد والانتصار لابن الأثير كتاباً سماه **(طي الفلك الدائر)** وأنشد راداً على ابن أبي الحديد:

لقد أتى باردا ثقيلا ولم يرث ذاك من بعيد
فهو كما قد علمت شيء أشهر ما كان في الحديد

ولما وقف أمير المومنين نصره الله على هذين البيتين انتصر لابن أبي الحديد ، وقال البيتين المتقدمين ردا على هذا ، ومن له أدنى ذوق عرف بون ما بينهما .

وقال نصره الله في فن التورية ، وقد صنع له تمر مدبر بغير نوا على ما اخبرت به :

لله تمر طيب وافا على البشرى انطووا
يا حسنه مجتمعاً يحلو لنا بلا نوا

وقال في معنى هذين البيتين الامام العلم ، الكاتب الرئيس ، أبو فارس الفشتالي أبقاه الله :

أكرم به تمراً حوى طيباً على النشر طوى ؟
أهدى الهنا لأنه تمر أتى بلا نوا

وفي ذلك أيضاً قال الكاتب المجيد أبو محمد الحسن المسفيوي أعلاه الله :

يا حسن تمر جال في ماء نعيم وارتوى
فاعجب له قد بان عنه الفه بلا نوا

وقال في معناهما الفقيه المتفنن أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي أبقاه الله :

ناهيك من تمر علا طعماً وطيباً وروا
أكرم به كأنما أخلاق موليه حوا
تواصلت أهواؤه حتى تحاماه النوا

وقال نصره الله في اسم قمر بطريق التعمية وفيه الاكتفاء بالتورية :

معذبي أعجزني نيله من لي بمن مسكنه في السما
لم أنس اذ قال ألا تكتفني قلت بمن بالطرف قلبي رما

يعني نصره الله بقوله : بالطرف قلبي رما أنك اذا قلبت لفظه قمر خرج رمق . فاذا اكتفيت أي حذفت الحرف الآخر يبقى رم ، وانما زاده الألف فقال رمى لاطلاق القافية ، والمعنى الآخر القريب ظاهر ، قلت لم أقف على مثل هذا العمل في الاكتفاء بالتورية على هذه الهيأة التي فعل هذا الامام أيده الله ، فيمكن أن يعد هذا من مخترعاته ، انما غاية المتقدمين أن يحدوا الاكتفاء بأنه حذف بعض الكلمة كقول الصفي الحلي في بديعته .

قالوا ألم تدروا ان الحب غايته سلب الخواطر والألباب قلت لم

أي لم أدر ، ثم ان المتأخرين لم يعدوه من المحسنات الا اذا اشتمل على تورية كقول الامام ابن نباتة :

بنفسي أمر الناس نأياً وجفوة — وأملحهم دلا وأحسنهم شكلا
يقولون في الأحلام يوجد شكله — فقلت ومن ذا بعده يجد الأحلا (م)

وكقول فخر الدين بن مكانس وهو من بديع ماقيل في ذلك :

لله ظبي زارني في الدجا — مستوفزا ممتطيا للخطر
فلم يقم الا بمقدار أن — قلت له أهلا وسهلا ومر (حبا)

وقال الامام الدماميني في ذلك مقطعات منها قوله :

شقائق النعمان ألهو بها — ان غاب من أهوا وعز اللقا
فالخد في القرب نعيمي وان — غاب فانى اكتفي بالشقا (ئق)

وقوله ايضا رحمة الله عليه ورضوانه :

يقول مصاحبي والروض زاه — وقد نشر الربيع بساط زهر
تعال نباكر الروض المفدى — وقم نسعى الى ورد ونسر (ين)

وقوله ايضا :

الدمع قاض بافتضاحي في هوا — ظبي يغار الغصن منه اذا مشي
وغدا بوجدي شاهداً ووشا بما — أخفي فيا لله من قاض وشا (هد)

وقال في ذلك الامام شيخ الاسلام شهاب الدين بن حجر العسقلاني رحمه الله

نسيمكم ينعشني والدجا — طال فمن لي بمجيء الصبا
. . . . . . الوجه . . . . . . — ذ . . فقدت الصبا . . . .

وقال ابن حجر أيضاً :

. . . . . . لال لمن لامني — وأملا . . . . الطلا
. . . الملاهي وصد . . . الملا — فها انا في الملا (هـ)

وقال ابن حجر أيضاً :

الا يا معشر العــذال كفـــــوا فلست بتـــارك عشق المـــلاح
ولاحيـــن المشيـب أطيـــع نصحـاً ولا أصغى للـوام ولاح (ين المشيب)

وقال ابن حجر أيضاً فى ذلك رحمه الله :

ثويت فيكـــم راجيـــاً منكــــــم أجـر الهـوا دهراً فضاع الثـوا (ب)
ردوا جـوابى ودعـوا جوا فما منـوا برد الجـــــوا (ب)

وقال ابن حجر أيضاً رحمه الله :

حبيبى ان العيش فى الوصل فاسترح اليه فلا ترحل ولا تركب الفـــــلا
واياك لا تصعـد فلاهـا ولا تنـــخ قلوصاً ومهما اسطعت فاجتنب الضلا

وقال غيره فى ذلك وهو الصدر على بن الآدمى يخاطب خليل بن بشار:

يا متهمـى بالشـوق كن منجــــدى ولا تطل رفضـى فانى عل (ـيــل)
ويا خليـــلى فبحـــق الهــــــوا كن لشجونـــى راحمـاً يا خل (ـيل)

وقال تقى الدين بن حجة فى بديعيته فى ذلك :

لمـا اكتسـا خده القـانى بحمـرتـه قال العـواذل بغضاً انه لـدمى (ـم)

وقال الجـلال السيوطى فى ذلك :

قلت وقـد بشـروا بنجـــــل رب أنلنـــى منـــاى فضـــــلا
ان عـاش فاجعلــه خيـر نجـــل موفيــــــــاً عهـــــــده والا

أى والا فاقبضه صغيراً ،ويحتمل عطفه على العهد ، والأل الذمة ، قال تعالى : لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة

وفى ذلك قال الامام ابن الها . . . . فيمن أهدى اليه موزاً :

سيـدى بـــرك وافـــــــى وجـــزاء البـــر فـــــوز

كـــم أتـــانـــى مـنـــــــك رزق غـيـــر مـوزون ومـــــــوز (ون)

قلت وقد تشبثت بأذيال القوم فى ذلك ، فقلت مع زيادة التضمين بالتورية حسبما يظهر من البيتين ، وأثبتهما هنا وان كان بالنسبة الى ما تقدم هجـ . . . :

لم أنـس يـومـاً والنـواعـير بـــه بقصـــر فـاس هيجت منـى الجـوا

أنشد اذ ذكـــرنى معـهــــــــدا (لله ما قد هيجت يا يوم النوا (عيـــر)

وقد علم أن قولنا لله ما قد هيجت الخ هـو مطلـع مقصـورة الامـام حازم القرطاجنى ، وقد خرجا عن معناهما كما ترى .

وانما ذكرت هذه الشواهد لتعلم أنه لم يظفر أحد ممن قـال فـى الاكتـفاء بالتورية بما ظفر به هذا الامام أيده الله وليس الخبر كالعيان .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر نظم الخليفة أيد الله أوامره العلية ، ونشر بنواسم التمكين والفتح المبين ألويته العلوية : وجد بخط القائد الأجل البـارع الأديب الفقيه أبى الحسن على بن منصور الشيظمى أبقاه الله ما نصه :

الحمد لله كما يجب لكمالـه والصلاة والسلام على محمد وآلـه

يقول (على بن) منصور الشيظمى ، عامله الله بلطفه الخفى :

انه لما قضى الله للامام المنصور ، وصل الله له أسباب تملك جميع المعمور ، بالوقوف على رسم أغمات ، وزيارة من فيها من الصلحاء الأموات ، بشهر جمادى الأولى من عام ستة وتسعين وتسعمئة (996) كان من عادته أيده الله الارتياح الـى الأدب والتشوف الى من يتنشأ منه فى مثل ذلك ، فاتحته أيده الله مخاطباً له بخطاب جعلت فيه آخر بيتاً من انشائى ، وقلت له أريد أن يجيزنى أصحابنا الكتاب هذا البيت ، ونزيد معهم الى أن نكمل قصيدة ، فعرض أيده الله البيت عـلى الكـتاب ، وتحرك بسببه بحر قريحته الزاخر ، فلما أن لم يجد مجيباً لداعى الأدب ، استعمل

فكرته المنورة فى انشاء أربعة أبيات تذكر بعد ، ولما أكملها أوقفنى أيده الله عليها ، وقال لى: دونك هذه الأبيات عارضها أنت أوذيلها، فقد أجبتك لما أن عجز أصحابك، فوقفت منها على ما يسحر الألباب ، وخجلت من أن أجارى ذلك العباب ، فكلف على أيده الله انشاء قصيدة تتم بها الأبيات ، فلم يسعنى بعد الاهمال ، وبادرت الى الامتثال ، فاكملت القصيدة فى يومين ورفعتها لمقامه العلى ، فوقعت منه ببال أيده الله ، وأبياته الأربعة هى التى بصدر القصيدة ، وما بعدها من انشائى ، وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :

تبدا وزند الشوق تقدحه النوا ... فتوقد أنفاسى لظاه وتضرم
وهش لتوديعى فأعرضت مشفقاً ... على كبد حرا وقلب يقسم
ولولا ثواه بالحشا لأهنتها ... ولكنها تعزا اليه فتكرم
فاعجب لآساد الشرا كيف تحجم ... على أنه ظبى الكناس ويقدم

هذه هى أبياته نصره الله والتى للشيظمى هى هذه حسبما وجد بخطه اثر ما تقدم :

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة ... يميد بها أملود بان متوم
غزال على الاقدام جرأه التوا ... بقلب جريىء للهوى فيه معلم
يصول فيرضى الضد وهو مصمم ... وتثنى المها منه العنان فيحجم
امام على كل الكمال قد احتوى ... فلا فضل الا وهو فيه متمم
لئن شغف الآرام حباً فقد سبا ... فواد المعالى وهو فى الغيب مكتم
وشاق كذا بكر الخلافة فارتمت ... عليه جهاراً والمعاطس رغم
فعانقها بين الصوارم والقنا ... وكانت شهوداً والصداق التقدم
وحلا لها جيداً وساقاً ومعصماً ... بنصر عزيز يزدهيها ويعصم
تخطت اليه الخاطبين ولم تكن ... لتعدل بالمنصور والله يعلم

ولو لم يصلها لاستمرت مشيحة ... عن الغير أو تفنا الدنا وهى أيم

فلم لا تجر الذيل فخراً وقد سمت ... به حيث لم تسم شموس وأنجم

أليس هو المنصور من وطد العلا ... وذب عن الاسلام والخطب مظلم

ومهده بالهندوانى والقنا ... وما أسس الرأى السديد المحكم

اليس الذى حاط البرية واغتدا ... به الدين مرصوص المبانى مفخم

وثلل عرش الكفر عند اعتدائه ... وغادره بالبيض وهو مصرم

فدانت له صيد الملوك وأصبحت ... مماليك تمضى كل ما هو يلزم

وطاع له الدهر الكؤود وأجمعت ... عليه السعود تعتريه وتخدم

فشيد ما شاء العلاء ولم يدع ... من المجد طرأ ما يفوت ويبهم

وأحيا رسوماً للعلوم قد احتوى ... عليها العفا فهى به الآن تنعم

وقام يجلى حلاها مطبقا ... مفاصلها والفهم فى ذاك صيلم

يبيت عليها ساهر العين كالثا ... بسلطانه فى الرأى يسدى ويلحم

خبير بما تحوى الدفاتر مخبر ... ولكنه مغرى بذلك مغرم

عليم بأسرار الديانة عامل ... وقوف على حد الشريعة قيم

امام له ارث النبوءة والهدا ... دوين الملوك ان هذا مسلم

سليل رسول الله والمجتبى الذى ... تقر له بالفضل عرب وأعجم

فمذ ظفر الاسلام منه بصارم ... تيقن أن الشرك لا شك مقصم

كما أننى منذ اتصلت به سمت ... بى الحال وانتال الغنا حيث تعلم

وأصبحت أكنى ثم لولاه لاغتدى ... سميى كذا عند النداء يرخم

ولو لم أفز بالسبق منه لما اعترت ... عيون المعانى فكرتى حين أنظم

ولا ساغ لى صوغ القوافى أرومها ... فتأتى سريعاً وفق ما أتحكم

ولا طاع لى حر الكلام يزينه ... مديح الامام عند ما أتكلم

ولا انقاد لى جيش (31) لهـام أقـوده فيتبعنى من خلف وهو عرمـرم

ولكنه صنع له الشكر فيـه لا الى فانى عن نهاه معلـم

وما الشعر الا جوهـر لا تنالـه من أبحره ذات الأعاريض عـوم

ولو نيل بالأيدى لهان ولاستـوى بليغ يجيـد القول فيه ومفحـم

ولكن بغوص الفكر بعد ارتياضـه زمانا بآداب تعين وتفهـم

لقد رضته الى أن انقاد واغتـدى يسلم لى فيـه حبيب ومسلـم

وهـا أنا ذا قد جئت منـه بـمـدحـة فان قصرت فالأمر من ذاك أعظـم

وان صادفت قصد الامـام فانـه مـرامـى والأمـر الذى كنت أرأم

فخذها أمير المومنين عقيلـة تروم رضاكم فهو للفوز سلـم

محبرة تروى أحاديث مجدكـم فتطرب عنها النفس اذ تترنـم

محلاة بالمدح مدحك قـد ضـفـا عليهـا يمان من ثنـائك مـعـلـم

ندبت لها من بعـد أن زنت صدرهـا بأربعة تعلو على من يتمـم

فجاءت بوجه المدح غرة أدهـم وتلك تجر الذيـل زهـوا وتفخـم

تهنيك بالزور الذى نلت أجـره ويعقبه بالله فتـح معمـم

ويمن واقبال وجـد مجـدد ونصر وتمكين مبيـن ومغنـم

بقيتـم بقـاء النيريـن وملككم مدا الدهر بالنصر العزيز مخـدم

ولا عدمت منك الخلافـة ناصـرا فأنت لها دون الأنـام المقـدم

انتهى كلام القائد المذكور .

قلت وقد ذيل هذه الأبيات جماعة غير المذكور ، فمنهم الامام المفتى سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله ، قال بعد أبيات أمير المومنين نصره الله :

واعجب من ذا طـور صبرى عند مـا تجـلـى فدك والجنـان مـتـيـم

تحمـل منى القلب فـى شرك الهـوا وحـل اصطبـارى وهو من قبل مبـرم

---

31) يعنى الف فارس (مؤلف) .

وغادرني مضنى حليف صبابـــة   وقدمـاً بتعذيبـــي خليق ومغـــرم

فلله عينـا من رآنـا وبيننـــا   رسائـل شوق لا تبيـــن وتـكـتـم

وقال في ذلك وزير القلم الأعلا ، الكاتب البارع ، أبـو فـارس الفشتـالي أبقـاه الله :

ألم يك هذا الخشف يـألـف وجـرة   فما باله بالمنحنـــى يتلـــــــوم

صحبت أخاه البدر في الليـل ساهراً   تنافسني في لـثم خديـه أنجم (32)

وقالوا نظير الخيـــزران قـــوامـه   فقلت غلطتـــم انـه منـه أقـــوم

لقد وسع الأرضين صـدري فسـحة   وضاق احتمالا بالـذى منـه يكتـم

وقال في ذلك الرئيس الكاتب المجيد أبو عبد الله محمد بن علي الفشتـالي أبقـاه الله :

خضوعي حاكم الغــرام قضى بـه   وشأن القضاة بالشهـادة تحكـــم

فلو لم ير العدلان دمعي وزفـرتـــي   لمـا كـان في رســم القضية يعلم

غـزال يميس خوط بـان واننـــي   لأنجـد دأبــاً في هواه وأتهـــم

فهبني أروم كتم نار صبـابتـــي   فان لسان الحـال عنهـا يترجـم

وقال الفقيه المجيد ، أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسين الهوزالي أدامه الله .

أخوض عباب الموت في حومـة الوغا   وسمر القنا بيـن الضلوع تحطـــم

وأصدع قلب الفليق المجر عنـــوة   ويصدع قلبي أحور العين أفحــــم

وأحمي دمار الملك شرقـاً ومغربـاً   ويحمي فؤادي وهو فيه محكــــم

وأكتم ما أنويـــه حتى عن الحشـــا   وأودعت من بلواه ما ليس يكتـــم

تـواي به ما بي أسـا وصبـابـــة   سواها فماء العين عنها يترجـم (33)

---

32) في **مناهل الصفـا** : يمثله لي الهوا والتوهم .

33) هذا البيت نسبه الفشتالي في **مناهل الصفا** للكاتب أبي علي الحسن بن احمد المسفيوي وجعله مطلع قطعة ذيل بها الكاتب المذكور قطعة مخدومة أبي العباس المنصور ، واتماماً للفائدة نثبت القطعة كما أوردها الفشتالي :

تـواي بـه ما بـي أسـاً وصـبابة   طواها فبات البين عنها يـتـرجـم

بهـا جـرني أودى بحسـن تبصري   وذا جلدي نهـب لـديـه ومغـنـم

ليهنهـم متـوى الضلوع فـانـــه   سليـم على حـكـم الصبابـة مسلم

فـان يك تعـذيب المتيم في الهـوا   فــان فؤادي في هـواهـم منعـم

وقال فى زيارة أمير المومنين أيده الله جماعة من الأعلام ، منهم سليمان بن ابراهيم التاملى فانه قال :

ومحلة ملأ البسيطة حسنها ... وتشرفت بنزولها أغمات

أبدت جمالا فى الربا اذ خيمت ... فكأنما هى حولها مرآة

أم الامام بها الزيارة فاستوت ... فى نفعها الاحياء والأموات

ملك تباعد قدره عن أى تفى ... بكماله ومديحه أبيات

فالله يبقى مجده وعلاءه ... ما جددت لزيارة نيات

ولنرجع الى ما كنا بسبيله ، قلت ولنختم هذا الباب بموشحتين من موشحات أمير المومنين نصره الله وهى كثيرة ، قال أيده الله :

ريان من ماء الصبا ... أهيف ممتلىء البرد

* * * *

كالغصن هزته الصبا ... فوق الربى الشهب

قد قلت لما أن سبا ... بحسنه لبى

من عينه سل ظبا ... وغمدها قلبى

* * * *

أسرنى ماضى الشبا ... أوطف مرنح القد

* * * *

يا فاضح الروض سنا ... بل مخجل البدر

وقاطعى ظلما ومن ... مقره صدرى

ان لم تكن شمس دنا ... فانها تجرى

* * * *

علقته من الظبا ... أسجف يسطو على الأسد

* * * *

قلت له وقد نهد ... وجد فى حربى

وغلب الظبى الأسد ... وفاز بالغلب

الشمس برجها الأسد ... فاسع الى قلبى

* * * *

. . . . وقد سمه . . . . انصف أمنت من صد

الموشحة الثانية له نصره الله معارضاً ابن الخطيب وابن الصابونى وغيرهما

وليـــالى الشعـــور اذ تســـرى مالنهـــر النهـــار مـــن فجـــر

حبذا الليـــل طـــال لى وحـــدى لو تـــرانى جعلتـــه بـــردى

فـــاطميـــاً فى خلعـــة الجعـــدى هى ليلـــى أخت بنـــى بشـــر

فأين أنت يـــا أبـــا بـــدر

كم سقطنـــا ألطـف مـــن طـــل واسترحنـــا من كـــاشـــح نذل

واجـــتـــمـــعـــنـــا ومـــادرا ظـــلـــى رب ليـــل ظفـــرت بالبـــدر

ونجوم السما لم تدر (لابن الخطيـب)

وبنفـــســـى مهـــفـــهـــف ألـــمـــا ومطيـــع وغـــرنى لـــمـــا

يا عفـــافـــى وقـــائـــعـــى ممـــا فى ربـــاط قسمتـــى صـــدرى

لحنيـــن ونـــاظـــرى بـــدرى

وهلال فى حسنـــه اكتمـــلا هو شمس وأضلعـــى الحمـــلا

قـــام يـــشـــدو وينثنـــى فى عـــلا قسمـــاً بالهـــوا لـــذى حجـــر

ما لليل المشوق من فجر (لابن الصابونى)

قلت ولنقتصر على هـذا القدر من نظم الخليفة الذى ازدهت بيمنه العرب على العجم ، ولنكتف بهذا النزر من غيث أدبه الذى انسجم ، والمقام أعظم من أن يحاط بأخباره ، ويوفى بشر بتعظيمه واكباره ، لا زال منهل جوده للمعتفين مورودا ، ونبـأ آياتـه الأحمدية على مـنابر الآفاق مسروداً ، امين وبـالله التوفيـق .

واما تآليفه نصره الله فمنها كتاب **(المعارف ، فى كل ما تحتاج اليه الخلائف)** مضمنه علم السياسة ، وهو غاية فى بابه لم يؤلـف مثله ، ومنها تأليف فى الجواب عن حديث على والعباس رضى الله عنهما وفاطمة ابنة النبى (ص) فى حديث لانورث ما تركناه صدقة . أخبرنى من رآه أنه تأليف غريـب فى بابه ، أزاح أشكالات المسألة كلها ، وقد علمت أنها من أشكل المشكلات ، ومنها كتاب فى الأدعيـة والأذكـار سماه **(العود أحمد)** وسبب تسميته بهذا الاسم أنه كان ألفه أولا ثم بدا له ورتبه

على ترتيب غير الترتيب الأول ، وقال فى خطبته : نوديت العود أحمد ، أى العود يا أحمد ، فتنبه الى هذه التسمية الغريبة ، وما تضمنت من التورية العجيبة ، لأن أحمد عندهم أفعل تفضيل ، فجعله أمير المومنين نصره الله منادى ، وقد ذكر الشريشى فى شرح المقامات حكاية عبد الملك بن مروان مع الشعراء فى قولهم العود أحمد انظرها ان شئت . والحاصل أن تسميته نصره الله بهذا من غرائب الاتفاق . قلت وقد رأيت هذا التأليف بخط تأنق فيه صاحبه الى الغاية عن أمر هذا الخليفة ، وتخيل لى أنه لا يمكن أن يوجد له نظير فى مضمنه وخطه ، وقد اشتملت خطبة هذا الكتاب على ثلاث عشرة تورية ، وكتب فى آخره من انشاء وزير القلم الامام أبى فارس الفشتالى ما نصه :

انتهى المجموع المبارك فى الأدعية الناجحة المقصد ، والأوراد العائدة بالبركة الزكية والعود أحمد ، والأحزاب التى هى بالجمع والارداف من مقرا امام هو بسيبه نافع ، وبسيفه عاصم ، وبمسند جامع التفضيل أحمد ، تحرير مولانا نخبة الخلفاء الأعلام ، حامى حمى الايمان والاسلام ، مقيم الانام ، تحت كفالة السنان والحسام ، مولانا أمير المومنين أحمد المنصور بالله ، ثبت الله تعالى قواعد دولتهم الشريفة الغراء ، وأنار جهات البسيطة بأنوار معدلتهم المديدة الجناح على أديم الغبراء ، ووافق تمامه بمعسكرهم السعيد من ساحة حضرتهم العلية الحمية مراكش حاطها الله . أواسط ذى الحجة الحرام متم عام تسعة بعد الألف .

الى غير ذلك من تآليفه أيده الله .

وأما ما يرجع الى علو همته ، ورفعة قدره ، وحمله وفضله ، وبذله ومجده وشجاعته ، وحسن خلقه وعقله وصبره، ومقابلته الاساءة بالاحسان، وكثرة حيائه، واقالته العثرات ، ومجاوزته عن كبائر السيآت ، وغير ذلك من خصاله الحميدة ، فبحر لا ساحل له ، وقد ذكر شيخنا الامام أبو العباس ابن أبى العافية أبقاه الله

كثيراً من ذلك فى كتابه **(المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة أبى العباس المنصور)** وكذا ذكر كثيراً من ذلك وزير القلم الأعلى ، أبو فارس الفشتالى فى كتابه **(مناهل الصفا ، فى مآثر الشرفا)** وكذلك توقيعاته الحسنة ، وأغراضه المستحسنة .

وقد تخلق بأخلاقه نصره الله وتبعه فى مآثره وعلو همتــه موالينـا أولاده الهداة ، وسائر أهل بيته سم العداة ، فقد ابتنى ولده الامير الأجل مولانا الواثــق بالله أبو فارس عبد العزيز أدام الله علوه جامعاً عظيماً عند ضريح ولى الله تعالى سيدى أبى العباس السبتى أفاض الله علينا من أنواره ، وحبس عليه خزائن من الكتب العتيقة ، وكراسى للتفسير وغيره من أنواع العلوم تقام به الجمعة هنالك ، وهذا المولى الواثق بالله الامير مولاى أبو فارس مولع بالأدب وأهله واكرام العلماء جمع بعضهم مما قيل فى مدحه مجلداً ضخما ، فمما مدح به هذه الموشحة للفقيه الاديب محمد بن ابراهيم الفاسى الملقب ببديع الزمان رحمه الله وهى :

بـارق الـثـغـر لاح عـن در ... مـن خـلال العقيـق
وعذيـب الريـق غـدا يجـرى ... مثـل كـأس الرحيـق

* * * *

شـاذن حسنـه اراق دمـى ... سـاحـر سـاخـر
نـاظر لا يـرى سـوى عـدمـى ... فـاتـن فـاتـر
نـام عـن منيتـى وفى سقمـى ... سـاهد سـاهـر

* * * *

فـاضـح البـدر .... ليـس يلـفـى رفيـق
....

* * * *

جمـرة الحـب أحـرقـت خلـدى ... وقلبـى المـروع
يـا لـهـا حرقـة وهـا جسـدى ... عنـدهـا والضلـوع
من .... ـلا قـود ... لا يـرجـى الـرجـوع

* * * *

ظاعن الصبر في بحر للدموع غريق
وغدا من بعده لا يدري للسلو طريق

* * * *

ان لي والهوا برا بدني أن أرى شاكيا
من خطوب .... عاديا
للذي ينتمي الى الحسن .... عاليا

* * * *

.... في .... ز وثيق
.... اتق في يسر بعد عسر وضيق

* * * *

لذ به في الخطوب ان طرقت فهو حامي الحما
تلفه صارماً اذا عظمت ليس يشكو الظما
فهو من دوحة ذكت وزكت فرعها في السما

* * * *

غارس البر مجتني الشكر روض جود أنيق
وتراه الدهر من البشر ....

* * * *

دمت للمجد مالكاً ملكاً محسناً لا تسي
انت مليك نراه أم ملكا بالرضا مكتسي
فابق فرداً وللعلا فلكا يا آبا فارس

* * * *

دائم النصر ما شدا القمري ....
.... عشيق

وقال في ذلك الأديب المؤرخ الحافظ ، أبو عبد الله محمد بن يعقوب رحمه الله :

بأبي غزال صادني بمزاح ... وسبا الفؤاد بطرفه الجراح
صبراً فؤادي ان سطا بك لحظه ... فلقد أصبت بصارم السفاح
عاطيته من خندريس أكؤسا ... طلعت علينا كالنجوم براح
ساق سقاني من مدامة .... ممزوجة من كأسه بالراح
وغدا يعانقني وألثم ثغره ... عطر شذاه الطيب الأرواح
بتنا ونحن نديرها في مجلس ... أنواره تغني عن المصباح
شمس من الكاسات مطلع فجرها ... مترنح الأسفار والاصباح
تحيي النفوس اذا الأنوف تنسمت ... عرف الندا من طيبها الفواح
وسرا النسيم معطراً ما ينثني ... وتمايل الاغصان في الأدواح
والطير غنى والحمام مغرد ... والروض يبسم عن ثغور أقاح
والعود يضرب والرباب يهزني ... والنفس تغنم منتدا الأفراح
والماء يجري في الجداول يلتوي ... كمقاييس الحسناء ذات وشاح
راحت على المهجات من ذا نفحة ... طارت لها طرباً بغير جناح
والورد يعبق في ......ال مدامنا ... . النسمات والارياح
وكانه في الطيب أخلاق الرضا ... بدر الندا الواثق الوضاح

وقال فيه أيضا ابن يعقوب المذكور :

عساه يدنو فان القلب قد أيسا ... فيطفىء الجمر من خديه مقتبسا
تجلو على رياض الورد وجنته ... فيجتني اللحظ مني كلما غرسا
أهدا السهاد لعيني من لواحظه ... وكيف . . . السهاد ناظر نعسا
يا ليته . . . . وافى بليلته ... . . . أنشد . . . شعري انبجسا
يا ليلة بات فيها الوصل ثالثنا ... وبت أرشف منه الثغر واللعسا

وليس مصباح بيتى غير بـارقـــــه لا أعرف الجنح بالــلأ . . . . والغلسا

انقـاد طـوع يدى من بعد نفرتـــه . . . الغزال فيغـــدو وحشـه أنسا

أهـواه غصنـا وا . . . . وأه . . . . . في . . . . .سا

أيا غـزالا غـزا نفسـى . . . . .ـه عمدا . . . . . الوجـد . . . .

جل التصبر . . . . لطيف خصرك ثـم ريقـك السلسـا

ارحم فدينك منـــى عاشقـــاً ولهـاً ضل الفؤاد وأمسى نطقـه خـرسـا

وليس خـاطـره الا متـى وعســى . . . . . . لجميل فداركنى تجد نفسـا

كما تدورك هــذا المجـــد . . . . . . بالواثق بن الامام بعدما اندرســا

يا ابن الاكارم من سارت منـاقبــه فى كل قطـــر تر . . . . درسا

. . . . سـا

المعد . . . . . والاخـــلاق طـاهـرة فمـا تراه عبـوسـا لاولا شكسـا

هو الكريم الذى طابت مغـارســه يزكو النبات اذا ما طاب مغتـرسـا

...... قحط والامـطـار مخلـفـــة تـسعـــى فـتــ . . . . (34)

وكذا ولده الأسنا مولانا أبو المعالى زيدان أدام الله عزه بنا مدينة عظيمة على وادى أم الربيع وأضافها الى اسمه (35) وهى من مفاخر هذا البيت النبـوى أيـد الله أمره ، وتلا أباه نصره الله فى اكرامه الفقهاء والكبراء وادرار النعم على الوافدين والشعراء ، فمن بعض ما مدح به قول بعض الأعلام من أهل الحـضرة زادهـا الله سرورا ونضـرة :

لشخصك فى سويدا قلبى ايـــوان وان شحطت بى عن ديارك أوطـــان

ذكرتك فاستعبرت حتى لقـد جــرا على الخد من فيض المدامـــع طوفـان

سرت وكميت الليل مرخى جـــلالـه وأشهب من جود المجـــرة حيــران

(34) فتكت الأرضة بالصفحة التى كتبت فيها هذه القصيدة فنقلنا منها ما امكننا نقله وبقيت بضعة أبيات لم نتمكن من قراءتها .

(35) هى النصبة الزيدانية المعروفة بهذا الاسم الى اليوم .

فبت أجارى النجم والنجم واقــــف وأرتاد هدى البدر والبدر حيــــران
وأرتاد فى روض النجوم لعلنــــى أراهــا كمــا ترعــا الخمائــل غزلان
فلاح لى البدر المنير كأنــــه وقد لاح فى زهر الفوارس زيــــدان
همام له فى الغرب صيت مؤثــــل تهز له فى الشـــرق مصـــر وبغدان
تخف الجبال الشـــم ان ووزنت بــه وقد أحجمت عن مأزق الحرب شجعان
دعته المعالى وهو فى مهده لهـــا وحنت اليــه فى المنابـــر عيـــدان
أمولاى لا أحصى مديحك كلـــه لقد عز فى أمداح عليـــاك امكـــان
أمولاى هبنـــى عنكـــم متوانيـــا زمانـــاً أما يمحو الاساءة غـفـــران
لئن عاقنى شيخ تعيـــن بـــره فلى فى كتاب الله عـــذر وبـــرهـــان
أتغمـــر بالنيـــل البريـــة كلهـــا وأمسى وحظى من جنـــابـك حرمان ؟
وتـــرفـــل فى أثواب نعماك كـلـــهـا وعبدك أضحى بينهـــا وهو عريـــان
على أننـــى العلق الثمين نفـاســـة فكم لى فى نيل الاجـــادة احســـان
فعطفاً فمــــا لى فى البريـــة موئـــل سواك وهل يأوى لغيـــرك انســـان
فلا زلت للمنصور نصراً مـــــؤزرا يقر بكـم عين الخلافـــة رحمـــان

وما قيل فى هذا الأمير من المدح كثير جداً لا تسعه هذه العجالة ، وقد مدحه شيخنا أبو العباس بن القاضى أسماه الله بعدة قصائد تركتهـــا اختصـــارا ، والله سبحانه ولى التوفيق ، وعليه التكلان .

وقد ابتنت أم مولانا نصره الله جامعاً عظيماً بباب دكالة وأكثرت عليه مـــن الأوقاف والجرايات وخزائن الكتب وكراسى أنواع العلوم . وقد صليت فيه الجمعة مراراً ، ورأيت جماعة أعلام يدرسون به أنواع العلوم .

ونص تحبيسه بعد البسملة والتصلية :

لما نشر الله سبحانه — من الذرية الشريفة العنصر ذات النسبتين الطاهرتين ، والسلالتين الطيبتين ، والولادتين الكريمتين ، العلوية الحسنيـــة الفاطميـــة آل بيت المصطفى رضوان الله عليهم — النور والضياء ، وألاح من حسن الاقتداء بهم

السبيل السواء ، أصبح الفضل لفضلهم تابعاً ، والجود والسؤدد لأصلهم طائعاً ، والفضائل والمآثر بعناياتهم متحققة ، والآراء المختلفة على تقديمهم متفقة ،والامامة والخلافة لجنابهم عاطفة ، والأمم بمكارمهم عالمة عارفة ، والقلوب على محبتهم مطبوعة مجبولة ، والأسباب المنقطعة بانعامهم الشامل موصولة ، فارتفع فى عقائد فضلهم الأصيل القواعد الخلاف، واستقلت أساسات فخرهم على ما أسس الأسلاف، فأقاموا شعائر هذه الشريعة الشريفة ، وحازوا قصبات السبق الى المعالى المنيفة ، وخص من بينهم بفواضل متوالية ، وفضائل غير متناهية ، الامام المطاع ، الواجب لعظيم قدره فى الملوك الانقياد والاهطاع ، عميد عصابتهم العلوية وأثيرها ، وممهد قواعد ايالتهم الحسنية ومقررها ، ومؤسس مبانيها ومطهرها ، وكبير امرها السامى ومدبرها ، صدر الصدور ، وبدر البدور ، وعلم الملة المشهور ، ومؤمل الخاصة والجمهور ، السلطان المؤيد بالنصر أمير المومنين أبو العباس المنصور أدام الله عزته ، ووالى سموه ورفعته ، وكانت دولته الشريفة المذهبة المذاهب ، التى هى نزهة الصادر والذاهب ، يزهى الوجود بحسن وجودها ، وتستمد أضواء الفضائل من مقباس جودها ، ثم ان دواعى رفعة شأنه وعزة سلطانه ، ومحاسن أوصافه ومفاخر أسلافه ، حرك العزم الساكن من نشاط والدة هذا السلطان الحرة الجليلة ، الحسيبة الحفيلة ، الولية العابدة ، الصالحة الصوامة القوامة الكثيرة الأوراد ، المشفقة على العباد ، المحافظة على الأدعية والاذكار ، والسعى فى الخيرات واعمال البر والايثار ، المرتسمة بديوان الأولياء ، الموفقة بفضل الله لأعمال الصالحين الأتقياء ، المتفضلة على نساء أهل زمانها ، المتحدث بنباهة شأنها ، المعروفة بسداد النظر واصابة الرأى ، الحائزة درجات السبق بالمبادرة والسعى ، الميمونة المسعودة ، أمة الله عودة (36) بنت أحمد صان الله مجدها ، وبلغها من كل خير أملها

36) عودة أو مسعودة بنت الشيخ الاجل أبى العباس احمد بن عبد الله الوزكيتى والدة السلطان احمد المنصور السعدى كانت امرأة صالحة حريصة على اقتناء المفاخر وفعل الخير ، وأنشأت فى هذا السبيل عدداً من المرافق العامة لنفع المجتمع كالمساجد والقناطر وكراسى العلم وحبست عليها الاحباس الطائلة ، توفيت سحر يوم الثلاثاء 27 صفر عام 1000 . ظ ترجمتها فى **نزهة الحادى** 72 .

وقصدها ، وألهمها التـوفيق ، والهداية الى سواء الطريق ، بعـزيمة علم صدقـها ، ونية رضى عملها ، اذ كانت أدام الله حفظها أوفى الناس رغبة الى التكثير من الخير ، والفحص عن عمل البر ، والعثور على أسبابه ، والتطلع الى ايناسه والحرص عـلى اقتباسه ، فكانت آثارها الحسنة ، وأفعالها المستحسنة ، تخرق المعتاد خـرقـاً ، وتجوب البلاد غربا وشرقا ، وتلك هداية من الله استاخرت الى زمانها ، وحسنات ادخرها لميزانها ، فحبست لوجه الله العظيم ، ورجاء ثوابه الجسيم ، والنعيم المقيم ، جميع السبعين حانوت غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية (37) المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سـوق الحضـرة المراكشية دون البقعة المتصلة بقلعتها ، وجميع بيت الأرحاء الجديدة المخترعـة لهـا على وادى تسلطانت القـريب من أرحاء أولاد الأمين محمد بن قاسم القسطـلى وأولاد التاجر عبد الله التنجارفى ، المشتمل على أربع مدارات ، مـع جميـع داره المبنية له وجميع العين الكبرى التى تملكتها من ورثة أحمد بن ربـوح الكائنـة بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرضها وجنانها ومائها ما عدا الحظ الواجب لأولاد الولى الصالح السيد أبى عمر القسطالى بجميع منافع ذلك كلـه وحقوقـه الداخلية فيه والخارجية عنه ، وما عد منه ونسب اليه ، جعلته حبساً مؤبداً ووقفاً مخلداً ، يحاز بما تحاز به الأوقاف ، ويحترم بحرمتها ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، على جامعها الأعظم السعيد ، المخترع لها الجديد ، بين حومتى باب الرخـا وباب دكالة من حضرتهم المراكشية الذى هو لكريم جنابها منسوب ، ولعظيم أجرها مجلوب ، أحيت به ذلك المكان الميت وألهمها الله قوله : وما رميـت اذ رميـت ، تـأنقت في بنائـه ، وبلغت الغاية الممكنة في انشائه وأمدته بعين الما ، لاسبـاغ الطهور وارواء الظما ، فجاء محكم الانشا ، وأغنا عن الدلو والرشا ، فما أعظم (منة) منت بها ، وأجل قدر هبتها في مواهبها ، فالله سبحانه مجازيها عن كل كبد رطبة سقتها ، ومشقة صعبة وقتها ، بكل صعبة أجراً يقود منها الى أفضل ألف ، ويضاعفه

37) السوق الذى تباع فيه الثياب ، واصلها قيصرية (مغربية)

الى مئة ألــف ضعف ، وتصير الأوقاف المذكــورة يصرف خراجها ومستفادها فــي مصالح الجامع المذكور من مرتب أئمته وفقهائه وقرائه ومؤذنيه القيمين بسائر وظــائفه واجراء مائه ، واكمال بنائه ، قالت ذلك وأشهــدت به عــلى نفسها حسبما وضعت به خاتمهــا المتضمــن اسمهــا فى أواسط شهر الله المحرم من عام خمسة وتسعين وتسعمئة .

ثم بعد هذا اشهاد حافدها الواثق بالله تعالى ، مولانا أبى فارس ، ثم اشهــاد أبى الحسن أحمد بن أبى الحسن بن أحمد بن مولانا القائم بأمر الله تعالى ، ثم حيازة الأملاك المذكورة ، ثم استقلال أبى القاسم بن على الشاطبى ، ثم امضاء ولــى عهــد مولانا ، المأمون ، أمنه الله تعالى بمنه .

وأمــا امضاء مولانــا أمير المومنين نصره الله فنصه وهــو من انشــاء أبــى فــارس الفشتــالــى :

عن أمر عبد الله تعالى ، الامام الخليفة المجاهد ، أبى العباس المنصور ، أمير المومنين ابن مولانا الامام الخليفة ، أمير المومنين ، وناصر الدين ، أبى عبد الله محمد الشيخ المهدى ، ابن مولانا الامام الخليفة ، أمير المومنين أبى عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسنى ، أيد الله أوامره ، ووصل له مجد الدنيا بمجــد الآخرة ، صدر هذا الأمر العلى ، الامامى الكريم المنصورى ، أعلا الله به الدين وشرفه ، ورفع الى سمك السماكين غرفه ، بامضاء التحبيس الصادر أسفله عن الحرة الجليلة ، الأصيلة المثيلة ، الحسيبة القانتة ، العابدة الصالحة ، الغادية فى سبيل مرضــاة الرب والرائحة ، أم القرب والحسنات، وكاشفة الكرب المزمنات، السيدة الطاهرة، والدة أمير المومنين وكافلة البنات والبنين ، أبقا الله ببركتهــا ، وأجــرا على الخــير والصلاح سكونها وحركتها ، امضاء لا يعقبه بحول الله فسخ ، ولا يتناول آيه المحكمة نسخ ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، والله لا يضيع أجــــر

المحسنين ، بفضله ومنه ، وبتاريخ المحرم الحرام فاتح خمسة وتسعين وتسعمئة .

وعـلامته أيده الله باعـلاهـا .

وأفعال برها لا تحصا كثرة ، كبناء القنطرة العظيمة على وادى أم الربيع ، وقنطرة أخرى أيضاً وغير ذلك ، ولولا الاطالة لذكرت جملة منها .

أخبرنى مكاتبة شيخنا الامام القاضى ، أبو العباس بن أبى العافية الشهيـر بابن القاضى ، أسماه الله ، أنه كاتبها من مدينة سلا حرسها الله يستنجدها لاصلاح دار بالشراط ، اذ هو محل مخوف قال : فو الله الذى لا اله الا هو ما مضا للكتـاب مقدار وصوله الا وأمرت ـ عاملها الله بلطفه واحسانه ـ بانشائها هنالك ، فجاءت فى غاية الرفق للمسلمين ، رحمة الله تعالى عليها ، فهذا هو الفخر الأخروى . . .

ولو لم يكن لأمير المومنين نصره الله من المفاخر الا فكه الأسرى لكان ذلك كافياً ، فكيف وقد انضم الى ذلك ما لا يحصا ، ولقد فك نصره الله من ربقة الأسر شيخنا الامام العلامة المؤلف الكبير الشهير ، أبا العباس سيدى أحمد بن أبـي العافية المكناسى الشهير بابن لقاضى أبقاه الله ، حدثنى حفظه الله أن افتكاكه كان بنحو الاثنين وعشرين ألف أوقية ، وذكر لى فى ذلك قضية طويلة تركتها مخافـة الطول ، وفى ذلك يقول شيخنا المذكور مادحاً مولانا نصره الله :

فـرع النبوءة أصل كل كـريمـة ... يروى السيادة أشرفا عـن أشـرف

عضب حسـام ماله من صيقـل ... غير المعالى للمعـالم يصطفـى

ما ان يساجل فى العلا تلك الحـلا ... مـلـك تمنـع بالجناب الأكـنـف

كم أضحك الخيـرات وسط يمينـه ... وأسال عبرة كل سيف مـرهـف

ليث الشـرا غيث الـورا لـكـنـه ... من نسـل أحمد فضله لـم يختـف

ألمم به تلف البرية كـلـهـا ... فى ذاته والعـدل فى أسد وفـى

تلفيه الا فى المحامد معرضـاً ... ولمـاله فى حـكـمـه لـم ينصـف

مجد بخد الفرقدين نعاله ... مصباح ذهنه نوره لم ينطف
من معشر للمعتفين زواخر ... فاذكر حلاهم فى الأنام وشنف
طفل اذا جاشت عليه ملاحم ... كهل المحافل قوة المستضعف
بحر المكارم أصلها المنصور من ... نادا به فى المعضلات لقد كفى
ناديته بمصيبتى فكأنه ... لشفائها أم الكتاب لمشتف
أخرجتنى من ضيق أسر نالنى ... ومنحتنى اسماع آى المصحف
اذ كنت أسحب للحديد خلاخلا ... وسلا سلا أغلالها لم توصف
لا زلت تكشف كرب كل موله ... ما أصحب المحزون باللطف الخفى

حدثنى الشيخ المذكور حفظ الله علاه بما تقدم ، وأنشدنى هذه القصيدة الآتية التى كانت سبب خلاصه قال : سافرت للمرة الثانية الى مصر لطلب العلم الشريف بعد أن استشرته أيده الله فى ذلك وأذن لى ، فسافرت فى البحر متوجها للمقصود ، فكان من أمر الله المعبود فى يوم الخميس 14 شعبان عام 994 فبعد دلك لجأت الى الله وتوكلت عليه ، وعلمت أن سبب خلاصى لا يكون الا على يديه ، لما تحصل عندى من عظيم فضله ، وكريم أصله ، فكاتبته بأبيات حضرتنى وهى :

تجلت عن العانى الأسير المكبل ... هموم سرت فى الجسم فى كل مفصل
بذكر الامام الهاشمى الذى سما ... بسيمة خير الخلق فى كل محفل
امام العلا المنصور فخر أئمة ... به قد تحلا كل جيد معطل
به راق وجه الأرض وافتر ثغره ... وحلى جيد منه بالدر والحلى
امام همام همه طول همة ... ظبا ماله غير المعالى بصيقل
فكم تضحك الخيرات فى بطن كفه ... ويبكى دماء كل رمح ومنصل
وكم جاوز الغايات حتى لو أنه ... أراد الثريا أمها فى التنزل
فغر الليالى من سناه توقدت ... ضياء بنور للخلافة مشعل

زكي زهي للسمـــاح سمـــاؤه ... جناح لنسـر النصر في كل جحفل
امام الهدا بحر الندا قسور الـــردا ... الى المعتفي والفـاجر المتضلـــل
بحق الذى أولاك ملكــاً فنجنـــي ... من الملك ياقصد الأسير المكبــل
وكن يا امام العدل في عون حائـــر ... أسير كبير في جناح مذلـــل
لقد قرفت أيدى الزمان وريـــده ... ودارت عليه الدائرات كجلجـــل
وأخنا عليه الدهر من كل وجهـــة ... وداست عليه النائبات بأرجـــل
فعافاك رب العرش يا مالك العـــلا ... ودمت اماماً في عــلاء مـزمـــل
ولا زلت حج المعتفيـــن وكعبـــة ... مطافاً لأهل الفضـــل في كل محفل

قال : فما بلغت ليده الا بعد تكفل همته العلية باخراجي ، لأنه أيده الله تعالى كان قد كتب في شأني لقواد الثغور أن يبحثوا عني ، وفي أي موضع مستقـري من بلاد الكفرة أذلهم الله تعالى ، قال : وقد أخرجني في السابع عشر من رجب سنـة 95 ، وبلغت للحضرة العلية مـراكش في يوم الاثنين 8 شعبـان من عام تـاريـخـه وقمت بين يديه بقصيدة نونية مطلعها :

مـن العقيـق عقيق العيـن هـتـــان ... سل عنه سلعـاً فما يغنيك نعمـــان

وهي طويلة أذكرها في ترجمته ان شاء الله تعالى .

وهذا الطرف وان كان اللائق به الباب قبل هذا لكني أخرته في هذه المبيضة الى هنا ، وسأخرجه ان شاء الله تعالى على ما ينبغي ، والله الموفق بفضله .

وقد ألف لخزانته نصره الله أكثر من مئة تأليف على أخبرت ، من ذلـك 13 تأليفا لشيخنا الامام ابن القاضي المتقدم الذكر ، وسياتي ذكرها في ترجمته ان شاء الله ، ومن ذلك تأليفان في الطب للشيخ العلم الماهر ، شيخنا أبي القاسم الوزير أبقاه الله ، ومن ذلك جملة تآليف للامام فريد زمانه في علمي المعقول والمنقول ،

سيدى احمد المنجور رحمه الله ورضى عنه ، ومن ذلك جملة تآليف لوزير القلم الأعلا أبى فارس عبد العزيز الفشتالى أبقا الله رياسته ، وهو متولى تاريخ دولته الشريفة أعلا الله كلمتها على الدول ، وقد فعل ، فقد ظهر لها من المآثر ما لم يظهر لغيرها من الأول . ومن ذلك **شرح المتنبى** للامام البليغ الحجة الحافظ ، سيدى محمد بن على الهوزالى أبقاه الله . وقد انفرد هذا الرجل بمعرفة كتاب المتنبى على ما أخبرت به ، ولم ألقه يسر الله على لقاه فى هذه الوجهة ، وكذلك رتب له نصره الله ديوان المتنبى على حروف المعجم ، وجعلت له خطبة باسمه نصره الله ، ألف ذلك وزير القلم الأعلا ، أبو فارس الفشتالى أبقاه الله ، وألف أيضاً **مدد الجيش** كمل به **جيش التوشيح** لابن الخطيب حسبما يأتى فى ترجمته . ومن ذلك أيضاً جمع كلام الامام الششترى رضى الله عنه، أخبرنى الكاتب البارع سيدى الحسن المسفيوى أنه فى سفرين ، ومن ذلك شرح مقصورة الامام المكودى ، أخبرت أنه ألفه لخزانته المفتى الامام ، سيدى عبد الواحد الشريف رحمه الله ، لا أدرى هل كمل أم لا ، ومن ذلك **الهادى فى حل مقفلات المرادى** فى أربعة أسفار لنحوى عصره ، أبى العباس القدومى رحمه الله ، وقد ألف لعلى مقامه الفقيه النحرير ، صاحب المظالم ببابه الامامى ، السيد أحمد بن الشيخ العلامة سيدى على بن سليمان حاشية على الكبرا . وأما الشيخ الماهر ، الامام المتفنن ، الحاج أبو جمعة سعيد فقد أوقف قريحته على جملة تآليف للخزانة المنصورية ، كشرح **درر السمط ، فى فضائل السبط ،** للامام ابن الأبار أجازه عنه نصره الله بألف دون ما يعطيه من الجرايات والكسا ، وسيأتى عدد تآليفه فى ترجمته ان شاء الله تعالى . وأما أعلام أهل القسطنطينية العظما ، وأعلام مصر فهم مع كل وارد يوجهون لعلى مقامه تصانيف ألفوها لخزانته ، وتسمية الكتب المؤلفة لهذه الخزانة المنصورية عمرها الله لمن تتبعها تؤدى الى الطول ، وفيما ذكرناه كفاية ، نسأل الله سبحانه أن ييسر علينا ما نحن بصدده من الأخذ فى الانتقال الى حضرته العلية عاجلا .

واعلم أن ما ذكرنا في جنب محاسن هذا الخليفة أيده الله انما هو نقطة من بحر زاخر ، لا يقدر على السفر فيه بفلك التآليف المواخر ، ولكن الخليفة نصره الله جدير بالاغضاء عن هذه العبارات التي خرجت عن سنن الفصاحة ، لأن كل واحد ينفق على قدره وعفوه نصره الله رحب الساحة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

1 ـ محمد الوجدى الغماد

الكاتب البارع ، الذى سن البدائع وشرعها ، وولد عقائل المعاني واخترعها ، وافتض أبكار المحاسن وافترعها ، الهائم كلما تألق بارق نجدى ، أبو عبد الله محمد بن علي الوجدى ، من أهل فاس ، الملقب عند الأصحاب بالغماد .

حاز هذا الفاضل حفظه الله قصب السبق فى النثر والنظم ، مع عض الخمول له بنابه فلم يرج لغيظه كظم ، حتى نال منه أجل مشتها ، ورام أن ينتهى عنه فما انتها ، وستقف أثناء كلامه على ذلك صريحاً ، وتعلم أن حرفة (38) الأدب تركته في معترك الحرمان طريحاً ، وهو الآن أسماه الله متول كتابة بعض الأجناد ، راو أحاديث ابن منيع عالية الاسناد ، وحين ورد أمير المؤمنين نصره الله الحضرة الفاسية تحققت أن خموله يعود بفضل الله ظهورا ، لأنه نصره الله كفؤ لبنات أفكاره فلعله يغلى لهن صدقات ومهوراً ، ومثله نصره الله بارتفاع شأنه جدير ، نسأله سبحانه أن يطيل نصره فهو على ذلك قدير .

لقيت هذا الفاضل حفظه الله بفاس ، وأولاني من بساتين ايناسه زهر صفاء عاطر الأنفاس ، وسلاني عن الأهل والوطن والاخوان ، وشربت من عقار براعته فها أنا من ذلك نشوان ، وها أنا أذكر جملة من نظمه ونثره ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها ولى عهد أمير المومنين مولانا أبا عبد الله المأمون نصرهم الله وهي :

38) بضم الحاء : الحرمان وسوء الحظ ، وحرفة الأدب معروفة واردة فى أشعار الكثير من الشعراء البؤساء .

هلال الأفــق أم ظبى الفـــــــــلاة　　أعلق قـــد سطـا بالمرهفـــــات ؟

نعم من قد سبـا الأرواح حسنـــــاً　　وفاق البدر فى كل الصفـــــات

أزاح قـنـاعـه عـن وجـه ظـبـــى　　فأوضح وجنة سلبت حيــاتـــى

فما للبدر ما فى الوجـــه منـــــه　　وما للظبـــى قـد كالقنــــــاة

ولا ردف يميــــل اذا تثنــــــا　　يميل الصب ما بين الوشـــــاة

رنا فأصاب سهـم اللحظ قلبـــــى　　فـويـحـى من سهـام مـصمـيـات

حكت سيف الامير بيوم حـــــرب　　هو المأمون فوق الصافنــــات

امام سيبه عـــم البرايـــــــــا　　ودوخ ملكه الست الجهــــــات

له يـوم الطعـــان لواء نصــــر　　يؤيده بثـــارا صالحــــــات

ويـوم السلم للأمـوال أضحـــــا　　يبددهـا باعطـاء الصــــــلات

فكم من معـدم أغنـا وكـم مـــن　　طغـاة أعدمـوا سبـل النجـــاة

ومنــهـــا :

لك البشرى بعيدك عيد أضحــــى　　لبست له ثيـاب المكرمـــــات

وبشرى بالأمان مـن الليــــالى　　وبشرى بالسعـــادة والنجـــاة

ودم لا زلـت فـى ملك مـنـيـــع　　ولا زال الزمـــان لكـــم مــــوات

ولا زلتم بدوراً فى بــــــــروج　　ولا زال الأعـــادى فى شتـــات

ولا زلتـــم يقـــام الملـك منكـــم　　الى يـوم القيـــامة فى ثبـــات

مـدا ما عوينت فى الأفق شـهـــب　　وما نودى بحـــى على الصـــلاة

وله أيضاً أسماه الله يهنىء ولى العهد مولانا المأمون المذكـور أيـده الله ، بهزيمته لابن عمه الناصر ابن أمير المومنين الغـالب بالله مـولانا عبـد الله رضى الله عنهـم :

بشــرى فقد رفعت للنصــر رايــات ... وأعلنت بـدوام العــز آيـــــات

وأصبح الملك محفوظا جوانبـــــه ... محروسة منه أرجـــاء وساحـــات

مستقبل السعد في ورد وفي صــدر ... معجل الظفر تحميـــه السعـــادات

يـا حـبذا أوبـة المأمون مـغتبطـاً ... بالنصر تخفـــق عن يمنـــاه رايات

من بعد ما عاين الأقوام منــــه لــدا ... يـوم الطعــان هــزبراً لــه وثبـات

علا الأعادى بجيش لا يفـــز ولا ... يهتـز ان وقعت للخيــل كــرات

كأنهم والأعـــادى لا ثيـــاب لهـــم ... أسد وبهـــم لها فيهـــن فتكـــات

ومنـهـــا :

وهاكها من بنات الفكـر قـد جليـت ... عــلى منصة حسن منـــه أبيـــات

جاءتك تختال فى حلى وفى حلـــل ... عذراء تزرى لها بالحـــور وجنـــات

تقبل الأرض اجـــلالا وتكرمــــة ... ما قبلت ركب منكـم وراحـــات

ترجو القبول ليمن من رضاك بهــــا ... ان الــقـبول من المأمــون نعـمــات

دامت علاكم ودام السعـــد يخدمكم ... ما هز غصن النقا فى الروض نسمات

وما تجلا صباح النصر عــن ظلـــم ... وما تبدت بوجه اليمـــن غـــرات

قلت : ولما أبت من حضرة الامامة مراكش حاطها الله مقضى الغرض من أمير المومنين أيده الله الى محروسة فاس من سنة عشر وألف فى ربيع الآخر ، وكتب لى أمير المومنين نصره الله الى ولى عهده يؤكد عليه الوصاة فى شأنى ، كتب صاحبنا الكاتب المذكور الى ولى العهد مولانا المامون أمنه الله فى ذلك ما نصه :

ملك الملوك السامى المقـــــدار ... طود العـــلا ومشيد كـــل فخـــار

مولى الندا علم الهدا الشيخ الرضـــا ... سبط النبى المصطفـــا المختـــار

حامى حما الاسلام ان طرق الـــردا ... بسنـــانه وحســامه البتـــار

لله ملكك البسيطـة وفـــق مــا ... نطقت بذلك ألســن الأجفــــار

ردعاك داعى النصـــر مسروراً وقــد ... حنت لذكرك سائـر الأقـطـــار

تـرجـو لقاءك مـصـرها وعـراقهـا ... وحجازهـــا والشـام دون تمـــار

وبنصركـم قـد أفصحت أدباؤهـــا ... من سوس الأقصـا الـى الأنبـــار

أمـا تلمسان فقـد كلفت بكــــم ... كلف الجذيب المحـــل بالأمطـــار

وافى اليك فقيهـا وأديبهــــــا ... ونبيهـــا المعدود فى الأخيــــار

الـمـقـرى عـلى مـقـامك وافــدا ... ومـؤمــلا مـا عـز من أوطـــار

ومقبلا هـــذا البساط وصادحـــاً ... بعلاك فى الاسرار والاجهـــــــار

لينال من جدواك كــــل غنيمـــة ... فى حالى الايـــراد والاصـــــدار

واليكها يـا ابـن الرسول خـريـدة ... عذراء ترفـــل فى ازار وقــــار

جاءت تقبل من يمينك راحـــــة ... وتكر آيبة بفضل يســــــار

وافى بها الوجدى عبدكـــم وقـــد ... فلت حجـــاه صـــوارم الاقتـــار

فاهنأ ودم للدين والدنيـــا فقـــد ... أمنت ذارك طـوارق الأقـــــدار

ما غنت الورقـــاء من طـرب بهـــا ... وترنمت بخمائـل الأزهـــــار

وقال أسماه الله متغزلا أنشدنيها لنفسه وكتبها لى بخطه أيضا :

يا قلب عشقك للحسان من الصــور ... يتلو عليك النازعـات من الســـور

ان رمت نظم الحسن بعد وشرحـــه ... فخذ البيان له بقـــول معتبــــر

ان الرشاقة واللطافـة والصبـــا ... حة والملاحة والحلاوة والحـــور

فى حلة ذهبية فضيـــــــة ... مـوشـيـة بنفيس أفـراد الـــدرر

صيغت لمن أهـوا وألبس سندســا ... منها وديباجـا عليه قد ظهــــر

متأودا فيهـــا بردف مـــــردف ... متبختــرا يمشى بخصـر مختصــر

لبيـاض وجهه واللجـــين تنـافس ... ولوجهه اللآلاء فضـــل بالخفـــر

فاذا بدا واذا شــدا واذا رنـــا ... خلت الغــزال أو الهــزار أو القمر

واذا نظرت لوجهه ولعينـــه ... قلت الجمال من الخدود قــد انفجر

عينى وأذنى فى النعيم بنظــرة ... وبلفظه منه ، وقلبــى فى سقــر

هل عطفة أو زورة أو وقفــة ... أو لفظة تقضى بادراك الـوطــر ؟

ان لم يكن من ذى الثلاثـة واحـد ... فاسمح فديتك يا حياتى بالنصــر

بينى وبينك يا غــزال قــرابـة ... بالحب فاحفظهــا وصل ألف السهر

يا منيتى يا بغيتى يا نخبتــى ... يا فرحتى ان نيــل منك المنتظــر

أنت الطبيب لعلتى وعــلاجهــا ... بالورد أو ماء اللســان اذا قطــر

جسمى كجسم الناقهــين من النـدا ... والنفــع منك اذا تشاء أو الــضرر

ماذا يضرك ان مننت بعطفــة ... تشفى الضنــا وتــزيـل أوهام الفكر

سـلطــان حسنك بــالصبابـة آمـر ... وأنا المطيــع اذا نهــا واذا أمــر

نفسى ونفس العــاملـين فـداك يــا ... قوت القلـوب وروح أرواح البشــر

لا تنكـرن ولهــى وفـرط تحيــرى ... فجمــالك الزاهى للبى قــد بــهــر

هلا قبلت تشعى وتضــرعــى ... وأمرت طيفك بالــمــقــام اذا خــطر

كن كيف شئت فاننى لك طــائــع ... راض بحكمك صابر مــع من صــبــر

لا تلفيــن قلبى لغيــرك مــائــلا ... سيان عندى من لحــا أو مــن عــذر

وقال يتغزل أيضاً وأنشدنيها لنفسه أبقاه الله :

سل الليل عنى فهو ليس بغــافــل ... يخبرك من أنباء حالــى بطــائــل

وقل لأخيك البدر ينبيك بــالــدى ... أشــاهده من لوعتى وبــلابـلــى

وسل طــاب هل طاب الكرا لى بعـدما ... نـأيت وسل عنى سمير البــلابــل

يخيــل لى والقلب خامره الـهـــوا ... بــأنى لقيت النفث مــن سـحــر بابل

عدمت جفونــى ان نظرت ســواكــم ... جميلا وسحت بالـدمـوع الهـوامـل

وتبت يدى ان صافحت غير كـفـكم   خضيبا ونـال الخدش منها أنـامـل

ولا جـال فكرى فى سواكم ولا سعت   الى غيركم رجلاى سعى مـواصـل

ولا سمعت أذنـاى غير حـديثكـم   ولو كـان من انشاء سحبان وائـل

ولـم يـثـنـنـى عـن بابكم لـزيارة   قصور ولا عجز ولا نيل نـائـل

سـوى اننى خفت الأقـارب أن يـروا   زيـارتنا تنبى بفعـل الأسـافـل

ومنـهـا :

ولست أبـالى بالعشيرة ان وشـوا   وان أوغروا صـدراً على بـبـاطـل

اذا كان مابينى وبينك طيبـاً   فما ذا الـذى يجدى كـلام العـواذل

ومنـهـا :

سأوليك من أبكار مـدحى خريـدة   وأثنى عليك فى صدور المحـافـل

وأصفيـك مـادامت حيـاتى مـودة   وان مت تلفـى بيـن صـدرى وكافلى

وقال أبقاه الله فى ذلك أيضاً من قصيدة :

يامن يسـائـل عن ذاتى وعن عرضـى   فى حالة الحب قاصيهـا ودانيهـا

جسمى بفاس رهين فى معـاهـدهـا   وليس ينفك عن بلوى يـعانيهـا

ولـى بمكناسة روح مـودعـة   من دون جسـم يكـاد الحب يفنيـهـا

ومنـهـا :

ولـى بثغـر سـلا لب فلو يئسـت   منه النفـوس لكـان اليأس يضنيهـا

ولـى بمراكش شـوق أكـابـده   لو يسعد الـدهـر فى رؤيا مغـانيهـا

ولـى ارتياح الى القصر الكبير فقـد   نالت به النفس بعضاً من أمانيهـا

ولـى بتطـاون دار الصبـا طـرب   لموعد قد غوانى من غـوانـيـهـا

وأنشدني لنفسه من مقطعاته كثيراً ، فمن ذلك قوله :

بي جؤذر قد برا فؤادي ... حتى غدا بالهوا جذاذا

اذا شكوت اليه ما بي ... يقول ان مت كان ماذا

يا غاية الأمن والتمني ... رفقا بمن بحماك لاذا

وله مما كتب بالذهب في نوع من الحلي يجعله النساء عي رؤوسهن يقال له السلتة :

لي فضل على الثياب لأني ... حزت من دونها بحسني الرؤسا

وحللت الجباه يوم اجتلاء ... وحكيت بمذهبي الشموسا

وأنا مثل لابستني جمالا ... حين تبرز بي تسر النفوسا

وأنشدني لنفسه من قصيدة خاطب بها مولانا المأمون أمنه الله تعالى يستعين به ويستمنحه حين تزوج :

ملك الملوك ومولى النعم التي ... جلت فأجلت ظلمة الاقتار

أنت الامام المرتضا الشيخ الرضا ... وابن الرسول المصطفا المختار

ومنها :

امنح عبيدك من نداك معونة ... في نقد مهر عقيلة الأبكار

لا زلت منصور اللواء مظفراً ... ماضي العزائم سامق المقدار

وأنشدني أيضاً لنفسه يصف روض الطريفي (39) أحد متنزهات فاس :

آهاً لروض طالما غنت به ... قينات أنس تحت ظل غصون

فغدا هشيماً بان عنه زهوه ... وذوت غصون اليم والليمون

---

39) ما زال هذا الروض معروفا بفاس ، ويسميه أهلها منزه الطرايفي ويضربون به المثل في الفخامة والرفعة ، وهو منسوب لبانيه الحاجب الوزير عبد الله الطريفي ، حاجب السلطان عثمان بن أحمد بن أبي سالم المريني .

وأنشدني أيضاً لنفسه مما كتب في مدفع أمره بذلك ولي العهد المأمون مولا'ا الشيخ ابن أمير المومنين مولانا المنصور أيد الله أمرهم :

بديع شكلي وفعلي في الوغا رفعـــا قدري على البيض والأقـواس والأسل
ولأعادي الامام الشيــخ صغت فــلا أنفك أرميهم بالحتـــف من عجـــل

ولـه في ذلك أيضـاً :

انـي لحتف عـــدو لا يـقـيـه نـورا مني وللملك الشيـــخ الرضـا واق
وقد فخرت على كل الســــلاح بـه وما لمن كلمتـه ضربتـــــي راق

وله في ذلك :

وأنا التي فقت الســـلاح بأسرهـــا تصمي عـدا الشيخ الامـام مضـاربي
مهما ربوت الى الكمـــاة بسطوتـــي يلقـــــون مني الموت ضربة لازب

وفي مثله الا أنها مدفع الزناد :

انـا المصـــوغ لحتـــــــف مـهـمـا قـدحـت زنــــادي
من راحـــة الشيــخ مولــي الـــ ــملوك أصمي الأعــــــــادي

وأنشدني أيضاً لنفسه مما كتب في الخباء الماهوني المعروف ببيت الجماعة :

أنـا القبة الحسنـا التي راق منظري وكم في من حسن بديع واحســـان
فحيطـان من وشي الحـرير تـلألأت وقد حاز بحر الجود والحلم جثمـان
امام الهدا الشيخ الرضا قامع العـدا به حسنت حالي وعظم لي شـــان

وله أيضاً حفظه الله يخـاطب الفـقيه النـحوي أبا الحســن علي بن الـزبير السجلماسي رعاه الله :

اقدم أبا حسن تشاهد مجلسـا يغنى عن المصباح وشى طرازه
تلفى الصدور على البدور مطلة وتشاهد الأعجاز فى أعجازه

وقال أيضاً وقد أمر ولى عهد المسلمين بانشاء ما يكتب فى قبة اسطبل الخيول الصافنات ، وكلف أن يقول انها تقابل قبة النصر وقبة الريح ، وأن خيلها بين الرياحين :

أنا التى لسرور النفس مبدعة ومنظرى لجياد حول ريحان
لقبة الريح والأفراح ناظرة تاج الملوك الامام الشيخ أنشانى

وقال حفظه الله متشوقاً الى الحضرة الفاسية حين فارقها مضطرا :

بعاد وبين كل ذاك يهون فهل عودة بعد النوا وسكون
وهل أطأن جسر الرصيف وهل أنا بمخفية بعد الظعان قطون
وهل أردن ماء المعادى على الظما وهل يبدون لى سهلها وحزون
وهل لى الى تلك المنازه نزهة وهل تستلذ النوم فيها جفون
وهل لى على وادى الجواهر جلسة تسلى فؤاداً أثخنته شجون
بلادى التى أصبو مقيماً وظاعناً اليها ، وقلبى منذ نشأت حنين

وله أبقاه الله مما كتب على منزهه المرتفع المطل على وادى الزيتون كتب . . . . . . زوردى :

اننى مجلس أنس وسرور وانشراح
فاغتنم عندى غبوقا واصطباحاً فى الصباح
للصبا منى محل فى غدو ورواح
طالب العفو بنانى من رحيم ذى سماح

وقال أبقاه الله يخاطب من خامر لبه لما سأله السلو عنه :

ولما أبيتم أن تجودوا بوصلكـــــم   وطوقتمونـــا من هـــواكم سلاسـلا
ركبنا متون الصبـــر نفـلى فلا النوا   الى أن بلغنا للسلـــو منــــــازلا

ولـــه أيضاً :

قالوا يحبك من تحب فهمت حبــــ   ـى فهمت ذاك ومست كالنشـــــوان
ورجوت أن تكون عنــــدى ألفــــة   مثل القلوب بناعـــم الأبـــــدان

وله يتغزل فى ابن مالك :

تمنيت تقبيلا بمذهب مـــالــــك   رجاء لأن أحظى بمذهب مـالـــــك
وما كل عطف يشتفى بــه مغــــرم   ولكن شفاء الوجد عطف ابن مالـــك

وقال أيضاً أبقاه لله وقد ساير الأديب السائح رحمه الله :

وذى خد أسيـــل لم يـــــــراع   ذمام الحب فى الصب القتيــــــل

فقال الســائــح :

له لحظ من الهندى أمضـــــــــا   وردف قـــد تعلـــق من نحيـــــل

فقال الوجدى أبقاه الله :

ولى قلب يذوب أسىً وشوقـــــــاً   وجسمى من جفـاه فى نحـــــول

فقال الســائــح :

فليت الدهـــر أتحفنا بجمــــــع   ولقـــانا على رغـــم العــــــذول

وكتب له الحافظ المؤرخ الأديب محمد بن يعقوب رحمه الله مسلياً عن نكبته :

تألم هذا القلب من ألم الوجـــــد   ولا غرو فى وجد أتانا عن الوجـــدى
فتى العلم والآداب والخط والحجـــا   ونظم القريض والسيادة والمجـــــد

فأجابه أبقاه الله أعنى صاحب الترجمة بقوله :

لئن تألمت من وجدى ومن كمدى — وما تقاسيه من حر النوا كبدى
فالله يجزيك عنى كل مكرومة — تسمو بها بدوام لا الى أمد

وقال أيضاً أبقاه الله فى أكليل الملك المشهور بمجيد ش :

يا حسن نور مكيدش لما غدا — يحكى لنا تاج النضار المنسبك
وغدا يسير تبختراً فى قضبه — وبوشيه يسبى اللبيب المنتسك
لا تعجبوا من حسنه فهو الذى — يدعا من الافضال اكليل الملك

وقال حفظه الله يتغزل والتزم التجنيس :

حاكاك بدر الدجا لم يدر منحاكا — شتان ما بين محكى ومن حاكا
ألقاك حسنك يا مولاى فى كبدى — واخجلتى واصفرارى حين ألقاكا
معناك يعجز عنه الواصفون فهل — أقضى لبانات قلب عند مغناكا
أغناك ربك عن خصر فأنحله — سبحانه بثقيل الردف أعناكا
ما شاك لحظى الى أن غبت فى كبدى — وقدك السمهرى للقلب ما شاكا
سواك ربى من نور ومن درر — من ذا الذى فى بديع الحسن ساواكا
أقصاك حسنك عن ادراك ذى مقه — والقلب قاسى فما اقسا وأقصاك
من جاك مختلسا ورد الخدود فقل — هيهات أين من الألحاظ منجاكا ؟

ومما كتب به الى وأنا اذ ذاك بمحضر الامامة حاطها الله صدر رسالة عام تيسعة وألف :

أمولاى ياذا الجود والفضل والمجد — يناجيك قلب مستهام من الوجد
ويهدى على شط المزار تحية — اليك تبارى المسك والعنبر الوردى

وقال وقد سأله أحد المسمعين بين يدى مولانا أمير المومنين المنصور أيده الله أن يخترع له ما يليق بالمقام السلطانى فى غرض الهناء :

السعد أقبل والأيام دانية — واليمن أسفر عن وضاحه الحسن
فالآن أنشد اذ طاب المقام لكم — هنئت بالملك والأحباب والوطن

وقال أيضاً على لسان المسمع المذكور وأخبرت أن أمير المؤمنين أيده الله استحسنه :

اذا يمم الحادى بديعك أوحدا — غدوت على حكم الهوا فيك أوحدا
وان غردت فى دوحها الورق بالحما — حكيت بسجعى فى مديحك معبدا

وقال رعاه الله فى غرض التضمين :

ولما جفوتم وازوررتم وبنتم — وقد قطعت باليأس تلك المطامع
ظللت وكفى فى كلوم يد النوا — على كبدى واللب عنى شاسع
وبت كأنى ساورتنى ضئيلة — من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وقال مضمناً أيضاً :

وصفراء كالشمس المنيرة نورها — لها فى خدود الشاربين مطالع
اذا لمعت بالكأس قال مديرها — أبدر بدا من جانب الغور لامع (40)

وقال فى لابس أصفر :

لبس الصفرة كى يزهو بها — شاذن من جنة الخلد نفر
خلته من حسنة لما بدا — هالة العسجد وسطها قمر

40) صدر بيت لابن الفارض ، وعجزه : أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع .

وقال أبقاه الله فى غرض التورية بكتب مشهورة :

أمولاى رفقا بصادى الفؤاد ... فها أنا ذا من صفاء وداد
وهبتك طوعاً كتاب المكودى ... عساك تقابلنى بالمرادى
والا فجد بشفاء الغليل ... فتوضيح سقمى عندك باد

وقال أبقاه الله :

وقائلة لما رأتنى نائماً ... كذبت ولا والله ما أنت تعشق
فقلت لها ما نمت الا لأننى ... رجوت خيالا منك فى النوم يطرق

وقال فى غرض التضمين :

يقول مودعى لما رآنى ... كئيب القلب من فقد الديار
ونار الشوق تضرم فى فؤادى ... ودمع العين فوق الخد جار
(تمتع من شميم عرار فاس ... وهل بعد العشية من عرار (41)

وقال أبقاه الله يمدح تأليف شيخنا الامام شهاب الدين بن القاضى أبقاه الله المسمى بـ **(جذوة الاقتباس ، فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس)** :

ان التآليف لا تحصا لكثرتها ... فى جملة العلم منظوم ومنثور
وما رأت مقلتى فى كل ما لحظت ... كـ (جذوة) قد أنارت كل ديجور
أتا الشهاب بها تولى مطالعها ... علماً بما قد مضا من كل مشهور
لأحمد بمراقى العلم مرتبة ... علياء يقصر عنها كل نحرير
آنست من جانب المنصور كل منا ... بها وبـ (المنتقى (42) فى زى مسرور

41) أصل البيت :

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

42) **المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة ابى العباس احمد المنصور** تاليف أبى العباس احمد بن القاضى ، توجد منه نسخ بالخزانة الملكية بالرباط والخزانة الزيدانية بمكناس ، والخزانة العامة بالرباط

لك البشـارة واهنأ بالقبول فـقـد قبست ما شئت من علم ومـن نـور

جوزيت خيراً ولقـاك الالـه غـداً منا النفوس من الولدان والـحـور

وأنشدني لنفسه أبقاه الله :

بالله يا ريح الصبا هبـى عـلـى من بالحشـاشة خيموا وأقـامـوا

وعلى (زقاق البغل43) ان تسرى ضحاً قولى عليك من المشوق سـلام

وتذاكرنا يوما ما قيل في وصف النخل ، وجلبنا بعض ما قيل فـي ذلك ، فأنشأ صاحب الترجمة ثلاث قطع كلها فى غاية الجودة .

الأولـى :

انظر الى شجرات النخل كيف بـدت بين الـريـاض بأغصان وقـامـات

كـأنهن مـماليك وقـد حـملـت للدب عن ملـك خضـر المـدبـات

الـثـانـيـة :

كـأنـمـا الروض مليك الـربـا من حسـنـه استولـى على جـنسه

فاستخدم النخـل عبيداً لـه يـقـفـن للدب عـلـى رأسـه

الـثـالـثـة :

انظـر الـى النـخـل وقـامـاتـه تميلها الأرواح بيـن الغـروس

تحكى بنـات الزنج فى محـفـل قامت لتأديب عـراة الـرؤس

وأنشدنـى لنفسـه يخاطب الفـاضل المـاجد أبا الحسن عـلى الحسنـى بمجلس أنس :

ان شئت أن تلـقـا محيـا جميـل وقهـوة كالشمس عـنـد الأصـيـل

فاقدم على خلك فى سـرعـة يابغية النفس ونعم الخليـل

43) حى شهير بفاس ، عدوة القرويين .

وقال مضمناً :

ولـمـــا رآنى من كلفت بحبـــــه ... وقد وعد الحـادى بترحالنـــا غـدا
أتانى يـقـول لم طلبت فـراقـنـــا ... ولـم صـار شمل الوصـل منا مبددا
فقلت مجيبـاً كى تطول اقامــتــى ... وصححت قولى بالـذى فيه أنشـــدا
(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربـوا ... وتسكب عيناى الدموع لتجمـــدا)

وقال أيضا أبقاه الله مجيباً عن سؤال كتب له به الفقيه الأجـل الـمدرس الخطيب ، صاحبنا أبو زيد عبد الرحمان بن ابراهيم المشتراءى حفظه الله أوله :

أسـائـل فـاضـلا حبراً نجيبـــا ... ليعـرب عن ضمـائـر ما بـفـهـم

وسياتى تمامه فى ترجمته ، فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

فدتك النفس مولـــود أتـاكـــم ... وتلـك الشـــاة فاعلـم ثـدى أم
وذاك الخل ضـاهـــا وجـه حــب ... وحسن سنـائـه يحكى بـوهـــم
والاثنــان اللذان قـد استـطـــالا ... نـهـــار كان فيه ألـف يـــوم
وليل مثل عـرض الأرض طـــولا ... على أنـى حرمت فـيـه نـومـى
فـدونك سيدى حـــل الأحـاجـى ... وعش مـا دام قطر المزن يـهـمـى

وكتب الى وأنا بتلمسان المحروسة قبل أن أعمل الرحلة الى حضرة الامـامة حاطها الله بهذا اللغز فى اسم برنية (44) :

اسـم الـتـى تيمنـى حـبـهـــا ... تصحيفــه تـربيـة للـهـــوا
فبعضـهـــا وصف امرىء صـالـــح ... لـــوالـديـه طـائـع مـا غـــوا
وبعضها الآخـر من فـعـلـهـــا ... لكن بتصحيف يـزيد الـجـــوا

فوقع الجواب منى بما نصه :

44) الباذنجان ، وبهما تعرف فى الأندلس والمغرب ، ويقال انها منسوبة الى بوران احد مماليك بنى أمية بالاندلس ، اذ كان هو الذى جلبها من فارس واعتنا بغراستها هناك .

يا كاتباً على الكمـــال احتـــوا ... وبارعـــاً من البيـــان ارتـــوا
لـغـزكـم تصحيفه ان بـــــدا ... يـــزينه بـشـر عـليه انطـــوى
فـالبعض وصف لمسيـح الـهـــوا ... والـبعض مثل مصـدر من نـــوا
تصحيفـه تيه فعـــش آمنـــاً ... وقـــاك ربى كـــل مـا يجتـــوا

وكتب الى أيضا لغزاً فى اسم أحمد :

أسـائـل حبراً حل فى بلدة الـعـلا ... تلمسان دار العلم خير مـديـنـــة
عن اسم بقلبى ما حييت مـعـظـــم ... وان زال منه الصـدر خمد لـوعـتـى
ولكن بتصحيف وان زال ثـالـــث ... فوصف اله العرش تلك عـقـيـدتى
وان زال ثـان من حـروف فـانـه ... يصير دمـاً فى القلب من أجل عشقتى
فبين لـنـا من قـد كلفت بـحـبـه ... ومن حبه فرضى ونفـلى وسنتـــى
فلا زلت فى فن البلاغـــة كعبـــة ... ولا زلت فـى حـل اللغـوز وسيلتـى
وعش سالمـاً ما أنشد القوم منشد : ... نـعـم بالصبـا قلبى صبا لأحبتـى

فصدر الجواب منى بما طال العهد به ، وأوله :

أيا ماجـداً قد حـــاز أشرف خطـــة ... ببلـدة فاس فى سرور وغبطـــــة
أتيت بلغـز كاللآلـى مـنـظـــم ... قصـدت به من حـل فى أرض طيبـة

ولم يحضرنى الآن تمام القطعة التى حصل الجواب بها، ولم أجد الا ما ذكرت .

وقال أبقاه الله ارتجالا :

وهـويته ألـمـاً أغـن مـهـفـهـفـا ... من لطفـه أدميه بـالـوهـــم
متخنثـاً متأوداً فـى مشيـــه ... فـكـأنـه لـحـم بـلا عـظـــم

وأخبرنى أنه أنشده لنفسه النحوى أبو عبد الله محمد بن سيدنا الامام الماهر العلم أبى القاسم الوزير الغسانى أسماه الله مورياً بالعروض قائلا :

خليل لو رآه سيبويه يقطع قال ذا هو الخليل
عجبت له يقطع كل قلب ولا سبب خفيف أو ثقيل

فأجابه حفظه الله بقوله :

لعمر أبيك لا تعجب لخل يقطع انه لغو الخليل
ولا تقل بلا سبب فردف خفيف منه والخضر الثقيل

وأنشدني لنفسه في لابس أزرق :

لبس الزرقة ظبي فغدت حلة الحسن عليه ضافيه
خلته والحسن يعلى قدره بدر تم في سماء صافيه

وكتب اليه أبو عبد الله الوزير المذكور ملغزاً في مسألة (ان الماء) وهي شهيرة عند النحويين بما نصه :

يا من سما قدره للسماء وعقله عن رتبة الذكاء
ما كلمة في صورة الحروف ليست بجر لا ولا تصريف
معمولها بالرفع والخفض وصف تصحيف معناها متيم كلف (45)
جوابكم للغزنا دواء من شبهة طال لك الشفاء

فأجابه أسماه الله بقوله :

يا من علاه قارنت أوج الفلك أما مباني المجد كلها فلك
يا حبذا لغيزك البديع في كل لفظة به بديع
ان التي في صورة الحرف غدت مشبهة لما بحكم أكدت
ليس لما تعمل فيه من عمل لمصحف المعنى كما جاء المثل

(45) يعني صب ، لأن أن الماء من قولك أننت الماء في الحوض اذا صببته ، فاعلمه ، قاله مؤلفه سامحه الله .

والقلب من مصحف وصف حجـر | اذا أسيل منه جاء ونـدر
كالقلب من ظبي بترخيم غدا | يفعل فينا لحظه فعل المدا
ولفظهـا شيخ النحاة ذكـره | الأزهـري في نائب خـذ خبره
وعند ما قـال ابن مالك كتب | ومـا لبـاع يرى لنحو صب
معمولهـا بغير رفع ما وصف | في اللفظ والخط بهذا قد عرف
وطبعه الخفض وقد وصف به | معنا وهذا الفيلسوف قال به
لكن ذا بحسب الهـواء | والأرض من تحت بلا امتـراء
فانظر اذا ما مانع من الغرق | واشكر الاه عزة رب الفلق
هذا جواب اللغز يا نبيل | قد جاء وهو قاطع دليل
فخذه سيدي ولا تعترض | واقبله باسمه وكن عنه رضي
وان رأيت فيه ما يشينه | فاجبره من لفظك ما يزينه
وابق بقاء الدهر في عيش رغد | طول المدا واليوم والأمس وغد
وباللغوز دائمـاً تحاجي | ما طلع النجم بليل داج

وكتب اليه الفقيه النحوي أبو الحسن علي بن الزبير السجلماسي سدده الله لغزاً سيأتي في ترجمته ان شاء الله أوله : أحاجي خبيراً باللغوز وحلها الخ في بفر فأجابه صاحب الترجمة بما نصه :

أمسك تضوع أم عنبر | ودر تنظم أم جوهر ؟
أم السحر لكن حلال بدا | وما كل حبر به يشعر
بلى ذاك نظم بديع أتى | به العالم العلم الأشهر
أبو الحسن المرتضا المجتبا | يحاجي ومن بحره يعبر
ويلغز في اسم اذا صحفوه | يقر له الذرب الأكبر
وفي قلبه رفث بين | اذا صحفوه لمن ينظر

وان زال آخره فاسم ما بعضه طيب الكرا ينفر
فهذا جواب امرىء عاجز يعاني من الشعر ما يعسر
فلاحظ بعين الرضا هجنه فعذرى باد لمن يعذر
ودم في سرور ونيل منا وأعطاك ربك ما تشكر
وخل أخاك لحمل الهموم ونيل الغموم بها يسهر
وزرق النبال وسمر العوال وبيض النصال لها يصبر
حبيب جفاه وقلب عصاه وعشق براه به يقبر
صنعت القريض فلا مانح ولا فاضل جوده ممطر
وقلت النسيب فلا عاطف ولا واصل بعدما يهجر
لى الله من عاشق مبعد حنين الفؤاد متى ينصر

وقال أسماه الله مضمناً بيت الشريف العقيلى رحمه الله :

يا والى الحب اجتهد فى حجتى فالقلب من دين الصبابة فى عنا
خلص بجاه الحب قلب متيم غمز الصدود عليه أعوان الضنا

وقال حفظه الله وقد أمر له ولى عهد أمير المومنين نصرهم الله بصلة عند قائدين من قواده أحدهما اسمه الناصر والآخر منصور :

يا من لعزة ملكه خضع الأكاسر والقياصر
ضاعت معونة عبدكم ما بين منصور وناصر !

وقال مجيباً شيخنا وشيخه العلامة شهاب الدين ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى أسماه الله عن لغز فى اسم زينب سياتى فى ترجمته :

لغزت يا من قدره بطلعة الشمس اقترن
فى غادة مسحرة فنصفها ردف حسن

ونصفها أمر امرىء | لمن ينوب فى المحن
فدونك الغز الذى | به اللبيب يمتحن
واقبله بالعذر ولا | تعتب على الذى وهن

وقال الامام ابن القاضى المذكور حفظه الله هذا البيت الفرد :

فالعلوم به اضمحلت فأضحت | يعتريها من العفا خفقان

فذيله صاحب الترجمة المذكور بقوله :

لهف نفسى على التفاسير أضحا | بالفهوم (كشاف) ها يستهان
واكتسا (الفخر) فيه ثوب خمول | (والجواهر) ما لهن حسان
(والصحيحان) انهكا باعتلال | فقد فهم من عالم له شان
و (خليل) لم يلف فى الفهم خلا | يرتضيه توضيحه مستبان
و (البيان) سعوده فى نحوس | والكلام أودى به الحد ثان
وقضايا المنطق أضحت عرايا | عن نتائج يقتضيها العيان
والعروض أسبابه قد تقوت | والقوافى بالاكتفاء تزان
والقريض ينشد وعظاً وردعا | للجهول كما تدين تدان
كان للدين والعلوم فحول | حشو فاس بانا معاً منذ بانوا
حق للعين أن تجود بدمع | بل دماء وأن يذوب الجنان

ونظم الكاتب الوجدى المذكور أكثر من هذا كله ولنقتصر على هذا القدر منه ففيه اقناع ،

وأما موشحاته فكثيرة منها قوله :

ياقد غصن البان | رفقاً على المشتاق
قد ضرنى الهجران | والقلب فى احراق

* * * *

قد طال يا سفاك ... في حبكم سهدى
لكنه اذ ذاك ... أحلا من الشهد
بلحظك الفتاك ... أقصر عن البعد

* * * *

يا ساحر الأذهان ... الوصل لي درياق
عني الكرا قد بان ... وهاجت الأشواق

* * * *

عذبت ما ارتاح ... بشاذن أحور
ريقته كالراح ... وعرفه عنبر
كأنه ياصاح ... عن لؤلؤ يفتر

* * * *

ظبي له أجفان ... بها الورا قد شاق
ووجهه الفتان ... قد أدهش العشاق

* * * *

فلي به اعجاب ... يزداد بالتخمين
وما بي من أوصاب ... يشيره التحسين
ياعابد الوهاب ... جد لي بالتلقين

* * * *

فان حيني حان ... وليس لي من واق
قتلتني طغيان ... بصارم الأحداق

* * * *

لازمـنـي السـقـم ... وبـرؤه مشـكـوك
فـالـدمـع والـجـسـم ... منـسـرح منـهـوك
فـصـل ولا اثـم ... فـي قـتـلـة الـمـمـلـوك

* * * *

يـا قـد غـصـن الـبـان ... رفـقـاً عـلى الـمـشـتـاق
قـد ضرنـي الهجـران ... والـقـلـب فـي احـراق

* * * *

الى غير ذلك من كلامه الحر ، وموشحاته التى خجل منها ابن زهر .

وأما نثره فغاية فى بابه ، وقد ألبسه البيان من جلبابه ، فمن ذلك ما كتب به الى قبل هذه الأيام ، وصدره بنظم ، ونص كتابه المذكور ،

بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

تحية اخوان معطرة النشر ... تخص الامام الأوحد السامي القدر
ويغشا الجناب المقرى عبيرها ... وتوليه منا أطيب الحمد والشكر
اليك أبا العباس سقنا مطيها ... على خطر تفلى فلا المهمه الفقر
نبت على ذرا فاس لشوق ويممت ... تلمسان تنحو جانب المجد والفخر
بعثنا بها عن وحشة ومودة ... تجدد عهداً أخلقته يد الدهر
وتلثم عنا كف كل منوه ... فقيه نبيل فاضل ماجد بر
خصوصاً أبا عثمان عمكم الرضا ... امام الهدا ركن التقا واحد العصر
فان وردت تلك المنازل فاذكرن ... بها ما مضا من حسن أيامنا الغر
ولا تنس عهداً بان واذكر اخاءنا ... فحفظ الاخا والعهد من شيم الحر
فانا وان شط التزاور بيننا ... لملتزمو العهد القديم الذى تدرى

فلله عيش قد مضا باجتـــماعكـــم قصـــيـــراً وعذباً مثل اغفاءة الفــجــر
وأوقات أنس ذكرتنــا وريطكــم (46) بطيب مقيل فى بساتينــه الــخــضــر
ومنا السلام العــاطــر العرف كــلــنـا عن كلكم ، من غير عــد ولا حــصــر

الأصالة التى ألتحق بأصلها فرعاً ، وأثنى على فضلها طبعاً وشرعاً ، والمكانة الــتى رقت الأفلاك ، وامتطت سنام الفرقد والسماك ، واستخدمت عطارد فاستفــاد مــن علومها ، وما منعت المشترى من أعــلاق فهومها ، مكانة سيدنا وأخينا وحبيبنــا الذى من تلقائه كل بر يوافينا ، العلم السامى الجلال ، الحافظ أصــالته وعراقــة مجادته بكريم الفعال ، وحميد الخصال ، الأنوه الذى كرم فرعاً وأصــلا ، وشرف جنساً وفصلا ، الفقيه العالم الأبرع ، والناسك الأنزه الأورع ، والخطيب المجيد المصقع ، الناظم الناثر ، الحافظ المكثر الماهر ، اللوذعى العبقرى ، سيدنا أحمد بن محمد المقرى، أبقاها الله ملجأً للعشى والنوابغ، والحكم البوالغ، والنعم السوابغ، ولا زال جنابكم السيادى بالتعظيم يعتمد ، وفسحة سعدكم ليس لها حد ولا أمــد ، سلام كريم ، طيب واكف بالتعظيم ، صيب كما تأرج الروض غب سمائه ، وناه سام الصبح على حام الليل بضيائه ، عن صافى محبة وخلة ، وشفوف فؤاد أنهــل الفؤاد وأعله ، ووحشه حندسها داجى ، وتذكر كل حين لكم يناجى ، وسؤال عــن تلك الاحوال ، المرضية بعون الله فى الحل والترحال ، وبعد ، فقد وافانا كتابكــم الذى أروا صادياً ، وصار فى نهج الوفاء رائحاً غادياً ، مسفراً عن وجه خلته ، باسماً عن عارضى الوداد وثنيته ، ضارباً فى فن البلاغة بنصيب ، فائزاً من أقلام البراعــة بالمعلا والرقيب ، فحبذا طعام اشتركناه ، ومتات توسدت خدودنا أبردى أرطاه ، ووفاء حكا وفاء السموأل ، وأنجد لما خان الدهر وخذل ، الا أنه كان كليلة الوصل ما عابه الا القصر ، فوددنا أن لو أمده بسواد منا القلب والبــصر ، بــخس قــدره

46) الوريط متنزه واقع على بعد 7 كلم الى الشرق من تلمسان به كهوف وغدران وشلالات تنصب الى نهر الصفصيف من وادى المفروش ، وهو من أجمل متنزهات الشمال الافريقى ، وقد خلده شعراء العرب وغيرهم – قدماء ومحدثين – فى قصائدهم .

الاختصار ، وافتقر الى شرح يقع به على متعاطى معانيه الانتصار ، لكن غبطة النفوس به عظمت ، والأخوة الى حضور مأدبته انتدبت ، قد قرأناه قراءة اعجاب ، وتأملناه تأمل استملاح واستغراب ، وتقصينا فصوله وأبوابه ، وكلفنا به كلف يزيد بحبابه ! نقبله طورا وطورا نجله ، فننزله فوق الرؤوس ونحله :

سررنا به حتى ظننا بأنه　　　أتانا من الرحمان فى يدنا اليمنا

وان تفضلتم بسؤال ، وتشوفتم الى أنباء الأحوال ، فليس الا :

دقائق جل الصبر عنها فلم نطق　　　سوى غض أجفان وعض أباهم

هؤلاء اخوتك الثلاثة ، الذين نادتهم العوامل من باب الندبة والاستغاثة ، قد نضبت عندهم الموارد ، وقل لهم المرافق والمساعد ، فهم أثفيات نار الجوا ، ومطيات سفير النوا ، أما الجريح فقد عضه الدهر الخؤون بنابه ، وسافر كى يجبر رضه بنابه ، فورد من وشل ، واستمك بفشل ، وحين قفوله الى وطنه ، واقترابه من أهاليه وسكنه ، حاربته الفئة المتلصصة ليلا ، وجرت اليه نحسا وويلا ، فأخذ جميع ما كان له مملوكا ، وأصبح فقيرا صعلوكا ، وهانحن نكابد همه ، ونشاطره كمده وغمه ، والله بجبر ما تلف له كفيل ، وهو حسبه ونعمل الوكيل ، وأما العضد فهو فى طلب معاشه ، ومكابدة ألمه وانتعاشه ، يعلو ويرسب ، ويجيىء ويذهب ، ما استضاء ضال بمصباحه ، ولا تطلع معقب الى اصباحه ، مع علمه الذى به فى مضمار المدارسة قد جلا ، ونباهته التى فاز من قدحها بالرقيب والمعلا ، وأما العماد فقد وها ، ونال منه الخمول أجل مشتها ، أنكرته أوطانه ، ولم يشقه حجاره ولا أصبهانه ، ولما لم يجد خاطبا لأبكاره ، من بنات افكاره ، لاذ بخيسه ، على قل بضاعته وفراغ كيسه ، بعد أن شام من مخدومه برقا قد وجده خلبا ، وتراءى له من قبله سحابا جهاما لاصيبا ، وقد أنها الينا ما تلقاكم به أعيان ذلك البلد، من الترحيب والتبجيل الذى لم يعهد ، فمثلكم بالتكبير جدير ، ومثلهم بأثمان الأعلاق بصير ،

وما أشرتم اليه فى خاتمة بديع كتابكم ، وتكملة عائد أنبائكم ، من العارض الذى بكم ألم ، قد أساء والله الجميع وأهم ، فهو المسؤول أن يرفع عامل ذلك الوصب ، ويرد من أجزاء الصحة المقتضب ، وبعض ما ارتكبتم من التلويح، أغنا عن التصريح، ومن غص بالريق ، طوا الكشح على حريق ، وما بالك أفعم الله اناءك ، ووالا بمنه ارتقاءك ، لم تخبر أخوتك بما خولته من جزيل الفائدة ، والنعمة الزائـدة . فقـد أخبرنـا الغير أنكم توليتم استغلال الجنان بالحنايا (47) المحتوى عـلى أشجـار الزيتون الثمين ، وأن غلته فى كل سنة تساوى المئين ، فسررنا بذلك ، واغتبطنا بصلاح أحوالك ، اذ نحن شركاء فى البؤس والانعام ، تألفنا على نسب كريم من رحم الأقلام ، نخبركم حفظكم الله أن الفقيه القاضى المفتى سيدى على بن عمران قدم الى مراكش عن أمر مولانا السلطان المنصور بالله ، أمير المومنين أيد الله عساكرهم ، وأحمد مواردهم ومصادرهم ، ظن الناس أن ذلك لمزية يتملاها ، أو خطـة قضاء يتولاها ، ونخبركم أن صاحبنا وأخانا الأود الأرضا الفقيه البارع ، سيدى عبد الرحمان بن ابراهيم ، قد سافر لبلاد السودان الشاسعة ، يرتاد هنالك معيشة واسعة ، وحين أنكرته هذه البلاد ، خرج مع البازى وعليه سواد ، بعـد أن سلـم عليك ، وكان يسأل عنك ، وكان يريد القدوم الى حضرتكم فلم يجد موافقتنا عـلى ذلك ، والله المسؤول أن يصحبه السلامة فى المقام والسفر ، سرواً أمامه وتاويباً على الأثر ، وسلم منا أيها الأحب سلاما رحب الساحة ، بتقبيل الأنامل والراحة ، على العم الأرضا ، الفقيه القدوة الأحظا ، المفتى الخطيب البليغ سيدى سعيد ، وعلى سيدنا الفاضل ، الفقيه البارع الكامل ، القاضى الأنزه سيدى أحمد اليزناسنى ، وعلى سيدنا الفقيه العالم العلم ، فارج باب النوازل المبهم ، سيدى حميدة بن أبى مدين ، وعلى سيدنا الأجل الأسعد العابد ، الخير سيدى محمد الوالد ، وعلى جميع

47) قرية واقعة على بعد 15 كلم شمالى تلمسان .

من لاذ بكم . والسلام الكريم عائد على أخينا وسيدنا البر الوصول ، الذى زكت منه الفروع والأصول ، ما تعاقب البشر والقنوط، وولجت ركاب فارس باب كشوط(48) أو ما أضاء مصباح سليط ، وترنمت ورقاء بالوريط ، واستنشق زهره المتضوع العبير ، وسبح أهل الحضرة بالغدير ، بمنه وطوله .

محبكم ومجلكم الذاكر الشاكر ، محمد بن على الوجدى كتب خار الله لـه ، وأصلح فى الدارين باله .

وبعد كتبى لهذا المحل وقفت على كتاب له عن أهل فاس الى أمير المؤمنين المنصور بالله أيد الله أمره هناء بابلال ، نصه

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

المقام الذى سلم من درك السرار بدره ، وأسفر عن وجوه الوقاية فجره، وظهر فى نصبة السعادة بعد التعديل يمنه وبشره ، وأتيح له كسليمان ونوح عليهما السلام ملكه وعمره ، واطرد فى سبل التمكين تأييده ونصره ، وخطب على منصة الجوزاء بعراقة الملك فخره ، وحكم باذعان المطيع والعاصى والقريب والقاصى سماحه وقهره ، مقام مولانا السلطان المعان ، الكبير القدر والشان ، الذى شفى المجد والكرم بشفائه ، وعاد جفن الملة بأنباء صحته الى اغفائه ، وثبت للديـن الحنيف ، بما بادر به من التعريف ، السعد المنيف ، مولانا الامام الهمام ، حامى حمى الاسلام ، وفخر الليالى والأيام ، وباسط ظلال العدل على الأنام ، الملك الناصر العادل ، المؤيد المظفر الغالب الكامل ، عماد الدنيا والدين ، وسيف خلافـة الله على المومنين ، صاحب السير الكريمة المناصب ، والأصالة الرفيعة المناسب ، والمكارم التى شهدت بها مواقف الجهاد ، وظهور الجياد، وصحائف الكتب وصفائح الجلاد ، مولانا أبو العباس ، أمير المومنين المنصور بالله ، ابن مولانا أمير المومنين،

(48) بتلمسان ، وهو بابها الغربى الواقع فى طريق منصورة المسمى اليوم باب سيدى بوجمعة .

ابن مولانا أمير المومنين ، الشريف الحسنى العلوى ، الهاشمى القرشى النبوى ، أبقاه الله يلبس حلل العافية جدداً ، ويمد الجيش بأوامره الموفقة مدداً ، وفسح له فى العمر الطويل مدداً ، ولا زالت ذاته المقدسة مفداة بالنفوس ، متهللا باتصال عافيتها وجه الزمان العبوس ، سلام كما أسفر وجه الهناء عن نقابه ، وتقدمت طلائع بشراه ورايات المسرات فى أعقابه ، أما بعد حمد الله الذى أذن لسعود الاسلام ، بدوام عصمة ملكهم المنصور الأعلام ، واهب النعم الجسام ، وولى الألطاف الخفية فى حالى الصحة والسقام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أصدق قائل ، وأكرم فاعل ، ذى العناية المؤيدة فى العاجل والآجل ، والملجأ المنيع عند كل أمر هائل ، وخطب غائل ، وعلى آله وصحبه السابقين فى ميدان الايمان بما شاء من بأس ونائل، فقد كتبه عبيد مولانا وعتقاء انعامه ، الواضعون أسماءهم عقب تاريخه واختتامه ، جمهور الشرفاء والفقهاء ، وأعيان الصلحاء والنبهاء ، من أهل حاضرتكم المكلوءة فاس حاط الله أرجاءها ، وحرس فناءها ، كتب الله لمولانا عافية مديدة الظلال ، وصحة ضافية السربال ، مستصحبة فى الحال والمآل ، مقبلين حواشى ذلك البساط الأسما ، الذى هو ملتثم شفاه بطارق العجم وأمراء العرب ، ومهنئين ذلك الجناب الأحما ، بعقيلة الصحة التى عادت الى خدرها ، ونذرت ألا تفارق فوفت بعون الله فى نذرها ، ولا زائد بفضل الله الا مسرات راحتكم نعاطى راحها ، ، ونذيع أفراحها ، ونجعل فى مسارح حمد الله وشكره مغداها ومراحها ، هذا وان سفير الابلال لما قدم بالبشارة مقدماً سعيداً ، جعلنا يومه ذلك موسماً واتخذناه مهرجاناً وعيداً ، وسرحنا من المسرة فى روض هتون ، وروينا أحاديث الشفاء صحيحة الأسانيد والمتون ، فابتدرنا الى أبواب حضرة مولانا الخليفة الأسعد ، السبط الجليل الأصعد ، الأمير الأرضا الأرشد ، ذى الساعد الأشد ، والرأى الأضبط الأسد ، مولانا الشيخ أبى عبد الله محمد، أدام الله تأييده، ووالا بمنه علاءه وتسديده، فوجدنا الجماهير قد غمرتها ، وآلات المسرات قد عمرتها ، واتضح خبر الانبساط ، وعظم

للنفوس به الاغتباط ، ووجدناه أيده الله يتهلل وجهه سرورا وغبطه ، ويتلألأ ارجاؤه طرباً ونشطه ، قد عقد لذلك مهرجانا حافلا ، نبه له نبيهاً وخاملا ، وفرض له أياما ثلاثا، حثثنا فيها ركائب الأماني احثاثاً، فهنينا مقامه أسعده الله بالابلال والاستقلال، وحمدنا الله على معافاة ذلك الجـلال ، وقلنا ما هو الا سيف الله المستضاء به جدد له الصقال ، وطفقنا هنالك نستبق صهوات جياد الأفراح ، نركض بها فى بسيط الهناء بهزج الانشراح ، وعلمنا أن الله لطف بنا اللطف الخفى ، وأنه بنا حفـى ، حين دافع عن مولانا وأهدى له الشفاء والراحة ، وزحزح عنه السقام وأزاحه ، اذ فى راحتكم نصركم الله راحة العباد ، وفى ضمنها النعم الواكفة لصلاح البلاد ، وكان من لطف الله بنا ، ونظره بعين الرحمة الينا ، أن جعل لنا خبر السقم مقروناً بخبر الراحة ، وأمن تلك الساحة ، ولولاه لعظمت الأوجال ، وانتهبت الصبر الكرب العجال، لكن السدفة كانت مردفة بالصباح ، والمسرات موصولة بالارتياح، فكان :

هنـاء ولا شجـو عليـه تقدمــا   فما عبس المذعـور حتى تبسمـا

ولما كان كل من عبيدكم تجب عليه التهنئة ، بالقدوم على تلك الأبواب العلية، وكان المانع من ذلك قيام كل واحد منهم بحقوق الخدمة من خطة لها نصب ، أو غرض من أغراض الخلافة له انتسب ، وكان القلم أحد اللسانين ، والطرس أحد القدمين ، استنابوا فى ذلك بعث الكتاب ، عن حث الركاب ، واعلام الأقلام ، عـن أعمال الأقدام ، ولمولانا نصره الله كمال الفضل فى قبوله ، والاغضاء عن مزيفـه ومهلهله ومعلوله ، والله المسؤول أن يحرس ذاتكم الطاهرة من طـرق النوائب ، ويكنفكم بجناح العصمة فى الشاهد والغائب ، والسلام الاتم ، المبارك الأعـم ، على ذلك المقام العلى الأعظم .

وكتب بتاريخ خمس عشرة خلت من جمادى الأخيرة من عام عشرة وألف .

وله حفظه الله نثر رائق غير ما ذكرنا .

وأمـا تآليفه فمنها كتاب عظيم جامع للأدب اشتمل على فنون شتى ، سمـاه **(تميمة الألباب ، ورتيمة الآداب)** أجـاد فيه غـايـة ، ومنهـا **(الألباب الطائشة ، في مناقب أم المومنين عائشة)** ، ومنها آخـر سماه **(العنبر الشحرى ، فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقرى)** ، وذلك لأنى كنت كثيراً ما أتذاكر معه أنواعا من الأدب ، فكان حفظه الله يقيدها والفضل له ، والا فلست والله ممن يستفاد منه بالكليـة ، وغير ذلك .

وله مشاركة حسنة في العلوم ، أخذ عن الشيخ الامام المفتى سيدى يحيى السراج الرندى رحمه الله ، وعن القاضى العلم أبى مالك الحميدى رحمه الله ، وعن الشيخ المفتى أبى عبد الله القصار أبقاه الله ، وعن الشيخ الاستاذ أبى محمد الحسن الدرعى رحمه الله ، وأخذ الطب عن الفقيه الماهر الجليل ، أبى القاسـم الوزيـر الغسانى حفظه الله ، وأخذ عن غير هؤلاء من أعلام المغرب ، وله اليد الطولى فى علم الـعـروض .

وبالجملة فهو من مفاخر الحضرة الفاسية ، وممن يحصل بلقائه الفخر ، والله تعالى يرقيه الى أعلا المراتب ، ويبقيه مجلياً فى ميدان أعلام المغرب من منشئى ناظم أو ناثر كاتب ، بمنه وكرمه وطوله ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

2 ـ عـلـى الهـوزالى

الكـاتب البـارع الفقيه أبو الحسن على الهوزالى أحد كتاب الانشاء بباب ولى العهد بالحضرة الفاسية من أهل سوس(49) وبيتهم بيت صلاح ودين، لقيته بالحضرة الفاسية حماها الله ووقاها ، وأدامها دار علم وأبقاها ، أنشدنى المذكور كثيراً مـن نظمه فى الموسم الميلادى وغيره ، وكتبت عنه كثيراً من ذلك ، ولم يحضرنى الآن من ذلك الا ما أثبته هـنـا .

---

49) من قبيلة هوزالة المعروفة اليوم بادا وزال بقيادة اركانة وفى سوس أيضا قبيلة أخرى تعرف بنـدو وزال .

فمن ذلك قوله فى بعض الموالد الشريفة يمدح المأمون ولى العهد بعد مدح جده صلى الله عليه وسلم :

كف الملام عن الشجى الحيران … فاللوم يوثر (50) كامن الأشجان

ودع المولـه يشتكى ما فى الحشا … من لوعة أذكت لظا نيران

ويفوه عما فى الضمير بواكف … مغدودق من دمعه الهتان

ويبوح بالمحبوب اعلاناً فقد … ضاق الفضا عن أوجه الكتمان

ضاق الفضاء وصرت من فرط الغرا … م أسكب العبرات من أجفانى

أبكى المعاهد والديار وان نأت … كلفاً بها وبشيحها والبان

وأسائل العرصات عما قد حوت … أكنافها من خرد الغزلان

وأبث من شوقى ما يقضى بأ … نى فى المحبة ليس لى من ثان

لم لا وبين جوانحى للوجد ما … لم يرو عن قيس ولا غيلان (51)

ومن الصبابة ما أذاب حشاشتى … وأرق واستولا على جثمانى

حتى بقيت من الوجا غرضاً لأسـ … ـهم شوق كل مجانب الركبان

أحدو فياحادى المطى امهل عسى … أن تحملن صبا لشعب بوان

تنثال عن ماء العقيق جفونه … مهما تذكر ما حوا المزمان

ويهزه شغف متى لتهامة … أمت كرام نجائب الأظعان

شوقاً لبارق لعلع وهبوب ريـ … ـح جاء من اضم ومن عسفان

ولما حوت بطحاء مكة من منى … قد تيمت قلب الكئيب العانى

ولما أود بلوغه من محفل … حفت به عرفات والعلمان

ولمنعج والمنحنى مع ما حووا … وادى القرا من يانق السعدان

---

50) كذا بالاصل ، وهو يقصد دون شك كلمة يثير بمعنى يهيج ويحرك ، ولا يستقيم بها الوزن .

51) قيس بن ذريح الكنانى صاحب لبنى بنت الحباب الكعبية المتوفى عام 68 هـ . أما غيلان فهو ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوى صاحب مية المنقرية ، المولود عام 77 هـ والمتوفى عام 117 . وكلاهما من شعراء العرب وعشاقهم المتيمين .

ولتربة وارت لأكرم مرسل   يرجا ليوم العرض والميزان

وارت لشمس لم تغب لنوارها   عنا وبدر غير ذى نقصان

وارت لأفضل من له يلجا متى   ما أزمة كشرت عن النيبان

أكرم بها من تربة أزرت فتا   ئق نشرها بعبوق نشر عمان

أكرم بها من أربع ومعاهد   تنفى الصدا عن غلة الهيمان

تهدى بطيب نسيمها من ضل عن   طرق الرشاد لمهيع الاحسان

فبطيبها وبطيب ذكر حديثها   يضحى المشوق مفوف الأردان

دار السلامة والمنا دار الهنا   دار القرار ، نعم ، ودار أمان

دار يجوس الوحى بين خيامها   بشرائع تتلا بكل أوان

دار بها انتصر النبى وأعلنت   كلماته بقواطع البرهان

كم من محب مات شوقاً عندما   لا حت بدور غيابها لعيان

كم مغرم أو مستهام مدنف   لا يلف عن أرجائها متوان

ان كان جسمى عن عراها فاصلا   فأريجها متعلق بجنانى

كعلاقتى بمديح أشرف من بها   فى يوم مولده البهى الشان

فى يوم مولده الذى كسى الورا   حللا تعد معاقد التيجان

يوم أباد الشرك واستولا على   صف أصول الزيغ والبهتان

طلعت به شمس النبوءة فانجلا   عنه ظلام الشرك والعدوان

وخبت لفارس نارها وانقض ما   قد كان شيد من بنا الايوان

وتصدع التاج الذى قد طال ما   يلقا على كسرا أنو شروان

وكذا البحيرة ماؤها قد غاض وانـ   ـتكست رؤوس مشاهر الأوثان

يوم لهُ شرف على الأعياد فى الـ   ـأحوال والأوقات والأزمان

يوم به نجنى المنا ونديرمـ   ـكأس السرور مدامة السلوان

ونهز أعطافاً ونرقص تارة   ونميل فيه تمايل النشوان

فرحاً بميلاد الذى لولاه ما   اقتطفت أزاهر آية القران
بشرى لأمة أحمد بطلوع غـ   ـرته التى محقت دجا الكفران
بشرى بمن ركب البراق وجال فى الـ   ـملكوت واستولا أعز مكان
بشرى بمن تعنو الوجوه له ويفـ   ـتقر الوجود لجاهه الربانى
بشرى بمن لولاه ما طلعت ذكا   ولما استعد لأوجها الثومان
محمد الهادى الأمين ومن بوا   سع فضله يستشفع الثقلان
العاقب الماحى الزكى ومن به   يلتاح نور ضوء ذى الأكوان
صلى عليه الله ما صدحت حما   مة أيكة فى يانع الأغصان
وأدام نصر سليله وسيمه الـ   ـمأمون ما هبت صبا تهلان
ملك له الخلفاء تعنو هيبة   لجلاله ، وترى يد الأذعان
نجل الوصى ومن له فى المعلوا   ت مناقب مشهورة الديوان
والمنتقا من دولة الحسب الرفيـ   ـع المحتذا الموما له ببنان
من معشر طيب الأرومة ان حللـ   ـت حماهم تسلو عن الأوطان
عن شأوهم قصرت ملوك قد مضت   وكذا الأساور من بنى خاقان
فهم الغيوث متى تواترت المحو   ل ، وهم ليوث غداة يوم طعان
وهم هم والحرب تغلى بالدما   وجماجم الأبطال والشجعان
وهم العيون لنا وأنت بينهم   فى شكلها بمثابة الانسان
تجلا بكم عنا غياهب حندس الـ   ـهيجاء يوم تعانق الفرسان
وتود أقطار الدنا أن لو بكم   نيطت كما نيط البها بجمان
ولدعوة وجبت لكم كتبت تخو   م المشرقين وما ورا قمران
ثقة بأنك وارث الأمر الذى   يرويه أهل العلم والحدثان
وبأن من فى الغرب أو فى الهند أو   فى مصر أو فى الشام أو بغدان
يعنو لسطوتكم ويظهر ذلة   رغما ويلقى اليك طوع عنان

أو لست أنت قائد الجيش الـــذى | لمعت بليل النقـــع شهب سنـــان
ورواعـد من بندق قد تقشعـــــ | ـــر لها المواكب فى قصى البلـــدان
واليكها يا ابن النبى خـــريـــدة | مجلـــوة بالـدر والعقيـــان
تختال فى حلل من الزهـــر النضيـ | ـــر على خميلة روضـــة البستـــان
ترجوك تمرح فى فناك لكى تـــرى | محسـوبـة لك من بنـــات قيـــان
تنمى الى هوزالة نسبـــاً وتفـــ | ـصح عن شمائلكم بكـــل لســـان
ما دمت ركن الوافديـــن وكعبـــة | للطائفين وزمـــزم اللهفـــان
ما دامت الأفلاك تجلـــو نيـــراً | بسنـا محيـا جـدك العـدنـــان

وله يخاطب ولى عهد المسلمين ، المولى أبا عبد الله ، المأمـون ، ابـــن أمير المومنين ، مولانا ابى العباس المنصور ، أيد الله أمرهم بمنه :

أبلـغ المـــأمـون أنـــــــى | قد كسانى الدهـــر ضيمـــا
واعتـــرانى من خمـــــول | ما يـــزيد القلب سقمـــا
وامتنعت من عطـــائـــى | منـذ عاميـــن ظلمـــا
وانتـهـا حـــالـى الـــى حـــا | ل زوا لـحـمـاً وعـظـمـا
فى بنيـن غـــادروا مـــــن | فـرط مـا يلقـون نـومـا
علــه يسخــو بمـــا مـــن | دأبـــه يسـديـه حلمـــا
لا يكـل أمـــرى لمـــن لا | يتـقى عيبـــاً وشتمـــا
ان لى فى مدحـــه مـــا | يمـلأ الأسفـــار نظمـــا

وقـــال أيضـــاً :

ألا هل الى صبـــح الـوصـــال سبيل | وهل لى عن ليل الصـــدود محيـــل
فيكشف غيـم الهجـــر عنى قناعـــه | وألـــثم ثـغـراً ريقـــه سلسبيـــل

وقال يخاطبه أيضاً :

أنت الملاذ وأنت ركـــن أعظـــــم　　　أنت المزيــــل الجور عمن يهضـــــم
أنت الغياث وأنت وهــــاب الألــــو　　　ف وبغيــة وحمـــا لمـــن يستعصم

ومـــنـــهـــا :

فلـئن عدمت اليك واسطـة تبــلـ　　　ـغ حاجتى فلســـان حـــالى يترجـم
سيف المهابة يمنعـــن عبيدكــــم　　　من قربكـم ، فلذاك لا يتكلـــــم

ومـــنـــهـــا :

فامنن على بقيمة فيمـــا بقـــــى　　　بك يبدأ الـذكـــر الجميـــل ويختم

وقال أيضاً وقد أمره المأمون أمنه الله لما ماتت احدى حظاياه بما يكتب عـلى قبـــرهـــا :

يا زائرى قف وقفة المستعبـــــر　　　وانظر بقـلـب الخاشـع المستبصر
وابسط لأدعية أكف اجـــابـــــة　　　تقضى لنا بالخير يـــوم المحشـــر
لأفوز يوما من دعـــاك برحمــــة　　　نزلت على أهـــل الصفـــا والمشعر
وأكـــون ممن يهتدى للحـــوض او　　　يسقى بعذب معيــــن مـــاء الكوثر

وله فى ذلك بأمره أيضاً :

درر الدموع نثـرن من آماقهـــــا　　　تحكى يد المأمـــون فى اغداقهـــا
ينــدبن من أضحت لطيب خـلالهـــا　　　حور الجنان تعلهـــا بدهاقهـــــا
لما انتهت بحلول شمس كمـالـهـــا　　　فــى أوجها احتجبت عـلى رمـاقـهـا
لا زال روح الله فـــوق ضـريـحهـا　　　يـغدو ويسـرى فى حـلا أطـواقها

وقال من قصيدة يمدح بها القاضي أبا مالك الحميدى رحمه الله :

ان عبد الواحد القاضي بفاس ذو اثاره
جمع الفضل بنص وبرمز واشاره
لا يجارى في علوم عاطرات مستثاره
ان يكن في الغرب ابريز أ ففي الشرق نضاره
أو يعظ فابن عبيد أو يحدث فعماره
أو يسجع فهو سحبان وقس وابن داره

ومنها :

عاذلي أقصر فاني من هواه في حياره
لا تلومن يا عذولي ان في لومي مراره
كيف لا أسلو وأنت اليوم غوث ومزاره

ومنها :

نقتبس من نوركم علماً يقيناً من حراره
دمت فينا معقلا للأمن ملجا للسياره
ما سرا الركب لبيت الله قصداً للزياره

وقال أيضاً فيه يوم التفريق (52) ، وكأنه نطق بالغيب ، اذ في ذلك العام توفى القاضي المذكور عام ثلاثة وألف رحمه الله ورضى عنه :

يا ليت ما قد كان أمس من تعاطى الأنفس
قد دام لم يفصل بفصل عاطلي أخرس
قد كنت يا قاضي القضاة أنيس هذا المجلس

(52) هو في عرف اهل فاس اليوم الثالث ليوم وفاة الميت ، وفيه يتفرق ذوو قرباه وينصرفون الى بيوتهم بعدما يلازمون الحزن والترحم عليه مدة ثلاثة أيام .

تحيـى القلـوب بمـا يسـر مـن العلـوم وتكتسـى
وتجـول فـى ميـدان مـا يسـدى الحلـى مـن سنـدس
وتحـل أشكـالا بـدا بنبـاهـة وتفـرس
تهتـز للبحـث القريـب كغصـن بـان أملـس

ومنـهـا :

تـدلـى بتفسيـر بليـغ سـاحـر لـلأنـفـس
وتجـر ذيـل التيـه فـى أزهـار ذاك المغـرس
واليـوم قـد أصبحـت تـومـى للـفـراق المبلـس

ومنـهـا :

تبـاً عـلى يـوم الفـراق لكـم سقـا مـن أكـؤس

ومنـهـا :

كـم خـاشـع ألفيـت مكلـوم الحشـا المـتـنـكـس
ولكـم عيـون قـد همـت بالعـارض المتبجـس
لـو شـاهدتك أئمـة التفسيـر صـدر المـجـلـس
لتـرشفـت يمنـاك رشـف اللـوذعـى المـؤنـس
علمـاً بأنك نـور مـن يعشـو بليـل مدبـس

ومنـهـا :

لا زلتـم للمجـد طلعـة صبحـه المـتـبـجـس
مادام مـزن السحـب ينسـج هـدب عيـن النرجس

وقال أيضاً من قصيدة متغزلا أبقاه الله :

قـــد غبـــت عـــن عقـــلى لـــمـــا أن ومقـــت معـــلـــمـــا

ومنـــهـــا :

ينجـو الجريح من ســهـــا	م مـقتلـيـه ان رمـــا
فـــاق الظبـــا مـع المهـا	وفـــاق ربـــرب الحمـــا
قد حاز معنـى الحســـن لـم	يفصـــل بالا أو بمـــا
من لى متـــى يبخـــل بـأنـــ	ـــس كنت فيـــه مغـــرمـــا
انى ببذل النفـس فيـــــ	ـــه لـم أطلـــق أن أكتمـــا
دعنـــى فانـــى قـــد شغفـــ	ـــت بحبـــه فـــى كـل مـــا
يقضى علـــى وكيـــف لا	يقضـــى بمـــن قـــد تيمـــا
ذو الوجنتيـــن كـالشقيـــ	ـــق أو كـرقـراق الـدمـــا
عبـــل نحيـــل الخصر دعـــ	ـــص الـردف معســول اللمـا
شـــاه وسلطـــان وبـــد	ر لاح فـــى أفـــق السمـــا
من أجلـه همـــت وصـــر	ت كالعبيـــد المنتمـــا
فاسمـــح بوصـــل لـــم تشبـــ	ـــه بعســـى ولا بلـعـلـمـــا

وهى طويلة ، وهذا ما وقفت عليه من شعر الكاتب المذكور ، وله مشاركة في العلوم والبيان والنحو وغيرها ، أخذ عن القاضى الحميدى ، والامام المنجـور ، وقاضى الجماعة أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى حفظه الله وغيرهـم ، ودخـل القسطنطينية العظمى مع بعض قرابته ، وهو القائد أبو العباس أحمد بن يحيـى الهوزالى رحمه الله ، وأخبرنى أنه أنشده بعض العجم هناك شعرا أكثره بالعربية وباقيه بلسانهم ، وهو :

بى من الترك غزال خاله كالعنبر

ذو عيون ناعسات وخدود أحمر

ورضاب قرقفى طعمه كالسكر

قلت والقلب عليل من هواه ما برى

جانما هنده كدرسن قال أوده كلبرى

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

3 - أحمد بن عبد العزيز

الكاتب المجيد ، الناظم الناثر أبو العباس أحمد بن عبد العزيز من كتاب ولى عهد المسلمين لقيته بفاس ، وأنشدنى كثيراً من نظمه وناولنيه ، فمن ذلك ميلاديات ضاعت منى ، أول واحدة منهن قوله :

أرح دمعا تحدر كالجمان وقلباً يشتكى ما قد دهانى (53)

ورأيت بخط الأديب ابن يعقوب رحمه الله ، قال أنشدنى صاحبنا الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد العزيز رعاه الله فى الدولاب لنفسه :

ودولاب كأن الماء فيه سيوف جردت يوم اللقاء

ويحكى فى سناه اذا تبدا بروق الجو فى كبد السماء

وبخطه أيضاً له :

مأقى جفونى دائم الهطلات ونار فؤاد مسعر الجمرات

مرضت وسقمى من جفون مريضة وآسى رضاب معذب الرشفات

لئن خاننى دهرى بنأى أحبتى وأضحت حبال الوصل منصرمات

53) ترك المؤلف بعد هذا البيت بياضا لعلة كان ينوى ملاه ببقية القصيدة عند عثوره عليها .

وقاضى الهوا يسطو على بجـــوره ... يرى أن آى الحـــق منعكســـات

كـفـانـى أن أبكى والتـذ عندمـا ... تكون دمـوع العين منحـــدرات

سكبت دماً بعد الدموع فعبـرتـى ... تفيـض دمـاً يجـرى عـلى الوجنـات

يحق لجفنى أن يبيت مسهـــداً ... ولا يشتكـى ما ذاق مـن حـسرات

دهـاه واضنـاه الذى حـل مهجتـى ... وأجـج نـار الشـوق فـى طـويـات

يتيه على قلبـى المعنـى اسـاءة ... أيا ليته يدنـو ويقـرب ساحـاتى

متى ما تقس حسن العبـاد بحسنـه ... تجد حسنه بدراً وغيـره هـالات

حداة المطايا ان نهضتم بليلكـم ... فوجنة حبى ضوء تلك اللويـلات

محاسنه تهديك فى غيهب الـدجـا ... هو البدر يجلو حالك الوجنـات

فـدعنى أنـزه مقلتى فـى ريـاضـه ... واقطف منه الورد من كل ساحـات

أنزه طرفى فى محاسن سيـدى ... وأطلب منه الوصـل طـول حياتـى

لـعـلى أن أحـظ بعيش يـسـرنـى ... ويضحى زمانى دائـم المسـرات

ومـنـهـا :

زيارة أهل الحب توجب قـربـه ... فبادر ولو كانت بطيف سنـات

يرجيك مملـوك وأنت مليكـه ... فديتك بالأهلين فاقض لبـانـاتـى

رعاك اله العرش يا نخبة الـورا ... ويا غصن بان مائـل بين دوحـات

الا أن فى هذه القصيدة التجريد ، وهو اختلاف الضرب ، لأنه هنـا بعض أضربه محذوفة ، وبعضها تامة ، والله أعلم .

ولهذا الكاتب فهم حسن ، ومشاركة فى العلوم ، وله نظم جيد ، ولم أجد منه الآن الا ما كتبت ، والله الموفق بفضله ، لا رب غيره .

4 ــ عبد الرحمان بن العلج

الأديب الأجل البارع المجيد ، أبو زيد عبد الرحمان ابن القائد الأجل الوزير ، عبد الكريم ابن القائد الرئيس مومن بن يحيى ابن العلج الشهير بيتهم ببنـى العلـج له أغراض دقيقة، ومنازع رياسية استولت على رائق النظم مجازا وحقيقة ، لم أكتب من نظمه الا يسيراً أثبته ليشهد على حسن ما لم أطلع عليه ، وليعلم أن لواء البراعة دفعه الرؤساء اليه .

لقيته بفاس ، وله نظم جيد ومقطعات رائقة ، وبيتهم بيت رياسة ، كان أبوه وزير أمير المومنين المولى عبد الله رضى الله عنه ، وجده من أكابر خواص مولانا محمد المهدى بالله رضى الله عنه ، وأخوه لهذا التاريخ قائد ثغر تطاون حرسه الله ، وعهدى بهذا الفاضل أسماه الله قد تشبث بأذيال المولى الأمير الأجل ، أبى المعالى زيدان ابن مولانا أمير المومنين المنصور بالله ، أيد الله أمرهم ، وخلد ذكرهم

فمن نظمه من قصيدة يخاطب بها بعض أولاد مولانا أمير المؤمنين نصره الله .

يا نجل من أحيا دعـاه دفينـا — والجـذع أعـلا مـن نواه حنينـا
ان المديح فديت بين يديـك قـد — رن اللسان بذكـره ترنينـا
قدمته قبل الخطـاب كـرامـة — والترب يعـدل فى القفـار معينـا
فاقبـل اذ المهديه ذلـك قـدره — لا قدرك السامـى علـى علينـا
فبه قضيت حقوق بعـض محبتـى — فى ذا الجنـان أرى به تمكينـا
بقيت رسالة نازح ودعتهـا — أبـغـى أبين شرحهـا تبيينـا
فالحـر من أدى الأمانـة مثلمـا — خلصت اليه لأن لأن يكـون أمينـا

ومـنـهـا :

أهدتـه نحـوك طيبـاً فكـأنمـا — أهدت بذاك الـورد والنسريـنـا

ومنـــهـــا :

فافكك أبيت اللعـــن طائل أسرهـــا   فـوراً فمـا تـبـغـى سـواك خدينـا

ومضمن القصيدة أنه يشكو ببعض عماله فى بعض البلاد ، وأراد منه عزله ، والقصيدة طويلة تركتها اختصارا .

وأخبرنى أخونا الكاتب البارع أبو عبد الله الوجدى أنه أنشده لنفسه قوله :

يا قاطع الصب اهمالا وواصلـــــه   من عينه صلة المستوكف الهـامـــى
حسب المتـيـم بـرق المنحنـا فلـه   فى قلبه منكـم رفــع عـلى الهـــام

فانظر الى حسن هذين البيتين وما اشتملا عليه من المحسنات ، فلقد أيقظ عيون البديع من السنات ، فمن ذلك التجنيس الذى فى القافية ، ومنها المطابقة وهى غير خافيه ، ومنها الاستخدام فى قوله وواصله أى الصب بالمعنى الآخر الذى هو صب الدمع والسحاب ، ومنها التورية فى قوله فى قلبه يعنى قلب البرق وهو القرب ، ومعناه الآخر واضح ليس فيه ارتياب ، فلله دره من غصن تفرع من دوحة رياسة سقتها الدولة النبوية من ديم واكفها المدرار والى ظل مولانا المنصور أمير المومنين أيده الله الذى وجد فى دولته أهل الرياسة هذه المتابة يتفيأ العفاة حالى الاحلاء والامرار ، نسأل الله سبحانه أن يزعجنا عاجلا الى حضرته المقدسة الطاهرة من أدناس الجور والحيف ، فنطوف بكعبة العدل ونرمى جمار الشوق بمنى اقباله وننزل بذلك الخيف ، بمن الله وكرمه .

وقال صاحب الترجمة أبقاه يخاطب صاحبنا الكاتب البارع المجيد ، الناظم الناثر ، أبا عبد الله ، محمد بن على الوجدى أسماه الله ، ويعاتبه على ترك الزيارة :

هجـر الدنو وهـــام بالبعـــــــد   خل تناهـــا فى هـــوا الصـــــد
وجدى به ملأ الأضالـــع لـوعــــة   من شافعـى فى ذاك للوجـــــدى

وقال أيضا أسماه الله فى لابس ثوب أسود ، أنشدنيها لبعض الأعلام ، قال أنشدنيها أبو زيد المذكور ثم انى لما لقيته أنشدنيها لنفسه :

لله ملتــف بثــوب أســــــــود يرمى الــورا من طـرفــه بسهـام
شبهتــه لما تكـامل حسنــــــه صبحـاً تطلـع من ذيــول ظــلام

قلت : ذكرت بهذين البيتين ما طالعته فى تأليف الكاتب المجيد ، أبى عبد الله الوجدى المتقدم ، الذى سماه (**تميمة الألباب ، ورتيمة الآداب**) ذكر فيه أكثر من مئتى قطعة كلها فى لابس ثوب كذا من أنواع اللباس ، منها ما هو للقدماء ، ومنها ما هو لأهل العصر ، وذلك مما يدل على غزارة حفظ الكاتب المذكور ، ومن جملة ما أنشد فيها هذين البيتين لصاحب الترجمة أبقاه الله ، وذكر لأهل العصر من ذلك كثيرا ، الا أنى أزعجت عن كتب بعضها ، ولعل الله ييسر علينا الاياب الــى تلك الحضرة المنيفة ، فألحق ما فاتنى من كلام الأعلام الذين تقدم وياتى ذكرهم (54)

5 — عبد العزيز الفشتالى

وزير القلم الأعلا ، الوارد من البلاغة والبراعة المنهل الأحلا ، نشأة الدولــة المنصورية وكاتب أسرارها ، ومنزل القوافى من قننها ومستعبد أحرارها ، المقدم فــى الفضائــل والــمحاسن وان كان فى الزمــان التــالى ، أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتــالى .

لقيته حفظه الله بمراكش المحروسة ، فوسعنى بره وفضله ، وقضا لى مآرب من أمير المومــنين نصره الله سقــا الله باقبال مولانا الامام بساتين مجده وغروسه ،

54) هناك ترك المؤلف صفحة بيضاء لعله كان ينوى كتابة شيء مما يعثر عليه من شعر ابن العلج أو نــثــره فــيــهــا .

وهو حفظه الله آية من آيات الله فى النظم والنثر ، ولو لم يكن من محاسن الدولة الأحمدية أيدها الله غيره لحصل لها الفخر ، وها أنا أذكر جملة من نظمه ، فمنه ما إنشدنيه ومنه ما نقلته من خطه (55) .

فمن ذلك هذه الميلادية التى قالها عام 1005 وهى :

انسان عينى هام ما ان يفيق — لما رأى بالعين سفح العقيق
يسبح فى بحر طما لجه — أضحى ينادى منه ياللغريق
ماء ونار زج بينهما — يالك انسان غريق حريق
يهيم فى واد لديه التوا — صدغ الرياحين بخد الشقيق
رقيق أغزال النبات لذا — أضحت غواليا بسوق الرقيق
يصلا بنار الشوق من أضلع — قد حملت أعباء ما لا تطيق
بالمنحا منها عرفت الهوا — يفتك بالألباب فتك الرحيق
يهفو الى بانات أرض الحما — قلب بجنبيها وجيب خفوق
أغار ان مر النسيم بها — معانقاً لكل قند رشيق
أرض اذا هبت بها نسمة — شممت منها المسك وهو فتيق
حصباؤها در ومن تربها — يستنبط الغزلان طيب الخلوق
بالخيف منها للهوا معرك — تلقا به الصبر هزيم الفريق
يا أهل نجد حبكم متلف — قلبى ، فهل منكم رحيم شفيق ؟
وهل الى أوطانكم زورة — تدنو ، وهل نحوكم من طريق ؟
مروا لعينى أن تنام فقد — قنعت منكم بالخيال الطروق
هلا رثيتم لقتيل الهوا — وأصلكم فى المجد أصل عريق

(55) اللائق ان يكتب هنا اشياخه وتآليفه وما له من النثر ، وبعد ذلك يذكر النظم ، وكذلك أفعل ان شاء الله عند اخراجه من هذه المبيضة سهل الله ذلك بمنه ، قاله مؤلفه أحمد كان الله له .

كونوا كما قد شئتم انني … عبد لكم يا أهل بيت عتيق

أحسابكم دلت على أنكم … رهط رسول الله أنتم حقيق

صفوة كل الرسل من آدم … جامع شمل الدين وهو فريق

وكاشف البلوا اذا أعضلت … ومنجد المتهم عند المضيق

ذو المعجزات الواضحات التي … منها بكا الجذع وشكوا الفنيق

ورفعة يحنو هلال الدجا … لها ويالو عن مداها العيوق

ذو عزمة لها بهام العدا … وقع يرد الصخر وهو فليق

قد كسرت كسرى العراق فلم … يخفق له منها جناح خفوق

وقذفت قيصر من قنة … تهوى به الى مكان سحيق

قد جاوز السبع الطباق الى … ما حام عنه الروح وهو الرفيق

وسبحت في الكف منه الحصا … وأشبع الجيش بصاع دقيق

وسرحة جاءته ساجدة … تسعا على أعراقها فوق سوق

الضب ثم الظبي قد سلما … عليه نطقاً بلسان طليق

ياخير من أسرى ومن قد دنا … كقاب قوسين دنواً حقيق

صلا عليك الله ما فضضت … ثوب النهار الشمس عند الشروق

صلا عليك الله ما شهرت … صمصامها المذهب أيدى البروق

صلا عليك الله ما أتلعت … أجيادها الأغصان بين الوروق

قيدنى ذنبى عنك لذا … أضحا على الخدين دمعى طليق

جفنى خليق بجديد البكا … عليك ، فاعجب من جديد خليق

ومدمعى يروى اشتياقاً لكم … عن جعفر الصادق صوب العقيق

قد أثقلت ظهرى ذنوب طمت … مولاى أنقذنى فانى غريق

فهل سواك من عظيم وهل … سواك من مولى رحيم شفيق ؟

عز الفدا مولاى كن مخلصى … أفدى بحر الدمع وهو رفيق

أهدى الى المنصور كهف الـورا ... سبطك منه المسك وهو فتيق
هبت على الدنيا فنون الرضا ... منه فأهدتها العبير العبيق
من عرفه استعير عرف الشذا ... من خلقه قد ضاع طيب الخلوق
هو الامام ابن الامام الذى ... أسس ركن المجد وهو وثيق
أصبحت الايام من عدله ... تختال فى برد قشيب أنيق
أضحت ملوك الأرض تعنو له ... من أرض اسحاق الى الجاثليق
صفت على بابك تيجانها ... وهى سماطان بكل طريق
حضرتك العليا لهم قبلة ... قمت بها أمام كل فريق
وقام سيفك خطيباً لهم ... فأهطعوا من كل فج عميق
لواؤك المنصور مهما سما ... يلقاك وجه الفتح وهو طليق
حنت لكم أرض الحجاز كما ... أن العراق فى هواكم عريق
دمت عزيز الأمر فى غلظة ... على العدا بكل عضب رقيق
تجلو على الكفر كؤوس ردا ... من سكرها المثقل لا يستفيق

وقال أيضا أسماه الله فى بعض الموالد النبوية ، مادحاً النبى صلى الله عليه وسلم ، وحافده الخليفة مولانا المنصور بالله أعلا الله أواصره وأدام نصره :

زفرات حبك قد صدعن فؤادى ... وطيور شوقك قد صدحن بوادى
وشهود صدقى فيك وهى مدامعى ... خطت خطوطاً فى الخدود بوادى
تسن فى ميدان خدى حمرها ... فكأنها فى الجرى خيل طراد
والعين تنهر من شؤونى سائلا ... غدقاً وما نقعت غليل الصادى
وقف على بانات جرعاء الحما ... عبراتها وعلى مسيل الوادى
وبمهجتى ركب رموا كبد النوا ... فتصدعت بحنية منـاد
لما تنادوا بالرحيل الى الحما ... خفت على قلبى يوم تناد

خاضوا المهامه أبحراً بسفائن يفري الرياح سنامها والهادي

يبدو لها بدر الحما فيشوقها فأعجب لحاضر شوقها من باد

واذا تهب من أرض نجد نسمة يلقا القبول على شذاها الحادي

أفدي بسلع والمصلا جيرة ما لأسير غرامهم من فاد

حاولت نحوهم التخلص رائحاً بالقلب كي أحظا بوصلي غاد

وتخذت زادي مدحهم فلذا اغتدا مدحي لخير الخلق أحمد زادي

سر العوالم نكتة الكون الذي هتفت به الأحبار قبل ولاد

هو مجتبا الرحمان من أرساله واهام جمعهم وبدر النادي

وعميدهم وكفيلهم وأجل من ساد الورا من حاضر أو باد

هو أول ، هو آخر ، هو جامع هو فارق للغي عن ارشاد

متقدم متأخر متوسط ناهيك من أوصافه الأضداد

هو رافع علم الهدا ومناره ومشيد الأبيات ذات عماد

هو مودع الأسرار في الاسرا التي علم الغيوب وحضرة الاشهاد

وهو الذي راض العلا وهو الذي خضعت له الأسياف في الأغماد

من هاشم البطحاء أرباب الورا وصميم عبد منافها الأطواد

ولباب عدنان ولب قصيها حسباً على غرر الكواكب باد

متنوع الآيات يعيي عدها قلم الحساب وجامع الأعداد

متسنم الأفلاك بالقدر الذي ترك المثال على صفا الاصلاد

ومساير الأملاك وهي مواكب من فوق سبع قد علون شداد

يا مصطفا الرحمان من ارساله وامامهم في الجمع والأفراد

ومحط آمال الورا ومنيلهم كرماً وكعبة أوجه القصاد

أودى بعبدكم الغرام ، فهل له وصل لبابك ؟ فهو عبد وداد

إبداً أهيم بكم فمن ذكراكم أضحت جفوني وهي ذات سهاد

تحدو بقلبى نحوكم أشواقه ... فتذوب وسط المنحنا أكبادى

يثنى اليكم وده عن غيركم ... فهواكم ثان ولى أنا حاد

واذا أيمم مخلصاً فلأنتم ... والسبط سبطكم الامام عمادى

خير الخلائق احمد المنصور من ... أربا على الأضداد والأنداد

بسماحة وصباحة وفصاحة ... وأصالة وجزالة وجلاد

واجل من خضعت لسطوة سيفه ... وهو الغلوب ملوك كل بلاد

فتاح أمصار البلاد بعزمة ... فرقت لها الأسياف فى الأغماد

وموطد لممالك من حسنها ... كالعين حف بياضها بسواد

بكتائب علوية بسيوفها ... وركام بندقها كبرق غواد

هو مخمد الأهوال بعد هياجها ... هو صالح الأيام بعد فساد

من معشر فضلوا الأنام فمنهم ... مهديها الأهدا ، ومنها الهادى

وولاة حوض الله يجرى سلسلا ... بمسوسه العذب وصفو براد

وحماة مكة بل كوافل بيتها ... ومآلها من حاضر أو باد

فتوطدوا بحريمها غرف العلا ... وتسنموا فى الحجر خير مهاد

فلهم بها ما انجاب عنه فجرها ... من قلبها ومصادها ومراد

وشعابها وهضابها وسهولها ... وحزونها ونجادها ووهاد

وحريمها المحمى اذ يحمونه ... بالبيض والسمر الطوال صعاد

قد دافعوا بالسيف أبرهة الذى ... للحرب لف بياضها بسواد

أسواهم أبغى وآمل للندا ؟ ... أم غيرهم أرجو ليوم معاد ؟

فهم أباحوا كل ممنوع الحما ... وهم أذلوا أنف كل معاد

تبدو بدور التم من تيجانهم ... وعليهم المأذى مثل دءاد

من كل رقراق الحواشى فوقه ... كعيون أفعا أو كعين جراد

يعلو على أحسابهم نور الهدا ... وعلى الدلاص يلوح صبغ جساد

فهم أماتوا حاتماً فـــي طيـــــيء وهم أماتوا الدهـــر كعب ايـــــاد
وهم الحيا من قبل أن يحيـا الحيـــا وعهــــاد مزن قبل مـــزن عهـــاد
قد جدد المنصور ما قد أسســـــوا من كل مكرمـــــة وكـــل أيــــاد
وبنـــا بنـــاء زائداً أربـــا عـــلى ما كان شاد غطـارف الأجـــــداد
ان كان أهل البيت أعمـــدة الـورا فهو لاهل البيت خـيـــــر عمـاد

وقال أيضا سنا الله آرابه ، وأحله من غمدان العز محرابه ، فى ميلاد عام تسعة وألف ، وأنشدنيها لنفسه ، ونقلتها من خطه :

دار الحما ادنفت جسمي ذكـــراك فأنعشى بشـــذا ريـــاك مضنـــاك
وحميلـه صبـا فى طـــى هبتـهـــا نشر لذا الفهـــم يفشى سر ليـــلاك
ويامحجبـة خلـف الستـــور أمـا يدنو المــزار لكـــى أحظـــا بلقياك
لولاك ما كنت أصبو عند كـــل صبا لها مرور بذاك السفـــــح لــولاك
طافت بركنك آمال المحب فـــــان كلفته السعى فـــوق الوجه لبـــاك
يصلا بنـــار اشتيـــاق مـــن تذكره لما يخيل من أوصـــاف معنـــاك
هل بان حيك عن بـــان اللـوا سحرا ويمموا من أراك الشعب أرطـــاك
أظما الى رشفة ألـــوى المطـــال بها من حجر لاح خـــالا فـــى محيـــاك
فبرقع الوجنـــة اللميـــاء من صـدا يعلوه من زفرات كـــل نســـاك
لله أنت متى يطـــوى النوا ومتـــى يقول عـــزمى باسم الله مجـــــراك
ما للتخلص عن شوقى اليـك سـوى انى بمـــدح رسول الله أســـلاك
محمد المصطفـــا المبعوث من مضر وخير من سار فـــوق السبع أفلاك
من خبرت فيه آيـــات الهـــدا مدحاً تحلو على السمع اذ يشدو بها الحاكى
أجل كل الورا قدراً وأحفلهـــــــا فهو الموحد حسنـــاً دون اشـــراك
نزهت طلعته فى الحسن عن شبـــه وقلت أشهد أن لا بـــــدر الاك

ذو المعجزات التى قد أطلعت حججاً　　أبطلن بالحق دعوا كل أفاك

فهو الذى كسرت كسرا مهابته　　وقصرت قيصراً عن نيل ادراك

وهو الذى يوم بدر جاءه مدداً　　عرمرم الجيش من أجناد أملاك

وهو الذى قد أرانا كل معجزة　　رشداً لتاو ومنجاة لهلاك

الفاتح الخاتم الهادى الشفيع ومن　　محا بنور الهدا ديجور اشراك

انف لعبد مناف فخر هاشمها　　وهاشم فخر هذا المعدن الزاكى

غوث الطريد ومأمن الشريد ومن　　لديه كل المنا للآمل الشاكى

يا من دنا فتدلا للعلا صعداً　　كقاب قوسين أو أدنا لادراك

عليك أزكا سلام دائم وعلى　　آل سموا للمعالى فوق أملاك

انى بمدحك مشغوف أحبره　　أو مدح سبطكم غلاب أملاك

كهف الأنام أمير المومنين ومن　　بالأمن ياملل التوحيد أولاك

مفنى الطواغيت والأحزاب أفضل من　　يا عابدى اللات بالتدمير أبلاك

وعاقد التاج للأملاك يمنحها　　عنه كفى له ملك دون أملاك

وكل جيل يؤمون اليك فمن　　عرب وعجم وأروام (56) وأتراك

تقوم وهى سماطان ببابك كى　　تقضى فروض المطيع الخاضع اءلاك

تقلدوك اماماً لا تنازع فى　　تفضيله بين أقيال وأملاك

وخصصوك بتشريف حباك به　　من صاغ مجدكم من معدن زاكى

نادت لأسيافك الأملاك خاضعة　　كفى القتال وفكى قيد أسراك

صوارم بين حديها مجانسة　　اذ اصبحا بين سفاح وسفاك

تقاسم الكفر والايمان شيمتها　　فطابقت بين عباس وضحاك

قلت لها يا سيوف الهند صانك من　　بالنصر منه على الأرضين ولاك

---

56) الأروام جمع الجمع للروم (مؤلف)

وصان كف الـذى بمـا تقلـد مـن ... حـلا المفـاخـر والاحسـان حـلاك
يا واحـداًمفـرداً فـى مجده علـمـا ... سـامـى الـذوائب يسمو فوق أفلاك
لا زلت فـى درجات العـز فى صـعد ... ودام شـانيك فـى ادراك أضنـاك

وقال أيضا أبقاه الله في بعض الموالد الشريفة التى من شأن خليفة الله أن يحتفل لها غاية الاحتفال :

هم سلبونى الصبر والصبر من شأنى ... وهم حرموا من لـذة الغمض أجفـانى
وهم أخفروا فى مهجتى ذمـم الهـوا ... فلم يثنهم عن سفكـهـا حبى الجانى
لئن أترعوا من قهوة البين أكـؤسـى ... فشوقهـم أضحـا سميرى و ندمانـى
وان غادرتنـى بالـعـراء حـمولـهـم ... كفى أن قلـبـى جاهـد اثـر أظعان
قف العيس واسـأل ربعهم أية مضوا ... أللجزع سـاروا مـدلجيـن أم البان ؟
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا ... ملاعـب آرام هنـاك وغـــزلان ؟
وأين استقلـوا هـل بهضب تهـامـة ... أناخوا المطايا ، أم على كثب نعمان ؟
وهل سال فى بطن المسيل تشوقـاً ... نفوس تـرامت للحما قبل جثمـان ؟
واذ زجـروهـا بالعشى فهـل ثـنـا ... أزمتها الحادى الـى شعب بـوان ؟
وهل عرسوا فى دير عبدون أم سروا ... يؤم بهم رهبانهـم ديـر نجـران ؟
سروا والدجـا صبغ المطارف فانثنا ... بـأحداجهـم شتـى صفات وألـوان
وأدلـج فى الأسحار بيض قبـابـهـم ... فلحـن نجـوماً فى معـارج كـثبـان
لك الله من ركـب يرى الأرض خطوة ... اذا زمهـا بـدناً نـواعم أبـدان
أرحـهـا مطايا قد تمشا بهـا الـهوا ... تمشـى الحميـا فى مفاصل نشـوان
ويمم بها الوادى المقـدس بالحمـا ... بـه المـاء صـدا والكلا نبت سعدان
وأهدى حلول الحجـر منه تحـيـة ... تفـارح عرفـاً ذاكى الرنـد والبـان
لقد نفحت من شيح يثـرب نفحـة ... فهاجت مع الأسحار شوقى وأشجانى

وفتت منهـا الشرق فى الغرب مسكة   سحبت بها فى أرض داريـن أردانـى

وأذكـرنى نجـداً وطيب عـــراره   نسيم الصـبـا من نحو طيبة حيانى

أحن الى تلك المعـاهد انـهـــا   مـعـاهد راحاتى ورروحـى وريحانى

واهفو مـع الأشواق للوطـن الـذى   بـه صح لـى أنسى الهنـى وسلوانى

واصبو الـى أعـلام مكـة شيـقـا   اذا لاح بـرق من ثمام وتـهـــلان

أهيل الحما دينى عـلى الدهـر زورة   أحث بـهـا شوقـاً لكم عزمى الوانى

متى يشتفى جفنى القريح بلـحـظـة   تـرج بهـا فى نوركـم عيـن انسـان

ومن لـى بـأن يدنو لقـاكـم تعطفاً   ودهـرى عنى دائمـاً عطفـه ثـانـى

سـقـا عهدكـم بالخيف عهد تمـده   سـوافح دمـع من شؤونى هتـان

وأنـعـم فى شط الـعقيـق أراكـة   بأفيائـهـا ظل المنـا والهـوا دان

وحيا ربوعـاً بين مـروة والصفـا   تحيـة مشتـاق لها الدهر حيـران

ربـوعـاً بها تتلو الملائـكـة العـلا   أفـانيـن وحـى بيـن ذكر وقـرآن

وأول أرض بـاكرت عـرصـاتـهـا   ووشت بـطـاحـهـا سحائب ايـمان

وعرس فيهـا للنبـوءة مـوكـب   هو البحر سـال فوق هضب وغيطان

وأدا بـهـا الـروح الأميـن رسـالـة   أفـادت بـهـا البشرا مدايـح عنوان

هنـالك فض ختمهـا أشـرف الـورا   وفخـر نـزار من معد بـن عـدنـان

محمـد خيـر العالميـن بـأسـرهـا   وسيـد أهل الأرض م الانس والجان

ومن بشرت ببعثـه قبـل كـونـه   نـوامس كـهـان وأخبـار رهبـان

وعلة هذا الكون لولاه مـا سمت   سمـاء ولا غاضت طـوافح طـوفـان

ولا زخـرت من جنة الخلـد أربـع   تسبـح فيهـا الحور مـع جمع ولدان

ولا طلعت شمس الهدا غب دجيـة   تجهـم من ديجورهـا ليـل كـفـران

ولا أحدقت بـالمذنبيـن شفـاعـة   يـذود بـهـا عنهـم زبانـى نيـران

لـه معجزات أخـرست كـل جاحـد   وسلـت على الـمرتـاب صارم برهان

له انشق قرص البدر شقين وارتوا ... بماء هما من كفه كل ظمآن

وأنطقت الأصنام نطقاً تبرأت ... الى الله فيه من زخارف ميان

دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت ... تجر ديول الزهر ما بين أفنان

وضاءت قصور الشام من نوره الذى ... على كل أفق نازح القطر أو دان

وقد بهج الأنوا بدعوته التى ... كست أوجه الغبراء بهجة نيسان

وان كتاب الله أعظم آية ... بها افتضح الميان وابتأس الشانى

وعدا على شأو البليغ بيانه ... فهيهات منه سجع قس وسحبان

نبى الهدى من اطلع الحق أنجما ... محا نورها أسداف أفك وبهتان

لعزتها ذل الأكاسرة الأولى ... هم سلبوا نيجانها آل ساسان

وأحرز للدين الحنيفى بالظبا ... تراث الملوك الصيد من ولد يونان

ونقع من سمر القناسم قيصر ... فجرعه منه مجاجة ثعبان

وأضحت ربوع الكفر والشرك بلقعاً ... يناغى الصدا فيهن هاتف شيطان

وأصبحت السمحا ترف نضارة ... ووجه الهدا بادى الصباحة للرانى

أيا خير أهل الأرض بيتاً ومحتداً ... وأكرم كل الخلق عجم وعربان

فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم ... ولو ساجلت سبقاً مدائح حسان

اليك بعثناها أمانى أجدبت ... لتسقى بمزن من أياديك هتان

أجرنى اذا *أبداالحساب جرائمى ... وأثقلت الأوزار كفة ميزانى

فأنت الذى لولا وسائل عزه ... لما فتحت ابواب عفو وغفران

عليك سلام الله ما هبت الصبا ... وماست على كثبانها ملد قضبان

وحمل في جيب الجنوب تحية ... يفوح بمسراها شذا كل توقان

الى العمرين صاحبيك كليهما ... وتلوهما ىى الفضل صهرك عثمان

وحيا علياً عرفها وأريجها ... ووالا على سبطيك أوفر رضوان

اليك رسول الله صممت عزمة ... اذا ازمعت فلشحط والقرب سيان

وخاطبت منى القلب وهو مقلب   على جمرة الأشواق فيك فلبانى
فياليت شعرى هل أزم قلائصى   اليك بداراً أو أقلقل كيزانى
واطوى أديم الأرض نحوك راحلا   نواجى المهارى فى صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين الى الحما   اذا غرد الحادى بهن وغنانى
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها   خطا لى فى تلك البقاع وأوطان
وما ذا عسى يتنى عنانى وان لى   بآلك جاهاً صهوة العز أمطانى
اذا ند عن زوارك البأس والغنا   فجود ابنك المنصور أحمد أغنانى
عمادي الذى أوطا السماكين أخمصاً   وأوفا على السبع الطباق فأدنانى
متوج أملاك الزمان وان سطا   أحل السيوف فى معاقد تيجان
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلما   اذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره   تضاءل فى أخياسها أسد خفان
وان أطلعت غيم القتام جيوشه   وأرزم فى مركومه رعد نيسان
صببن على أرض العداة صواعقاً   أسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوا لصدعت   صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم   وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلا العدا   هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جرعن العدا غصص الردا   وعفرن فى عفر الثرا وجه بستان (57)
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت   تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
أمام البرايا من على نجاره   ومن عترة سادوا الورا آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سؤدد   ذوو همم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم   بدور اذا ما احلكت شهب أزمان

57) يريد الملك سيبستيان ملك البرتغال الذى قتل فى وقعة وادى المخازن الشهيرة

وهـم آل بيت شـيـد الله سمكـه عـلى هضبـة العليـاء ثابت أركـان

وفيهم فشـا الذكر الحكيـم وصرحت بفضلهم آى الكتـاب وفـرقـان

فـروع ابن عم المصطفـى ووصيـه فناهيك من فخريـن قربـا وقربـان

ودوحـة مـجـد معشب الروض بالعلا يجود بأفـواه الرسـالـة ريـان

بمجدهم الأعـلا الصريح تشرفت معـد على الـعربـاء عاد وقـحـطـان

اولئك فخرى ان فخرت علـى الـورا ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان (58)

اذا اقتسم المـداح فضـل فخارهـم فقسمى بالمنصور ظـاهـر رجحان

امـام لـه فى جبهة الدهـر ميـسم ومن عـزه فى مفرق الملك تـاجـان

سما فوق هـامات النجوم بهـمـة يـحـوم بهـا فوق السماوات نسران

وأطلع فى أفـق المعـالـى خلافـة عليهـا وشاح من عـلاه وسمـطـان

اذا ما احتبـا فوق الأسـرة وارتـدا عـلى كبريـاء الملك نخـوة سلطان

تـوسـمـت لقمـان الحجـا وهـو نـاطق

وشاهدت كسرا العدل فى صدر ايوان (59)

وان هـزه حـر الثنـاء تـدفـقـت أنـامله عـرفا تـدفـق خـلـجـان

أيـا ناظر الاسـلام شـم بارق المنـا وبـاكر لروض فى ذرا المجـد فينان

قضـا الله فى عليـاك أن تملك الـدنا وتفتحهـا ما بيـن سوس وسـودان

وانك تطـوى الأرض غـيـر مـدافـع فمن أرض سـودان الى أرض بغـدان

وتـملأهـا عـدلا يـرف لـواؤه على الهـرميـن أو على رأس غـمـدان

فكـم هنـأت أرض العـراق بك العلا ووافت بك البشـرا لأطراف عـمـان

فلو شارفت شـرق البلاد سيوفكـم أتـاك استلابـا تاج كسرا وخـاقـان

ولـو نشـر الأملاك دهرك أصبحت عيـالا على عليـاك أبنـاء مـروان

58) يعنى لسان الملة ابن الخطيب صاحب التآليف فى الكتابة والتاريخ وغيرهما (مؤلف) .

59) أى والله . أى والله (مؤلف) .

وشايعك السفاح يقتاد طائعاً ... برايته السوداء أهل خراسان

فما المجد الا ما رفعت سماكه ... على عمدى سمر الطوال ومران

وهاتيك أبكار القوافى جلوتها ... تغار لهن الحور فى دار رضوان

أتتك أمير المومنين كأنها ... لطائم مسك أو خمائل بستان

تعاظمن حسناً أن يقال شبيهها ... فرائد در أو قلائد عقيان

ومنها ختاما :

فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها ... وللدين تحميه بملك سليمان

ولا زلت بالنصر العزيز مؤزراً ... تقاد لك الأملاك فى زى عبدان

وله أيضاً حفظه الله ورعاه فى بعض الموالد الشريفة أيضاً مطلع قصيدة :

أدرها فقد أودى بهن دلوج ... ودكت ربا أكتادهن حدوج

ومنها :

ظعائن خوص العهن فى فلوانها ... وفى فقرات ظهرهن دموج

اذا اطلعتها لجة الآل خلتها ... سفائن خضن البحر وهو مريج

رمين النوا لما انبعثن بأسهم ... يرق لها عند المروق خروج

وأرزم أرزام الرعود هديرها ... فسد الفجاج الفيح منه ضجيج

تحمل من آرام وجرة للحما ... بدوراً لها بيض القباب بروج

اذا زمها نحو الحجاز حداتها ... أغار بهن الشوق وهو لعوج

هوا هن ما بين الحجون مخيم ... وبين أثيلات العقيق دروج

تسلين عن كل البقاع فلن ترا ... على غير أكناف العقيق تعوج

ركائب آلت أن تهدم أو يرى ... لها بين هضب الأخشبين ولوج

اذا عم من تسنيم زمزم شربها ... وأطفت لهيب الشوق وهو لجيج

ولاحت لـهـا أعـلام يثـرب فارتمت ... اليـهـا تبارى الـريـح وهو نئيـج
أنخن على ربـع به مـوكب الـعـلا ... يـموج وأمـلاك السمـاء تـروج
وبحر الهـدا من نبعـه سـال طافحاً ... فطـم على المعمور مـنـه خـليـج
وصب عـزالى الـوحـى فى عرصاته ... ففاضت بـه أنهـارهـا ومـروج
ديـار بهـا مسك النبـوءة صـائك ... ونور الهدا الوهـاج فيها وهيـج
وأرض حـوت من جوهر الكون جوهرا ... تحلت بـه السمحـاء وهـو بهيـج
تبـوأهـا خيـر البرايـا ومن لـه ... الـى أوج أفـلاك السماء عـروج
ولـيـل بسـاق العـرش وهو محجب ... عليه رواق سـابـغ ووثـيـج
محمد خيـر العـالمين ومـن بـه ... تقلص ليـل الكفـر وهو دجـوج
نـبـى دحـا أرض الـرشاد فأصبحت ... وسـرب الهـدا فى منكبيهـا يـروج
ولاح لنـا من نـور آيـات صـدقـه ... سـراج بمشكـاة اليقيـن وهيـج
تنضنض من برهـانهـا كـل لهـدم ... له فى صدور الملحديـن ولـوج
اذا رمت نـظـم القـول فيه تهيبـت ... عجـاف القـوافـى مدحـه فتعـوج
لمولده اهتـز الوجـود وأشرقـت ... قصـور ببصـرا أشرفـت وبـروج
وأفصح بالشكـوا له الجذع صارخا ... كـما صـرخت غب الحلاب ضجـوج
وسـالت بسلسـال المعين بنـانـه ... كـمـا در ضـرع حافـل ونـفـوج
أيـا خـيـر من زم الركاب مطيهـم ... اليه وحتـى اليعمـلات حـجـيـج
عليك سـلام الله ما افتـن صـادح ... وما افتر ثغـر البرق وهـو بهيـج
وما ضمخت صلـع الربا راحة الصبا ... فصيرهـا أو نمقتهـا ثلـوج
ألـهفـى لأخـدان ثنت عنك زورتـى ... وشـدت عقـال الـعـزم وهو زعوج
عـدتنى اذا شطـت بك الـدار سلوتى ... فلـم تختلـج فالصدر منهـا ضلوج

ومنـهـا :

أأسلو وبيـن المنحنـى من جوانحى ... فلـم تختلـج فالصدر منها ضلـوج

ولولا (الامام المرتضا) سبطك الرضا ... طوت بى اليك البيد أنضاء عوج
ولولاه ما أبطيت عن أجرع الحما ... فدار بها الشوق اللعوج بهيج

ومنها :

بأفق به نور الخلافة ساطع ... وأرض بها روض المعالى أريج
وربع به بحر السماحة زاخر ... كأن البحار السبع منه خليج
لدى أوحد الدنيا الذى خضعت له ... طواغيتها أروامها وزنوج
امام به غالبت كل مفاخر ... وأسكت خصمى الدهر وهو لجوج
له فوق هام النجم مجد موطد ... ومن عدله فى عالم الأرض زيج
مهيب رحيب الصدر ان دهم الورا ... وصدر مجال السمر منها حريج
له عزمة تجلو الخطوب اذا وجت ... ورأى بعقم المعلومات نتيج
عماد الورا المنصور والأوحد الذى ... به غاض بحر الهول وهو مهيج
وأدركت الرى الخلافة بعدما ... ذوا برياض المجد منها وشيج
وأنقذ بالسيف المهند تاجها ... على حين كادت تقتنيه علوج
وجدل طاغوت العدا وجموعه ... وللنمل فوق الأرض منهم دجيج
بيوم غدا ثغر الهدى فيه باسماً ... وصدر القنا بالطعن فيه بهيج
وظل به الشيطان يندب حزبه ... وقد خنقته عبرة ونشيج
فتوح أمير المومنين فواتح ... لها فى جبين المجد منك بلوج
فهل راض راض رضوا الحلم قبلك جامحاً ... وهل حملت ليث الهياج سروج
وهل زار أرض الزنج جيش عرمرم ... تكنف أسد الغاب منه وشيج
بدهم سددن الجو وهى حنادس ... وشهب كسا الأرضين منها ثلوج
عليهن من سرد الحديد ملابس ... ومن ورق التبر السبيك نسيج
كتائب من صفين حامت حماته ... بحرد نمتها فى العتاقة عوج

وهذه القصيدة طويلة تركت ما بقى منها لكونى لم أجده فى الحال :

وقال أيضا أبقاه الله مطلع قصيدة ميلادية قام بها بين يدى أمير المومنين أيده الله سنة 993 :

يانسمة بكرت أباطح لعلع ... وسرت تجر ذيولها بالأجرع
شحرية نشأت تضمخ أربعاً ... تنتابها بعبيرها المتضوع
وهفت تشق جيوب كل خميلة ... وتفت مسكة كل روض ممرع

وهى طويلة أيضاً ، الى غير ذلك من ميلادياته حفظه الله وهى كثيرة ، وفيما ذكرنا منها كفاية :

ومما قاله حفظه الله رياسته فى غرض هناء أمير المومنين نصره الله بمقدم فاتح السودان جؤذر باشا أحد فتيان الخليفة نصره الله بذى القعدة من عام 1007 :

علم انتصابك للعلا متمكن ... والفتح من حركاته متعين
والصعب طوعك فهو سهل كله ... والأشد عندك فهو أسلس ألين
فاذا تصمم كان عزمك ماضياً ... ما ان يرد سهام رأيك جوشن
هذى ممالك قادها لك عنوة ... وهى الشموس الشوس فتح بين
يسمو بها لك جؤذر بل ضيغم ... بدم الأعادى منه يدما البرثن
أرض غدت أم البلاد لأنها ... . أجمع محصن
ملكت مقاد الأرض كفك باسمها ... فملوكها لك أعبد تتطامن
من لم يدن لك بالخضوع حرمته ... فيبوء مضطرا اليك ويذعن
ان العباد كفلتهم فكفالكم ... أرزاق هذا الخلق منها المعدن
وافتك منه هضاب تبر أوقرت ... ظهر المطى به سفائن تشحن
وتراكمت أثقال كل ذخيرة ... غص الفضاء بها وضاق المعطن

وتسايلت لكـم الأبـــاطح بالتـى منها استعار قـوامهن الأغصـــن

من كل مسكية الأديـــم فجسمهـا خلعت عليه سوادهـن الأعيـــن

وصواهل يسمو الصهيل بها الـــى نسل الوجيه وعتقهـــا المتبيـــن

يمرحن من تيه فمن أجـــم القنـــا ومتونها لكل معقـــل متحصـــن

صقل الصبـــا أعرافهـن ومسحـــت منها المتون من البوارق السـن

هـن الجياد قـد اتعلت أجيادهـا صعداً لها ذات الـذوائـب أرسـن

لم تدخـــر أرض الجنوب ذخيـــرة عنكم ، وما كانت لغيرك تذعـــن

أهدت اليك غرائباً يقتـــادهـــا فـيـل يهـــول وآلـــة تستحسن

واتتك أبنـــاء الملوك ممـــالكـــاً قامت ببابك وهـــى دجـن أدكـن

من كل حامى النجار ، وبعضهـــم يسمو لتبع منه جـــد أمتـــن

سكنوا بعنوة عزمهـم فاستنزلـــوا بالسيف سيفك ذى الفقار فأذعنـوا

شغفت بملكك كل أرض فاغتـــدت يهوى بها عـــدل اليك ومأمـــن

فكأن بمصر وأرضها لـك أهطعـــت فيقودها سعـــد لكـم وتيمـــن

فتح أتـــاك يقود حسنـاً بعـــده فتـــح يؤمك بالتى هـــى أحسـن

أو ما تراها بالصعيـــد تيممـت والى المثـول بشـط نيلك تركـن

قـد طـالما استسقت ليسقـى محاها سلسال عدلك فهـو محـل مـزمن

لتفوز بالملك العزيز وتغتـــدى بظباك قاهـــرة المعـــز فتحصـن

قـــل للملـوك تأهبـوا هذا الـذى فتـــح البـــلاد لعهـــده متحيـــن

وقال أيضاً رفع الله مقداره ، وأدام تلبيته لداعى الأدب وابتداره ، لما صرف أمير المومنين نصره الله لولى عهده هدية عظيمة يمدحه بذلك :

اليـــك الفخــر أجمعـــه تناهـــا وقدرك هـــو قـــدر ما يضاهـــا

فكل الخلـــق نيط بكـــم منـــاه وكل الأرض عندك مشتهـــاهـــا

وكل ذخيرة للملــــك أضحـــــت ... الى حجـــرات دارك منتهـــاهـــا
كنوز الأرض وهـــى لكـــم مـلاك ... شموس في قصورك مجتـــلاهـــا
منــوعــة الفنــون يــروق منـهــا ... بديع في بديعك قــد تنـــاهـــا
فمن طرف العـــراق وكـــل أرض ... عجائب راق أعيننـــا رؤاهـــا
ومن كسب الملوك ومقتناهـــــا ... غرائب جـــلل الدنيـا سنـــاها
بيوم أصبح الايـــوان منهـــا ... يجـــر ذيول بـأو من بهـــاهـــا
ملوك ملاكك ازدحمت عليهـــا ... لتبصـــر ما سباهـــا مـن سباها
يكبر معجبـــاً فكأنمـــا قـــد ... أطل على الفرادس مـــن رآهـــا
فمن بيـض القبـــاب مدبجـــات ... تلوح بهـــا المجـــرة في سماهـا
من الديباج راق بصفحتيـــه ... خمائل لحن باكرهـــا نـداهـــا
حشين مـــن التماثـــل كـــل حسن ... ومن صور سواحـــر من يراهـــا
فمن طير شدون بكـــل غصـــن ... ومـــن غـــزلان رامـــة أو مهاهـــا
نوافر من فوارس تدريهـــا ... وآســـاد لهـــن فغـــرن فـــاهـــا
وبسط كالريـــاض مفـــوفـــات ... وأنمـــاط لعبقـــر منتهـــاهـــا
وأصناف التخوت ملـــونـــات ... كما وشت يد الأنـــوار بـــاهـــا
وبيض كالأفـــاعـــى مطـــردات ... لـهـــا سلـــخ اليواقيت من غشاها
تمت لذى الفقـــار بكـــل حـرب ... الى صفـــين تنسبهـــا ظباهـــا
لها نجـــر على الجـــد ســـام ... لأقيال شـــوامـــخ فـــى عـــلاهـــا
ومن طيب العبير حقـــاق . . . ... وأرخـــص كل غاليـــة شذاهـــا
وأحجـــار نفـــاس فاخـــرات ... لوامع كالبـــروق يشف مـــاهـــا
وأجـــرام الصنـــادق مـــوقـــرات ... بأموال صـــوامت ملء فـــاهـــا
ذخائـــر ما القياصر أحـــرزوهـــا ... ولا ملك الأكاســـرة اقتناهـــا
تأثـــل جمعهـــا لك مـــن فتـــوح ... قد أطعمهـــا سيوفـــك فـــى قراها

دنا لك قطفها من بستيان ... وطاب لديك من جنى جناها

وهادتك الملوك بها اتقاء ... لتمنحها الأمان على حماها

فكم ذو التاج ضن بها سفاهاً ... فأنفذتم لمهجته رداها

فجدت على ولى العهد منها ... بوقر العير يجهدها سراها

بطيب من ضميرك عنه راض ... ونفس من عدوك قد شفاها

عظيم أنت جاد على عظيم ... كما اقتبس الأهلة من ذكاها

ودنيا قد وكلت بها كفيلا ... وأسندتم لمولاها ولاها

خليفتك الذى أرضاك برا ... وأرضا فى البرايا من براها

همام كل أصناف البرايا ... عليه قلوبها جمعت هواها

لقد بلغ العباد بكم مناها ... من الدنيا ، وفى الأخرى رضاها

وزان الله باسمكم زمانا ... بفخركم على الأعصار تاها

وقال أيضاً يمدح أمير المومنين نصره الله ويستمنحه مالا :

امام الأرض منصور اللواء ... وفتاح البلاد على الولاء

اليك رفعت بالتأميل صوتى ... لكى تبنى على فتح ندائى

وأسندت الرجاء اليك كيما ... أحدث فى السماحة عن عطاء

وأرويها مسلسلة أحاكى ... بها النعمان عن ماء السماء

فمن طين الندا سواك ربى ... وصاغ كريم وجهك من حياء

فلا تسخو طباعى فى سواكم ... بوشى من مديح أو ثناء

ولا ألوى على أحد وأنوى ... الا الله ثم لكم دعائى

فأنتم عند محل الأرض غيثى ... وعند الفقر ان يلمم غنائى

ولائى بالكتابة لى شفيع ... فدونكم عبيداً بالولاء

أصون مياه وجهى عن سواكم ... تراق لو أنه بدر السماء

لأنى للعزيز له مضاف ... وللملك العزيز بك اعتزائى

وقال أيضاً أبقاه الله فى تهنئة باعذار المولى عبد الله ابن ولى العهد الأمير الأسنا الأسما ، مولانا محمد المأمون أمنه الله تعالى :

طير الهنا لك بالمسرة صادح ... وبمشتهاك الدهر غاد رائح
وبكل نوع من بديع صنيعكم ... يشدو الزمان مغرداً ويطارح
فى كل يوم من زمانك للورا ... عيد يبارك بالمنى ويراوح
أيام عصرك وهى بيض كلها ... غرر تلوح وأنجم ومصابح
وأكفكم للخلق أنواء الندا ... وهى لأرزاق العباد مفاتح
طلعت بهذا المهرجان بشائر ... ماتت من الدنيا بهن جوائح
وأقمت للاعذار فيه معرسا ... هو جامع ولكل صدر شارح
هبت له الأمراء تحضر يومه ... لم ينأ دان منهم أو نازح
وسما لعبد الله نجل محمد ... شأن باحراز العلاء يفاتح
ذاق الحديد فما علته كزازة ... تعلو وجوه الصيد وهى كوالح
وعلاه بشر النور يشهد أنه ... نور النبوءة فهو نور واضح
وغمائم نشأت حوامل بالندا ... والند فهى طوافح ونوافح
تهفو الخوافز فوقه وتحفه ... صيد الملوك خوادم وكوادح
فعليكم طير السرور حوائم ... وعلى عدوكم تنوح نوائح
وببابكم تروى الفتوح صوارم ... هى باسمكم للأرضين فوالح
نطيت بجيد الدين فهى تمائم ... ولفتح مقفلة البلاد مفاتح
ان زان فخر معشراً فلأنتم ... فى الخلق روح والأنام جوارح
أرضيتم حزب الاله ورضتم ... جداً جياد الملك وهى جوامح
وورثتم عن هاشم البطحاء ما ... قد وطدته أئمة وجحاجح
وعرفتم بسماتهم فوجوههم ... بين الأنام تلوح وهى مصابح
أنى لأنشىء فى علاك بدائعا ... بلسانهن لحاسديك تكافح

وقف عليكم ما تروى فكـــرتـــي   فيكم وما تلقـى عـلى قـــرائـــح
يغنـي مديـــح سواكم ، ومديحكم   يبقا ، وتلك الباقيـات صوالـــح

وقال أيضاً أسماه الله يهنيء أمير المومنين نصره الله بفتح أصيلة :

بكر الفتوح لكم تهلل بشرهـــا   وافتر عن شنب المسـرة ثغـرهـا
وعقيلة الامصار وهي أصيلـــة   أنت العزيز لذا أطاعك مصرهـا !
وافى بها الفتح المبين يزفهـــا   لكم وليس سوا قبولـك مهرمـا
شغفت ببدرك واستبـاك حنينهـا   فتجمعت بكما حنين وبدرهـا
كـانت لـيـالى الكـفـر فيهـا دمـلا   وبعصرك الأقـوا تبيـن فجرهـا
خضعت لكم بخضوعهـا الدنيـا وقد   لباك من بطحـاء مكـة حجـرهـا
أوطيء جيوشك أرض أندلس فقـد   نذرت تطيعك كي يوفـى نذرهـا
واحصد رءوس المشركين بهـا فقـد   آن الحصاد لها وأرطب بسرهـا
واملك جميع الارض فهي وراثـة   واليكم بالفتح يسند أمرهـا

وقال أيضاً أبقاه الله يجدد دارس الأدب والبراعة ، ويجرى فى ميادين الدولة المنصورية أعلاها الله كيف شاء يراعه ، فى بعض المبانى التى أنشأها أمير المومنين نصره الله بالحضرة المراكشية حماها الله :

معـانى الحسن تظهـر فـى المغـانى   ظهور السحـر فى حدق الحسـان
مشابـه فـى صفات الحسن أضحت   تـمـت بـهـا المغـانـى للغوانـى
بكل عمود صبح مـن لجيـــن   تكون فى استقـامة خوط بـــان
مفصلـة القـدود مـثلـثـات   مواصلة العناق مـن التـدانـى
تـردت سابـرى (60) الحسن يـزرى   بـحسن السابـرى الـخسروانـى

(60) درع دقيقة النسج محكمة ، منسوبة الى سابور

وتعطو الخيزرانة من دماها ... بسالفة القطيع البرهماني

لمجدك تنتمي لكن نماها ... الى صنعاء ما صنع اليدان

يدين لك ابن ذى يزن ويعنو ... لها غمدان فى أرض اليمان

غدت حرماً ولكن حل فيها ... لوفدكم الأمان مع الأماني

مبان بالخلافة آهلات ... بها يتلو الهدا السبع المثاني

هى الدنيا وساكنها أمام ... لأهل الأرض من قاص ودان

قصور مالها فى الأرض شبه ... وما فى المجد للمنصور ثاني

وقال أيضا أبقا الله رياسته :

ومما صدر عنى ليكتب فى المصرية (61) المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور أمير المومنين أيده الله فى جمادى الأولى من عام 995 قولي :

باكر لدى من السرور كؤوسا ... وارض النديم أهلة وشموسا

واعرج الى غرفى المنيف سماؤها ... تلق الفراقد فى حماى جلوسا

واذا طلعت بأوجها قمر العلا ... لا ترتضى غير النجوم جليسا

شرق القصور بريقها لما اجتلت ... منى على بسط الرياض عروسا

واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما ... ورداً تخير من بديعي خيسا

ملك أرا كل الملوك ممالكاً ... لعلاه ، والدنيا عليه حبيسا

دامت وفود السعد وهى عواكف ... تصل المقيل لدى والتعريسا

وهناك يا شرف الخلافة دولة ... تلقى برايتها طلائع عيسى !

61) منزل صغير يبنى فوق دكاكين الطريق أو فوق أى بناء سفلي ، ونسبتها الى مصر لأن هذا النوع من المباني اقتبس منها .

وقال أيضا أبقاه الله فى غرض يضاهى ما تقدم من قصيدة لم أجد أولها فلذلك كتبت منها ما وجدت فقط ، ولعلى أجد أولها ان شاء الله تعالى فألحقه بها :

سلبت تماثلها الحجا لما اغتدت — تزهو بحسن طرازه تذهيبا
ولقد تشامخ فى العلو سماكها — فجرا على الفلك المنير جنيبا
وسما الى الشهب الزواهر فاغتدا — الاكليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعز شبه بدائع — أبدعتهن به فجاء غريبا
اضنى الغزالة حسنه حسداً لذا — أبدا عليها للأصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأت — نهر الرياض به ينور عجيبا
شيدتهن صنائعاً ومصانعاً — أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت فى كل الفخار لغاية — أدركتها وما مسست لغوبا
فانعم بملكك فيه دام مؤبداً — تجنى به فنن النعيم رطيبا
واليكها عذرا بفكرى فضضتها — وجعلت مدحك مهرها الموهوبا
ونظمت من در البلاغة عقدها — فغدا يروق بجيدها ترتيبا
وزففتها لمقامكم تمشى على اسـ — ـتحيا فيزعجها الولا ترغيبا
فأتت على شره لكم فتوقفت — لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت اليك بحب جدك أحمد — لتنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق جمالها — والى القيامة أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة — يرعا بها خلفاً لكم وعقيبا

وقال أيضا أبقاه الله مما يكتب داخل القبة الخمسينية من البديع المذكور الذى اخترعه أمير المومنين نصره الله وأنجده :

جمال بدائعى سحر العيونا — ورونق منظرى بهر الجفونا
وقد حسنت نقوشى واستطارت — سنا يعشى عيون الناظرينا

وأطلع سمكى الأعلا نجوماً ... ثواقب لا تغور الدهر حينا

وجوى من دخان الند ألقى ... على أرضى الغياهب والدجونا

علوت دوائر الأفلاك سبعا ... لذاك الدهر ما ألفت سكونا

فصغت من الأهلة والحنايا ... أساور والخلاخل والبرينا

تكنفنى حياض مائجات ... أمامى والشمائل واليمينا

يقيد حسنها الطرف انفساحا ... ويجرى الفلك فيها والسفينا

تدافع نهرها نحوى فلما ... تلاقى البحر فى جرا دفينا

ترى شهب السماء بهن غرقى ... فتحسبها بها الدر المصونا

وقد نشر الحباب على سماها ... لئالىء تزدرى العقد الثمينا

فخرت وحق لى لما اجتبانى ... لمجلسه أمير المؤمنينا

هو المنصور حائز خصل سبق ... وبانى المجد بنياناً مكينا

وليث وغا اذا زأر امتعاضاً ... يروع زئيره هنداً وصينا

اذا أمت كتائبه الأعادى ... بعثن برعبه جيشاً كمينا

يدير عليهم من كل حرب ... تدقهم رحا أو منجنونا

امام بالمغارب لاح شمساً ... بها الشرق اكتسا نوراً مبينا

بقيت كذى القصور الغر بدراً ... تلوح بأفقهن مدا السنينا

تحف بكم عواكف عند بابى ... ملائكة كرام كاتبونا

لك البشرى أمير المومنين اد ... خلوها مع سلام امنينا

وله أيضا مما كتب ببهوها ، كتب بمرمر أسود فى مرمر أبيض :

لله بهو عز منه نظير ... لما زها كالروض وهو نضير

رصفت نقوش بناه رصف قلائد ... قد نضدتها فى النحور الحور

فكأنها والتبر سال خلالها ... وشى وفضة تربها كافور

وكأن أرض قراره ديباجة … قد زاد حسن طرازها تشحير

واذا تصعد قده نوءاً ففى … أنماطه نور به ممطور

شأو القصور قصورها عن وصفه … سيان فيه خورنق وسدير

فاذا أجلت اللحظ فى جنباته … يرتد وهو بحسنه محسور

وكأن موج البركتين أمامه … حركات سجف صافحته دبور

صفت بضفتها تماثل فضة … ملك النفوس بحسنها تصوير

فتدير من صفو الزلال معتقا … يسرى الى الأرواح منه سرور

ما بين آساد يهيج زئيرها … وأساود يسلى لهن صفير

ودحت من الأنهار أرض زجاجة … وأظلها فلك يضيىء منير

راقت فمن حصبائها وفواقع … يطفو عليها اللؤلؤ المنثور

يا حسنه من مصنع فبهاؤه … باها نجوم الأفق وهى تنور

وكأنما زهر الرياض بجنبه … حيث التفت كواكب وبدور

ولدسته الأسما تخير وصفه … خير الورا وامامها المنصور

ملك أناف على الفراقد رتبه … وأقله فوق السماك سرير

قطب الخلافة تاج مفرق دولة … رميت بجحفلها اللهام الكور

وجرا الى أقصا العراق لرعبها … جيش على جسر الفرات عبور

نجل النبى ابن الوصى سليل من … حقن الدماء وعف وهو قدير

بحر الندا لكنه متموج … سيف العلا لكنه مطرور

طود يخف لحلمه ووقاره … ولجيشه يوم النزال ثبير

دامت معاليه ودام ومجده … طوق على جيد العلا مزرور

وتعاهدته من الفتوح بشائر … يغدو عليه بها المسا وبكور

ما دام منزل سعده يرتاده … نصر يرف لواؤه المنشور

ومشت به مرحاً جياد مسرة … وأدار كأس الأنس فيه سمير

وقال أيضا ابقاه الله مما كتب خارجها :

سموت فخر البدر دوني وانحطا ... وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وصغت من الاكليل تاجاً لمفرقي ... ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت بأطواقي الثريا كأنها ... نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لأنني ... جعلت على كيوان رحلي منحطا
وأجريت من فيض السماحة والندا ... خليجاً على نهر المجرة قد غطا
عقدت اليه الجسر للفخر فارتمت ... اليه وفود البحر تغرق ما انطا
تنضنض ما بين الغروس كأنه ... وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
حواليه من دوح الرياض خرائد ... وغيد تجر من خمائلها مرطا
اذا أرسلت لدن الفروع وفتحت ... جنا الزهر لاح في ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم اذا سرا ... كما مال نشوان تشرب اسفنطا
يشق رياضاً جادها الجود والندا ... سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
وسالت بسلسال اللجين حياضها ... بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية ... هي الشمس لا تخشا كسوفاً ولا غمطا
حكت وحباب الماء في جنباتها ... سنا البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقا شعاعها ... على جسمها الفضى نهراً بها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها ... نقوشاً كأن المسك ينقطها نقطا
اذا اتسقت بيض القباب قلادة ... فأني لها في الحسن درتها الوسطا
تكنفني بيض الدما فكأنها ... عذارى نضت عنها الغلائل والريطا
قدود ولكن زادها الحسن عريها ... وأجمل في تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعداً تيجانها فتكسرت ... قوارير أفلاك السماء بها ضغطا
فيا لك شاواً بالسعادة اهلا ... بأكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت ... تطوف بمغناها أماني الورا شوطا

ومسرح غــزلان الصريـــم كناسهــا حنايا القباب لا الكثيب ولا السقطــا
يلكن به ما طاب لا الأثل والخمطــا ووسدن فيه الوشـى لا السدر والارطا
تــراه من المســك الفتيت مــدبــراً اذا ما زجته السحب عاد بهـا خلطــا
وان بــاكــرتــه نسمــة لسـرا بهـا الى كل أنف عرف عنبـره قسطـــا
أقــرت لــه الزهـــراء والخلد وانثنت أواوين كسرا الفـرس تغبطه غبطــا
جناب رواق المجد فيه مطنــــب عــلى خير من يعزا لخيــر الورا سبطا
امام يسير الدهــر تحت لــوائــه وتــرسى سفان للعــلا حيثما حــطــا
وفتاح أقطـــار البلاد بفليــــق يفلـــق هامات العــدا بالظبا خبطــا
تــطــلــع من خرصانه الشهب فانثنت ذوائب أرض الزنج من ضوئـها شمطا
كتائب نصر ان جـــرت لملمـــة جــرت قبلها الأقدار تسبقها فــرطــا
اذا ما عقدن رايـــة علويـــــة جعلن ضمان الفتــح فى عقدها شرطا
فما للسما تلك الأهلـــة انمـــا سنابكها أبقت مثالا بهـا خطـــا
يطاوع أيدى المعلوات عنــانهـــا فيعتــاد من قبض الزمان بها بســطــا
يد لأمير المومنين بكفهـــــا زمــام يقــود الفرس والروم والقبطا
أدار جداراً للعـــلا وسرادقـــا يحوط جهـــات الأرض من رعيه حوطا

وقال أيضا أبقاه الله مادحاً لولى عهد المنصور أمير المومنين أيدهم الله وقد وفد عليه بالحضرة الفاسية من الأبواب العلية الامامية أبواب أمير المومنين نصره الله ، أعلا الله أعتابها ، وأنشده اياها عند السلام بمحرم من عام سبعة وألف :

نضو تقسمه يـــد الأسـفـــار يطوى اليــك مــلاءة الاسحـــار
كتمته فى أحشاشهـــا بيداؤهـــا لمـــا دعــوه بكـــاتم الأســـرار !
خــاض المهــامه أبحــراً بسفــائــن رسبت بقعـــر الآل فـــى تيـــار
يصل الســـرا حتى أناخ على الـــذى بالبدن من بــدر صــوامت قـــار

ملك الملوك محمد المأمون مـن ... تعنو الملوك لسيفه البتار

وتخوفته على النفوس فكلهم ... يرضا فداء النفس بالأقطار

وأجل من تحدو الحداة بذكره ... عظماً فمن فاس الى الأنبار

رحب الجناب فكلما لاقيته ... يلقاك بشر ساطع الأنوار

أسد هريت الشدق مرهوب الشبا ... شتر البراثن دامى الأظفار

لله فيكم سر غيب لم يزل ... متبلجا فى الورد والاصدار

ان رام كيدك كائد متحير ... باء بصفقة شبه مازيار

لازلت وارث ملك أحمد باقيا ... ذخرا لأمة أحمد المختار

وقال أيضا فى ولى عهد المسلمين مولانا المامون أمنه الله :

الى الحرم المأمون تطوى الفلا طيا ... لتلثم كفا جادها بالندا سقيا

وتشكو جفاة حاولوا هدم ما بنت ... يد للعلا لا هون فيها ولا وهيا

يد لو الى الأفلاك مدت لما عصت ... لها السبعة الأفلاك أمراً ولا نهيا

وكف لسحبان يجل تأنفا ... عن النقض ما يبنيه ديناً ولا دنيا

أحاكمهم للعدل فيك سجية ... وللحسب الوضاح شيمتك العليا

لتوسعهم زجرا يذود سوامهم ... فتحمى حماى أن تسوم به رعيا

وتفطمهم عن رشف ما كانت راضعا ... فحاشاكم أن ترضعوهم معى ثديا

فانى بكم ءال الوصى لفى حما ... يعز على الشعرى تسنمه رقيا

وقال أيضا أبقاه الله فى ذلك الغرض ، مؤديا من حقوق ولى عهد المسلمين المفترض :

قف بالمطى على الحما المامون ... واعكف على حرم هناك أمين

وانشر لديه تحية أودعتها ... جيب النسيم بسرها المكنون

حملته منها لطائم مسكها ... يزرى بطيب المسك من دارين

يسرى الى بلد عهدت بأرضها ءارامه تسطو بأسد عرين
ويظهر زاوية جئاذر أتلعت فوق الربا أجياد حور العين
هيف القدود جلبن من بان الحما علقت به الكثبان من يبرين
تروى الصبا عنى وهى بليلة شوقى لظبى كناسها وحنينى
ولعلها ان باكرت ربع العلا تنبىء عن أيك به وغصون
واذا تهب على الرياض عشية أخذت بمسراها لذات يمين
فتخوض عنى البحر يزخر موجه بالعرف عند محمد المامون
مولى اذا ذكر الملوك فحبه شرعى ومعتقدى الصحيح ودينى
مولى اذا نصب العوامل للعدا جاءت له بالفتح والتمكين
مولى اذا ابتعته بذل الرضا بنفيس نفسى ليس بالمغبون
يحكى عن المنصور فى عزماته وعن الوصى أبيه فى صفين
ان زار أرض عداه جيش واحد وافاهم الرعب بألف كمين
كالسيف ان لاقيته ألفيته للطف يدمج شدة فى اللين
فببابه عكف العفاة كأنهم وفد الحجيج بأبطح وحجون
يتجلو به الأعراض وهى مصونة عن بذلها والمال غير مصون
يثاب به لاذ الملوك فكلهم يخشا عواقب سيفه المسنون
تترا الى أعتاب مجدك رسلهم من وافد يسعى لها وقطين
متزاحمين على بساطك رغبة فى لمح غرتكم ولثم يمين
فمتى تشم برق الرجاء ببابه يلقاك نور البشر فوق جبين
عرض بذكر وسائلى تلقا به نعم الكفيل برعيها وضمين
يحدو الحداة بطيب ذكركم فمن فاس الى الفسطاط بل للصين

وقال أيضا أعزه الله يخاطب المولى الأمير الأجل الواثق بالله مولانا أبا فارس بن المنصور أمير المومنين أعلا الله كلمتهم وقد فعل :

أيــاواثــقــاً انــى بجــاهــك واثــق　　وان وداد العــبــد فيك لـصـــادق
تمسكت من عليـــاك بالعــروة الــتى　　هــى العــروة الوثقــا اذا عــن طارق
على جســركــم يسمــو المؤمــل للذى　　يــؤمــل من دنيــا وديــن يســاوق
وتنــجــح ءامــال تــؤم فنـــاءكـــم　　فتــرجــع غب المحــل وهــى غوادق
فــذكر بــى المنصــور تلق خليفـــة　　لــديه على العهـــد الوثيـــق وثـائق
ومن هــو أوفــا بالذمام لمــن غـــدا　　يمت الــى عليـــاه منه ســوابـــق
فمــا خــاب سعــى فى رضــاه لخادم　　ولا انقطعت للــواطبيـــن عــلائـق
وانــى عبــد فــى رضـــاه مصــرف　　شبــابى حتــى شــاب منــى المفارق

قال : ثم ذيلت الخطاب ببيتين من الكامل وهما :

مــا مال حســن الــظــن منى فيكـــم　　لاكنـــهــا ذكـــرى لمــن لــم يغفــل
مــولــى يفيض العرف قبل سؤالـــه　　هــذى المغــارب والمشارق فــاسأل

قال ثم قلت :

رحمـــاك من دهــر على بخيـــلــــــه　　وبــرجــلــه من صــرفــه مستحــوذ
وأنــا الــذى فهمــى طغا شيطانـــه　　فبغيــر مجــدك منــه لــم أتــعـــوذ
فــامنــن علــى موصول سعيى بالرضا　　منكــم بعائــد بركــم فــأنــا الــذى
وقـــع لعبــدك بالــنــوائــب انــنــى　　راض بهــن يكــون فيهـــا مــأخــذى

ثــم قال أيضا أبقاه الله يهنىء المولى الواثــق بالله ، أبا فارس ، ابن أمــيــر المومنيــن بابــلال من مــرض :

فرج أداك شـــــدة برخـــــــاء　　وسطا بعاصفهـــــا هبــوب رخــاء
وبدا محيـــا الدهر مصقــــولا وقــد　　صــح المنـــا واخضر عــود رجـــاء
وحصلــت مــن نــقــه الالاه بمــأمــن　　لما وثقــت بوانـــــق الأمـــــراء

وعلوت فى سندى لعالى مجده ... لما رويت له كتاب شفاء

وتباشرت بحديثه كل الورا ... فتنقلته تنقل الصهباء

خرقت اليه الشمس سجف سحابها ... شوقاً لطلعة وجهه الغراء

وأتتكم الأفلاك تخدم أمركم ... فتمنطقت بكواكب الجوزاء

وجرت بجمعكم سعود ءاذنت ... بتجدد النعماء والسراء

فقضا قران الأسعدين بنضرة ... وسعادة وسلامة وهنا

ولك البشائر بالهناء وفودها ... تترا مع الاصباح والامساء

والعز دانية اليك قطوفه ... بالمشتهى ومسرة غضاء

وبكل نوع من بديع فنونه ... يلقاك ملء جوانب الخضراء

وقال أبقاه الله مما يكتب على درقة مولانا الواثق المذكور ابن أمير المومنين مولانا أبى العباس المنصور أيدهم الله وخلد ملكهم :

بظل الظبا جنة عاليه ... ومنى لكم جنة واقيه

وما هالة البدر فى شكلها ... بأحسن من دارتى الساميه

ومن دون بدرى بدر الدجا ... سمواً على الأنجم الزاهيه

وصبغ دماء العداة بدت ... على صفحتى منه خيلانيه

فمن بيض يمناه سال النضـ ... ـار على أبحر فوق ظهرانيه

تملا المسرة والمشتهى ... قطوف الأمانى لكم دانيه

فكل السلاح الى عنا ... وكل الورا طوع سلطانيه

أبى فارس سبط خير الورا ... وفخر قصى وعدنانيه

وليث توقى أسود الشرا ... لدا الحرب أسيافه الماضيه

شغفت البلاد فحنت اليك ... عراقية النجر أو شاميه

وقال أيضاً أبقاه الله مما يظهر من الأبيات غرضه .

وسائل الحب فيك قربت أملى ... وشاهدالقول فيك شاهد العمل
وهذه خدمة موقوفة لا أرا ... عنكم بها أبدا ما دمت من حول
وان تغاليت فى حبى لكم فلقد ... تقاصر الحب عن غالى هباتك لى
تمثلت لى فى كل الجهات ففى ... حليى وفى حللى والخيل والخول
وقد ظمئت لسقياها الغزير فجد ... ربعى منها بسقيا جودك الهطل
وجد على عجل مولاى منك على ... عبد ، فقد خلق الانسان من عجل
لا تخش غرقا على من تلاطمه ... سبحى طويل على أمواجه المثل
واقذف بعبدك فى بحر نداك لكى ... (يدنو) الى ساحل من شاطىء خضل
وقد تحصنت من دهرى بكم فلذا ... لست أحاميه من بيض ولا أسل
ان يضرب الشعراء فى الندا مثلا ... بجود أملاكهم فأنتم مثلى

وقال أيضا أدام الله علاءه ، وشكر عن معشر العلماء ءالاءه :

طعنت ركائبكم وقلبى طائر ... والشوق فيك لدى نساه آمر
ولئن غدا جسمى مقيما بعدكم ... فالقلب فى أولى الطلائع سائر
والعبد من فرط الغرام مسائل ... عنك الرفاق وللنجوم مسامر
أتناول الأنباء من ريح الصبا ... مهما يهب لها نسيم عاطر
فلو استطعت ركبت نحوك متنها ... لأرا بحور نداك وهى زواخر
والشوق أعظم ما يكون اذا غدا ... بحماك يلهج وارد أو صادر
ان الديار اذا ارتحلت دوارس ... واذا نزلت بهن فهى عوامر
والروح عاكفة ببابك دائما ... تصل المساء وفى الصباح تباكر
باب بكعبة جوده لعفاته ... أبدا تقام مناسك ومشاعر
واذا الوفود سمت له نحرت لهم ... بدر النضار البدن وهى عشائر
يا خير من فى المعلومات جرا له ... مثل على عرض البسيطة سائر

انـى الى سقيا يمـينك عـاطــش ... وسحـابها فوق الخـلائـق ماطــر
أومـىء اليه يجـود ربـعـه عـارض ... مـنـه فيصبـح وهـو زاه زاهــر
ومـر الـزمـان فانـه لك طـائـع ... يـزور عنى منـه نـاب كـماشـر
فلقـد تجـهـم عابـسـاً لـكنـنـى ... أرجـو تدور بـكـم عليـه دوائـر

وقال أيضاً أبقـاه الله فى بعض الفتوحات مادحاً أمير المومنين المنصور بالله أيد الله أمره ، وأطال لأهل الأقاليم السبع عمـره

الفتـح من حـركـات أحمد واجـب ... كـل العـوامـل فى الـعـدا له طالب
يـعـنو الـى المسنون منْ أسيـافـه ... قلب المـعـانـد ، وهو قلب واجـب
أتـروم أحـزاب الضـلال سفـاهـة ... غلبـاً لحـزب الله وهـو الغالب
أودا بجـمـع مكسـر جمـع لـه ... تـعنـو الجـموع أعاجـم وأعـارب
جمـع لـه فى الحـرب آى وقـائـع ... أضحت على الأعـداء وهـى نـوائـب
مـلأت بـأشـلاء العداة نـتـائـفـاً ... أضحـا الوهـاد بهـن وهـى أهاضب
قـد حلقت للنصـر فـوق سمـائهـا ... من كل فتخاء البنـود عصائب (62)

---

62) بقية القصيدة نقلا عن **مناهل الصفا** :

صبت على السودان منها صواعق ... فهمت على اسحق وهى مصائب
فهو الذى من جبره أو جلبـه ... تلقـاه اما جابر أو جالـب
يروى عـن المنصـور فيه محمد ... ما أسندته الى الوصى مناسب
أسد هريت الشدق يفغر فكه ... نحـو العدا فكأنه متثـائـب
يفرى الكتائب سيفه ولرعبـه ... جند يغير عـلى العـدا وكتائب
سنف به جب السنام لخاسـر ... فى صفقتيه وجب منه الغـارب
نكس ا . . . . المناحس منزلا ... لفعتـه عينـاه وقطب حـاجب

ومن مقطعاته أسماه الله قوله وأنشدنيه لنفسه :

تبدت لنا دار الخلافة بكره وقد جليت فى حلة الحسن والزين
بكرنا بها نرتاد للركب منزلا فقالت لنا : أهلا على الرأس والعين

وأنشدنى لنفسه أيضاً فى غرض التورية :

ظبى تعلم يقرى العاشقين هوا أردافه فاعجبوا للشادن القارى
يبرى سهام لحاظ العين يرشقها يا قوم أشكو الهوا للصانع البارى

وأنشدنى أيضاً أبقاه الله مما قاله مقتبساً ومكتفيا من القسم الثانى من أقسام الاكتفاء بالتورية قوله :

زار الخيال برشف حلو رضابه ثم انثنا فوجدته أحلاما
ورددت اذ فرطت فيه تعللا برجوعه يا حسرتى على ما (فرطت)

وأنشدنى أيضا فى ذلك من القسم الأول من أقسام الاكتفاء بالتورية أيضا :

وبمهجتى رشأ لسيف لحاظه حكم على الأرواح غير مخالف
ألف النفار فان دعانا للهوا أتلو له من ريبتى : انا لفى
(شك مما تدعونا اليه مريب)

وقال أبقاه الله من القسم الرابع :

بمهجتى مليك حسن غدا بالجند من ألحاظه يحرس
انسان عينى ان دنا نحوه أغزاه بالبيض وجاء بسو (دان)

قال : ثم قلت مادحاً للجناب العالى من القسم الخامس :

ان كنت تبغى الجود كى تكتفى والعدل فى الارض بحكم السوا

فاسم لمن يعنو البياض له للعدل فى احكامه والسوا (د)

قال : وقلت من القسم السادس وهو أعلاها رتبة :

بمهجتى بدر لاحسانه عرف أهل الأرض فضل السما (ح)
كالغصن ان تسقيه ممزوجة رنح اذ يسقا بخمر وما (ح)

وقال دام علاه : ناولنى محبوب سواكاً مطيباً من فيه فقلت بديهاً :

وافا بها المسواك قرقف مبسم مزجت بمسك من لماه فتيق
فسكرت من خمر نعمت بشربها بين العذيب وبارق وعقيق

قال : وقلت مجيباً لبعض الأصحاب عن لغز فى شبابة :

يا من اذا أجرا جياد بيانه سبقاً تقاصر دونه السباق
قد راق منك اللغز فى صفراء من لون الأصيل أديمها الرقراق
تصف العراق بلحنها وترى الى ماء السما تسمو بها الأعراق
واذا تشبب بالحجاز تسيل من زفراتها الآماق والأحداق

وقال أيضاً أبقاه الله يهنىء أمير المومنين بفتح السودان ، مطلع قصيدة بديعة.لم أقف الا على مطلعها وهو :

جيش الصباح على الدجا يتدفق فبياض ذا لسواد ذلك يمحق (63)

وقال أبقاه الله يخاطب نجله الفقيه المجيد الناظم الناثر حفظه الله :

دنف صح اعتلاله حال عن دونك حاله
مرعش الكفين سمقاً فلذا تخطى نباله

(63) أورد القصيدة كلها الفشتالى فى **مناهل الصفا** وانظرها أيضاً فى **نزهة الحادى** ص 87 **والاستقصا** 5 : 124

نسخ الشيب شبابـــــا   قلصت عنــــى ظـلالـــــه

واعتـــرا العقـــل سنـــات   صححـت هـــذا التبـالـــه

فرعـــا الله سليـــــــــلا   طلعت تتـــرا خـصـــالـــه

كـــم جـــــلا معنـــى دقيقـــا   غامضـاً يـكـــدى منـــالـه

وجـــــلا وجهـــاً جميـــلا   أسبلت دونـــى حجـــالـــه

دام للفـهـــم حســـامـــاً   فيصـــلا يـــزهـا صقـــالـه

وخاطبه مع ذلك بنثر وهو :

أصلحكم الله ، ان لم يكن فى الأبيات الرافلة من مروط السقم فى أسمال ، الا ما فى الأول من البراعة التى استهل هلالها بالكمال ، ذو الطباق الجامع بين الصحة والاعتلال ، ومجانسة الحال للحال ، والتطريز الذى يزدهى به ازدهاء ربات الحجال بمفرق الدلال ، لكفى عند أهل الذوق والسلام .

وقال أيضاً أبقاه الله فى اسم فارس من طريق التعمية :

وأهيف مطـوى الحشـــا كلمـا سطا   بقلب أعانتـــه عيـــون حـــوارس

وأعجب من كـل العجائـب أنهـــا   تبـاشـــر قتـل الصب وهى نواعس

يعنى بقوله (أهيف مطوى الحشا) أن هذه اللفظة وهى (أهيف) اذا طويت حشاها وهو الياء وقبلت ما بقى صار : (فا) وقوله (حوارس) أى (حـوا) هـذا اللفظ الذى هو (رس) ، فأضفه الى (فا) يصير (فارس) ، والمعنى الآخر ظاهر .

وله أيضا أبقاه الله فى اسم سعيد :

ما زال مذ دب العـــذار بوجهـــه   وسعـــا لوشى لجينـــه بنبـــالـه

يبغى الصدود وكيف ذاك وانمـــا   يزداد بالتذبيـح عشق الـــوالـــه

سأعبد ما قد كان من أملـى بـــه   دون العـذار منـوهـــاً بجمـــالـه

وله مما كتب فى كميات (64) المنصور أمير المومنين نصره الله وأدام وجوده :

فكم فخار وكم عـز ظفـرت بـــــه فصـرت من أجل ذا أعزا الى الكـــم
فاعجب لكف امـــام جمعت أبـــدا منى لهيب لظـا لمعظـــم اليـــم

وقال أيضا أبقاه الله مجيبا الفقيه البارع السيد مبارك ابن السيد محمد بن موسى الآيسى رحمه الله عن قطعة أولها :

ومـليـــح يـتـثـنـــا زار فـى ليـــل الـذوائـــب
بـقـولـــه :
أمـدام بـــاكـرتـنـــا تبـرهـــافـى الكـأس ذائـب
أم عبير المسـك ينـــدا ضمخـت منـــه التـرائـب
أم بـــرود طـرزتـهــــا فــى الـربـا أيـدى السحائب
جـــادهـا طبـــع كـريـــم للحيـا والفـضــل سـاكـب

وله أيضا أدام الله سعادته قصيدة اخترعها لتكتب فى بعض ستور المنصور أمير المومنين أيدهم الله أو تنقش فى جدراته :

ما طراز الربا بأيدى الحســـــاب واعتــلال النسيـم بين الهضـــــاب
واحتفـال الـريـاض بالنور لمـــا رفـع القطـر عنـه ثـوب السكـــاب
وكعـاب تصمـى اذا لاح منـهـــا بدر وجـه مستـر بنقــــــاب
وحبـاب كالأنجـم الـزهـر يعلـــو قـرقفـاً لونهـــا كلــون الشهاب
خلـع المـــزج ثـوب تبـر عليهـا عندمـا قـد أبـان بـرد التهـــاب
بمثيـر الغـرام منلـى اذا مـــا جـال طرف بسـاحتـــى وجنـابى

(64) ج كميه : السكين يعلق بجانب الكم ، وتعرف أيضا بالخنجر

ان تـأملت رونقـي وابتهاجـــــي   تتعـرف حقيقتـي وانتســـابـي

وارث المجـد مـن علي ومن قـــد   صير الكفـــر للـردا والتبـــاب

مـا تغـالت نفـائس الحمـــد الا   رامهـا حتـى نـال شهـداً بصـاب

لوتصـورت سؤدداً نـاطقـاًقـــا   ل انسـابى لغيـرهـم كالسـراب

مـا مـديحـى وان تطـاول الا   قطـرة شـاركت غـزيـر الحسـاب

همـة المنصـور الامـام الـذى لا   ينثنـي عـزمـه لغيـر صـواب

همـة تجعـل الفراقـد نعـلا   وتريـك السهـا بوجـه التـراب

دام فـي مقـعـد من العـز يـروى   من أمانيـه كل فصـل وبـاب

وأنشدنى أبقاه الله قطعة اخترعها لتكتب على قبر أمير المومنين المهدى بالله رضى الله عنه ، والد أمير المؤمنين المنصور بالله أيد الله أمره ، وأطال لأهل الخافقين عمره ، وقد رأيت هذه القطعة أيضا مكتوبة على الضريح المذكور وهى :

حي ضريحاً تغـمدتـه رحـمـات   وظللت لحـده منهـا غمـامـات

واستنشقـن نفحـة التقديس منه فقد   هبت من الخلد فيه منها نسمـات

لحد به كورت شمس الهـدا فكست   من أجلها السبعة الأرضين ظلمـات

يا مهجة غالها غول الردا قنصـاً   وأثبتت سهمهـا فيهـا المنيـات

دكت لموتك أطواد العلا صعـقـاً   وارتج من نعيك السبـع السمـاوات

وشيعت نعشك المزجـا الى عـدن   من الملائك ألحـان وأصـوات

كان الثريا صعيداً تعتليـه وقـد   أصبحت تحت الثـرا تعلـوك ذرات

يا رحمة الله عاطيه سـلاف رضـا   تدور منها عليه الدهـر كأسـات

قضى فوافـق فى التاريخ منه جـلا   دار أمام الهدا المهـدى جنـات (65)

---

65) قال فى **نزهة الحادى** ص 41 : قوله قضى فوافق الخ فى هذا التاريخ نظر ، وهو أن القاعدة أنه يعد ما بعد لفظ التاريخ أو ما يؤدى معناه ، وهنا اذا حسبت ما بعد قوله التاريخ يخرج لك 1079 فتكون فيه 115 زائدة ، واذا أهملت لفظة منه ، بقى 84 فتكون فيه زيادة 20 فتأمله .

وقال أبقاه الله يخاطب الامام القاضى أبا مالك سيدى عبد الواحد الحميـدى رحمه الله ولها حكاية (66)

أبحر علـوم طمت زاخـره	وشمس معـارفهـا البـاهـره
لك الفضل عفـواً فقـد أصبحـت	كتـائب نظمـكـم ثـائـره
وهـزت صوارم ابـداعـهـا	فصلت بهـا صولـة قـاهـره
بقيـت تشـن بهـا غـارة	لتنـشر أمثـالك السـائـره

فخذها أعزك الله على عجـل ، تسعا لجلالك العالى على قدم الحياء والخجـل ، وتقف فى مجال الاجادة دون طرف بلاغتك الأغر المخجل .

ونظم الكاتب المذكور أكثر من أن يأتى عليه انحصار ، واقتصرت على ما ذكر طلباً للاختصار ، وقد تقدم طرف منه فى ترجمة أمير المؤمنين المنصـور بالله ، أيد الله أمره ، وبالجملة فهو من مفاخر الدولة النبوية الحسنية ، تخرج بهـا هـو وجملة أعلام فبرز عليهم بمقاصده السنية ، أبقى الله وجوده يجلو على منصة الافتخار صورها ، ويتلو سورها ، آمين .

وأمـا نثره فالغايـة التى لا تدرك ، والمحاسن التى لا تشرك ، ويكفى فـى ذلك كونه صاحب القلم الأعلا بحضرة الامامة ، مع كثرة الأعلام بها فحاز قصب السبق واتخذه قسهم وسحبانهم فى غرض البلاغة امامه .

فمن ذلك ما كتب على مرمر بالذهب تجاه قبر أمير المؤمنين المهدى بـالله رضى الله عنه ونصه :

---

66) انظر الحكاية فى ترجمة أبى الحسن على بن منصور الشيظمى مما يلى

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . هذا ضريح مولانا الامام ، كهف الانام ، ناصر الاسلام ، مذل عبدة الأصنام ، الضارب فــي ذات الله بالسنان والحسام ، أبي الأملاك ، وواسطة الاسلاك ، ونور الأحلاك ، وارث الخلافة وجذم الامامة ، ومهدى الأمة الواضح العلامة ، ذخيرة الوجود ، وسر النبأ المقصود ، مولانا الامام الأعظم ، وطود الهداية الأعصم ، أبي عبد الله محمد الشيخ الذى اختاره الله لارشاد الأمة واعتامه ، وارتضاه لتجديد شريعة جده عليه السلام فأقامه ، على حين ما انهدت أعلام الدين وأركانه ، وزلزل عرش الاسلام وايوانه ، والكفر قــد طغا طوفانه ، وبغى على حزب الله بحزبه شيطانه ، وسيف الشريعة مفلول ، وصارم الباطل على الحق مسلول ، وامام الحق عند الخلق مجهول ، وربوع الخلافة في أقطار الأرضين بلاقع وطلول ، فقام رضى الله عنه وقد أرهف سيف اجتهاده ، واستوى على جودى جهاده ، فصدع بأمر الله الذى جعله لوقاية الاسلام عصاما ، ولشمل الأمة نظاما ، ولحماية السنة الى يوم الدين . . . .

وكابر رضى الله عنه الأهوال، واحتسب النفس الزكية فى تطهير الأرض من الضلال، وحسم داء الشرك العضال، فجاهد وغزا، واستأصل بسيف الحق من مرق من الدين وانتزا ، وانتمى الى غير الحنيفية البيضاء واعتزا ، حتى أزاح عن الدين العلة ، وأعاد كمالها الفائت على الملة ، وملأ الأرض عدلا ، وطهرها من أدناس الجور والآثام حزنا وسهلا ، وسارت الهداية فى الدنيا مسير الشمس ، واستقر الاســلام عــلى قواعده الخمس ، ولما استنار به المسلك والجادة ، واستضاء بأنوار هدايته من قدرت له من الأمم السعادة ، تشوق الى لقاء ربه فاسترده اليه سبحانه من بــاب الشهادة ، وأعدله المغفرة والرحمة قراه وزاده ، وأباح له من صنعه الجميل بــدار النعيم الحسنى وزيادة ، وكان مولده رضى الله عنه فى عام ستة وتسعين وثمان

مائة ، وبويع البيعة العامة من بعد التئام كلمة الاسلام ، وتطهير الأرضين من أدران الحيف والآثام ، عام ستة وخمسين وتسعمائة ، بفاس المحروسة دار ملك المرينى ، ومجمع أولى الحل والعقد حينئذ بالقطر المغربى ، وقضى رضى الله عنه شهيداً بفسطاطه الكريم ، وملحده الاول بأكلكال لزوال يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى حجة الحرام خاتم أربعة وستين ، ثم نقل من مدفنه المقدس الى لحده المكرم بالروضة المشرفة قبلة المسجد الجامع من قصبتهم المحروسة ، بالحضرة العلية يوم الخميس الحادى وعشرين من يوم استشهاده ، تاسع عشر المحرم الحرام فاتح خمسة وستين وتسعمائة . فسبحان المالك الحق المبين وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى .

قلت وقد زرت هذا الضريح الكريم ، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله ، وشاهدت عظمة هذه القبة التى أنشأها أمير المومنين المنصور بالله أيده الله ، وهى من جملة مئاثره نصره الله ، وداخلها ذهب ساطع فى تلك النقوش الغريبة الصنعة ، وهذا النثر الذى ذكرنا فى مرمر مكتوب بالذهب أيضا ، وعليه باب تغلق مذهبة ، وتفتح يوم الجمعة ، ويزور الناس يومئذ الضريح المبارك ، وعليه قيم لا يفارقه ، ورأيت هناك كثيراً من أرباب الجرائم متشفعين بذلك الضريح الكريم . وبازاء ضريح أمير المومنين المهدى بالله ضريح ولده أمير المومنين الغالب بالله أبى محمد عبد الله رضى الله عنهم ، ونص ما كتب بالمرمر أيضا بالذهب على الصفة المذكورة من انشاء وزير القلم أبى فارس الفشتالى صاحب الترجمة حسبما أمره بذلك مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيد الله أمره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله ، هذا قبر السلطان، العظيم القدر والشأن ، جانى ثمرة العلاءاونة بالجود والاحسان ، وءاونة بالمرهفات وذوابل المران ، ذى الحسب الذى لاحت من الشرف الفاطمى أنواره ، والكمال الذى سارت فى المشارق والمغارب أخباره، زين السروج والمجالس، بانى المساجد والمدارس، ذى الهمة السنية، والأيام الهنية، والصدر المشروح، والرفد الممنوح، والثبات والأناة،

والأغضاء عن العيوب والهنات ، والصفح عن الجناة ، والحزم المثقف القناة ، صاحب الصدقات والأوراد ، والعناية بالغزو والجهاد ، تارة بالجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام وتارة بالمطهمات الجياد ، أمير المومنين ، عبد الله ، ابن أمير المومنين الشهيد الشهير ، ذى العزائم الماضية ، والآثار الباقية ، أمام السجادة والمحراب . وليث الهياج والضراب ، ناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى عبد الله محمد بن محمد الشريف الحسنى العلوى ، قبضه الله اليه فى العشر الأواخر من أكرم الشهور اليه ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، عشية يوم السبت التاسع والعشرين ، عام واحد وثمانين وتسعمائة ، بعد التزود بالصيام والقيام ، وشهود ليلة القدر المعلوم قدرها بين الليالى والايام ، وباثر سماع ما تضمنه صحيح البخارى من أحاديث خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأزكا السلام ، والتوسيع بمعهود الصدقات ، ونوافل الخيرات على الفقراء وذوى الفاقة والحاجات ، ودفن بهذه الروضة المباركة ، خلف قبر والده بعد صلاة الظهر ، ثانى يوم وفاته ، نور الله ضريحهما ، وقدس روحهما ، وكانت ولادته فى رمضان عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة ، بويع له بالخلافة فى محرم عام خمس وستين وتسعمائة بعد وفاة أبيه ، رحم الله السلف ، وبارك فى الخلف ، انتهى .

وأما النظم المكتوب على قبر هذا السلطان فليس هو من كلام الكاتب الفشتالى المذكور ، بل من نظم بعض كتاب المولى عبد الله أمير المومنين ، وهو حسبما قرأته مكتوب فيه

أيا زائرى هب لى الدعاء ترحما	فانى الى فضل الدعاء فقير
وقد كان أمر المسلمين وملكهم	الى وصيتى فى البلاد شهير
فها أنا ذا صرت ملقاً بحفرة	ولم يغن عنى قائد ووزير
تزودت حسن الظن بالله راحمى	وزادى بحسن الظن فيه كثير

ومن كان مثلي عالماً بحنانه — فهو لنيل العفو منه جدير
وقد جاء أن الله قال تفضلا : — الى ما يظن العبد بي سيصير

ومن نثر الكاتب المذكور ما كتب أيضا في مرمر عند قبرها ؟ على الصفة المتقدمة ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وأزواجه وذرينه وصحبه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي ، وكل بني انثى فان عصبيته بأبيه ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوه وعصبيته ، هذا ضريح الحجاب العالي ، والحسب المتلالي، المربية على السماكين ، الفائزة وهي المسعودة بما أتيح لها من خير الدارين ، كريمة السببين ، وشريفة المنتما بصالح القول والعمل الى الأحمدين ، الطاهرة القانتة ، الناسكة الصالحة ، الغادية في سبيل الخيرات الرائحة ، الصوامة القوامة، والعابدة التي لها من أسباغ الوضوء الحجل والغرر التي لأهل الجنة علامة ، الأوابة الى الله بقلب خاشع ، وعمل في سبيل البر والزلفى شائع ، والمتقربة اليه بحسن الآثار التي منها الجسران والمسجد الجامع ، أم الحسنات ، وكاشفة الكروب والأزمات ، ثمال اليتاما ، وملاذ الأرامل والأياما ، كافلة البنات والبنين ، ووالدة امام الأمة مولانا الامام المنصور بالله أمير المومنين ، مولاتنا المسعودة ، بنت الشيخ الجليل، الكبير الأصيل ، عين أعيان قبائل وزكيتة ، الذين لهم في المغرب الذكر المشهور ، والصيت المذكور ، الشيخ أحمد بن عبد الله بن الحسن الوزكيتي الأغربي الوززتي، توفيت قدس الله نفسها ، وطيب بأنفاس المغفرة والرحمة نفسها ، سحر ليله الثلاثاء ، السابع والعشرين من محرم ، فاتح عام ألف للهجرة الكريمة النبوية ، ودفنت بهذا البهو المقدس بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور ، فسبحان الملك الحق المبين ، وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وصلى الله أولا وآخراً على سيدنا ومولانا محمد وءاله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً كثيرا الى يوم الدين .

ومن انشاء الكاتب المذكور أبقاه الله ، رسالة كتب بها عن أمير المومنين نصره الله الى أهل سوس يخبرهم بفتح السودان (67) حسبما تقدم الالمام به . وأنا أثبت هذه الرسالة وان كانت بالنسبة الى غيرها من كلام الكاتب المذكور دون رتبته وهي :

الحمد لله — وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله ، الامام المنصور بالله ، أمير المومنين ، ابن أمير المومنين ، ابن أمير المومنين ، الشريف الحسني ، خلد الله أيامه ، ونصر ألويته المظفرة وأعلامه ، وأحيا به بهجة الدين والدنيا ، وأعلا بنصره وتاييده كلمته العليا ، وزاد له بسطة في ملكه ، وجعل البلاد والعباد تحت ملكه ، وعم بالبركة أوانه ، وعمر بالسعد زمانه ، الى الشرفاء والفقهاء وكافة الاعيان من أهل حضرة سوس ، أسمعكم الله من البشائر ما يملا صدوركم ارتياحا ، ويغمر قلوبكم انشراحا ، ويوسع أرجاءكم وأكنافكم في ظل الأمنة انبساطا وانفساحا ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى شرف ملة الاسلام على الملل ، والدول القرشية على سائر الدول ، خصوصاً الدولة الشريفة ، المقدسة المنيفة ، التى جعل الله بيض سيوفها الهاشمية ، قاهرة لأعاديها الصفرة وعبيدها السودانية ، وصدع بانوار خلافتها النبوية دجنة سوداء طالما نعق غرابها منذ حام ، ووصل بدعوتها الشريفة وشائج الأرحام بين سام وحام ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى خفقت أعلام هدايته على الربا والآكام ، وكاثر بثاياته الباهرة كنهور السحاب ومنفجر الغمام ، والرضا عن آله خير ءال ، سادات الأقيال ، وءاساد الأغيال ، خلفاء

(67) أورد الفشتالي هذه الرسالة في **مناهل الصفا** مع زيادات واختلاف يسير في الألفاظ ، وقد ضمنا ملوفتي من النصين واستخرجنا النص الكامل فيما يلي .

الاسلام ، ووراث الأرض بالعدل وشرف الخلال ، وأيمة الخلق الذين ذيلوا معلم النصر بالاكمال ، وفتحوا الأقطار على التوال ، وعن أصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده بالسيوف والنصال ، وواصلوا فى اعزاز ملته ونصرة دينه البكر والآصال ، ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلى ، الامامى النبوى ، المنصور الاحمدى ، بنصر يشفع فتح السودان بفتح السد ، وينظم الأقطار فى سلك الانقياد انتظام العقد ، فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم من البشائر أسراها الى النفوس امتزاجا ، وأهداها الى الأرواح مسرة وابتهاجا ، وأقطعها الى الآفاق سبلا فجاجا ، وأرقاها الى السبع الطباق سموأ ومعراجا ، من حضرتنا العلية ، مراكش حاطها الله ، وبركة هذه الامة الكريمة تستمد الأقطار من مقباسها ، وتروى رواة الافادة والابادة عن ضحاكها وعباسها ، والفتوحات الربانية تحتفل الملائكة لولائهما وأعراسها ، فله الحمد على نعمه التى لا يحيط الوصف بأنواعها وأجناسها ، وعنايتها التى تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها فتبادر بانفلاقها وانبجاسها . لله المنة !

هذا وقد علمتم فسح الله أملكم ، وواصل أسباب الخيرات قبلكم ، ما كان من تجهيز عساكرنا المظفرة بالله الى بلاد السودان ، لافتتاح القاصى من ممالكها بحول الله والدان ، وما كان من عظيم احتفالنا لذلك بما لم يعهد مثله ، ولا سلف لأولى الحزم من الملوك بعضه فكيف كله ، من انتقاء العساكر والأجناد ، وأسود الحرب الذين ذربوا على الطعن والجلاد ، ومعانقة السيوف والصعاد ، من كل أبناء حرب شرف فى أنساب الوقائع جدهم ، ويرد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم ، وامدادهم بما لا يحصى عدداً وكثرة ، وبما لا مزيد فوقه بسطاً وقدره ، من قوة الظهر ، ومواعن الحرب التى تفرق لها صروف الدهر ، وغير ذلك من كل ما يقتضيه الحزم ويبعث عليه العزم .

ولما تكامل بحمد الله هذا الاحتفال والاستعداد ، وأخذت أهبتها العساكر والأجناد ، أقلعوا في الألوية ، وساروا على التعبية ، ونصر الله تعالى يظلهم غمامه ، وتتراءى لهم على ثنية الاقبال أعلامه ، وتخفق عن يمينهم وعن شمالهم راياته ، وتبدو لهم في كل حركة وسكون آياته ، (هذا وما كان يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من الدول العظام ، وممالك الاسلام ، ومع هذا فما كان أحد منهم ليروم فتح هذه البلاد بسيف ، أو تتطاول هممهم الى اغزائها ببعث ولا زحف ، أو تسمو أنفسهم بالمقدرة عليها ، وعلى الصمود بجنودهم اليها ، والحالة انها أضخم ملكاً وأعمالا ، وأفسح خطة ومجالا ، وأوفر نفعاً وأوسع أموالا ، مما كان يشقهم ، وينفقون فيه أنفسهم وأموالهم ، ويستغرقون معاناته طول أيامهم بكرهم وآصالهم ، وما ذاك الا بعجزهم عن مقاومتها ، وعلمهم من أنفسهم عدم القدرة على مصادمتها ، وانها عند جميعهم عيل لا يزحم ، وعريسة لا تقحم ، وحسناء أبية لا تنقاد . وعنقاء تكبر أن تصاد (68) لأن البلاد كما علمتم قد توغلت في الجنوب الى أبعد الأقاليم من المعمور ، واعترضت دونها من القفر وسرابه المتموج بحور ، وصحارى تضل القطا في مهامهها الفيح ، وتكل في جوف عرضها بل بعضها سوافي الريح ، كم اغتالت من أمم غولها ، وتردت من حر الأوام وعولها ، وكم أفنت من خلق جيلا فجيلا ، وألقت عن الرحال وأهلها كثيباً مهيلا ، تغلي من رمضائها الرؤوس ، وتذوب من حميمها النفوس ، وتنزل شمسها على الهام حتى تكاد تلمس باليد ، ويشتبه على الخريت فيها اليوم بالغد ، لا ماء ولا شجر ، ولا ورد ولا صدر ، الا سراباً يعشي العيون ، ويقرب المنون ، وأجاج يغلي في البطون كغلي الحميم ، وهواجر يصلي الناس من حرها نار الجحيم ، حتى ظن بذلك أهل السودان أن سربهم من أجل البعد والمفازة المعترضة دونهم لا يراع ، وليلهم الدجوجي لا يرجا لفجره انصداع ، وحماهم من هذه المشاق

---

(68) الفقرة بين قوسين ساقطة من **روضة الآس** مثبتة في **مناهل الصفا** .

لا يطرق ولا يحام ، وبلدهم حتى بالوهم لا يرام ، فاستخرنا الله الذى لا يخيب من توكل عليه ، ولجأ فى عظائم الأمور اليه ، واحتفلنا لذلك بما يليق به من الأهبة والاستعداد ، وبنينا الأمر من الثقة بالله على أوثق عماد ، فجهزنا من جنود الله تلقاءهم عساكر تحمل الأسل والنار ، وأسوداً تأنف الدنية والعار ، فخاضوا بحار الآل ، وصابروا فى قطع الشقة البعيدة عظائم الأهوال .

ولما شارفوا بلادهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شد الحـزام ، وسـل الحسام ، لم تضعف لهم والحمد لله شدة ، ولا نقص منهم ما كابدوه من المشاق عدداً ولا عدة ، زحف الشقى بكافة جموع السودان وحشودها ، وطلعوا فى الجو حنادس ، وأقبلوا اقبال الليل الدابس ، فالتقا الجمعان عـلى ثلاثـة مراحـل من جاغو (69) . فأحدق بعساكرنا المؤيدة بالله منهـم سـواد لا يحصيـه الا محصى الخطرات والأنفاس ، ومن أحاط علمه بالأنواع والأجناس ، (فدارت رحا الحرب ووقفت على ساق ، وأرعدت رعود نارنا فرجت من صعقتها الآفاق ، فثبت الاشقياء لزلزالها ثبات الجبال الراسية ، وأقدموا من الشدة والصبر على المـوت اقـدام الأسود الضارية ، لا تثنيهم صوارم ولا أسل ، ولا يعرفون ما الخوف والوجـل ، يتهافتون على النار من كل جانب تهافت الفراش على الذبال ، ويتسابقون للسيوف والصعاد تسابق الجياد فى المجال ، مع كثرتهم التى كثرت بالحشر الثانى حشرها الأول ، ومغالبتهم كانت لذلك من قبيل المحال لولا الثقة بالله سبحانه وعونه الذى كان عليه المعول ، فلم يكن الا أن هبت ريح النصر والظفر ،وجاء نصر الله الذى هو لراياتنا حليف فى الورد والصدر) (70) وصممت نحوهم جنود الله بعـزمات تفل الصخر، ورايات لا تفارق بحول الله النصر، فانكشف الشقى وجموعه وولوا الأدبار.

---

(69) GAO مدينة بجمهورية مالى واقعة على الضفة اليسرى لنهر النجير ، ترتفع 264 متراً فوق سطع البحر ، وبينها وبين باماكو عاصمة مالى 1250 كلم ، كانت فيما مضى عاصمة مملكة أسكيا

70) الفقرة بين قوسين ساقطة من **روضة الآس** مثبتة فى **مناهل الصفا**

وركبتهم الاسنة والشفار ، وفضتهم جنود الله فضاً يهز الجبال زلزاله ، وتشيب النواصى أهواله ، واستحر القتل فى الأشقياء ، وتركتهم سيوفنا الهاشمية حصيداً بالعراء ، ونفل الله عساكرنا ذلك السواد ، وكمل الفتح بحمد الله بالاستيلاء على البلاد ، وانتظام ممالكها فى سلك الطاعة والانقياد ، والعاقبة للمتقين ، والحمد لله حمد الشاكرين .

ولما استوى القدم بعساكرنا وفرهم الله فى البلاد ، أصبحوا فى دنيا لا تفى العبارة لها بكنه ، ولا تعارض من بلاد الله بشبه ، ولا نظير لها فى الأرضين بوجه ، ما شئت من ممالك متعددة الأقطار ، متنوعة الأوطان والأوطار ، جمة المرافق والفوائد ، ومالف الوافد والرائد ، لا تحد بغاية ، ولا تدرك له نهاية ، محشر الأمم وبستان العالم ، ومدرج الذر من بنى آدم ، وملك ضخم لا تصل اليه الهمم لولا عناية الله التى لا تقاوم ، وناهيك بممالك يخترقها بحر النيل (71) نهر الجنة ، ومدفع مياه الرحمة ، تسقيهم النهل والعلل لججه ، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثبجه ، الى أسواق تزخر بالنعم ، واتصال عمران كالعقد المنظم ، وبالجملة فاشتمال الفتح على هذه الممالك غريبة لا تثبت الا فى الحلم ، وموهبة لا يفى بشكرها لسان ولا يحيط بوصفها قلم ، وما عسى أن تبلغ العبارة ، فالأمر أضخم ، والحال أجل وأعظم ، ولقد اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الاسلام ، وارتفا الامر بحول الله الى الكمال الذى دل منه حسن الابتداء على حسن الاختتام ، ولم يبق بحول الله الا صرف العزائم الى جهاد العدو الكافر ، وأن تدور عليه من وسطى الاسلام بحول الله الدوائر ، حتى نغزوه بجنود الله فى عقر داره ، ومحل قراره ، ويعلو حزب الهدا على حزب الشيطان وأنصاره ، بيمن الله وتأييده .

---

(71) بل نهر النحير . وقد كان الرحالون والمؤرخون المغاربة القدامى يحسبونه أصل نهر النيل

ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى ، والمسرة الكبرى ، بادرنا تعريفكم بصنع الله فيه السنى القريب ، وأعلامكم بحديثه الحسن الغريب ، لتقدروا صنع الله حق قدره ، وتعلنوا بحمده سبحانه على هذا المن الجسيم وشكره ، فانه فتح لم تلد مثله الايام ، ولا عهد فيما سلف من دول الاسلام ، ولا علم نظيره فيما تقادم من الأعصار ، ومضا من الاعمار ، بما جمع من هذه الممالك العظيمة التى لم يشتمل عليها ملك ، ولا نظمها سلك ، وان خبيئته فى طى الاعصار السالفة الى هذه المدة الكريمة ، والدولة الجليلة العظيمة ، لدليل على عناية الله بشأنها ، بما أظهر على يدها من خوارق العادة ، وجمع على عهدها الكريم من هذه الممالك المنتظمة فى سلك الانقياد انتظام القلادة ، فاشكروا الله على هذه المفاخر التى ادخرها لعصركم ، وأظهر بها آيات انجادكم على الأعادى ونصركم ، واغتبطوا من هذه البشرى والمسرة الكبرى أتم اغتباط ، وخذوا بحظكم فيها من السرور والانبساط ، واتخذوا يومها الأغر المحجل عيدا ومهرجانا ، وأقيموا لها سوقا من البسط نافقة سرا واعلاناً ، واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل ان شاء الله كفيل ، وعلى ما وراءه بحول الله من الفتوح المتوالية عنوان ودليل ، وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر فالشكر للنعم قيد وعقال ، وعصمة بحول الله تؤمن من الزوال ، والله يكلأ جميعكم ، فلا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، والسلام .

وكتب فى ليلة الجمعة سابعة شعبان المعظم ، عام تسعة وتسعين وتسعمئة .

قلت وان تتبعت نثر الكاتب المذكور خرجت عن الغرض الذى عولت عليه من الايجاز !

تواليفه : لهذا الكاتب أسماه الله جملة تآليف كلها مرفوعة للخزانة المنصورية عمرها الله منها : **(مناهل الصفا ، فى مآثر موالينا الشرفا)** (69) المشتمل

---

(69) ظل هذا الكتاب الجليل مفقوداً الى ان عثرت على نسختين تامتين من جزئه الأخير المتعلق بحياة المنصور الذهبى بالخزانة السلطانية بفاس فى السنة الماضية ، وهما اليوم محفوظتان بخزانة القصر الملكى بالرباط

على عدة أسفار ، أجاد فيها غاية الاجادة ، وذكر ما اشتملت عليه الدولة الأحمدية من الأعلام ، وكذا ما يسر الله لها من الفتوحات التي لم يوجد مثلها في ملوك الاسلام، أخبرني أنه ذكر في فتح السودان فقط ما تحمله سفر ضخم ، فما ظنك بغيره ، ومنها كتاب **(تقديم الامام)** ضمنه فن التورية ، وهو غريب في بابه ، يبدأ بما قال أمير المؤمنين نصره الله في فن التورية على اختلاف أنواعها ثم يتبعه بما قال أهل عصره في ذلك ، ثم بكلام غيرهم ، عهدي به في المحلة المنصورية عام عشرة وألف قد كتب جله ، ومنها تكميله جيش التوشيح للامام ، لسان الملة ، ذي الوزارتين ، أبي عبد الله محمد بن الخطيب السلماني (70) الغرناطي وسماه **(مدد الجيش)** ، أخبرني أبقاه الله أنه ذكر فيه من موشحات أهل العصر في مدح مولانا نصره الله ما ينيف على الثلاثمئة ، وذكر فيه جملة من موشحات أمير المومنين نصره الله ، وذكر ذلك مع جملة ما أغفله الامام ابن الخطيب .

وأخبرني أيضا أبقاه الله أن نص حمدلته : حمداً لمن مد جيش محمد بعترته ، ولا يخفى عليك ما اشتملت عليه هذه الجملة من التورية .

ومنها أيضاً **(ترتيب ديوان أبي الطيب)** أحمد بن الحسين الكندي الشهير بالمتنبي ، رتبه على حروف المعجم ، وجعل له خطبة أمره بذلك أمير المومنين نصره الله ، الى غير ذلك من تآليفه حفظه الله وأدام رياسته .

أشياخه : الامام العلم أبو العباس احمد بن علي المنجور ، والقاضي الجليل أبو مالك عبد الواحد الحميدي ، والفقيه الاستاذ النحوي أبو العباس أحمد الزموري رحم الله جميعهم ، وقرأ على غيرهم ممن يطول تعداده .

---

70) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأديب الاندلسي الكبير الشهير بلسان الدين بن الخطيب ، ولد بغرناطة في 25 رجب عام 713 وتوفي قتيلا بفاس أوائل عام 776 وقبره بها شهير يوجد عن يمين الذاهب من باب المحروق الى قصبة الشراردة .

وله حفظه الله يد طولى فى علم المنطق خصوصاً مع المشاركة التامة في غيره ، وقد جمع الله له بين فصاحتى القلم وفصاحة اللسان ، وقل أن يجتمعا ، وقد طلبت منه حفظه الله أن يجيزنى جميع نظمه ونثره اللذين بذ فيهما الجهابذة ، ولم يدرك الصاحب والبديع فيهما مآخذه ، فأجازنى جميع ذلك بلفظه من غير كتابة ، لأن المقام ضاق حينئذ عن ذلك ، لكونى أزمعت السفر ، وقد فرطت فى ذلك قبل ، ولعل الله أن ييسر علينا لقاءه ولقاء سائر الأعلام فى هذه الرحبة، انه على ذلك قدير .

وهذا الكاتب حفظه الله واسع الايثار، عالى الهمة ، متين الجاه، وخلاله معلومة، فأغنانا ذلك عن الاكثار ، مولده سنة ست وخمسين وتسعمئة (71) ، فهذا بعض ما أمكن الالمام به فى هذه العجالة من أحوال الكاتب المذكور ، والا فذلك يستدعى البسط ، وقد ذكر كثيراً من صدور تآليفه وجملة من نثره ونظمه شيخنا شهاب الدين القاضى أبو العباس أحمد بن أبى العافية فى كتابه **(المنتقى المقصور)** فأغنانا ذلك عن ذكره ، وفيما ألمعنا به كفاية ، وله حفظه الله سبط نجيب ضاهاه فى خلاله، وبرع فى الكتابة والنظم ، وتأدب بآداب أبيه ، وسيأتى ذكره ان شاء الله ، وذكر جملة من نظمه ، وقد أسقطت كثيراً من مقطعات الكاتب المذكور فى الغزل وغيره بعد أن عزمت على ذكرها ، ثم تركتها خوف الاطالة ، وبالله تعالى التوفيق ، لا رب غيره ، نسأله سبحانه أن يوفقنا لما فيه رضاه ، وأن يعيننا على قراءة العلم النافع والعمل بمقتضاه ، بمنه وكرمه ، انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير .

6 ـ الحسن المسفيوى

الكاتب الناثر الناظم البليغ المجيد ، الباقعة ، المشارك المتفنن الذى لم يدرك ابن نباتة فى النظم مواقعه ، السالك من العلوم السنن السوى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن الحسن بن يعقوب بن محمد المسفيوى ، من أهل مراكش ،

71) وتوفى عام 1031

لقيته بها وشاهدت كثيراً من أحواله ، وقيدت من ألفاظه وأقواله ، له قدم راسخ في علم الطب مع المشاركة التامة فى غيره من العلوم ، وهو متولى قراءة كتاب أوقليدس بين يدى أمير المومنين نصره الله .

وها أنا أذكر فى هذه العجالة نبذة من نظمه فمن ذلك قوله فى بعض الموالد الشريفة :

أتت طيفاً سرى بعد المطال   وجادت بالخيال على الخيال
ينم بها شذاها فى سراها   فتدمج لى وصالا فى انفصال
جلت بدراً عليه الليل داج   على دعص على غصن مهال
رمت عن مقلة حوراء قلباً   شوت سوداءه بعد المحال
كأن بخصرها وجدى عليها   كلانا فى سقام واعتلال
لقد أبلا اشتياقى فيك جسمى   الى أن دق عن ضرب المثال
أسى لا تستقل به ضلوعى   وفيض سح من دمعى المدال
فان أسعى فبالارقال أطوى   تنائف لا يضيق بها احتمالى
بعيس تحت جنح الليل تبدو   كخط الشيب فى جنب القذال
ضوامر كالقداح تجد وخداً   الى معنا المعالى والجلال
معاهد طالما جادت ثراها   غوادى الوحى هامية العزال
ستنتشق الحياة اذا انتشقت   أريج النشر من تلك التلال
وتنتعل الوجوه بهن لما   ثواها الصادق الزاكى المقال
رسول الله صفوة من براه   ومن جلا به جنح الضلال
أتا والخلق فى عمياء جهل   ودين الدين فى أسر المطال
فأسس للهدا ركناً شديدا   وآل الكفر منه للزوال
بيدر طوق الأشراك خزياً   على حكم الصوارم والعوالى

ولم تال الكتائب عن عراق — ولا شام ولا أقصا الشمال

فوالى الله تسليماً عليه — وجدده عليه على اتصال

ولا زال الهدا فينا مقيماً — بدولة سبطه فخر المعالى

همام دون منعته اعتلاء — مراقى الشهب أو مجرا الهلال

وهذا المجد أقعس من معد — تخر لعزه شم الجبال

فأنت الفذ فى العلياء فرداً — فما لسواك فيها من مقال

فأى الخلق وازا فى سباق — مقامك فى نوال أو قتال

وأى مآزق الهيجاء تلقا — ولست بضارب تلك الرعال

وأى كتائب جالدت الا — تركت كماتها جزر النصال

وما محلت مراعا فيك لا — شفت أمحاله بدر النوال

لقد قطعت بنا الآمال حتى — كرعنا من معينك فى زلال

فدمت للمكارم تبتنيها — وتنشر ما طوت منها الليالى

أشدتم للمواسم طيب ذكر — طوا ما كان فى الأمم الخوالى

فما للدين غيرك من عماد — وما للدهر غيرك من جمال

وقال أيضا أحيا الله به دوارس الصناعة ، وأقام به منار البلاغة والبراعة ، يذكر فتح تيجوراين (72) ويمدح المنصور :

تبدا هلال السعد من مطلع النصر — ولاحت بروق المجد من علم الفخر (73)

فمن همم أضحا الثريا لها ثرا — ومن عسكر يقتاده رائد النصر

مقام ملوك الأرض من سطواته — مقام بغاث الطير من مخلب الصقر

فهم شاخصو الأبصار نحو جلاله — يخرون للأذقان تحت يد القهر

---

72) انظر التعليق عدد 22 فى الصفحة 31 من هذا الكتاب

73) مطلع القصيدة فى **مناهل الصفا** كالآتى :

تجلى بسعد الجد مقتبل النصر — كذا غاية العليا [illegible] النخر

فمن لم ينله فيلق من كماته ... أحل به من قبله فيلق الذعر

فما دون أن يعطوا الانابة (74) منزل ... لهم غير بطن الوحش أو حوصل الطير

وتركهم صرعا بكل تنوفة ... سكارا بكأسات المنية لا الخمر

فكم فل غرب الروم سيف انتقامه ... وطاف عليهم طائف القتل والأسر

وكم سربل الأبطال فى حومة الوغا ... مجاسد من نسج المثقفة السمر

فناحت عليهم كل غيداء طفلة ... تفيض عليهم واكف الأدمع الحمر

فهل خاب سعى السود أوفال رأيها ... وهل قاومت فى زعمها عاصف القسر

رعوا حقبة رعى الهدون وأغفلوا ... عواقب ما يأتى به طارق الدهر

فما راعهم الا طلائع عسكر ... تزجا بأسد الغاب دامية الظفر

عليهم قتام يشهد الليل أنه ... هو الليل والخرصان فيه سنا الزهر

وجرد كأسراب القطا ضمر الحشا ... ينلن المدا لو أنه قنة النسر

تشد بزغب مسبلات كأنها ... مسودة الأرجاء من نقط القطر

فكم راية قد ظللتها كأنها ... قدامى عقات قد ثنتها الى الكسر

يسددها المنصور فهى سحائب ... تجود العدا بالحتف من وبلها الغمر

فلا وزر من بأسه غير حلمه ... فناهيك منه قابل التوب والعذر

وناهيك من طلق الجبين كأنما ... أسرته منها استعير سنا البدر

الى خلق لو كان للطيب نشرها ... لما انتسبت الطيب الذكى الى الشحر

كذا خلق مهدية علوية ... توارثها الغر الكرام عن الغر

يقر بك المهدى عيناً وقبله ... الوصى بما أعقبت من طيب الذكر

بمن لو رما صفين يوم جلاده ... لحلت بجيش الشام فاقرة الظهر

---

74) هى الضريبة المعروفة بالنائبة وأول من أحدثها فى المغرب أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى لما صفا له ملك المغرب ، فرضها على قبائل المغرب ولم يعف منها شريفا ولا مشروفا ، وكانت تعطى لبيت المال من الماشية والمنتوجات الفلاحية . ولما جاء المنصور السعدى قومها بسعر الوقت فصارت تدفع دراهم . انظر ص 8 وص 30 من الجزء الخامس من **الاستقصا**

ليهنئه ملك الارض موطودة له ... سينتظم السوس القصى الى النهر

فما دون درب الشام الا التفاتة ... وما دون بغداد العراق سوى فتر

فان حاول الأعداء منها اعتصامها ... ببعد فقد راموا المحال من الأمر

فلو أنهم حلوا السماكين منزلا ... لبات الردا من خلفهم دائباً يسرى

ولو نازل البحر المحيط بعزمة ... لعادت يباباً بعدها لجج البحر

نجارك خير العالمين ورثته ... فناهيك من ارث وناهيك من نجر

فلا زلت منصور اللواء مظفرا ... ودامت بك الأيام واضحة البشر

فلا نعمة الا ومنك منالها ... ولا عرف الا من ندا كفكم يجرى

* * * *

وقال أبقاه الله يخاطب أمير المومنين أيده الله من قطعة يطلب توقيعاً شريفاً :

فكم علقت من أمل بدرج ... تخط به سواداً فى بياض

فخطك فيه أبها من سواد ... يروق الطرف من حدق مراض

وقال أدام الله علاءه ، وبلغه ءاماله وأجمل ارتقاءه ، من مرثية فى بعض أولاد أمير المومنين نصره الله وأنشدنيه :

هلال خر من أوج لترب ... فأغمد فيه اغماد النصول

تناول شلوه رضوان كى ما ... يؤديه الى مهدى البتول

وقال أبقاه الله فى شادن :

خط الجمال صفحتى خده ... ودبج الصدغين والغره

كأنما أغفل بعض الذى ... يخط فاستلحقه طره

وقال أيضاً وقد اقترح عليه فيمن طار على وجهه نقط الزين :

وأهيف زانه شكل وقد ... فؤاد الصب موقوف عليه

تظن الشين ما أبصرت منه ... وليس الحسن الا ما لديه

سحـــاب الحســـــن أمطـر مستهلا   بقطـــر المســك فـــوق وجنتيـــه

ونسب بعضهم له قطعة قيلت في دار تبناها وزير القلم الأعلا ، أبو فارس عبد العزيز الفشتالى أعلاه الله المتقدم الذكر ، وهى :

أجــل المعـــلا مــن قـــداح سرور   وأدر كؤوس الأنس فهـــو سميـــرى

خلعت عــلى عطـف البهـــاء محاسنى   فكسـت بــه الآفـــاق ثـوب حبـــور

وتناســق الوشــى المفـوف حلتــى   نســق الشذور عــلى نحــور الحور

شاو القصور قصورها عن رتبتـــــى   فأنا التى برزت فعـــز نظيـــــرى

فى المبتنـــى المراكشـــى وأفقـــه   أزرا عـــلى الـزوراء والخـــابـــور

أعـــلا مقامــى البـــارع الأسما الذى   قــد حـــاز سبــق النظــم والمنثور

فـــاذا أقــل بنـــانه أقـلامـــــــه   نفـثت عقـود السحـــر بيــن سطور

. . . .   الخليفة أم صهر المنصور ؟ . . . الله :

وفتـــى لـــه أدب تقـــــــــد   م من تقـــادم وهـــو ءاخـــــــر

عجبـــاً لـــه جهـــل العــــــرو   ض وطـــــالمـــا فـك الدوائـــــر

وله يمدح القائد الكاتب الرئيس الأسما أبا العباس أحمد بن يحيى الهورانى رحمه الله :

كفـــى ملامـك لات حيـــن تصبـر   باد هيامى فاعذلى أو فـــاعـــــذرى

جلب الغـرام على الحشا فرط الأسا   فأنا الشجى وعاذلى لـــم يشعـــر

يا شادناً خلـــع السقـــام على مـــن   طرف وشب بى الشجـون بمحجـر

ان تحمك السمــر الظمـــاء فاننـــى   من لوعتى أهـــوى عناق الأسمـــر

وهى طويلة .

وقال أبقاه الله يذكر فتح السودان ، ويمدح أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيد الله أوامره العلية :

فتح كمنبلج الصباح المسفر ... تجنيه من وقع القنا المتأطر
هذا محيا السعد باه مشرف ... يرنو اليك بطلعة المستبشر
أيقاوم الأعداء صولة بأسه ... هل للغمام يد بعاصف صرصر
أهديتهن كتائباً نظمت على ... ظهر البسيطة كانتظام الأسطر
من كل دمر طالما خاض الوغا ... صال بنيران الحروب مسعر
ريعت بها أمم الجنوب كأنها ... نقد سوائم أجفلت من قسور
شرقت نسور ظباك منهم بعدما ... نهلت وعلت من نجيع أحمر
تعسوا ونالهم الشقا ، وكذاك من ... ناوا جلالك فهو أتعس معشر
لم يبق حام من بنى حام ولم ... توروده من خزى صوارم بتر
قد أقفرت منها الغمود فطالما ... طرحت لفى عنها ولما تعمر
بيض مضاربهن ان يعثر بها ... فى ضنك حرب خطو عمر يقصر
وصواهل وصواعق وحواصب ... وكفت كمنهل السحاب الممطر
فملكت أقطار الجنوب وما سمت ... لمنال ذلك همة الاسكندر
وتنال أندلساً يجود ربوعها ... برد المنية من غمام العثير
فقد الجياد الى الضلال تسومها ... حكم الردا وتدوس معطس قيصر
أدرك بها الثأر المنيم فطالما ... ألوى به للدين رهط الأصفر
فكأن بمصر اعتاض من بعد المدا ... منجوهر(75) بحسام بأسك جؤذر(76)
فلسوف يطوى مغرباً ومشارقاً ... ويزور دجلة والفرات بعسكر
وتحل بالحرمين ربعاً زاكياً ... مأوى لجدك ذى السجايا الطهر
لابد من انجاز ما فى الغيب من ... ابراز موعود به ومدخر
فمناك أقرب مطلب لو أنه ... لمس الكواكب ليس بالمتعذر
فمتى طلبت منال أبعد غاية ... ألقا مقاد مطاوع متيسر
فلأنت للعلياء كفء ماجد ... متخير من عنصر متخير

75) جوهر بن عبد الله الرومى ، مولى المعز لدين الله الفاطمى ، وقائد الجيوش المغربية التى فتحت مصر سنة 358 . وهو بانى القاهرة المعزية والجامع الأزهر ، كان قائداً عظيما ، وشجاعاً كريما ، توفى بالقاهرة عام 381

76) هو الباشا جؤذر قائد جيش السلطان احمد المنصور السعدى الذى فتح به الصحراء والسودان

تجنـــى ثمـــار العـــز من غصن القنا ... وترا قـــدود الغيــد قامة أسمـــــر
وترى العــلا ما شاده مــن صــــارم ... أو نلته تحت العجـــاج الأغبـــــر
زاكي العروق ، مقدس الأحساب هـــا ... مي الجود ، سامي العز نامي المفخر
أبقي المآثــر فهي ما امتد المـــــدا ... غرر تخلد في محيا الأعـــــــــصر
لا تقتنـــى الا جميــــل محـــامـــــد ... وكذا اقتنـــــاء الحمد أربــح متجـــر
تهـدى الرفـــاق حديث مجدك عنبراً ... وتشرفت بثناك ذروة منبـــــــــر
لازال ينتــاب العــدا لك عسكــــــر ... يسري ، وتتبعـــه عوافـــي الأنسر
وتنال ما أملت تملـــك كـــل مـــا ... دارت بــه فـــي الأرض سبعـــة أبحر

* * * *

وقصائد هذا الكاتب حفظه الله كثيرة جداً ، ولم نقف له الا على ما ذكرنــا ، وقد كنت يوم خروجي من مراكش المحروسة بالله سألته أن يناولني نظمه فأجابني لذلك ، ثم اني خرجت لفوات الرفقة قبل أن آخذها منه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وله موشحات كثيرة في أمير المومنين أيد الله أمره ، وله ــ في القصائد التي كتبت في البديع وغيره من مصانع أمير المومنين نصره الله ــ اليد الطولى .

ومن مقطعاته حفظه الله قوله وأنشدنيه لنفسه :

مقذف في الهوى مهجتي مسقمـــــي ... خط مسك عـــلى درر المبســــــــم
قده ينتمـــي لبنـــي صـــعـــــــدة ... وذوائبـــه لبنـــي أرقـــــــــــم

* * * *

وقال حفظه الله هذا البيت في التورية بالعروض ولــم أقــف عــلى ما قبله أو بــعــده :

فنفس الحـــر فى ذا الدهـــر قبـض   وعـرض الحـــر من ضرب المــذال

وله حفظه الله حسبما وجدته بخطه .

أحمل أنفاس النسيـم صبابتـــــى   معطـرة تهـدى غـرامـــى اليكـــم
وأولى رسول فى الهـــوا نفس الصبا   وأولى تحياتـى سـلام عليكــــــــم

* * * *

وبخطه أيضاً حفظه الله وأنشدنيه لنفسه :

ساق يدير بمقلتيـــه عـــــــلى   نديمـه مـا يديـــر بالكـــــــاس
فكيف صحـوى من سكرتيـــن بـه   أم كيف وصـلى وقلبـــــه قـــاس

وقد تقدمت له قطعة فى ترجمة أمير المومنين أيد الله أعلامه .

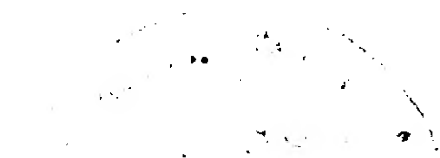
وقال أيضا أعلا الله مقامه ، وأعانه على ما فيه أقامه :

يا أيها الرشـأ الأغـــن الأهيـــف   هــل للمتيم مــن صدودك منصف ؟
فأبح لنا ذاك المحيـــا انــــــه   بــدر سيلحقـه المحـاق ويكسـف
من قبل عسكر عارض يمحو الهــــوا   فتظل من نكـــر لشعـرك تنتـــف

* * * *

وقال أبقاه الله وله حكاية ، وذلك أن بعض أكابر الفقهاء القضاة لم يكن يحسن قول الشعر وفن العروض ، فلما كان بعض الموالد النبوية تكلف قصيدة من بحر الرجز فقصرت جداً عن نظم الأعلام الذين بحضرة أمير المومنين نصره الله ، فقال فى ذلك مفتى الحضرة الامامية الامام العلم ، أبو مالك ، سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمه الله :

قد صك سمعى ما أجرا الجفون دمــاً   وألبس الصبــح من غمـائـه غممـــا
ضجت قوافى القريض فى مصارعهــا   منه ، وركن علاهــا اليوم قــد ثلمـــا



وأصبح الشعـر قد قصت قـوادمـه فلا مطـار له خلفـاً ولا أممـا

فذيل صاحب الترجمة الكاتب أبو محمد الحسن المذكور هذه الأبيات بقوله :

حق البـراعة أن تلقا أزمتهـا ولا تقـل طـروس بعـده قلمـا
كان القريض عقود الـدر رائـقـة فعـاد سلكـاً من الحصبـاء منتظما
يا قاضي العصر ما أبقت قصائدكـم لكل نابغـة فضلا ولا حكمـا

ثم ذيل ذلك أيضا الفقيه العلامة ، أعجوبة زمانه في معرفة كلام الأوائـل ، أبو عبد الله الهوزالي أبقاه الله :

فلو رأى الملك الضليل ما فعلـت بعسكر الشعـر لم يرفـع له علمـا
ولو رأى في قيود العـز راسفـة سوق البدائع لـم يفغـر لهـن فمـا
ولو رأى ما دها ربع البيـان لمـا أجرى بسقط اللـوا دمعاً ولا سجما

وفي هذا المقدار من نظم الكاتب المذكور كفاية لمن أنصف .

وأمـا تواليفه فمنها **جمع كلام الششترى** (77) رضى الله عنه ، جمعـه فـي سفرين ، أمره بذلك أمير المومنين أيده الله ، ومنها تعريبه لبعض الكتب الطبية ، وغير ذلك من تآليفه في التاريخ ، والأدب ، مما لم يحضرني الآن تسميته ، ولـه مشاركة حسنة في أنواع العلوم ، لاسيما علم الطب فله فيه اليد الطولا ، قرأه على سيدنا الامام الماهر العلم أبي القاسم بن محمد الوزير الغساني أبقاه الله ، ومـن أشياخه القاضي الحميدي ، والاستاذ الزموري ، والامام المنجور ، ومفتي حضرة الامامة أبو مالك الحسني رحمة الله تعالى ورضوانه على جميعهم ، وشيخنا الامـام أبو العباس بن أبي العافية الشهير بابن القاضي ، قـرأ عليه المنطق والحسـاب

---

77) أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششترى اللوشي الاندلسي الفقيه الصوفي الشهير ، ولد عام 610 وتوفي بمصر عام 668 ودفن بدمياط ، وقد طبع ديوانه بالاسكندرية سنة 1960

والهندسة وغيرها ، ومن أشياخه أيضاً بلديه الامام المتفنن ، مفتي الحضرة المراكشيه لهذا العهد ، أبو عبد الله محمد المريني الشريف حفظه الله ، حضر مجلسه في ابن الحاجب والمنطق وأصول الدين وغير ذلك .

وبالجملة فهذا الكاتب حفظه الله ممن يحصل الفخر بلقائه ، وقد استفدت منه فوائد جمة لاسيما في علم التاريخ ، فانه كان حافظاً له جداً ضابطاً له محققاً فيه ، والله تعالى ينجده في أغراضه الحسنة ، ويعينه على القيام بحقوق أمير المومنيس نصره الله الواجبة والمستحسنة، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليماً .

7 ـ علي بن منصور الشيظمي

الفقيه الأديب المتفنن ، القائد الرئيس ، الكاتب البليغ المشارك ، أبو الحسن علي بن منصور ابن المرابط الشيظمي ، من أهل مراكش .

لقيته بمراكش المحمية ، وشاهدت جملة من أحواله السنية ، وهو متول قيادة ألف عنان ، جامع بين رياستي القلم والسنان ، وقد رأيته في مجلس البخاري يورد كثيراً من الأسئلة الدالة على رسوخ قدمه في الفنون، ويجيب عن الأسئلة ولم لا وقد حصل له من عناية أمير المومنين أيده الله أجر غير ممنون ، وله يد طولا في المنظوم والمنثور ، وقد تقدم من كلام أمير المومنين نصره الله ما يشهد له بذلك فحسبه فخراً شهادة المنصور ، وقد تقدمت له قصيدة عجيبة عند ذكر زيارة أمير المومنين نصره الله أغمات فراجعها ان شئت ، وله أيضا ميلاديات كثيرة جداً ، فمن بعضها قوله :

أيسلو فؤادي عن سليمى وعندما	جرى ذكرها سالت دموعي عندما
تريك بها ماء العقيق محاجر	اذا استسقيت ءاماقها أمطرت دما

على عهدها أوقفت عقيانهــا الــذى ... منضده من ذوب قلبــى تجسمـــا
سقت لى خدى من فؤادى وهكــذا ... دموع المحب الصب ان هــو أجرما
وقفت بها أشكــو البعــاد غديــة ... وأنشد قلباً ظــل فى الحب مغـرما
وأسأل عن ركب الحما هــل تحملوا ؟ ... وعن حى سلما أين سار ويممـــا ؟
وهل نزلت أظعانها الخيــف من منا ... وحطوا على حجـر الحطيم وزمـزما ؟

وهى طويلة تتبعها يخل بالاختصار المقصود فى هذه العجالة .

وقال أبقا الله رئاسته ، وأعلا مقامه ، وسدد سياسته ، مذيلا بيتى أميـر المومنين نصره الله اللذين مدح بهما طول الليل وقد تقدما وهى :

لما نأى المحبوب رق لى الـدجـــا ... كى ما يعللنى بزهر كواكبـــه
أولى غــراب البيـــن ودك ياحشــا ... البربرنى الصبـــاح كواك بــــه

قال صاحب الترجمة بعدهما ما نصه :

وأغــار اذ حث الظــلام جناحـــه ... ليكن من ألف اللقـــا بغيـاهبـــه
فانقض من أفق القطيعـــة وانثنـــا ... ومشا غــراب الدجــن بين مخالبــه
وغدا به شمل الوصال مصرمــــاً ... وعدا عــلى قلب المشــوق فطار بــه
وكذاك ما حمد اللقـــاء متيـــم ... أرخا عليه الليــل ستر غيــاهبـــه
الا وقد كشر الظـــلام لوجهـــه ... وأبــان عن أنيابـــه ونوائبـــه
لا يحمد الصب الصبـــاح لأنـــه ... كالشيب يفتضـح الصبــا بمناقبـه
فالليل لون شبابـــه وســـواده ... منه يويد القلب فاقـض لـذاك بــه

* * * *

وله حفظه الله فى بديع أمير المومنين نصره الله ما كتب فى باب من المرمر من أبواب البديع المذكور وفيه تاريخه ونصه :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه يا ما أمليح مرءاه وأسناه
فهو البديع الذى راقت بدائعه وطابق اسم له فيها مسماه
صرح أقيمت على التقوا دعائمه ودل منه على التاريخ مغناه
ولاح أيضاً وعين الحفظ تكلؤه تاريخه من تمام قل هو الله

وله أبقاه الله من آخر قصيدة كتبت بقبة الزجاج من البديع المذكور .

ان شئت تاريخ اكمال البديع فقل ايوان أحمد ايوان السعادات

* * * *

وله حفظه الله فى تاريخه أيضا :

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما القصر القصيد التالى
ولذلك سمى بالبديع وجاء بالتجنيـ ـس والاغراق والايغال
وأتى التمام فقلت فى تاريخه بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرحى على تقوى من الله انبنا فى طالع للسعد والاقبال

وله حفظه الله فى مستراح القبة الخمسينية من بديع أمير المومنين نصره الله:

اكتنف الحسن محلى ولاح تاريخه من لفظ هو المستراح

* * * *

ومن نظمه حفظه الله وله حكاية رأيت أن أذكرها هنا ، وان كان فيها طول ودعابة لما اشتملت عليه من تحلية بعض الأعلام الذين ذكروا فى هذه العجالة ، ولتعلم فى ميادين البلاغة شأو كل من ذكر فيها ومجاله ، فنقول : وجدت بخط الامام العلم ، مفتى الحضرة الأمامية المراكشية حماها الله ، سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمه الله ورضى عنه ما نصه :

الحمد لله

فـائـدة : لما تقرر فى الفطن السليمة ، والسنة القويمة ، ما يجب للعلماء من التعظيم ، وعرف اطراد ذلك بين الناس فى الحديث والقديم ، أهـدا الفقيه الأجل ، سلالة الصالحين ، ونجل العلماء العاملين ، أحد كتاب ديوان الخلافة ، ومن له فى السكون والوقار المزية والانافة ، أبو زيد عبد الرحمن ابن الامام علم الأعلام ، سيدى أبى محمد عبد الله العنابى رضى الله عنه ونحن بمحلة مولانا المنصور — عسلا وكبشاً لسيدنا قاضى الحضرة الفاسية ، العالم الامام العلامة ، واحد الفئة ، وصدر صدور هذه المئة ، ذى الأخلاق الحميدة ، والمذاهب السديدة ، أبى محمد عبد الواحد الحميدى استجلابا لمودته وصالح دعائه ، فكتب سيدنا القاضى المذكور الى الفقيه أبى زيد المذكور أبياتا فتح بها الى المباسطة والمداعبة بابا على عادة الافاضل أمثاله فقال :

أيا كاتب السر يا من بدت	محاسنه فى الورا باهره
هديت الى الشفا وصلة	فأكرم بها منحة ظاهره
وكبشاً سميناً له كلوة	تفوق الكلا نعمة زاهره
فلا زلت تثبت كتب الامام	سيوفاً لأعدائه قاهره

وطار صيت هذه الأبيات بين من بالمحلة المنصورة من الأدباء والكتاب ، وتلقوها بالبر والترحاب ، فلهج بها الشادى والبادى ، وغرد بها فى اثر الركائب الحادى ، ففوقوا الى مداعبة الامام ناظمها سهام القوافى ،وطاروا لمباسطته بالقوادم والخوافى ، فأوجفوا على أبياته بخيل البديهة والارتجال ، وقاموا لذلك على قدم الاستعجال ، فقال أقصرهم فى ذلك باعاً ، وأقلهم بهذا الفن اضطلاعا ، عبد الواحد ابن أحمد الحسنى :

أشيخ الجمـاعـة يا قطبهـا ومن فى العـلا مركـز الـدائـره
شننت بأبيـاتكـم غـارة فأحييـت لـى همـة غابـره
وذكرتنـى مربـعـاً لـم تـزل قديمـا بـه مقلتـى ساهـره
وحركت فكـرى بعلـم غـدت بصـدرى مـراسمـه دائـره
فهـذا جـواب لأبيـاتكـم الى ابـن بـدور العـلا السـافره
سليـل الأفـاضـل حقـاً ومـن محـاسنـه فـى الـورا ظاهـره

* * * *

وقال صاحب القريحة الوقادة ، والمحاسن المالوفة منه والمعتادة ، صاحب القلم الذى تزرى شباته بشبا السنان ، وتوقظ فقره من السنة الوسنان ، المثقف بثقاف الآداب المنصورية أبو فارس عبد العزيز :

أبحـر علـوم طمـت زاخـره وشمس معـارفهـا البـاهـره
لك الفضـل عفـواً فقـد أصبحـت كتـائب نظمكـم ثـائـره
وهـزت صـوارم ابـداعهـا فصلت بهـا صولـة قـاهـره
بقيت تشـن بهـا غـارة لتنـشر أمثـالـك السـائـره

وأردفها بفقرات من النثر فقال : فخذها أعزك الله على عجل ، تسعى لجلالك العالى على قدم الحياء والخجل ، وتقف فى مجال الاجادة دون طرف بلاغتك الأغـر المحجل . والسلام .

* * * *

وقال الفقيه المتفنن المشارك الأديب ، متلقى راية الأدب باليمين ، والمتآلى ألا يشارك فى نيلهـا باليمين ، من قصرت عن مجاراته من أرباب البيان الخطـا ، وتسنم غارب الاجادة دونهم وامتطا ، قيد اللواحظ ببيانه وبنائه ، ومستوقـف الطرف بلسانه وسنانه ، مجرى أنفاس المحابر على صفحات المهارق ، ونجيع

الكماة على صفاح الصوارم فى المآزق ، أبو الحسن على بن منصور (77) الشيظمى أبقاه الله على طول المدا ، محفوظا مما يتقا كلما راح واغتدا :

أيا عالم العلم يا ناشره ... وحامل رايته الظافره
وقاضي القضاة الذى فاخرت ... به الشرق مغربنا الظاهره
وناظم عقد المعانى التى ... جرت دونها المثل السائره
وأزرت بفعل الطلا بالنهى ... كذا بشذا الروضة الزاهره
وظلت تردد حسن الثنا ... ء ترويه عن نفسك الطاهره
وأخلاقك الغر لما قصدت ... عن النزر بالدرر الفاخره
وأيقظت عمداً عيون البيان ... من كل فتانة ساحره
تشير بمعنى لطيف الى ... محاسن أخلاقك الباهره
وتثبت سحر البلاغة فى ... مهارق ظلت لكم شاكره
رويدك نبهت سرب المعا ... نى بعيد الكرا فاهتدت حاضره
وأغريت كم من بليغ بها ... حديد الذكا نافذ الباصره
يطبق منها المفاصل غيـ ... ـر هيابة ذى قوى قاهره
تصرف أقلامه بالكلا ... م كالريح بالمزنة الماطره
ولولا المضاء بلا نبوة ... لشبهتها بالظبا الباتره
فلله درك من ماجد ... محاسنه جمة وافره
ومن سيد جامع للذكا ... ء حلو الشمائل والنادره

ووصله من نثره بقوله :

اليك أيها السيد الذى اهتدى بمصباحه ، وأعشو الى غرره وأوضاحه ، بنيات أفكار ، تمد الى كفالتكم يد الافتقار ، ملتمسة منكم نيل القبول والاغضا ، والنظر اليها بعين التجاوز والرضا ، فمثلكم من كفل ، وصفح عن العى والخلل ، واستقرض

77) فى **مناهل الصفا** : ابن سليمان

فأرضا ، وسامح فى الاقتضا ، أبقاك الله للأدب تحوك حلله ، وتجمع تفاصيله وجمله، وللقريـض تقطف زهره ، وتجتلى غرره ،ماذر شارق ، ولاح سنا بارق ، والسلام .

* * * *

وقال الفقيه الأديب الكاتب الذى ارتفع صيته فى دماثة الأخلاق وسما ، وغدا بين النظراء فى عذوبة الشمائل علماً ، وحصل من الأدب على حظ وافر ونصيب ، ورما الى غرض الاجادة فى منازعه بالسهم المصيب ، وتدرع من حسن الخلق جنة لا تفلها سهام الانزعاج والغضب ، ونسلت القلوب الى محبته من كل حدب ، أبو عبد الله سيدى محمد ابن عمر (ابن أبى القاسم الشاوى 78) ، أبقاه الله تضرب به فى لين العريكة الأمثال ، وتتهاداه لفضائله وفواضله أندية الملوك والأقيال :

أمحيـى رسـوم القضـا الداثـره	وانسـان مقلتـه السـاهـره
ومطلـع شمـس المعـارف مـن	مغاربنـا حكمـة ظـاهـره
وبحـر العلـوم التـى أوجبـت	لـه الفخـر والعـز فى الآخـره
وقاضى عساكـر ملـك غـدت	لأخمصـه السبـع كالسـاهـره
ودانت له الأرض طـولا وعـرضـا	فأرسـال أملاكهـا سائـره
الى بابـه تبتـغـى وصلـة	وأمنـاً لسطـوتـه القـاهـره
كفـاك افتخـاراً أبا مـالـك	حضورك أيـامـه الـزاهـره

أتتك أيها السيد الذى يقتدا بعلومه ، ويهتدا الى معرفة الصناعة الأدبيـة بمنثوره ومنظومه ، باسطة اليك يد الاحتقار ، ومسفرة لجلالك عن وجه القصور والاعتذار ، وأنتم أعزكم الله محل التجاوز والاغضا ، والنظر اليها بعين القبول والرضا ، متع الله بطول بقائكم عامة المسلمين ، ونفع بعلومكم مولانا أمير المومنين ، أيد الله سلطانه ، ومهد بمنه أوطانه .

78) ما بين القوسين من **مناهل الصفا**

وقال الفقيه الكاتب المجيد ، والأديب الذى يبدىء فى المحاسن ويعيد ، صاحب القلم الذى يصيب من الأغراض كلاها ومفاصلها ، وتعترف له بقوة المضاء من الصوارم مناصلها ، والفقر التى رفعت للبلاغة لواء ، وارتدت مـن المحاسن رداء ، وضرب بها المثل فى العذوبة ، ولقلوب الادباء خلوبة ، أبو عبد الله محمد بن علي (بن عبد الرحمان الفشتالي 79) ، أبقا الله رتبته :

نسجت أيـا مـالك حلـــة ... بصنعـــاء أفكـارك الحـــاضره

وأجريت مـاء البديـع الـــى ... ريـــاض فكـاهتـك السـاحـره

وأخفقت بنـد المعـانـى عـــلى ... مواكب أغـراضـك الظـافــــره

عيـون البيـان ولكنهـــا ... لغيـــر اللـهـــى لـم تكـــن ناظره

فخذهـا بديهـــة مـن قـد غـــدت ... وجـــوه فهاهتـــه ســافــــره

فدونكم أعزكم الله هذه القطعة وقد ظاهرت بين ثوبى عى وقصور ، وسترت وجه عوارها ببرقع العجلة التى هى محل اغضاء فحول المنظوم والمنثور ، ولا غـرو وأنتم أرباب النظام ، وأمراء الكلام ، ان استنتجتم عقيما ، واستقرضتم فى هـدا الفن مزجى البضاعة عديما ، بقيتم تقيمون للعلم رسومـاً ، وتثبتـون للمعـالـى حدوداً ورسوما ، والسلام .

* * * *

وقال الفقيه المتفنن ذو الفهم القويم ، والادراك المستقيم ، قائد المسائل العويصة بنواصيها ، ومستنزل عصم القوافى من صياصيها ، شعلة الذكا ، والنير الذى يزرى سناه بذكا ، سيدى أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى حفظ الله مكانته وحرس مجادته :

أيـا تحفـة الـدهـــر يا ناظـــره ... وطرفـة أيامـــه النـــــادره

وبـدر العلـــوم الذى قـــد نـضت ... دجا الجهـــل أنـــوارها البـاهـرء

ومن كرعـت فـــى حيـــاض المعانى ... لــه همـــم بالذكـــا سـاخـــره

---

(79) ما بين قوسين من مناهل الصفا

أنظمك أم قرقف بابلي ؟ ... ولفظك أم نفثة الساحره ؟

تعلل أرواحنا مذ غشانا ... بأرواح روضاتك الزاهره

أمن دارن قد سرا موهنا ... أم ارتاد أخلاقك العاطره ؟

فككتم به عن أسارا القوافي ... قيوداً بأرجلها دائره

فلا زلت يا شيخنا يهتبدا ... بنورك في الليلة الساهره

لا غرو أعزك الله ان جاءت لحضرة جلالك تمشي على استحياء ، فقد راعها ما راقها بمحلك السامي من سنا وسناء ، يا له من علاء لو سابقت بديهة أبي العلاء في ميدانه ، لكبا في أثناء الثناء عليه جواد بيانه ، ونبا عن المضا في وصفه ماضي لسانه ، وشباة سنانه ، لا زلت في أفق الجلالة بدراً يلوح للهداة التياحا ، وبحرا للفضل ترده الآمال فتتمايل انشراحا ، وتثمل ارتياحا ، والسلام .

انتهى ما وجدت بخط المفتي المذكور (80)

---

80) نقل الحكاية الوزير الأديب عبد العزيز الفشتالي في **مناهل الصفا** مع مخالفة في الترتيب ، وختمها بالزيادة التالية :

وقال الفقيه الجليل المقدار ، والكاتب الذي طار صيته في حسن التوقيع وسلامة الصدر كل مطار ، الفاضل الذي لا ينسج الا على منواله في السكون والوقار ، والأخلاق التي لا يستفزها العقار ، صاحب التوقيعات المنصورية الكفيلة برد المظالم ، والآخذ بشبا قلمه بثأر المظلوم من الظالم ، مقيد الأوابد الأدبية بعقال ، والمعمّل في نيلها الوخد والارقال ، حتى لاح بدراً في سمائها وائتلق ، وحاز عمن سابقه في مضمارها قصب السبق ، ذو المناقب الفاضلة والمزايا ، ومحط رحال الشكايا ، أبو محمد الحسن بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن علي ، أبقاه الله — وأزمات الملهوفين لا تنكشف الا من يراع بنانه ، ولا يقتدى في كشف كربهم الا ببيانه :

أشيخ العلوم التي قد سرت ... بدائع أبياته السائره

طلعت وكنت كنجم الصباح ... وسدت بأخلاقك الفاطره

اذا ما نويتم طلاب العلا ... فكل المعالي لكم سافره

أتتني بالأمس أبياتكم ... رياض المعاني بها زاهره

محا شعركم ذكر عبد المجيد ... وأضحت فصاحته دائره

فلو مد في عمر البحتري ... لأعجب من فطنة باهره

علوت وفقت قضاة الورا ... فدم هكذا مركز الدائره

أطال الله بقاء سيدي ، وأجل ذخائري وعددي ، اني علمت هذه الأبيات والأشغال تكتنفني ، والخواطر باسباب شتى تقتسمني ووراء ذلك كلال الذهن وجمود الطباع ، ونقصان الخواطر عنون الابداع ؟ ، واستمرار البلادة ، التي هي من لوازمنا عادة ، من لي بمساجلة من لا يدرك مضماره ؟ ولا يشق في ميدان البلاغة غباره .

فلا غرو ان قصرت دون مبرز ... شآ الناس قبلي سعيه وشآني

قلت وانما ذكرت هذه الحكاية بكمالها ، وان كان ما يتعلق بصاحب الترجمة منها قليلا لأجل شهادة شيخ الجماعة سيدى عبد الواحد رحمه الله لهؤلاء الأعلام بالسبق ، وتحليته لهم بما لا يمترا فيه من الحق ، ولأنها مزاح فى باطنه جد كما رأيت . انما يعرف الفضل لأهله ذووه ، ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول :

نظم صاحب الترجمة كثير جدا ، وفيما ذكرناه كفاية .

واما تآليفه فمنها **جمعه للمشكلات التى أوردها أمير المومنين أيده الله على الكشاف** ، ومنها جمعه فوائد حديثية للمخدوم أيضا ، ومنها شرحه لبيتى أمير المومنين أيده الله الذين تقدما ، وهما : **اشتياقى للحبيب . . . الخ** وقد تقدم الامام بذلك . وغير ذلك من تآليفه حفظه الله . ونظمه كما علمت فى غاية السلاسة والسهولة ، وأغراضه فيه مقبولة ، وله قيام على مختصر الشيخ خليل بن اسحاق المالكى ، ومشاركة فى النحو والعروض والاصلين وغير ذلك ، أخذ عن الامام المنجور وغيره من أهل طبقته ، وكتب له بالاجازة الامام الولى أبو المكارم محمد البكرى المصرى رحمه الله ورضى عنه حسبما وقفت على ذلك بخطه .

مولده عام واحد وخمسين وتسعمئة حفظه الله وأدام وجوده . وهو أيضا من حسنات الدولة المنصورية أبقاها الله على مر الأيام وأعلا كلمتها على سائر الدول وقد فعل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

8 ـ أحمد بن الغرديس التغلبى

الكاتب الرئيس الماجد السرى الناظم الناثر كاتب سر ولى عهد أمير المومنين نصرهم الله ، أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضى محمد بن الغرديس التغلبى من أهـل فـاس .

لقيته بها واسع الحرمة متين الجاه . قضا لى حفظه الله جملة لبانات من ولى عهد المسلمين أمنه الله ، وهو نادرة أهل زمانه ، وواحد وقته وأوانه ، بيتهم بفاس بيت ثروة وأصالة ، لهم بفاس أكثر من خمسمئة عام على ما أخبرت به .

فمن نظم الكاتب المذكور ميلادية قالها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ومدح ولى عهد المسلمين مولانا أبى عبد الله المأمون أمنه الله وهى :

أهـدا النسيـم تحيـة المشتاق ... وأذاع ذكـر الشـوق فـى الآفاق

فى طيب مسراه وليـن هبوبـه ... سر يشـب لـواعـج الأشـواق

لمـا سرت للـروح منـه رويحة ... حيت فأبلـت مبتـلا بفـراق

جاءت تخبـر عـن أهيـل بالحمـا ... رحلـوا فلم يطمع لهم بلحـاق

حملت قبابهم القلـوب ويممـوا ... جـوب الفـلا بالوخـد والاعقـاق

مـروا وما قـد خلفـوه من الجـوا ... والشجو ما بين الجوانـح بـاق

حكمـوا باتـلاف النفـوس فلن ترا ... مـن منقـذ لقتيلهـم أو راق

لـولا التصـدع بالفـراق وبالفلا ... لم يدر وصف مصـارع العشـاق

لا تعـذلـوا الصب المشـوق فانـه ... فى حبهـم راض بمـا هـو لاق

عنفتـم نشـوان مـن راح الهـوا ... لا يستفيـق الدهـر قـدر فـواق

لى بالهـوا علم ، فلمنـى أو فـدع ... لـم يستحـل عـن عهدهـم ميثـاقى

جمعت عـلى من الغـرام غـرائب ... خلفـن قلبـى فى اسار وثـاق

وقضا الهوا قهراً تملك مهجتي … فاخترت طوعا ذاك دون عتاق

هم حملوا قلبي الهوان فلذ لي … من غير تعنيف ولا ارهاق

لا أشتكي شجو الفراق ولم يضق … عن حمل أعباء الهيام نطاقي

يا جيرة جاروا وعدل جورهم … فتمنعوا أن يسمحوا بتلاق

هل من سبيل للقاء فتشتفي … من لحظ حسن جمالكم أحداقي ؟

أم هل سبيل للورود لطيبة ؟ … فهناك منية قلبي التواق

أهوا الوصول الى الرسول فتجتلي … أنوار حسن ضريحه آماقي

وأعفر الخد الخون بتربه … وأجيل دمع الواله المشتاق

المصطفا والمنتقا المختار من … فاق الورا طرا على الاطلاق

وهدا الى الدين القويم بعزمة … قد أيدت بمكارم الأخلاق

والمجتبا المبعوث أكرم مرسل … عمت رسالته قصي الآفاق

معلي منار الرشد حقا والهدا … ومبوىء الدين المحل الراقي

ومبيد أسواق الضلالة بعد ان … أربت جهالتها على الانفاق

والمستجار بجاهه يوما يكو … ن الناس في دهش وفي أطراق

وازا سراة الأنبياء وبذهم … تقريبه من فوق سبع طباق

منه الشفاعة ترتجا وبحبه … ترد الظما في الحوض فضل الساقي

آياته ظهرت لتظهر صدقه … فتتابعت صدقا بحسن سياق

كم معجز أبدا حلاه تحديا … فأتا على قدر بصدق وفاق

يكفيك بالوحي المنزل أنه … ما لم يكن في مبلغ الاطواق

من ذا يظن مديحه من مرسل … جاءت مدائحه من الخلاق

قام امتعاضا دونه خير اسرة … تركوا الدنا مبتوته بطلاق

واستقبلوا نصر النبي بهمة … وبشدة في العدل والاطلاق

كم خلفوا في نصره من ظالم … متجرعا جرع الدم المهراق

هم أتبعوا بالسيف كل معاند ... ضرباً على الأذقان والأعناق

هم ألحموا الكفار كل وقيعة ... فسقوهم بالطعن كاس دهاق

فعلا على الأديان دين نبينا ... من بعد شرك ثابت ونفاق

واحتل من بعد الذوى بفضله ... روضاً أريضا يانع الأوراق

سعد الأنام بليلة سطعت بها ... شمس النبوءة تامة الاشراق

وافتر ثغر الصبح عن ميلاد خيـ ... ـر العالمين الطيب الأعراق

أكرم بها وبيومها من ليلة ... منها انتشار الحق فى الآفاق

وفا الامام المرتضا المأمون مـ ... ـن مقدارها بالبذل والانفاق

وأفاض اجلالا وتعظيماً لها ... أصناف نعما جوده الدفاق

ملك أناف على الملوك بقدره ... واستوجب العليا بالاستحقاق

ملك يخيله العيان اذا بدا ... ملكاً لحسن السمت والأخلاق

حاز الكمال سجية ووراثة ... وحثا الثرا فى أوجه السباق

وقضت بعزته السعادة فانبرت ... طوعاً لطاعته يد الاصفاق

ابن الخلائف والأولى ساد والورا ... فتمى ترقوا للعلا لا راق

ان الخلافة فى ذؤابة هاشم ... لا تعدها للغير قول وفاق

لهم الأحق ومن عداهم معتد ... فلهم وراثتها بالاستحقاق

أصل رسا فى المكرمات ونسبة ... علوية فى منتهى الاعراق

مغنا الرسالة والنبوءة والهدا ... والفخر والمجد القديم الباقى

من ينتمى للمصطفا ببنوة ... ولمجده الشرف الرفيع الرافى

فيكل عن علياه كل مطاول ... ومقصر عن شأوه المتراقى

يبدو ونور المجد فى قسماته ... أجلا من الاصباح فى اشراق

زهت الامامة والخلافة باسمه ... والملك أعطى طوع الاسترقاق

وتمهدت منه الدنا بمعزز ... بلواء عز نصره الخفاق

فالديـن عـال كعبـه بمقـامـه والكفـر فى ذل وفـى ارهـاق
لا زلت فى عـز ونصر ضافيـاً حـلل الهنـا مـرقـومة الأطـواق
وجديد سعـدك أيها الملك الرضـا يقضى بنيـل نفـائس الأعـلاق
وعلى النبى وءالـه مـع صحبـه تسليـم مضنـا دائـم الأشـواق
أذكـا من المسك الفتيـق تضوعـاً وأتـم من نـور الضحـا الرقـراق

وقال أيضاً أبقاه الله فى بعض الموالد الشريفة النبوية :

تبدت فأبدا الثغـر من لؤلؤ سمطـا وفوقت الألحـاظ سهماً فما أخطـا
وجطت عـلى ورد الخـدود سوالفـاً أجادت بخيلان لنونتهـا النقطـا
وحطت قناع الحسن بعـد تمنـع فمن أجله درع التجلـد قـد حطـا
وصدت حيـاء عند ذا وتبسمـت وألقت على الخديـن أنلمها السبطـا
وصالت بدل وامتناع وعـزة ونخـوة تيه جاوز القـدر والفرطـا

ومنـهـا :

تميل بردف يؤلـم الخصر خصبـه فذا يشتكى النعما وذا يشتكى القحطا
تدير رضاباً من لماهـا وظلمهـا ومن سحر عينيهـا سلافا واسفنطـا

ومنهـا تخلصاً :

بمولده السامى العوالـم بشـرب وشبت وقد كانت ذوائبهـا شمطـا
وسرت بـه الفردوس ثـم تزينـت وأظهـرت الرسـل الكـرام به غبطا
وأضحا به الاسلام والدين ظـاهـراً ووافـا ديـار النـصر والعز . . . ـطا
بموسمه المـولى اعتنا فأقـاه ـه ووافـاه اجـلالا وأعظمـه قسطـا
امام الهدا مامـون ءال محمـد مليك أقـام العـدل واجتنب القسطا
له همة تعلـو الثـريـا نـزاهـة وفخـر على متن السماكين قـد حطـا

وعزمة حـــزم فى الحوادث ان مضت تعـود وقد قطت رقـاب العـدا قطـا
وهمة عـز فى وقـار سكينــــة وفطرة حلـم تنكر الجهل والسخطـا
ففـى حالتى حـرب الزمـان وسلمه تريك بـوادى حاله القبـض والبسطا

ومنهـا ختـامـا :

فدام ودام النصر يعضـــد أمــره وكان سنـام العز من بعض ما أمطـا
وتوج تاجـاً من سنا ومهـابـــة وطوق من فخـر الثنـا درراً سمطـا

* * * *

وقد تقدمت القطعة التى قالها لتكتب فى القبة التى بصحن القرويين فأغنا ذلك عن اعادتها ، وله حفظه الله نظم رائق غير ما ذكرنا ، وله خط جيد وفصاحة ، وفسيح جناب للوافدين وساحة ، نفقت بوجوده للأفاضل أسواق ، وأشرقت بامداده للأفاضل آفاق ، وله ولوع باقتناء الكتب . وخزانتهم بفاس مشهورة ، وبها انتفـع الامام الكبير الشهير أبو العباس سيدى أحمد بن يحيى الونشريسى (81) ومنها ألف كتابه **المعيار** (82) .

قـرأ الكاتب المذكور على الامام أبى راشد يعقوب اليدرى كتـاب الحـوفى وفهمه من أول مرة ، وقرأ على جماعة غيره من أعلام فاس ، مولده حفظه الله سنـة سبع وأربعين وتسعمئة (83) ولم نقف له على تأليف ، والله أعلم ، وصلى الله عـلى سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

---

81) أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد الونشريسى التلمسانى كبير موثقى الفقه المالكى بأرض المغرب ، ولد بتلمسان ونشأ ودرس على كبار شيوخ بلده كالعقبانى وابن العباس والجلاب وابن مرزوق الكفيف والغرابلى والمرى ، وحصلت له كائنة من جهة السلطان فى أول محرم عام 874 وانتهبت داره ففر الى فاس واستوطنها وأكب على تدريس الفقه بجامع القرويين وانتفع بخزائنها وألف كتبـه وكانت وفاته بها يوم الثلاثاء 20 صفر عام 914 .

82) الاسم الكامل للكتاب : **المعيـار المغرب ، والجـامع المعرب ، عن فتاوى علمـاء افريقيـة والأندلس والمغرب .**

83) هى طرة الكتاب : وتوفى سنة 1021 وانظر ترجمته فى **نشر المثانى** 1 : 113

9 ـ ادريس بن راشد الحسنى

ابو العلا ادريس بن على بن ابراهيم ابن راشد الشريف الحسنى .

لسلفه رياسة ببلاد شفشاون ، نشأ هذا المولى حفظه الله بحضرة الامامـه ذا أخلاق حميدة وسراوة نفس وايثار وبذل ، وله نظم رائق ، وجملة ميلاديات يمدح بها أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيد الله أوامره ، ومن جملة مقطعاتـه فـى الاستخدام قولـه :

سحت السحب من سماء جفـونـى ... لحبيب قـد جـد فى السير عنـى

وغـدا قاصداً لسفـح عقيـق ... قـد رأينـاه للبعـاد بعيـن

* * * *

وله فيه أيضاً :

قد قلت اذ أبدا التعنـف عاذلـى ... والجفن من جـرى الدمـوع قريح

أهواه أسمر فـى الـورا ولو أن قلـ ... ـبـى فى رضاه بطعنـه مجـروح

* * * *

وله منه أيضاً :

أبكيت اذ عاينت نرجس لحظـه ... فى روض حسن قـد تبدا ذابـلا

ورجوت سهما وافـراً من غصنـه ... ولو أنه فى القلب أضحـا عامـلا

وله فى التورية :

جاورت بالدمع القريـح ديـارهـم ... فلعلنى أحـظا بـقـرب الـدار

وطلبتهـم رفقـاً لسائـل جريـه ... فالله قـد أوصا بحفـظ الجـار

* * * *

وله أيضـــاً :

أجريت دمعي طائعـــاً لجفائــــــــه فأجاب سائلــه بنهـــر عــاصي
ورنا فقــال تلطفـــاً يا دانيــــــا خــذ سهــم وصلــك من حبيب قاصي

* * * *

وله مضمنـــاً :

قد قـــال لي نور عيني صف لنا زهراً على بساط من الخابــور منتصـــب
فـقلـت ثغرك مع لونـي لفقـدك أو حصبــاء در عـلى أرض مـن الـذهب

لقيته بمراكش متين الجاه ، لأنه يمت الى أمير المومنين أيده الله بقرابـة ، وأخبرت الآن أنه تغير حاله لأمر ارتكبه ، ولد بعد الستين وتسعمئة والله أعلم .

10 ـ أحمد بن محمد الآيسي

أبـو العباس أحمد بن محمد بن موسى الآيسي الفقيه الحافظ المشارك الباذل الواسع الايثار .

لقيته بمراكش ، وبدارهم ألممت يوم دخولي الحضرة العلية ، ولو أني أتعبت اليراعة في بعض مآثرهم الجليلة ما أطقتها ، ولو علمت أن أطيار المدائح المحبوسة في قفص الفكر اذا صدحت فوق أفنان الشكر تؤدي بعض حقهم لأطلقتها . لهـذا الماجد حفظه الله ملكة في العلوم ومشاركة فيها على اختلاف أنواعها ، وبيتهم بيت رياسة من لدن مبدأ الدولة الهاشمية النبوية الى الآن ، يتولى هذا الماجد أمانة بيت مال أمير المومنين نصره الله ، وأما أخوه القائد الأسما المعظم الأجل الرئيس السري الألمعي أبو اسحاق ابراهيم فقد تقدم الالمام به عند ذكر مآثر أمير المومنين نصره الله ، وانما لم أفرده بترجمة لأني لم أقف له على نظم ، والا فله مشاركة حسنة في العلوم ، يستظهر مختصر خليل ويقوم عليه أحسن قيام ، ويشارك فـي المنطـق

والبيان والنحو والأصلين وغير ذلك ، وأما صاحب الترجمة أبو العباس وهو أصغر سناً من أخيه القائد ابراهيم المذكور ، فله نظم ، فمن ذلك ما أنشدنيه لنفسه يسلى بعض اخوته فى نكبتهم وقد كان ذلك الأخ عزم على الاستشفاع بأحد الرؤساء فقال صاحب الترجمة مخاطباً له :

توسل أخى بالمرسلين وأحمد لأحمد يأتيك الذى أنت سائله
ولا تسأل الناس الذين هم أذى وخيم على من لا تخيب وسائله

* * * *

وأخبرنى صاحبنا الأديب النحرير ، أبو عبد الله محمد الغجاف قال : تذاكرت مع صاحب الترجمة قول القائل :

أقبل من أبصرته راكبا من جانب البطحا على أشهب
فقلت سبحانك يا ذا العلا طلعت الشمس من المغرب

قال : فقلت له لو كانت القافية فى البيت الأول على أحمر ما كان يقال فى البيت الثانى ؟ قال : فقال بديهاً :

فقلت سبحانك يا ذا العلا لاح لنا من وجهه المشترى

وأخبرنى أنه دخل عليهم فى نكبتهم هذه الفقيه الشاعر المفلق ، ابراهيم الهوزالى رحمه الله وهم بجماعتهم مثقفون فى مسجد المشور العلى من حضرة الامامة، فلما رآهم على تلك الحال أنشد لنفسه ارتجالا :

وعهدى بالجوزاء عقد منظم بجنب السها أضاء فى جنب مشترى
فسل عالم التنجيم ذا خبرة به متى انتشرت فى ركن جامع مشور ؟

قلت وخلصوا والحمد لله من هذه النكبة خلوص الذهب بعد السبك ، واطلع أمير المومنين نصره الله على عدم صحة ما نسب اليهم من الكذب والافك ، ولله يبقيهم

نجوم اهتداء بسماء حضرة الامامة ، يقصر عن شأوهم حاتم وكعب بن مامة ، وفى مدحهم أقول لما نزلت بهم :

من مبلغ أهلى وكل أحبتى ... أنى نزلت بمعشر فوق السها
شرفاً فهم عند السماحة حاتم ... ولدا البلاغة كعبها أو قسها

ومآثرهم أسماهم الله كثيرة تضيق عنها هذه العجالة ، ويقصر عن ادراك بعضها من أعمل فيها بديهته وارتجاله ، جزاهم الله عنا أفضل جزائه ، فلهم ينسب الكرم فى اعتزائه ، وهب لى صاحب الترجمة عدة كتب علمية ، وبالجملة فقد استرقتنى مآثرهم التى يعجز عن عدها أرباب البلاغة ناظمهم وناثرهم ، وأخبرت هذه الايام أن صاحب الترجمة عاد لخطته ، فنسأل الله أن يكون خبر صدق لأنى لم أقف على أنبائهم منذ سافرت من الحضرة العلية سنة عشر فى ربيع الثانى ، الى هذا التاريخ وهو أول شوال من عام أحد عشر وألف .

11 ـ الحسن بن عبد الكريم المراكشى

أبو محمد ، الحسن بن عبد الكريم الكاتب الأسنا الأسما ، من أهل مراكش ، أحد كتاب الانشاء بحضرة الامامة ، ويتولا كتابة المظالم بها ، له نظم رائق ونثر ، لقيته بمراكش ، فمن نظمه قصيدة مدح بها الأمير الأجل ، العماد الأحمد ، الواثق بالله ، مولانا أبو فارس بن أمير المومنين نصرهم الله مطلعها :

سروا وظلام الليل فى فوده وخط ... وحثوا المطايا فاستقل بها الشحط

وهى طويلة .

وله مما كتب به للرئيس الكاتب أبى فارس الفشتالى المتقدم معزياً :

اذا جل قدر المرء جل مصاب ... وكل جليل بالجليل يصاب
يروح الفتى فى غفلة من مآله ... ويشغله عنه هوا وشباب

ولـم يتفكـر أن من عـاش ميـت   وأن الذى فـوق التـراب تـراب
أبا فـارس دنيانا أضغـاث نـائـم   وسلسالهـا للأذكيـاء سـراب

وله غير ذلك من النظم ، وله مشاركة فى النحو والأدب وغيرهما ، أعانـه الله وسدده بمنه وكرمة وطوله .

12 ـ محمد بن عبد الواحد الحسنى

الفقيه النحرير البليغ المجيد . أبو عبد الله محمد ابن شيخ الجماعة ، ومفتى الحضرة ، سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى صب الله عليهم شآبيب رحماه

لقيته بمراكش حماها الله ، فشاهدت منه أديبا برع فى فنه ، وجمع العلوم على حداثة سنه ، طلع هو وأخوه الآتى بعده بأفق الحضرة بدرى هاله ، وكل منهما قد انتما له الفهم الثاقب وانتها له ، ولم لا وقد درت عليهمـا الدولـة الأحمديـة المنصورية المولوية أيدها الله من أخلافها ، ومن قبل على أبيهما شيخ الجماعة الامام المفتى فلا غرو ان كانت الفروع تابعة لأصولها وأسلافها ، أخذ صاحب الترجمة عن أبيه شيخ الجماعة ، وعن شيخنا أبى العباس ابن القاضى أدامه الله ، وعن الشيخ سيدى أحمد الشهير باب من أهل السودان . وعن قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن أبى عبد الله الرجراجى ، وعن القاضيين الامامين ، أبى القاسم بن أبى النعيـم الغسانى ، وأبى الحسن على بن عمران السلاسى ، وغير هؤلاء ، الا أنه عاجله الحمام، وكسف بدره قبل التمام ، فتوفى هو وأخوه فى شهر واحد بالطاعون فى ذى القعدة عام تسعة وألف ، وكنت اذ ذاك بالمحلة المنصورة أيدها الله فبلغنى خبـر مـوت صاحب الترجمة ، فدخلت الحضرة وعزيت به أخاه ، ثم رجعت الى المحلة المنصورة أعلا الله كلمتها ، فبلغتنى وفاته أيضاً بعده بنحو العشرة أيام ، فسبحان الباقى بعد فناء بريته ، لا الاه الا هو .

ولصاحب الترجمة نظم جيد ، فمنه ما أنشده بين يدى مولانا أمير المومنين نصره الله في مولد عام تسعة وألف وهو :

أمذاب تبر راق أم صهباء ؟ ... تسعى بها غانية حوراء
فتانة من فرعها وجبينها ... يبدو الصباح وتنشأ الظلماء
من قدها المياس مع لحظاتها ... خجلت غصون ميس وظباء
يحكى وميض البرق ليلا ثغرها ... وحكت شهاب تنفها الحوراء
لا عيب فيها غير سقم لواحظ ... تنسى الظباء وأنها هيفاء
انى شغفت بها كأنى عروة (84) ... فى حبها وكأنها عفراء (84)
ما أبصرت عينى عجيباً مثلها ... غصناً من البان علاه ذكاء
من للبدور بحسنها وبهائها ... ولقد علاها من سناه بهاء
هى الدواء لما أعانى من ضنا ... أبداً ، ومنها كان ذاك الداء
سكنت فؤادى فلست أنسا ذكرها ... ما هز غصناً شمال وصباء (85)
الا بمدح صفوة الأرسال من ... من نوره تتكون الأضواء
المصطفا المختار نخبة هاشم ... من بشرت قدماً به الأنباء
من خصه الرحمان من بين الورا ... بمواهب ما ان لها احصاء
أعلا الأنام همة ، أوفاهم ... ذمماً ومن شرفت به البطحاء
ذو المعجزات اللائى ينمو عدها ... وتكل عن احصائها الفصحاء
ما شئت من شكوا البعير حقيقة ... ويد بها للسرى يهمى الماء
والجذع بعد فراقه حن ، وقد ... رد له بعد المغيب ذكاء
أرسله رب العباد وقد عفا ... نهج الرشاد وعمت الظلماء

84) عروة بن حزام بن مهاجر الضنى ، من بنى عذرة ، أحد شعراء العرب المتيمين ، كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء نشأ معها فى بيت واحد . فلما كبر خطبها فطلبت أمها مهراً لا قبل له به ، فرحل الى عم له باليمن وعاد ، فاذا هى قد زوجت بأموى من أهل البلقاء بالشام ، فلحق بها فأكرمه زوجها وأقام أياماً ثم انصرف فأضناه حبها ومات بالطريق قبل بلوغ حبه ، ودفن بوادى القرى قرب المدينة حوالى عام 30 هجرية وعند البغدادى فى خزانة الأدب انه مات فى أيام معاوية ، وتولى دفنه النعمان بن بشير

85) أى ريح الشمال وريح الصبا ، وقد همزت الأولى ومدت الثانية ليستقيم الوزن

فأبان نهج الحق وهو دارس … وجلا ظلام الشرك منه ضياء

ومحت سطور الشرك بيض سيوفه … فغدت ربوع الكفر وهي خلاء

هو الشفيع اذا المعاد تفاقمت … أهواله وتبرأ الشفعاء

هو العتاد اذا المقابر بعثرت … ودنا حساب هائل وجزاء

هو الملاذ لكل عاص مذنب … والمرتجا مهما ألم بلاء

يا خاتم الرسل الكرام ومن له … فى موقف الحشر سنا وسناء

يا خير مبعوث به هدى الورا … وانزاح عن وجه الرشاد غطاء

أرجوك يا خير الأنام لدفع ما … يخشا وفيك لا يخيب رجاء

ومنها :

صلى عليك الله ما هب الصبا … وشدت على أغصانها الورقاء

صلى عليك الله ما هطل الحيا … وكسا خدود الغانيات حياء

يا تاج رسل الله يا قطب الهدا … كادت تذوب لبينك الأعضاء

لاكن دنو سبطك المنصور قد … زال العناء به وزال الداء

ملك اذا سالت جداول كفه … خجل الحيا واستحيت الأنواء

ليث الكتائب من يرفرف فوقه … فى الحرب للنصر العزيز لواء

والقائد الجيش العرمرم والذى … فى ظلمة النقع له لألاء

ان أومضت يوماً بروق سيوفه … سح على الأعداء منه فناء

كم أورد البيض الرقاق طلا العدا … وسقا الدماء السمر وهى ظماء

يأتى الوغا متبسماً فكأنما … قانى النجيع عنده صهباء

ومنها :

ما جدلت خرصانه أعداءه … الا ليكمل للنسور رجاء

كل الملوك سواءه (86) يخشا الوغا … والحرب ، وهو تخافه الهيجاء

(86) أى سواه ، ومدت لضرورة الوزن

فلو أنه في كربلاء (87) شاهد   ما عم فيه المسلمين بلاء
ذلت لسطوته الملوك وكيف لا   وله النبي وحيدر (88) آباء
هذا مذل الروم في أوطانها   هذا الذى تعنو له الأمراء
هذا الذى للكفر من سطواته   في كل وقت رنة وبكاء
هذا الذى بسنانه وحسامه   نصر الهدا وأقيمت السمحاء
هذا الذى في كفه للمعتدى   داء ، وفيه للعفاة دواء
هذا الذى للبدر والشمس الى   تقبيل أسفل نعله ايماء
هذا سليل المصطفا وسميه   هذا الأغر الأزهر الوضاء
هذا الكريم ابن الكرام والذى   صينت به أموالنا ودماء
هذا الذى جسمي ربى نواله   قد أنطقتني بمدحه الآلاء

ومنها :

يا أيها الملك الذى من كفه   عمت جميع العالم النعماء
دلت طباعك أنك ابن محمد   فأقر بالفضل لك الأعداء
علم وحلم في عظيم قدرة   جود ومجد عفة ووفاء
وفصاحة وبلاغة وسماحة   وشجاعة ومهابة وحياء
قد حزت كل الفخر يابن المصطفا   فافخر فمالك في الورا أكفاء
قد أصبحت حمراء مراكش بكم   من بعد ما طال عليها عفاء
تعنو لها البيضاء والسوداء والـ   ـشهباء والخضراء والزوراء (89)
مولاى كيف يفي القريض بمدحكم   أم كيف تحصي فخرك الشعراء
وفخاركم يا فخر ءال محمد   عن بعضه قد ضاقت الدهماء

---

87) مدينة بالعراق قرب الكوفة ، والبلاء الذى عم المسلمين بها هو قتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عام ٦١ هـ

88) من ألقاب الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه

89) يومي الشاعر الى عظمة مدينة مراكش وتفوقها فى عهد المنصور السعدى على كبريات الحواضر الاسلامية ، والبيضاء لقب دار الملك فاس ، والشهباء لقب حلب ، والخضراء لقب تونس ، والزوراء لقب بغداد ، أما السوداء فلست ادرى على أى مدينة تطلق ، وربما كانت تطلق على احدى حواضر السودان العظيمة

فأدام رب العالمين بقاءكم ... حتى يعم العالمين فناء
وبقيت فى نصر وعز دائما ... يمدحك يا محيى الندا الآباء
فاذا انقضت أعمارهم وتصرمت ... قامت بنظم مديحك الأبناء

* * * *

وقال رضوان الله عليه يتغزل :

بعثت الى مع الصباح رسولا ... اذ لم تجد غير الصبا مرسولا
فرجوته يشفى الفؤاد جهالة ... هيهات لا يشفى العليل عليلا
بيضاء يخجل وحش وجرة لحظها ... حسناً وتنسى الجؤذر المكحولا
ما قابلت بدر الدجا الا غدا ... عجلا يروم من الحياء أفولا
لما غدت محجوبة عن ناظرى ... أسبلت دمع المقلتين همولا
ياليت شعرى هل أفوز بوصلها ... أم هل أنال من اللقا المأمولا
لم أرض ذلا فى الحياة واننى ... صرت على حكم الغرام ذليلا
لا غرو ان مت هوا ، ان الهوا ... قدماً أمات عروة وجميلا (90)
ان أنس لا أنسى لييلة وصلها ... والليل قد أرخا علينا سدولا
والبرق يحكى وصلها متألقا ... أو صارماً من عسجد مسلولا
والسعد ساعدنا بأنعم ليلة ... أمسا بها عنا الزمان غفولا
بتنا ندير بها مروق قهوة ... ذهبية تشفى جوا وغليلا
حتى اذا أخذ المدام بثأره ... منا وغادرنا لقى وقتيلا
قبلت مبسمها البرود رضابه ... ورشفت منه قرقفاً وشمولا
وهصرت غصن البان منها ودهت ... شفتاى وردة خدها تقبيلا
أحبب بها من ليلة بات بها ... بينى وبينها العفاف دخيلا
حتى اذا نشر الصباح لواءه ... قامت تجر من الدلال ذيولا

---

(90) جميل بن عبد الله بن معمر العذرى القضاعى . من شعراء العرب وعشاقهم ، افتتن ببثينة من فتيات قومه ، فتناقل الناس أخبارهما ، أكثر شعره فى الغزل والنسيب ، وهو يذوب عذوبة ورقة ، توفى عام 82 هـ

وقال رحمه الله ملغزاً في اسم سونة :

اسم التي قد عذبت مهجتي ... ان اسمها للحظها وصف
وهو اذا فارقه بعضه ... فبعضه لما بقي نصف
فان يزد فسنة عشقها ... بل واجب ما ان بذا خلف
تصحيف قلبها يرا قلبها ... يا ليت لى من لعسها رشف

وأجابه عن هذا اللغز شيخنا شهاب الدين ابن القاضي أبقاه الله حسبما ذكر في ترجمته ، وألغز له ءاخر الجواب في ورد ، وأجابه صاحب الترجمة بقوله :

قد جاءني لغزكم سيدي ... يعبق من أثنائه الورد
وردت منه مورداً صافيا ... يروى الظما ما مثله ورد

وخرجنا ذات يوم بحضرة الامامة حماها الله لزيارة قبر الامام ابن البنا (91) بباب أغمات ، وبدت لنا قبب البديع الأحمدى أسماه الله تلوح وقد وسمت بأحسن السمات ، فقال رحمه الله :

انظر الى قبب البديع عشية ... فبحسنها تتمتع الأبصار
فكأنها قد شيدت بزبرجد ... وكأنما شمس الاصيل نضار

وقال رحمه الله في اسم خيزران :

علقتها ذات محيا حكى ... شمس الضحى ومقلة كالسنان
لا تعجبوا اذا أمال الصبا ... قوامها فانه خيزران

وقال رحمه الله :

ما شأنه الجدرى بل زانه ... وهل يشين الطل نور الشقيق
كأنه في صفحتي وجهه ... نثير در في صحاف العقيق

(91) احمد بن محمد بن عثمان الازدى العدوى المراكشي ، أبو العباس المعروف بابن البناء ، العالم الرياضي الكبير ، صاحب التآليف العديدة في علوم الدين والعربية والرياضة والطبيعة ولد بمراكش عام 654 وتوفى بها عام 721 انظر ترجمته في الاعلام ، **بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** I : 375

وقال رحمه الله :

يا حسن ذاك الخد لما بدا   وقد علاه لؤلؤ من عرق
كأنه ندا على وردة   أو أنجم قد ظهرت فى الشفق

* * * *

وقال رحمه الله :

رأى فى خد من أهوى سواداً   أخو جهل فقال رأيت خالا
ولم يحسب محياه مرآة   ورئت عينه فيها خيالا

* * * *

وقال أيضاً رحمه الله :

رما بسهم لحظه مهجتى   رشأ حكا غصن النقا قده
اذا بدا أخال شمس الضحا   قد وهبت شعاعها خده
يحكى سواد الخال فى خده   نقطة عنبر على ورده

* * * *

وقال رحمه الله :

يا قمراً بالصد والهجر لم   يبق من الصب سوى قلبه
« يعنى رمق »
رفقاً بمشغوف كليم الحشا   أججت نار الشوق فى قلبه

* * * *

وقال أيضا فى ذلك رحمه الله :

يا رشا يبسم عن قلبه   ارفق بصب أنت فى قلبه
« يعنى اشر »

غرقت فـي بحـر هـواك فـان مت بـه فـذاك مـن قلبـه
« أى ربـح »

وقال رحمه الله ورضى عنه :

سألت عـن داء الهـوا ما شفـاه فقيـل لى شفـاه رشف الشفـاه
فقلت لا أشفـى لأنـى قـد أصبحت مشغـوفـاً بمـن لا أراه

ومـنـهـا :

رشـا حكت مقلتـه صـارمـاً مهنـداً وقـده كالقنـاه
عن لحظـه السحـار حقـاً روا هـاروت السحـر الـذى قـد رواه
بالله هـل أبصرت مـن قبلـه رشـا يغيـر منه ظبـى الفـلاه
وهـل رأيت قبلـه شادنـاً ألحـاظـه تصيـد أسـد الشـراه
فـى لحظـه المـوت ولكنـه فى فمـه والله مـاء الحيـاه

* * * *

وقال أيضا رحمه الله :

لله مـا يلقـاه قلبـى مـن همـوم ذا الدهـر وأحـزانـه
أمسى وأصبـح أنـوح كمـا ينـوح قمـرى بأغصـانـه
نـاح وقلبـه مـن الشـوق قـد خـلا وقلبـى حلـف أشجانـه
يا نفس هم الدهر عنـك اصـرفـى بطاسـة الـراح وكيسـانـه
وبـاعتنـاق كـل غيـداء مـن ظبـاء دهـرك وغـزلانـه
وارج الاه العـرش يمـح الـذى جنيتـه بفيـض احسانـه
فـأنـه أعظـم مـن ذنبنـا عظيـم عفـوه وغفـرانـه

* * * *

وقال رحمه الله يسأل أحد الأعيان اعارة الجلال المحلى (92) رضى الله عنه .

يا سيداً قد تحلا   بالعلم أى تحل
ابعث الى وقيت   مكر الزمان « المحلى »

وقال أيضا :

يا فاعلا بلحاظه   ما ليس تفعله السيوف
اكفف لحاظك انها   أهدت الى النفس الحتوف
فقت الغزالة فى الضحا   وعلى الغزال لك الشفوف

وقال أيضا :

أبنفسج فى صفحتى سوسان   أم عنبر سال على العقيان
أم ذا عذار فى محيا قد حكا   سمش الأصيل بحسنه الفتان
يحكى اذا ما لاح فوق قوامه   قمراً بدا من فوق غصن البان
ألحاظه بوجوب سقمى قد قضت   وقضت بسلب النوم عن أجفانى
أنى يشبه بالغصون وانه   منه استعير اللين للأغصان
يا سائلى عن حالتى فى عشقه   كلى وبعضى فى الهوا سيان
لما تسور حبه قلبى غدا   مهمل وبل الدمع كالطوفان
أوغلت قلبى فى هواه ، وانه   قد ذيل الاعراض بالهجران
مهما يقابلى بصد رصعت   عيناى صحن الخد بالمرجان
قالت بموجب ما لقيت من الضنا   بالهجر سحب مدامعى ولسانى

---

(92) محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الشهير بجلال الدين المحلى ، مفسر أصولى شهير ، ولد بالقاهرة عام 791 وتوفى بها عام 864 والمحلى الذى يطلب الشاعر اعارته هو شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه لجلال الدين المحلى المذكور

وقال رحمه الله موطئا :

يا قمراً أعرض عني ولم · أجن سوى حبه من ذنب
هبك تجافيت فأبعدتني · تقدر أن تخرج من قلبي ؟

* * * *

وقال رحمه الله :

قالوا الهلال ما بدا · في يومنا ولا ظهر
قلت السحاب حائل · ومعه لا يبدو القمر

* * * *

وقال على هذا الروى والمعنى اخوه رحمه الله والفقيه محمد بن الكاتب الفشتالى حسب ما ذكر في ترجمتيهما

وقال رحمه الله :

يا أيها الغيم الذى قد غدا · يحجب عن عيني هلال الصباح
حجبته عن مقلتي باطلا · سلط مولانا عليك الرياح

* * * *

وقال عليهما من ذكر أيضاً

وقال رحمه الله :

طلبتم البدر صباحاً ومن · يبغى الهلال بكرة قد أسا
كيف ترام رؤية بكرة · والبدر لا يشرق الا مسا

* * * *

وقال مضمنا بيت الشريف العقيلي وقد ذكرنا حكايته في ترجمة شهاب الدين شيخنا أسماه الله

يا من غدا قلبي أسير جماله تفديك نفسي كن لعبدك محسنا
خلص بجاه الحب قلب متيم غمز الصدود عليه أعوان الضنا

* * * *

وقال أيضاً رحمه الله في ذلك :

يا شادنا ألحاظه وقوامه فعلت بنا فعل الصوارم والقنا
أحرقت قلباً أنت فيه ساكن عجباً أتحرق ما حللته مسكنا ؟
بالله يا قمرا تملك مهجتي رحمي الأماني من وصالك والمنى
خلص بجاه الحب قلب متيم غمز الصدود عليه أعوان الضنا

* * * *

وانشاداته رحمه الله أكثر من هذا ، ولنقتصر عليه ففيه كفاية ، لأن مبنا هذه العجالة على الاختصار ، نسأل الله سبحانه أن يصب عليه شآبيب رحمته ، ويسكنه في الفردوس أوسط وأعلا جنته ، بمنه وكرمه .

13 ـ أحمد بن عبد الواحد الحسني

الفقيه الناظم الناثر ، البارع المكاثر ، أبو العباس أحمد ابن شيخ الجماعة ومفتي الحضرة سيدي عبد الواحد الشريف أخو المتقدم الذكر رحمهم الله ذو ذهن ثاقب ، شارك أخاه المتقدم الذكر في شيوخه ، وبرع في الأدب ، وتوفي رحمه الله بعد أخيه بأيام كما تقدم الالمام به (93) لقيته بمراكش وأنشدني كثيراً من نظمه ، فمن ذلك قوله :

(93) انظر صفحة 192

من منقذي من شادن فاتن ... يؤثره البدر على نفسه
اذا انتضا من لحظه صارماً ... ما أقرب الانسان من رمسه

* * * *

وقال رحمه الله مساجلا أخاه في أبياته المتقدمة في ترجمته :

بوأتني رمس الضنا والجفا ... اذ تاه قدك على قلبه (سمر)
فالنار في قلبي وقلبي لها ... ينشأ منه ما على قلبه (ران)

* * * *

وقال رحمه الله :

قلت له اذ ساءني معرضاً ... وحسنه يهزأ بالسرب
هبك تجافيت فأبعدتني ... تقدر أن تخرج من قلبي ؟ (95)

* * * *

وقال رحمه الله :

حين اختفا عني أتت ... عيني بدمع ينتشر
لا تعجبوا من سحبه ... فالودق من دون القمر

* * * *

وقال رحمه الله :

كانت لعيني به نزهة ... في روضة من نرجس وأقاح
فاحتجبت عن ناظري مدنف ... قد أثخنت أحشاؤه بالجراح

وهذه الأبيات كلها عارض أخاه بها حسبما ذكرنا الابيات المعارضة في ترجمة أخيه .

---

95) انظر ص 201 من هذا الكتاب

وقال رحمه الله موريا :

قلت لها اذ ودعت وانثنت تحكى غصون البان اذ تنعطف
مهلا أيا من لا نظير لها والعادم النظير لا ينصرف

وله أمداح فى أمير المومنين نصره الله ، ولم أقف من كلامه على غير ما ذكرت رحمه الله ورضى عنه

14 ـ محمد بن عبد العزيز الفشتالى

الفقيه العلم النحرير ، أبو عبد الله محمد بن الامام الوزير الكاتب ، أبى فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالى أسماهما الله

لما برز أبوه مجلياً فى ميدان الاجادة والاصابة ، كان مصلياً له وتلاه فى مآثره فأحرز من العلوم العقلية والنقلية نصابه ، وغزت كتائب فكره معاقل المعانى الغريبة فألقت اليه القياد ولم تحصن ذويها منها دروع . فاستلب خرائدها كما فعل ذلك أبوه والأصل تتبعه الفروع ، تأدب هذا النبيه بالامام أبيه وضاهاه فى مآثره ومفاخره ، وسلك بحر براعته بمواخره ، لقيته بحضرة الامامة حاطها الله ، وله نظم رائق ، ونثر فائق ، فمن نظمه قوله فى بعض الميلاديات التى مدح بها أمير المومنين أيده الله :

ان أوقدوا فمن الفؤاد ضرامهم أو أوردوا فمن العيون الماء
قوم اذا سمعوا بخير بريئة هز الركاب تشوق وبكاء

وهى طويلة جيدة لم أقف منها الا على ما ذكرت .

ومن ذلك قوله يعارض ابن زيدون فى نونيته الشهيرة :

ما كان أغنا الزمان عن تنائينا ولم يكن ببغيض الصد يؤذينا
تولعت حسداً أيدى الزمان بنا لذلك الوصل طبعاً اذ يواتينا

ومنها :

يا ظاعنين وقلب الصب منزلهم — وتاركين رسوم الربع تبكينا

ومنها ختاماً :

أمست ربوع العلوم الغر عاطلة — وصار طالب علم فيك مغبونا

وقال رعاه الله :

ظبى الفلا ما لوجدى فيك غايات — ولا لبدء الصبا منى نهايات

يا طلعة البدر جفنى بالبكا غرق — والقلب قد لعبت به الصبابات

يبدى التباله من هندى ناظره — فى كل عضو من العشاق رشقات

واوات صدغيه لا بالعطف تسعدنى — ولا بنيل المنا منها اشارات

عجبت منه كسير الجفن من سقم — له على نصبه للرشق رفعات

فللصباح استعارات أخيلها — من ثغره وله منه امارات

أضحت غصون رياض الغرس خاضعة — تميل للأرض منهن الذؤابات

ايه فابسط مديد الوصل منشرحاً — يا غصن بان فللأيام غفلات

فلى بتقبيل ذاك الورد منفعة — ولى برشف لثات منك رغبات

وقال رعاه الله (94)

من منقذى من شادن فاتن — قد راق نقش المسك فى طرسه

يحكى اعتدال الغصن فى هياة — يؤثره البدر على نفسه

اذا انتضا من لحظه مرهفاً — ألفيته كالليث فى خيسه

أوان غدا يختال فى حسنه — ما أقرب الانسان من رمسه

وقال أسماه الله :

بسط العذار أناملا من غاليه — فاقتض محمر الخدود الغاليه

وحما لئالىء ثغره فأتيته — بجواهر نظمت بعين جاريه

(94) مشطراً بيتى الآديب أحمد بن عبد الواحد الحسنى المذكورين فى صفحة 203 قبله

وقـــال :

مـــولاى قـــد أتحفتنـــى بالجفـــا ... تـــزرى بما أبديت مـــن قلـــب

هبـــك تجـــافيت فـأبعـدتنـــى ... تقـــدر أن تخـــرج من قلبـى ؟ (95)

وقـــال (96) :

حـــال السحـــاب دونـــه ... ومـــا بـــدا منـه القمـــر

وليـس لـــى ذنـب ســـوى ... أن جـــاءنـــى ســـوء القـــدر

وقال حفظه الله :

أغـزالـة أم بـاقة مـن نـرجس ؟ ... أم شمسة مـن عسجـد فـى أطلس ؟

أمصابح لعبت بهـا أيدى الصبـا ؟ ... أم قهـوة طلعت بأفـق المجلـس ؟

أبنفســج يســرى بصحن وردة ؟ ... ألآلىء تبــدو لثـغـر مشمـس ؟

أم شادن يغـزو القلـوب بحسنه ؟ ... صبـغ الشقـائـق من لمـاه الألعس

أمجـرة جـرت عـلى بـدر الدجـا ... ذيـل الفخـار فى حـلا من سندس ؟

أعقيلـة برزت بخـدر بـلاغـة ... خلصت الى مـع العبيـر الأنفس ؟

أجـاذر شـاب الوليـد بحبهـا ؟ ... أم غـادة كلفت بـأخـذ الأنفس ؟

وقال حفظه الله مضمنا (97) :

نـاديته مستنكفـاً مـن وصلـه ... شنب العـذيب وبـارق وهو المنا

خلـص بجـاه الحب قلب متيـم ... غمـز الصـدود عليه أعـوان الضنا

وقال حفظه الله مودعاً أباه لما انصرف الى تادلة أعنى السبط أواخر رمضان عام تسعة وألف :

صبـراً فكـأس الحادثـات تـدور ... والشمـل مـن منظومهـا منثـور

لمـا انتضا الدهـر الظلـوم سيوفه ... أضنـا الفـؤاد وليـس لى تحـذيـر

---

95) ساجل بهما الأخوين الأديبين محمد واحمد ابنى المفتى سيدى عبد الواحد الحسنى ، وقد تقدم بيتا كل واحد منهما فى ترجمته

96) ساجل بهما بيتى الأديب محمد بن عبد الواحد الحسنى المتقدمين

97) أبيات الشريف العقيلى وقد تقدمت وتقدمت تضمينات مشابهة

والوصل حيث تجهمت أيامه ... وأفاق من ممدوده المقصور
ولقد جنيت مسرة من وصلكم ... لا يعترى تعريفها تنكير
واليوم أعقبنى الزمان ببأسه ... ومضا لمشكل أمره تفسير
ولئن غدا جسمى رحيلا عنكم ... فالقلب من تذكاركم معمور
لا زال جمع جميعكم بسلامة ... ما دام وجدى فيكم مشهور

وقال :

اسعد فديتك بالزمان المسعد ... وانظر لحلة يومنا من عسجد
واغفر له لما أتا متشفعاً ... بجآذر ترعا بروض المسجد

وقال :

شغفت بوشى عذاره العشاق ... وتسايلت من حبه الآماق
يحكى النضار عشية تبدو بها ... فكأنها أديمه الرقاق

* * * *

وقصائده ومقطعاته أكثر مما ذكرنا ، أخذ حفظه الله عن أبيه ، وعن الشيخ المعقولى الفقيه أبى عبد الله محمد المرى التلمساني (98) مفتى حضرة الامامة لهذا العهد ، وأخذ أيضاً عن شيخنا الامام شهاب الدين أحمد بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى أعزه الله ، وأجازه جميع ما يجوز له وعنه روايته ، ولا أدرى هل كتب له خطه بذلك أم لا ، ولازمه مدة كونه بمراكش حماها الله ، وحضر هذا السبط البخارى بين يدى أمير المومنين نصره الله ، وشاهدته قد أورد أسئلة أنبأت عن قوة عارضته ، ولا غرو ، اذ أبوه أبو فارس المذكور فيما تقدم قد حاز قصب السبق نثراً ونظماً حتى صار يضرب به المثل ، فهو أشهر من نار على علم ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، وقد تقدم فى ترجمة أبى فارس المذكور أسماء الله ما خاطب به سبطه صاحب الترجمة فأغنا ذلك عن اعادته ، نسأل الله سبحانه أن

98) محمد المدعو الحاج ابن أحمد بن محمد المرى الادريسى التلمسانى ، ولد بتلمسان ونشأ ، ثم رحل لفاس سنة 1012 بقصد قراءة العلم ومنها انتقل لمراكش فدرس بها وذاع صيته حتى ولاه السلطان الافتاء بحضرته ، ذكر أبو العلا ادريس الفضيلى فى **الدر البهية** 2 : 156 أنه أول قادم من تلمسان الى فاس من أولاد المرى الأدارسة ، وضبط المرى بفتح الميم وتخفيف الراء ، انظر ترجمته فى **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام**

يجمعنا بهؤلاء الأعلام بحضرة الامامة محفوفين بالسلامة عاجلا ، انه قادر على ذلك ، كما نسأله أن يطيل مدة مولانا أمير المومنين نصره الله اذ بسببه اهتدى هؤلاء الاعلام فى أوعار الانظار لهذه المسالك بمنه .

15 — على المروانى المطاعى

الفقيه العدل البارع أبو الحسن على بن عبد الله بن عمر المروانى المطاعى من أهل مراكش حماها الله .

لقيته بها ، وأنشدنى جملة من نظمه ، أخذ عن قاضى الجماعة أبى عبد الله الرجراجى ، وعن الفقيه الامام شيخ الجماعة سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله، وعن المفتى الامام الحافظ أبى عبد الله الترغى المسارى رحمه الله ، وعن الفقيه القاضى العلم أبى الحسن بن عمران ، وعن القاضى الأجل البيانى أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى ، وغيرهم ، وعن الشيخ أبى العباس أحمد باب التنبكتى ، وانتظم مدة فى عدول حضرة الامامة حاطها الله ، ولم يزل كذلك الى الآن ، فمما كتب لى من نظمه بعض قصيدة ميلادية مدح بها مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله مطلعها :

ركائب سعد زانها منهم البشر ... ويممها يمن وساعدها الدهر
اذا ذكروا أوطانهم وتنسموا ... وغادرهم الف الصيانة والصبر
وعن لهم من وامض البرق عارض ... وحركهم ريح الخزامة والنشر
غدا بهم الشوق المبرح فانحدت ... ركائبهم وائتمها الفدفد القفر
تروم مناها بالبقيع وطيبة ... ففى طيبة المغنا وفى الساكن الفخر
ديار رسول الله صفوة خلقه ... وخير ديار أمها البيض والسمر

وهى طويلة :

وقال حفظه الله من أخرى يمدح بها الواثق بن أمير المومنين أيدهم الله ، وكتب لى بها :

قفوا واسألوا ربعاً تبدت رسومه … به سالمت سلمى وكم واصلت هند

ومنها :

هم عذبوا القلب القريح وأضرموا … بجسمى لهيب الهجر قد شبه الصد

ومنها :

حفظت لهم عهد الصبا غير أننى … شغفت بهم حباً وما انصرم العهد
نعمت بهم دهرا كما نعم الورا … بسيرة من فى طبعه الحلم والزهد
امام به رب العباد أغاثنا … فطابت به الدنيا وظن بها الخلد

ومنها :

أبو فارس رب الفوارس والقنا … به فاح رياها وقام بها الوجد
امام ونجل الأكرمين ومن به … غدت ملة الاسلام حل لها الرشد

ومنها :

وناظم عقد الدين بعد انتشاره … فيالك من نظم به حسن العقد
مبدد شمل الجاحدين وجامع … لأشتات دين الله فهو له غمد
بسجد له لاذ الورا بجميعهم … فيالك من جد به ظهر الجد
فسوس به قد حاز كل فضيلة … وما كان قبل اليوم يتلا به الورد
تبدت به للرائدين نضارة … وأخصب مرعاه وفاح به الورد
وأربت على التعداد نعماؤه ولو … تبوأته داراً لما حصل العد
به فاح نشر الطيب بعد سكونه … وصار عبيق المسك دهراً به ينـدو
وماذاك الا من تنسم ريحكم … فأعظم بها ريحاً بها عذب الورد

وما تربت أيدى العفـاة ببـابكـم فكـم رجعت ملأى ، وفـاض لها النهر
أمولاى يا كهف الملـوك وذخـرهـم اليك شكا الملهوف مـا فعل الـوخد
فكم قد طوا البيداء فـوق نجيبـة أتت تشتكى عجفـاً أضر بهـا البعد
لبحر نداكـم يممت تبتغـى المنـا بكـم تم مغنـاها وتم لها القصـد
فحقق لها مأمولهـا ورجـاءها فقـد تم مسعاهـا وتم لهـا الرفـد
وزفت لكـم عـذراء يـاخير مالـك ويا سبط خير الخلق مدحى لكم شهد
وتلثـم أطـراف البسـاط مهـابـة عليكم غدت تثنـى ومنها لكم حمـد
وتقصر أوصـاف القريـض عليكـم وليست كمن أصبـاه عمرو ولا زيد
وأبدت من الثغـر العجيب تحيـة ختامه مسك ، والمديح به يبـدو

قال : ومما خاطبت به الفقيه الأريب أبا عبد الله محمد بن شيخ الجماعة سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمهم الله لما رأيت نظماً له أعجبنى واستقبحت مـا قلتـه :

تنـح ودع عنك القريض لأهـلـه وخـل بحـور الشعر تجرى لها أهـل
وسلم لفـرسان المعانى عنـايـة وحسبك منهـا أن تكون لهـم خـل

قال : فأجابنى رحمة الله عليه بقـوله :

ألارب يـوم قـد نظمت قصيـدة وخلت فمى قـد حـاد من نطقـه قول
فلما رآها النـاس قال جميعهـم أسافلهـم أخف ومنهـم فضـل ؟
(تنح ودع عنـك القريـض لأهلـه وخل بحـور الشعـر تجرى لها أهل)
(وسلم لفرسان المعـانى عنايـة وحسبك منها أن تكون لهم خـل)
فمالك منها غير طـل وانمـا على لـه طل القصائـد والوبـل
امام المعانـى فارس الأدب الـذى شبيهـه لا يحويـه حـزن ولا سهـل
ورب القوافى الغـر فـى كل محفـل ومن علمـه والله ما شابه جهـل

اذا قبضت قصب اليـــراع بنانـــــه تذل له البيض الصفـائـح والأسـل
ومحيـــى علوم الشعـر طراً بعيد ما عفا البعض من آثارها ، بل عفـا الكل

وقال صاحب الترجمة حفظه الله يخاطب صاحب المظالم بالباب العلى المولوى أعلا الله أعتابه ، وهو الفقيه الأجل العلامة ، أبو العباس أحمد بن الشيخ الحجـة القدوة ، أبى الحسن على بن سليمان التاملى أدامه الله :

جدوال دمعـــك لـــم تقطـــــع وبـــارق وعـدك لـــم يلمــــع
ومـرت سليمـى مراراً ولـــــم تــف بالعهـــود ولـــم ترجـــع
وسرت سميــــر الليـــالى فمــا تنـــام العيـــون ولـم تهجـــع
وقـد كنت قبـــل بهـــا مغـرمـــاً وفى وصلها اليـــوم لـــم تطمـــع
فما تنقضى غمـــراتـــى ومـــا تجـف العيـــون مـــن الأدمـــع
وذاب الفـــؤاد وحـــق لـــــه يـــذوب من الألـــم المـــوجـــع
فيا لهـف نفسى عـــلى زمــــن قضـــا بالمســاواة للـــوضـــع
ويا لهـــف نفســـى عـــلى قسمـة يفـــوز بأوفرهـــا المـدعــــى
وفـــى مثلهـــا (99) قال من قـد مضا لاظهار شكـــواه فـــى المجمــــع :
وقـد كنت فـــى الحـــرب ذا تـدرا فلـم أعـط شيـئا ولـــم امنـــع

* * * *

قال : فأجابنى المذكور بقوله :

ادمـــع جفونـك بالمحفــــــــل تفيـض وخلـــك فـــى المنـــزل
وسلـم لسلمـــى بمـــا قـــد أتـــا بــــه الـحـــكـــم فى أزل الأزل
وان هى قـــد أعـرضت عنكـــم فـــلا بـد من وصلهـــا المقبـــل

---

(99) فى طرة الكتاب : يعنى فى زعمه لاعتبار الظاهر ؟

وعز الفؤاد بصبر جميل ... وكن ذا رجاء ولا تعجل

أليس الحسام له نبوة ؟ ... لذا الضرب يوماً فلم يفعل

كفا المرء نبلا كما قيل أن ... يعد بعيب فلم يكمل

قال : وهى طويلة لم يحضرنى منها الا ما ذكرت .

وقال صاحب الترجمة حفظه الله فى الكبائر وقانا الله منها بمنه :

يا سائلا عن الكبائر التى ... زلت بها الأقدام أى زلة

فمنها الاشراك وقتل النفس ... من بعد ذلك بغير لبس

وأكل أموال اليتاما ظلما ... والسحر فافهمه ودعه جرما

وقذف محصنات أيضاً عدوا ... ثم فرار الزحف تم العد

وآكل الربا فدعه تسلم ... كذا روا البخارى وهو الأعلم

* * * *

قلت : ولقينى ذات يوم بحضرة الامامة فتبسمت فأنشدنى بديهاً :

مالى أراك أخذن الفضل مبتسماً ؟ ... أتزدرى من سرورى حين ألقاك ؟

وبقى بيت بعد هذا نسيته !

16 ـ أحمد المريد المراكشى

الفقيه الكاتب القوى الادراك نابغة زمانه ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الحميد بن الناصر بن عبد الرحمن الشهير بالمريد المراكشى

لقيته بها ، ولم أتذاكر معه شيئا ، أخذ عن أعلام عصره ، كالشيخ المفتى أبى مالك سيدى عبد الواحد الشريف ، والحافظ الترغى ، وغيرهم ، وله استحضار لأسئلة يعسر الجواب عنها ، ذو لسان قل أن يسلم منه ، كثير الهجاء لأهل عصره

لا يبالى بأحد ، فمن نظمه قوله يخاطب مولانا أمير المؤمنين نصره الله لما منعه الحاجب من الدخول :

تفديك نفسى أدام الله مجدكم ... سامى الذرا يامليكاً زانه الكرم
فان حاجبكم مولاى يمنعنى ... من الدخول مع الأقران دونهم
فمره مولاى ان جئت يقدمنى ... أقبل الأرض اجلالا لقدركم

* * * *

وقال مفتخرا من قصيدة :

أصك بسيف الهجو سمع لئام ... وأرميهم عن قوسه بسهام
لأحمى بها عرضى المصون حماية ... أذود بها من رامنى بخصام

ومنها :

ألم تر أن الشعر عبد ملكته ... وان مقامى فيه أى مقام
ألم تدر أنى قد مسكت زمامه ... وأفراسه ملجومة بلجام
ألم تدر أن الشعر عندى سليقة ... وأن مقالى اليوم قول حزام (100)

وقال يهجو :

أتانى فريض القرد نظماً مهلهلا ... يدل على تركيب جهل جهول
هو الجهل وابن الجهل والجهل خلقه ... وليس له عن جهله من سبيل

---

100) فى الطرة بجانب هذه الأبيات تعليق ، نصه :
تذكرت هنا ما أنشدنى صاحبنا العلامة القاضى سيدى عمر (مكرر) بن المرحوم القاضى الشيخ عبد الله الدنوشرى الشافعى رحمه الله :

بالله ما طبعى الهجاء وانما ... ألبسته أهليه باستحقاق
وجعلته سيفا أجز به العدا ... وسللته للضرب فى الأعناق
فتخافه أهل الرذالة والأذى ... ويصد هم عن سيىء الأخلاق

وقال فى ذلك :

لئن سبنــى بعـض اللئـــام بمقول ... فذاك على فضـــلى القديـــم دليـــل

وما ضرنــى أن قال لست بشاعـــر ... ولا متقــن نظـم القريض جهـــول

وقال فى فتى وسيم سجن ثم سرح عن قريب حسبما يظهر من الأبيات :

على كل جفـــن أن يفيض شؤنـــا ... وكل فـؤاد أن يكون حـزينـــا

وكل يد أن يلطـم الخد كفهـــا ... لتقضى من حـــق الضيـــاء ديونـا

فتى غارت الأيـــام من حسن وجهـــه ... فدامت به بعد الظهـور كمونـــا

فشقت جيوب الصبر كف تأسفـــى ... وفاضت جفونى بالدمـــاء عيونـــا

ولولا بدو البـــدر قـــرب مغيبـــه ... لكنت بأثـــواب السقـــام دفينـا

وقال يهجو من قصيدة فى بعض الناس :

لقد سمعت ضجيج الأرض صارخـــة ... تبكى وتبكى عيون العلم والديـــن

وتشتكى جور دهـــر فى معاملـــة ... بها الورا بين مأسوف ومحـــزون

وتستغيث ولات حين منتصـــر ... حماية الديـــن يا أهل المواسيـــن

حمـايـة الدين اما بالسيـــوف وان ... لم تقـــدروا فبقـول الحـــق يكفينى

فبالمنابر ما بالخـــد مـــن أسـف ... من لبس عوف له فى سالف الحيـــن

وعـــج محرابهـا مثـل المطارف من ... لبس جـزام فأبكيهـــا وتبكينـــى

ونادت الأرض يا للمسلميـــن فهـل ... حمية لبيـــوت الله تحمينـــى ؟

أين النفوس التـى لله ناهضـــة ... وأين أنصار هـذا الديـن يحمونـــى

فانهـوا الشكايـة للمنصور ان لـــه ... عناية ببيـــوت الله تحمينـــى

واستنهضوا ابن سليمان الزكى عسى ... يذود عنه خبيثـا لا يـــواتينـــى

يا آل بيت نبـــى الله فانتصـــروا ... فطالما كانت الآبـــاء تأوينـــى

وألبستنـــى لباس العـــز ضافيـه ... واليـــوم ألبس ثـــوب الذل والهون

ومنها :

ألا تريحون ممن لا يحيط بما فيه من النقص احصاء الدواوين

وهى طويلة تركتها لما اشتملت عليه من الخنا

17 ـ عبد الله بن عجال المزورى

الاديب عبد الله بن عجال المزورى ، له نظم الا أنه ليس من أهل العلم ، وربما تولا قراءة الأمداح الميلادية بين يدى أمير المومنين نصره الله ، فمن نظمه مطلع قصيدة يهنىء مولانا المنصور بالله أيده الله بفتح السودان :

أتا البشير لمن جلت مواهبه مستصحب النصر مذ تسرى ركائبه

وهى طويلة ، ومن ذلك قوله يمدح الواثق بالله ، المولى أبا فارس ابن مولانا المنصور بالله أيد الله أوامرهم ، وأجمل مواردهم ومصادرهم :

بشراك فالبشر قد حيا على طرق والنصر لبا بمجموع ومفترق

وألسن اليمن والاقبال قائلة أنعم بمسك الدجا وزهرة الفلق

أماترا قبة الابريز قد بررت تختال من خلع الأنوار فى سرق

تبرقعت حللا خضرا مجددة وصب فيها غدير التبر من ودق

تخال من سندس خضر غلالتها بغيد روض من الفردوس مسترق

مفوف الآس والنسرين فى شرف مفيأ الظل عن برد وعن عرق

أصولها فوق برج الحمل راسخة بطالع السعد والأضداد فى محق

ومنها :

قد كحلت نرجس الأحداق من حبر زرق تباهى العيون الكحل بالزرق

وقلدت عقد قلب الملك واثقها ونقبة فوق ورد الحسن بالسرق

ومنها :

لعنبر الشجر نفحات بمفرقها	فيها لمنتشق رى بلا شرق
نارنجها ولجاج الماء من عجب	بحر بلا غرق جمر بلا حرق
حسناء قد أصبحت يسليك منظرها	والطيب حياك منه كل ذى عبق
تبديك ما شئته من عاطر ارج	أو طائر هزج أو زاهر أنق
بالواثق المقتفى المنصور ناطقة	أنا المصونة عن فقر وعن فرق

ومنها :

اذ كل صنع أتا الملك الامام به	بالقصر ثانى بديع القصر فى غسق
حسن تواتر ميراثاً تؤيده	آثار سابقة تتلا بملتحق
عجائب من بديع النصر أحكمها	تقدير من خلق الانسان من علق
من كل رائقة رقت محاسنها	فى حسنها كرقيق الطل فى الورق
لله منها عروس أقبلت فجلت	خد الصباح بدا فى طرة الغسق
تزفها لك أيام الهناء التى	قصر المسرة عن عزم وعن قلق
لم يكفه أن جنا ورد الخدود بها	حتى أضاف اليها نرجس الحدق
زهر لمقتطف زهر لمعتسف	ثغر لمرتشف مسك لمنتشق
تفرد الواثق الملك الشريف بها	فى زمن لم يدع شأواً لمستبق
فمن يجاريك فى مضمارها أبداً	والفضل يحرز خصل السبق بالعنق
أيقنت أنك سباق لغايتها	لما رقيت العلا فى أول الطلق
للعقد فى كل حال رونق عجب	ولا كرونقه فى صفحة العنق
يا واثق الملك قد حسنت لى صفة	لو رمت شكرك طول الدهر لم أطق
نبا لسانى عما فيك من كرم	كما نبا السيف عن مسرودة الحلق
نظمت آخر علياكم بأولها	فصرت تجمع منها كل مفترق

وله مما هجا به الخصاصيين :

بنـي خصاصـة لـم يجهـر لكم نسب — أي والـذى خص بالقـرآن ءاسينـا

لا دين لا رأى لا فضـل يسـاد بـه — بعـد أبـى الفضل يدعا صادكم شيئا

وله نظم كثير ، ومقاصده لا بأس بها . الا انه لا يعرف العروض ولا اللغـة ، ومع ذلك فكلامه كما ترا ، وهو الآن بقيد الحياة .

18 ـ أبو القاسم الوزير الغسانى

العلم الجليل علما وقدراً، العلامة المتفنن الأدرا ، بديع زمانه ورضيه، وعميده وسريه ، ذو التاآليف المفيدة والعلم الغزير ، الفقيه أبو القاسم بن محمد الوزير .

من أهل فاس ، لقيته بها ، فاذا هو لعين المجد انسان ، ولأمطـار الجـود نيسان ، ولم لا وقد لاح نسبه كالشمس فى غسان ؟ وسيقت له جياد المحاسن فى أرسان . تفرد حفظه الله بعلم الطب بالحضرتين وشارك فى سائر العلوم ، أخذ حفظه الله علم الطب عن أبيه ، وأخذ سائر العلوم عن الامام المنجور ولازمه كثيراً ، وأخـذ أيضاً عن القاضي الحميدى ، وعن الاستاذ ابى مجبر ، وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، وله جملة تاآليف رفعها الى المقام الامامى الأحمدى المنصورى العلوى أعلا الله أعتابه ، منها **حديقة الأزهار ، فى الأعشاب والعقار** كتاب عجيب فى بابه لم يؤلف مثله ، يذكر سائر الأعشاب والعقاقير بما سميت به فى الكتب ، ثم يذكر اسمها بلسان عامة الوقت ، ثم يذكر خواصها على وجه عجيب . وأسلوب غريب ، ومنها **الروض المكنون ، فى شرح أرجوزة ابن عزرون** التى جعلها ابن عزرون كالمكملة لأرجوزة ابن سينا ، ومنها **مغنى الطبيب ، عن كتب أعداء الحبيب** . وذلك لأنه قدم على مقام أمير المؤمنين نصره الله بعض أكابر الروم . فأتحفه بهذا الكتاب مكتوبا بالقلم الاعجمى ، فعربه الشيخ صاحب الترجمة أبقاه الله ، وجعل له خطبة ، وزاد

فيه زيادات وأسماه بما ذكر ، أخبرني أنه كتاب عجيب ، وفيه يقول حفظه الله مخاطباً أمير المؤمنين نصره الله . ووافق ذلك الزمان، قدوم البشير بفتح السودان :

هنيئاً لك المنصور دانت لك الدنا وذلت لك الأملاك ذل النرهب
فضضت ختاماً لم يفض لسابق بفتح الزنوج والكتاب المعرب

ومن نظمه أبقاه الله في السد الذى تقدم ذكره في مآثر مولانا المنصور بالله أيد الله أمره وأطال لأهل الخافقين عمره :

سد بفاس أبو العباس سدده مولى الملوك ونجل خاتم الرسل
الفاطمى الرضا المنصور ذو أثر الطاهر المرتضا في القول والعمل
فصار مستوثق الأرجاء في رصف قد خلته صدفاً أو شاهق الجبل
جزيت خيرا أيا أندا الملوك يداً وواضع الخير في حاف ومنتعل
في عام تسع وألف تم سائره في مدة نزرت قريبة الأجل

* * * *

ومن نثر صاحب الترجمة حفظه الله صدر رسالة خاطب بها أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله . ونصه : المقام الذى دانت لملكه ملوك الارض ، فظلت أعناقهم له خاضعين فما يفرقون بين النفل والفرض ، مخافة اجراء العوامل عليهم فتنقلهم من رفع الى جزم ونصب وخفض ، فتطاولت الأعناق الى جلاله وجماله ، وعظمته وكماله ، من كل الجهات الطول والعرض ، فخر الملوك وواسطة العقود والسلوك ، مولانا الامام ، الشهم الهمام ، نجل الرسول عليه الصلاة والسلام . مولانا ابو العباس احمد المنصور ابن مولانا الخليفة الامام ، مولانا السلطان المعظم الكبير الشهير الخطير المهدى مولاى محمد الشيخ الشريف الحسنى ابن موالينا الخلفاء الرشدين ، الهداة المهتدين ، أهل بيت سيد الأولين والآخرين ، ظفر الله أعلامه ، ووصل بالسرور والبشائر لياليه واىامه ، هذا والباعث به الى المولى أسماه

الله ونصره تجديد العهود ، وأداء ما انطوت عليه السرائر والضمائر من المحبة والخدمة وصفاء الود والاقرار بالرقيه والمحبة فى هذه الدولة الشريفة الهاشمية الاحمدية زادها الله شرفا . وبنا لها فوق الغرف غرفا الخ .

* * * *

وقال حفظه الله مضمناً بيت الشريف العقيلى :

يا عاذلى رفقاً لقد طال العنا ... والحب صيرنى رقيقاً مزرنا
خلص بجاه الحب قلب متيم ... غمز الصدود عليه أعوان الضنا

* * * *

وقال أسماه الله يخاطب المولى الواثق بالله ، مولانا أبا فارس ابن مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيدهم الله وأنجدهم :

عهدت نوالا من كريم وماجد ... مليك تحلا بالعلا والمحامد
أبا فارس مولى الملوك وصدرهم ... حنانيك لا تحفل بقطع العوائد
وصلنى بما عودتنى منك دائماً ... فما صلة الا بتكميل عائد

وله حفظه الله فى مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله موشحات كثيرة أنشدنى صاحب الترجمة جملة منها ، فمن ذلك قوله :

نار الغرام يحمى حما قلب بحما غب

ضرامه يزداد ... فى القلب شعلا
يا كوكبا وقاد ... لماك أحلا
بقدك المياد ... على مهلا

راقـــى الهيـــــام المدنـــف الصـــب مـــن غيـــر عتـــب

يا بـدر يا جـــؤذر عـــلى عـطـفـــا

كعطفـــة المنصـــور يومـاً رأى الـــزحفـا

الهاشمـــى المبرور الفـاطمـــى عرفـا

حـــامـــى الأنــــام يوم الـوغـــا الصعب من غيـــر تـعـــب

عـــالم يقظـــان ذو الفهـــم والدرس

فـامـع الطغيـــان ذو الفضـــل والبـأس

فـذاك يـــا سلطـــان أجـــلا مـــن الشمس

مـــاضى الحســـام ذو الصارم العضـــب مـــن غـــير عيـــب

بحـــر بـــلا ساحـل ليس لـــه حـــد

وجـــودك الواصـل لكـل مـن يبـــدو

صدقت يـــا قـــائـــل ليس لـــه نـــد

ســـامـــى المـــرام ذى المورد العـــذب مـــن غيـــر ريـــب

وقال أيضا أبقاه الله :

سقنيهـــا مسكيـــة النشـــــر فاقعيـــة اللـــون كالتبـــــر

* * *

مـــن كيـــوس رحيقهـــا مختـــوم بشمـــام طـــرازهـــا مـــرقـــوم

تحت عقـــد حبـــابـه منـظـــوم وغـــزال جمالـه معلـــوم

* * *

مائـــد القـــد نـــاحـــل الخـــصر ساحـــر الطـــرف بارق الثغـــر

* * *

من عذيرى فى هوا أخشف   ومجيرى من رنا طرف
بسهام قصدت حتف   وعذار حدة السيف

* * *

لى مجير بمنعة الصبر   كامتناع المنصور بالنصر

* * *

وحدثنا صاحب الترجمة رعاه الله أنه اجتمع ذات يوم بعمر بن عبد العزيز الخطاب فأراد اختباره فى النحو ، فسأله هل يقال هلم أو هلموا ، وان قلت هلموا فلم تحملت الضمير وهى من أسماء الأفعال ؟ فلم يجد الخطاب المذكور جواباً فى الحال ، فانطق ونظر فى مظانها ونظم حكمها فى أبيات وأتا بها اليه وهى هذه :

أيا سائلا أضحا يعمى على الورا   فدونك ما فيه الشفا لسقيم
هلم لدى أهل الحجاز منوبة   عن الفعل وهى عند آل تميم
من الفعل حقاً فالضمائر تعترى   أواخره ، فالحظ بطرف سليم
وليس يرا ذا سابق الذكر أولا   فديتك من خل لنا وحميم

فأجابه صاحب الترجمة الفقيه أبو القاسم المذكور حفظه الله بقوله :

لقد فقت أرباب العقول أمن غدا   مشاراً له فى عصرنا بفهيم
شفيت غليلا فى هلم ولم تدع   مقالا لذى علم بها وعليم
فلا زلت تسمو يا أخي وترتقى   وحظك موفور بكل علوم
فلله من فرع بدا وأصوله   موطدة من سيد وكريم

* * *

ولصاحب الترجمة حفظه الله نظم رائق لم أقف منه الا على ما ذكر .

مولده حفظه الله على ما أخبرنا به سنة خمس وخمسين وتسعمئة ، وكان لـه حفظه الله سبط برع فى العلوم ، وفاق أرباب المنثور والمنظوم ، رحل الى المشرق ففقد هنالك ولم يدر له خبر ، وقرأ على جمله أعلام من أهل المشرق كزين العابدين البكرى ، والقاضى بدر الدين القرافى . وشيخ المالكية الامام سالم السنهورى ، وقاضى الشافعية بالصالحية الشيخ الدنوشرى وغيرهم ، وكتب الى صاحب الترجمة الشيخ القاضى الشافعى المعروف بالدنوشرى فى شأن سبطه المذكور رسالة بليغة وقفت عليها بخطه وبدأها بأبيات على حفظى الآن منها قوله :

على ذى المكرومـات الشيـخ قاسـم	سـلام مـا ترنمـت الحمـائـم
الى ذاك الوزيـر تتـوق نفسـى	يحاكى فى العطـاء الوفـر حاتـم
متى تسخـو برؤيتـه الليـالى	. . . . . . وتقريـب مـلائـم

* * *

وأثنا كثيراً فى هذه الرسالة على السبط المذكور ، وذكر ملاقاته مع أعـلام مصر وأبحاثه معهم وشدة اعتنائه بتحصيل العلم ، وذكر هذا القاضى المذكور فى الكتاب بعينه أمداحا فى مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله، وقال للمكتوب اليه : أبلغ مولانا أمير المومنين نصره الله أنى بعثت اليه هدية ومكتوباً ، فعهدى بصاحب الترجمة قد بعث بالكتاب الى مولانا أمير المومنين نصره الله ، ومن نظـم السبط المذكور قوله :

خليـل لـو رآه سيـبـويـه	يقطـع قـال ذا هـو الخليـل
عجبت لـه يقطـع كـل قلـب	ولا سبب خفيـف أو ثقيـل

* * *

وقد أجابه عن هذين البيتين صاحبنا الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الوجدى حسبما ذكر ذلك في ترجمته .

ومن نظم سبط سيدى أبى القاسم الوزير المذكور قوله :

استخرج الوسيط والوسيما ... من الطويل سل به عليما
متئد مطرد ومنسرد ... تخرجها من السريع ان ترد
وخبب من متقارب صدر ... معتمد عن وافر قد انحدر
وخارج عن نظمهم فريد ... وهكذا قل لهم العميد

* * *

وانما ذكرت هذا السبط وان لم ألفه لهذه الفائدة ، ولتعلم أن الآصل تتبعه الفروع .

19 ـ عبد الوهاب الحميدى

الفقيه القاضى السرى العلم ، المعيد فى الفضائل والمبدى ، قاضى البيضاء أبو محمد عبد الوهاب ابن القاضى أبى مالك عبد الواحد الحميدى .

من أهل فاس . لقيته بها ، فما شئت من همة انتعلت السماك وأنافت على عطارد ، وجود اتبع الفرع فيه الأصل حسب ما اعترف بذلك الصادر والوارد ، وقريحة وقادة قيدت من العلوم الأوابد الشوارد ، وسماء عدل رجمت شهبها كل شيطان من الانس مارد ، أخذ حفظه الله أنواع العلوم عن أبيه القاضى الكبير الشهير البعيد الشأو الطائر الصيت بالخافقين أبى مالك سيدى عبد الواحد رحمه الله ورضى عنه ، وأخذ أيضاً عن الشيخ القصار ، والقاضى ابن عمران ، والقاضى أبى القاسم بن أبى النعيم ، وشيخ الجماعة المفتى أبى زكرياء السراج ، وغيرهم من تلك الحلبة.

وبرع في العلوم بعد موت أبيه . وهو الآن حفظه الله قاضي البلد الجديد حماه الله ومتولى تدريس المدرسة العنانية ، وله فهم جيد ، وقوة ادراك ، ولما دخلت فاس حماها الله كان أول مبادر الى اكرامي ، وقضاء مآربي ومرامي ، فلا غرو ان شدوت بذكر محاسنه في النوادي حالي نقضي وابرامي ، لأن شكر المنعم واجب ، ليس دون شمسه حاجب ، ناولني صاحب الترجمة أسماه الله قصيدة فريدة مدح بها ولي عهد المسلمين مولانا المأمون أنجده الله مطلعها :

هنيئاً فأعلام السعود بوادي — وفجر التهاني بالأماني مباد
خوافق بالبشرا نواطق بالهنا — طوارق أنباء بنيل مراد
تزف لك الآمال وهي خرائد — حوال بأنوار الجلال حواد
تسر بابلاغ المعاهد اذ سرت — مواد بتسآد البعاد خواد
تعادى التواني اذ تعادى السرا — أتهدو وقد أمت لأشرف هاد
نبي هدا أربا على الخلق فضله — فكلهم منه بخير رفاد
رسول براه الله من صفو نوره — وألبسه برداً من النور باد
امام الورا قطب الخليقة كلها — تزكا بغايات له ومباد
يوافي الندا منه الورا غب ما سرا — عوائد من أفضاله وغواد
ويمحو ظلام الجو ساطع نوره — فيهدي به السارون والليل عاد
ووافق اذ فاق النبيئين كلهم — بأخبار ماض أو بذكر معاد
وأفضل خلق الله طراً وخير من — غدا حاضراً في العالمين وباد
وأوفاهم حلماً وأزكا خلائقا — وأطيبهم خيماً وأكرم ناد
سما مولد فيه بدا نوره الذي — بطلعته تبدو والنجوم هواد
بمولده تزهو الموالد رفعة — لها السعد حاد بالعلاء وشاد
أهم ولم أملك أطير لو أنني — جعلت ثرا تلك المعاهد زادي
له الحل ان اذ يتنيه حميده — على طول تسئاد وطول سهاد

وما ان وها قصد عرته يد النوا　　　ونجل رسول الله خير عماد

هو الملك الفتاك للمال والعدا　　　على أنه أولى الورا برشاد

بحور الندا من راحتيه طوافح　　　هوام بتسكاب السماح نواد

يحاكى نداه الجم اذ عم بالجدا　　　سحائب قد أمت بسح عهاد

عناصر لم تسلك سوا مسلك الهدا　　　ولم تنتظم الا بسلك سداد

يؤمن منه الحلم كل مروع　　　ويرعب منه العزم كل مصاد

فللحم ما أسدا نداه وما انتحا　　　سناه وما أبدا بباد وناد

وللعزم ما أروا ظباه وما اقتنا　　　قناه وما أردا بحضر وباد

مؤزر عضد الدين باللجب الذى　　　تساما به فوق الروادى مرادى

يعب بأمواج جلت عن هزابر　　　عواد لاحماء الوطيس غواد

أسود هياج فى وشيج من القنا　　　عوال لها مات الكماة عواد

سيوف اذا شبت بهن لظا الوغا　　　صوال على أنهالهن صواد

سمت لك أعلام السعادة فارتق　　　مطاها فما فوق البسيط مضاد

وله حفظه الله غيرها من النظم البديع الأسلوب، أبقاه الله ملجأ للوارد والصادر والطالب والمطلوب ، بمنه .

* * *

20 ـ قاسم ابن القاضى

شيخ النحاة بالحضرة الفاسية وثمالهم ، وكعبتهم التى يطوفون بها فتنجح فى العربية ءامالهم ، الفقيه قاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن على بن أبى العافية ، الشهير بيتهم ببنى القاضى .

لقيته سدده الله واسماه بفاس مشارا اليه بالأنامل مقرا بتبريزه ، لا يدرك شأوه ، ولديه من فنون العربية كل غريبة من نضار الفن وابريزه ، مولده حفظه الله سنة تسع وخمسين وتسعمئة .

تـآليفه منها شرح مفيد على الألفية لابن مالك أجاد فيه ومنها شـرحـه عـلى الجرومية ، ومنها حاشية عظيمة على المرادى ، وأخرى على شرح الشريف ابن يعـلى عـلى الجـرومـيـة .

أخـذ حفـظـه الله عـلى الأستـاذ الشهيـر أبـى عبد الله بـن مجبـر ، وعلى نحوى وقته أبـى العباس القـدومى ، وعن المفتى أبى زكريـاء السـراج (102) وغيرهم من أهل تلك الطبقة ، لم آخذ عنه شيئاً لضيق الـوقت ، ولعل الله ييسـر علينا لقـاءه فى جملة الأعـلام الذين لم ألقهم أولا بمنه وكرمه ، وهو ابن عم شيخنا أبى العباس بن أبى العافية الامام الشهير أدامهما الله بمنه .

21 — سعيد الماغوسى

الشيخ الرحلة الراوية المكثر المتفنن بديع العرب بل الدنيا ، وحـائز قصب السبق فى العلم والتأليف بلاثنيا ، الشيخ سعيد بن مسعود الماغوسى الصنهاجى الشهير بالحاج أبو جمعة ، من أهـل مراكش .

لقيته بمراكش بحضرة الامامة حاطها الله ، فشاهدت اماماً حاز قصب السبق فى العلوم عقليها ونقليها ، ألبست بنات أفكاره المحاسن حللها وقلدتها بحليهـا ، وأمطرت بساتينه العلوم العقلية بوسيمها ووليهـا ، ان جرا جواد فكره فى ميـادين التصنيف كان مجلياً ، وان قاتل بجيش فهمه المعضـلات لم ير الى أن يفتح عليـه موليا ، وناهيك من علم سحب عليه المقام الأحمدى المولوى أسماه الله أذيال اعتنائه فغدا هذا الفاضل مستضيئاً بسناه مستظلا بدوحة سنـائه ، وحبس ما يصدر عنه من نظـم ونثر على عتبة هذا الامام المنصور أيده الله وفنائـه ، وولد حفظه الله فـى غالب الظن بعد خمسين وتسعمئة ، وأخذ حفظه الله عن أعـلام المغـرب والمشرق مصر والحجاز والشام والقسطنطينية العظمى وغيرها ، فمن أهل الشرق الـذين

---

102) أبو زكرياء يحيى بن محمد بن محمد السراج النفزى الأندلسى الحميرى . الامام العلامة ، مفتى فاس وخطيب جامعيها الأعظمين ، وناظر أحباس الضعفاء والمساكين فى عهد السلطان أحمد المنصور الـذهبـى ولد بفاس عام 921 وتوفى بها يوم الجمعـة 18 جمادى الأولى عام 1007 انـظر تـرجمتـه فـى **نشر المثـانـى** 1 : 50 .

أخذ عنهم الشيخ على بن غانم المقدسى شيخ الحنفية ، وناصر الدين محمد بن محمد الطبلاوى ، والقاضى بدر الدين القرافى ، وكلهم أجاز له . وكذا أجازه وكتب له الشيخ عبد الله بن أبى القاسم القمرى الراوى عن السيد عمرو المقرى وعمر البرحى، ودخل حفظه الله تونس قبل أن يدخلها العدو ، فأخذ عن سالم الهروى ، وأبى الفتح البرشكى ، والسليطين ، وبقسطنطينة عن الوزان ، وعن الشيخ محمد العطار ، والفقيه محمد الغربى القاضى ، وقرأ على الشيخ عبد الكريم بن يحيى الفكونى مختصر السعد ، ومختصر ابن الحاجب الأصلى ، وأجاز له ، وهو يروى عن الوزان أيضاً ، وعن أخيه أبى القاسم ابن يحيى ، وسمع حفظه الله على الامام الطبلاوى بمصر بعض المغنى ، والنسفية ، والايضاح للقزوينى ، والشفا بكماله ،وسمع الألفية على أحمد بن قاسم ، والمقاصد للتفتازانى ، وأجاره فى جملة الحاضرين ، وكذا الشيخ يوسف النحوى ، وسمع على الشيخ محمد المنشى قاضى المدينة المشرفة البستى ، كان ارتحاله للمشرق وللمرة الأولى عام أربعة وسبعين وتسعمئة ، وءاب الى المغرب سنة ثلاثة وثمانين ، ووصل حضرة الامامة حاطها الله فى جمادى الأخيرة منها ، ثم ارتحل المرة الثانية عام سبعة وثمانين ، وانفصل عن مراكش حماها الله فى رجب منها ، ولقى أعلاماً أيضاً فى هذه الثانية ، وبقى بالقسطنطينية العظمى دار ملوك التركمان مدة ، فأخذ عن الأعلام الذين هنالك ، وهو الآن حفظه الله بحضرة الامامة مراكش حماها الله مقضى المئارب ، معروف القدر ، متين العلم .

تئاليفه كثيرة كلها فى غاية الاجادة ، منها **نظم الفرائد الغرر ، فى سلك فصول الدرر ،** شرح به **درر السمط ، فى مناقب السبط** لابن الأبار رضى الله عنه ، وأجازه مولانا أمير المومنين نصره الله عن هذا الكتاب لما رفعه الى خزانته العلية عمرها الله بألف أوقية ، دون ما له لن المرتب والكسا الفاخرة ءاخر كل سنة ، ومنها **شرح مقصورة الامام النحوى الشهير أبى زيد عبد الرحمن المكودى ،** ومنها **شرح التصريف** لبعض مؤلفات أحد العجم الذين بلغوا النهاية فى ذلك الفن ، ومنها

ايضاح المبهم ، من لامية العجم غاية في بابه ، ومنها **اتحاف ذوى الأرب ، بمقاصد لامية العرب** وقد وقفت على هذين التأليفين أعنى شرحى اللاميتين ، وها أنا أذكر خطبتيهما معا تتميماً للفائدة ، وليكونا كالعوض عن نظم صاحب الترجمة اذ لم أقف عليه .

فخطبة شرحه لامية العرب نصها بعد البسملة :

نحمدك يا من ألهمنا حقائق الفنون العربية ، وأفهمنا دقائق الفنون الأدبية ، فسهل بصحاح جواهرها حصول الفوائد ، ومهد بمحكم أساسها أصول المقاصد ، ونصلى على رسولك محمد المؤيد من أسرار البلاغة بدلائل الاعجاز ، المورد من مناهل الفصاحة موارد الايجاز ، ففتح بمفتاح بيانها مقفلات المعانى ، وأوضح بتلخيص تبيانها معضلات المبانى ، وعلى ءاله وصحبه ذوى المفاخر والمناقب ، المعربين عما له من المعجزات النواقب ، الرافعين لمن جزم بتصديقها الى أعلا المراتب ، الخافضين لمن انتصب لتكذيبها بعوامل السمر القواضب ، صلاة وسلاماً دائمين ما دامت الحنيفة السمحاء محمية الجوانب ، مرعية السرح فى أقطار المشارق والمغارب ، وسلم كثيرا ، وبعد فلما كان الشعر ديوان العرب ، والترجمان المفصح عما لهم من الأدب ، والصوان الحافظ لمئاثرهم ، والسلك الجامع لمفاخرهم ، اذ به ترفع المطالب ، وتدفع المثالب ، وتنال الرغائب ، وتملا الحقائب ، وكان الفحص عن غرر حقائقه ، والغوص عن درر دقائقه ، مطمحا لأعين الفضلاء ، ومسرحاً لأفهم الأذكياء ، لا سيما شعر العرب العرباء ، المأثور عن الجاهلية الجهلاء ، اذ هو الوساطة فى اثبات القواعد العربية ، والمرقاة المنصوبة الى ابراز فوائدها السنية ، ولذلك عدوا رواته درجة عالية ، ودرايته منقبة سامية ، اذ بهما يخلص الخبث من الابريز ، ويميز الناكص من ذوى التبريز ، وأردت أن أضرب فى ميسره بسهم ، وأغل على شربه متطفلا على بنى فهم ، فاخترت من بين قصائدهم لامية العرب، وتتبعت أبياتها بشرح يبلغ منها أقصا الارب ، لأن ألفاظها أصبحت من الهجران فى

غداة قرة ، ومعانيها باتت من عدم الاعتناء بايلة جرة ، والذى دعانى الى ذلك غرضان سيان ، أحدهما ما روى عن عمر رضى الله عنه أنه حض على تعليمها وتحصيلها ، ونص على تقديمها وتفضيلها ، وكفا به دليلا على أنها جارية مجرا الغرة من قصائدهم ، الثانى : أن أسعفت طالبيها بقواعد تصريفية فى فصول لغوية أمهدها ، وأتحف قاصديها بفوائد نحوية فى عوائد معنوية أسردها ، لتكون لهم منارا ينتحونه ، ومنالا عند التأمل يحتذونه ، يأخذ بهم فى مجهل التوجيه الى الوجه المستنير ، ويعزلهن عن الآجن المطروق الى العذب النمير ، لعلمى أن فهم كلام الله لا يتيسر على الوجه الأحكم ، ولا يتبين معناه على الطريق الأقوم ، الا بمعرفة دقائق اللغة والاعراب ، والاحاطة بما يوجد من النكت فى كلام الأعراب ، ولأمر ما كانت دواوين الشعراء ، مضمارا لاستباق أفهام العلماء ، تنسل اليه السبق من كل أوب ، وتتجارا فى أرجاء معانيه فتأتى كل صوب ، فمن مجل بعد الشأو ، واسع الخطو ، تتخلف الحلبة وراءه ، وتعترف له بالسبق تلقاءه ، ومن سكيت مطرح خلف الأدبار ، ملطوع عن شق الغبار ، ومن ءاخذ فى القصد قد انحرف عن الرجلين ، وجال بين القطرين ، فليس بالسابق المفرط ، ولا اللاحق المفرط ، وكانوا يتفاخرون بما يبدونه من أسراره ، ويستطيبون بما يستنشقونه من عرف أزهاره ، والأيام قد درت عليهم من أخلافها ، ولم تطاهم نوائبها بأخفافها ، فلم يزل ذلك دينهم فى المساء والصباح ، ومطمح نظرهم فى الغدو والرواح ، الى أن فرغ من مديد الأدب فناؤه ، وصفا من دره اناؤه ، فولت حماة حقائقه الادبار ، وأسلمتها الى أسد الفاقة الأعوان والانصار ، فركدت صباه وهبت دبوره ، وقامت قيامته وبعثرت قبوره ، فلم يزل يتردد بين النكبة والعثرة. وكلما قرع بأزمة يردف الزفرة بالزفرة، وأيامه تبز ثيابه، ومنتظروه لا يرجون ايابه ، الى أن بعث الله من فروع الدولة الحسنية ، وغصون النبعة العلوية ، صدر الخلافة القرشية وانسان عينها ، وعضد الدولة الهاشمية وابن ركنها ، قطب دائرة المجد ومركز السيادة ، وكوكب الفخر الطالع فى برج السعادة ،

فأشرقت على أنواع الخلائق أنوار معدلته ، وطمست مآثر الخلائف مآثر دولته ، حتى أن الآذان لا تسمع الا مفاخره ، والعيون لا تبصر الا مآثره ، فسقط من عين الاعتبار كل من عداه ، وكأن القائل ما عنا بقوله الا اياه :

أتته الخلافة منقادة	اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له	ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب	لما قبل الله أعمالها

ظل الله على بريئته ، وخليفته على خليقته ، الخليفة الامام أبو العباس أحمد المنصور بالله ، ابن مولانا الخليفة الامام ، أبى عبد الله محمد المهدى لدين الله ، ابن مولانا الخليفة الامام ، أبى عبد الله محمد القائم بأمر الله ، ملك عاد به الدهر كله ربيعاً ،وعاد على الأرامل والأيتام غيثاً مريعاً ، فاقتعد بساط الأمن والأمان ، وامتثل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) ، وانتطق نطاق العز فى جميع منازعه ، وانطلق عنان العزم يتردد بين أجازعه ، فتهلل وجه الدهر بعد عبوسه ، وانتشا جد العلم بعد بوسه ، فسقا ما أمحل بسحائب جوده ، وأحيا ما اندرس من رسومه وحدوده ، قد أعم أهله بالأيادى ، وأحلهم فى أخصب من جوار الأيادى (103)، فأقام سوقهم بعد الكساد ، وتلافى ذماءهم قبل الفساد ، فأمطرت أنواؤهم بعد أن خوت طوالعها ، وأزهرت نجومهم بعد أن دجت مطالعها ، فتوفرت دواعيهم لاقتناء فنونه ، وتوجهت مساعيهم نحو اقتناص عيونه، فاعتاموا من بحر الطلب كل فريدة، واجتلبوا من رحب الدأب كل خريدة :

الى امام تغاديهم فواضله	خليفة الله يستسقا به المطر
الفائض النيل والميمون طائره	أظفره الله فليهنأ له الظفر

(103) كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الايادى ، كريم جاهلى ، يضرب به المثل فى حسن الجوار ، وقصصه فى البذل والايثار مسهورة .

ناهيك من امام شيد مبانى الفضائل وأعلا منارها ، وجدد مغانى الفواضل واحيا آثارها ، فأصبحت معارفها بواديه متلوة السور ، وعوارفها بناديه مجلوة الصور ، شموسها طالعة مشرقة الأنوار ، وغصونها مخضرة الأفنان ناضرة الأزهار .

مناقبه تربو عن العد كثرة   فآراؤه نور وأقواله هدى

جلت فضائله عن أن يحيط بها نطاق العد ، وعلت فواضله عن أن يحصرها مكان الحد ، من شاهد أحواله الامامية المولوية ، وعاين أخلاقه الهاشمية العلوية ، أيقن أنه الحبر الذى لا تمكن مباراته ، ولا تستطاع مجاراته ، والبحر الذى لا تنقضى غرائبه ، ولا تنتهى رغائبه ، والطود الذى لا تحركه الرياح العواصف ، ولا تزدهيه الرعود القواصف ، ولما سلمت هذه المقدمة لهذه البراهين الساطعة ، واستلزمت المطلوب بهذه الدلائل القاطعة ، أنتجت أنه الواقف على نهاية اقدام الفضلاء ، والعالم بتفاوت درجات العلماء ، فتحققت صدق من قال : اذا اراد الله بأمة خيراً جعل العلم فى ملوكها والملك فى علمائها :

وقلت لنفسى قد وصلت لكل ما   تمنيت من جاه وعيش منعم
ونلت الغنا والعزاذ صرت فى حما   مليك مطاع فى البرايا معظم
فيا طالباً للعلم يممه تعلم   ويا طالباً للمال يممه تغنم
فلا زال للاسلام يعلى مناره   ويحمى ذمار الدين عن كل مجرم

ولما وقفت بعون الله تعالى لاتمامه ، وفضضت عن مسائله ختام اختتامه ، ونجز ما تعلق به الغرض من تهذيب معانيه ، وتبيين ما عسا أن يستعصى على الفهم من معانيه ، ورد كل فرع منه الى أصله ، ووصل كل معنى بما يناسبه من فصله ، حتى جاء بحمد الله سلكاً مملوءاً من جواهر الفوائد ، وعقداً مفصلا بنفائس الفرائد ، محتوياً من أمهات مسائل العربية على جل المقاصد ، متكفلا لمنتجعيه بالصلات والعوائد ، سميته **اتحاف ذوى الأرب ، بمقاصد لا مية العرب** وجعلته هدية لحضرته

العلية ، وخدمة مقربة من سدته السنية ، لا زالت كعبته تحجها أعلام الفضائل من كل فج ، وتلوى اليها أعناق الآمال من كل بلد سحيق ، وقبلة تؤمها أماثل الأنام وحصنا للاسلام ، وملجأ لأهله من حوادث الأيام ، بالنبى وءاله عليه وعليهم الصلاة السلام .

ومن خطبة **شرح لامية العجم**

نحمد الله الذى عرف الحقائق بمحكم الموضوعات اللغوية ، وألهم أسرار دقائقها بايضاح القواعد المعنوية ، وعصم من تحريف مفرداتها وجملها بتسهيل الفوائد النحوية ، فيسر ببديع لطفه تحصيل المقاصد الدنيوية والأخروية ، ونصلى على رسوله محمد البشير النذير ، الداعى الى سبيله بالكتاب العربى المنير ، المشتمل على أسرار البلاغة ومعالم الايجاز ، السالك من شعبها طرقا هى غاية الاعجاز ، وعلى ءاله وصحبه الجازمين بسيوف التوحيد منصوبات الأديان العليلة . الرافعين للمنخفض لهم بابتداء المواهب الجزيلة ، وسلم كثيرا ، وبعد فان القصيدة اللامية المنسوبة الى مؤيد الدين فخر الكتاب الطغرائى أبى اسماعيل الحسين بن على بن محمد الاصبهانى سقى الله ثراه شئابيب رحمته ، وأسكنه من غرف الفردوس دار كرامته ، اشتمل عقدها من نفيس المعانى على درر مكنونة ، وانتظم فى سلكها جواهر من عيون اللطائف كانت عن أيدى الابتذال مصونة ، مع الجزالة والحلاوة فى اللفظ والمعنا ، ورقة انسجام تزيل كربه عن المعنى ، تبدى لمبصرها من وجهها قمرا ، وتسقيه من رحيق مقاصدها سكرا ، ترقص ذا اللب طربا من لذيذ مذاقها ، وتذهله عجبا من لطف مساقها :

ففى كل لفظ منه روض من المنى وفى كل بيت منه عقد من الدرر

ما شئت من حكم هى بمنزلة اللباب ، ونسيب يسحر ذوى الألباب ، ومثل يدرك باحتذائها المجد المؤثل ، ويتأسى بها كل من غصبه الدهر حقه وما أكثر

من يتمثل ، يشهد كل فاضل بتفضيلها على سائر القصائد ، ويعترف بتقديمها لما اشتملت عليه من الفوائد ، ولعمرى لقد جمعت أشتات الفضائل ، واستوجبت لأن يتمثل فى وصفها بقول القائل :

لها من طراز الحسن وشى منمق ومن صنعة الاحسان تاج مرصع

بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل ، فمن مقصر مخل ، ومن مطول ممل ، فأشار من تتعين على طاعته ، ولا يسعنى مع الأدب مخالفته ، عند قراءتها عليه ، وتصحيح ألفاظها لديه ، بأن أضع عليها شرحاً يكشف القناع عن وجوه محاسنها ، ويبرز أسرارها المحتجبة فى مساكنها ، فلبيت دعوته بقدر الاستطاعة وان كنت فيما يحتاج اليه مزجى البضاعة ، وأمليت عليها املاء يشيد مبانيها ، ويوضح بعون الله ما انبهم من معانيها ، موثرا لما يلائم طبع المتأمل من المعانى اللطيفة ، متجنبا لما يعده المنتقد من المباحث السخيفة ، ولم آل جهدا فى ايثار طرق الاختصار ، وحذف ما يؤول عند التأمل الصادق الى محض التكرار ، وأسأل من تامله ان ينظره بعين الانصاف ، ويجتنب فى نقده مذهب البغى والاعتساف ، وأن يصلح بعد التأمل ما عثر عليه من الخلل ، ولا يتتبع مواقع العثرات والزلل ، فقد جمعته وأنا متشتت البال ، أتجرع من غصص الدهر كؤوس البلبال ، لكن المفزع الى الله فى دفع حوادثه العظام ، وأن ييسر بعظيم لطفه ما تجرى به المقادير فى ضمن الليالى والأيام ، لأن اعتمادى كله عليه ، وانتظارى مصروف الى ما لديه .

وما لى على شىء سواه معول اذا دهمتنى المعضلات الشدائد

فهو حسبى ونعم الوكيل ، لااله الا هو الملك الجليل ، ثم أسفرت من مسودته غرة صباح التمام ، وجعلت مسائله تزرى على الزهر فى الأكمام ، سميته **ايضاح المبهم من لامية العجم** وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الأعظم ، المحبى ما

اندرس من آثار السماحة والكرم ، المقيم لميزان العدل بما أوتى من العلوم والحكم ، الممتثل لأمر الله فى رعيته فسلك بهم الطريق الأمم :

ملك اذا لثم الملوك يمينه نالوا بذل الحال عز مثال
وهم اذا خلعوا النعال له ترا هام العلا يطؤونها بنعال

قد نظرته الخلافة بعين الجلال والكمال ، فئاوت اليه ايواء ذوات الحجال ، الى سراة الرجال ، فحلت من سماء علاه أعلا محل وأبهاه ، وطلع شمسها منه فى برج الحمل فأبت أن تتعداه ، فطالما انتظرت أيامه التى أزرت بالأعياد والمواسم ، وركبت مهامه الطلب لتحصيلها على مطايا العزم الرواسم ، ولم تزل تقتحم موارد المشقة ، ولا يصدها عن مقصودها بعد الشقة ، الى أن امتطت ذروة شرف أخطت القرقدين من الغاية القصوى ، فألقت عصاها واستقر بها النوى ، مولانا السلطان الأعظم ، أبى العباس أحمد المنصور بالله ، ابن مولانا الملك الأشرف ، أبى عبد الله محمد المهدى لدين الله ، الشريف الحسنى ، لا زالت الأنام تنقاد لهواه ، والأقدار تسعده من نيل المطالب بكل ما يتمناه ، فهو الذى أعاد سوق العلم بعد كساده الى النفاق ، وخلص من أيدى العوائق من ذادته عن موارده والتفت الساق بالساق ، وما هو الا شمس فضل أنقذت ذويه من ظلمات الخمول ، وربيع أينعت غصون المعارف به بعد أن كسيت غبرة الذبول ، هذا وانا متيقن بأنى به كجالب التمر الى هجر ، والمفتخر بالسها على القمر ، لأن جواهر الفوائد من بحار علومه تقتنا ، وأزهاره من رياضه الناضرة تجتنا ، لكن شمائل كرمه المولوية تشفع لى بالسماحة والقبول ، وتوردنى من رضوانه مورداً عذباً من صفو الاغضاء وبلوغ المأمول ، والى الله أتضرع أن يمده بجيوش النصر والتأييد ، ويشد أطناب دولته بأوتاد العز والتأبيد :

وهذا دعاء لا يرد لأنه صلاح لأصناف البرية شامل

وها أنا أفيض فى المقصود ، معتصماً بحبل التوفيق من واجب الرجود .

انتهت **الخطبة** .

قلت : ورأيت مدحاً لهذا التأليف الذى شرح به لامية العجم صاحب الترجمة للشيخين الامامين ناصر الدين الطبلاوى الشافعى ، والقاضى بدر الدين القرافى المالكى ، كتباه على أول ورقة منه ، ونقلته ممن نقله من محله .

نص ما كتب البدر القرافى رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب وفقنى فلا أعدل عن سنن الساعين فى خير سنن ، حمداً لك يا من اليه قواصى المطالب ، ونواصى المآرب ، والى مجدك الأنفس وجانبك الأقدس نيلُ الرغائب ، ولك أتم الشكر فى المشارق والمغارب ، صلاة وسلاماً على أكمل كامل بجليل المناقب وعلى المراتب ، وعلى آله وصحبه قضاة الحق ، وهداة الخلق ، فى الغرب والشرق ، بنظر العدل الصائب ، والفكر القويم الثاقب ، صلاة وسلاماً دائمين ما عبد الله مخلص وبذل نفسه فى مرضاته فأعزه ورفع له الجانب ، ءامين ، وبعد فان سوق الفضائل لسوق الجهابذة الأماثل لمظهر علو شأنها ، ومؤذن بعزة مكانها لامكانها ، وهى الحقيقة بأن تحفظ دعائم أركانها ، وتكلأ جوانبها المشيد محكم بنيانها وهم ذووها وحماة نظامها وحافظوها الذين انتصبوا لهذا الشأن فكانوا على ذلك أقواماً قواماً ، وأعلاما رفع لهم فى ميدان البلاغة أعلاماً وان ممن منحه الله فى ذلك مقاماًعلياً ، وأناله فضلا باهراً جليا ، ووهبه من فضلهم مقاماً سنياً سديداً ، فكان سديداً سعيدا ، العلم الفاضل والهمام البارع الفاضل ، صاحب العقل الفريد ، ساحب أذيال الفضل بكماله السعيد ، سعيد أبى جمعة ابن مسعود الصنهاجى ثم المراكشى ، لا زال علم فضله منشوراً ، ولا برح باهر فضله مشكوراً ، ملحوظاً بعناية الله ورعايته ، محفوظاً بمعقبات عظمته وشامخ عزته ، قد تمتع فكرى وخاطرى ، وأحاط سمعى وناظرى ، بما أبدعه وأبداه فى شرح لا مية العجم، وكشف به من مغلقاتها ما انعجم ، فكان لراقم بردها المؤيد الطغرائى به الجد الأتم ،

والفخر الأشم ، لما اشتمل عليه من جواهر وفرائد ، وزواهر غرر وفوائد ، قد أبدع فيه وأعرب ، وأجاد فيما بين تراكيبه وأغرب ، وأبدا فيه من العجائب ما أنشا وأطرب ، وأشرق في هذا القطر المصرى ما به أقرب ، وأشاد بنيان ما ألف ، وجمع القلوب على ذلك وألف ، وذكر بهذا الصنع الجليل ما كان به للصلاح خليلا ، وأشرق أنوار بدائعه بحيث كان له بمنزلة المنير مفيلا ، ولو شاهده ابن أقبرس لقال ليت كان لى فى هذه الحديقة أوفر غرس ، وقد قلت مادحا لمؤيد الدين الحسين براعة بقصيدة زانت لـدا التسديـد .

ولـهـا مـن البدر المنير مـكـانـة　　جـلـت وقـد حلت بـأحسـن جيـد
ولكشف اسـرار حـوت ألفاظـهـا　　قـر الصـلاح لـهـا بحسـن سعيد

ولابد أن يدخر الله لبعض المتأخرين ، ما عز على كثير من المتقدمين ، فلله در هذا المنشى لهذا التحبير المنيع ، والمنمق لوشى هذا التحرير المتبع ، الذى لو شاهد اعرابه سيبويه ، لأقر بوصول الفضل لديه ، ولو لاحظ بديـع بيانه الزمخشرى ، لقال انه بسر البلاغة لحرى ، ولو رآه القاضى الفاضل أو البديع ، لشهد بما شاهد لـه من الترفيع ، ولو لمحه الحريرى لكان فى منال نسجه البارع الوسيع ، عـلى أن طريف هذه اللمعة ، وكم طنت على الآذان فكان لها مزيد السمعة ، بـدرة أبـداهـا للنظر ، ولمحة تحقق بها الخبر الخبر ، والا فنظره وراء هذا المرما ، وفضله الباهـر فى سماء السمو أسنا وأسما ، على أن الله سبحانه لم يزل يولى هذا الولاء المصرى أنظار نجباء الزمان ، ويجرى فى ميدان فضلائه السبق من أولى الشان ، اذاعة لفاخر شأو هذا الكامل وقدره ، واشاعة لجليل شانه وفخره ، فليعجب الزمان بانباء هذا الفضل الواسع ، وليفاخر بكماله الآخذ بالقلوب والمجامع ، فالله تعالى يبقيه رافـلا فى حلل العرفان ، رافيا فى رتب أولى الشان ، مع جميل وجليل الذكر من الله الرحمن ، متلوة آيات كماله على صفحات الايام ، وألسنة الانام ، وأسنه الأقلام ، ماسح الغمام ،

والله سبحانـه ولى المكافاة والقادر عـلى المكافئات ، قـال ذلك وكتبه العبد الفقير ، الراجى عفو الله الكبير، محمد بدر الدين القرافى المالكى ، سبط العارف بالله ووليه ، عبد الله بن أبى جمرة ، أنالنا الله ومحبينا بركته ، وصلى الله على أكمل الخلق الحبيب المصطفى وسلـم كثيراً .

ونص ما كتب به الشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن سالم بن على الطبلاوى الشافعى رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وأشرف الصلاة وأشرق السلام على سيدنا محمـد وآله وصحبه مع التكريم ، بك الاعتضاد ، وعليك الاعتماد ، وبيدك الخير والرشاد ، ولك الحمد الدائم مع ازدياد ، على مزيد أنعامك الوافر الأكرم ، ومديد نوالك الوافى بايضاح المبهم ، وبسيف افضالك بزوال الغم والهم ، ولك الشهادة النافعة اليانعة ، ولخليلك الكلمة الجامعة ، يتبعها صافى الصلاة والتسليم ، وضافى صلاة وتعظيم ، له ولاخوانه وآله وصحبه بلا انصرام ، فى العاجلة والآجلة دار السلام ، أما بعـــد ، فان أنفس الذخائر وأسناها وأحلى العلائق وأسماها ، عمرك الذى لا يعتاض عن فائت أيسره بعوض ، ولا يقوم أدنا جوهره بشىء من العرض ، فأحرا ألا يصرف ألا فيمـا تسمو به الأنفس الانسانية عن حضيض الأنفس الحيوانية ، وتعرج به فى معـارج الجـد الى مـراتب الأرواح الملكيـة ، وكان ممن فاز بالنصيب العالى ، الـحبـيب اللبيب الغالى، العلامة الفهامة الامام ، والحبر البحر الهمام، الجامع بين العلم والعمل، المشمر عـن ساعـد الجد والاجتهاد بـلا كسل ، العمدة الشيخ سعيد بـن مسعود الصنهاجى ثم المراكشى ، لا زالت أوقاتـه بالخير معمورة ، وأقواتـه بالهنا والخير مغمورة ، ولا برحت أحواله ظاهرة ، والعيون بها قريرة وأخلاقه طاهرة ، فى العلانية والسريرة ، وما انفكت فضائله فى صحائف الدوام مسطورة ، ومـا فتئت فواضله منظومة وعلى الانام منثورة ، آمين ، وحق أن يقـال فى مثلهم نفس بحر القصيـد ، البحر البسيط النضيد .

رأى لـه صـانـه رأسـاً عـن الكسل — وعلـمه زانـه أسـاً مـع الـعمـل
وذوقـه زاده فـخـراً بـلا ريـب — أضحـى على رتب تسمـو على الحمـل
ولطـفه قـد نما خيـراً تـراه بـه — فى الطرف فـرداً عديم الشبـه والمثل
حبـاه ربـى فضلا زاهـراً عطـراً — باليسر والبشر مقرونـاً بـلا أفـل

هذا أوفر أدل دليل ، وأوضح سبيل ، على انصاف المذكور اعلاه ، ديم خيره وعلاه ، بتلك الكمالات العظيمة ، والكمالات الجسيمة ، ما فتح الله تعالى به عليه ، وأسداه من كرمه اليه ، من وضع تأليف ظريف ، على منهج لطيف ، سام شريف ، مشتمل على المعارف والعوارف ، فحصى وريف وقرينة السجع تقول الوارف ، حل من الانسان محل الروح من الجسد ، ومثل حقيق بأن يصان عن ذى الحسد ، وأن يكتب بما ألفى على انسان العين ، سماه بما أنعم به المولى وألهم ، بـ **(ايضاح المبهم من لامية العجم)** وما هو الا آية بينة ، غنية عن البينة ، تقضى بكرامة باهرة ، وتشهد بحالة ظاهرة طاهرة ، كيف لا ولمثله تشرح الصدور ، ويتضاعف السرور ، وتكثر الخيور (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ، قد اشتمل على بدائع الصنائع ، وصنائع البدائع ، وأعاجيب الأساليب ، وأساليب الأعاجيب ، وعادات السادات وسادات العادات ، وحق فى مثله أن يقال بين أهل الكمال :

انظر الى بحر حـوا درراًوقـد — غـاصت بنـات الفكر فـى أعماقـه
فصعـدن باطنـه بـكـل يتيـمـة — خـوفـاً على مـن خـاض فـى أعراقه

وأن يـقـال :

ففى كـل لـفـظ منه روض من المنـا — وفـى كـل سطـر منه عقد مـن الدر

هـذا وحق على كل واقف عليه ، أن يميل بالكلية اليه ، وأن يستوقف مطاياه لديه ، وأن يقابل مرصعه ومرصفه ، ومهذبه ومؤلفه ، ومنقحه ومصنفه ، بغاية الاحسان ، والجود والعطف والحنان ، على أن بذل الجوهر فيه حقير ، ودفع النقد

فى مقابلته يسير ، والله تعالى أسأل ، واليه أتوسل ، أن يديم النفع به ويجعل على مثله المعول ، وان يجعله من الخير فى زيادة ، ويدخله فى دائرة الذين أحسنوا الحسنا وزيادة .

ءامين ءامين لا أرضا بواحدة حتى تبلغ ألفى ألف ءامينا

هذا وقد أجزته أن يروى عني جميع ما يجوز لى روايته ودرايته من العلوم الشرعية والآلية ، بشرطه عند أهله ، والمأمول من احسانه أن لا ينساني ووالدى وأولاده والمسلمين من صالح دعواته ، فى خلواته وجلواته ، فى جميع أوقاته وساعاته ، وأن يكون للحلم والنقوا فى القول والعمل مديماً على الاشغال والاشتغال بالعلم وذلك هو غاية الأمل ، فله بذلك لسان البيان ، ورحمته يراعة البنان من أفقر الخلق وأحوجهم الى عفو الحق الغنى المغنى : محمد بن محمد ابن سالم بن على الطبلاوى الشافعى مصليا ومسلما محولقا محسبلا معظماً لا اله الا الله فى جميع الحالات ما دامت الذات مع الصفات . انتهى .

22 ـ أحمد ابن القاضى

الشيخ الفقيه القاضى ، أمام أهل الفرائض والحساب ، ذو الأدب المنساب ، الذى قضته غرماء العلوم ديونها حق التقاضى ، أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى الملقب بشهاب الدين .

من أهل فاس ، لا يجارى فى علم الفرائض والحساب والهندسة ، ان بنا جداراً من ذلك لم يقدر أحد أن يهدم ما أسسه ، الى ما انضاف الى ذلك من الفقه والنحو والأصلين والعروض والأدب ، وله تآليف عجيبة يأتى ذكرها أدت من حقوق المنصور أمير المومنين أيده الله المسنون والمفروض ، ولم لا ؟ وقد اخرجه نصره الله من ربقة الأسر ، واستقر بحضرته العلية قرير العين منشرح الصدر ، وقد تقدم كيفية فدائه

واخراجه بما ينيف ع لى العشرين ألفاً وركوبه نصره الله فى ذلك مجلى المجد بعد الجامه بعلو الهمة واسراجه ، وتقدم أيضاً ما كتب به اليه فأغنا عن اعادته(104) .

وصاحب الترجمة أسماه الله من ذرية علماء أعلام مشهورين بالمغرب ، وكان لاسلافه الاول . . . . . ة فى الملك ، لقيته حفظه الله بفاس ، واستفدت من علومه ، واختبرت منه خير رجل ، وله حفظه الله فى الكرم والتواضع ولين الجانب محل مشهور ، ومولده حفظه الله سنة ستين وتسعمئة أبقا الله وجوده ، رحل المرة الأولى الى البلاد المشرقية فحج وجاور وأكثر من لقاء الأعلام ، ثم آب الى بلاده بعد سنين ، ثم رجع الى المشرق للمرة الثانية فأسره العدو الكافر قصمه الله ، وفكه على يدى أمير المومنين مولانا المنصور بالله ابن أمير المومنين الشريف الحسنى أيدهم الله .

وها أنا اذكر جملة من نظمه فى مدحه نصره الله وغير ذلك مما شهد بتبريزه موجب قبول شهادته (105) .

أخبرنى حفظه الله أنه بلغ حضرة الامام حاطها الله يوم الاثنين الثامن من شعبان من عام خمسة وسبعين ، قال : فقمت بين يديه نصره الله بقصيدة نونية وهى :

هن العقيق عقيق العين هتان ... سل عنه سلعاً فما يغنيك نعمان

كأنه عندم أوعن دم قد جرا ... ماء المحاجر اذ تجريه أجفان

أظل والحزن كاس كاسر عسر ... والقلب منيته الوعسا وعسفان

والجسم فى تلف والقلب فى كلف ... والنفس فى سرف والقلب حيران

لم يولم الطرف ان سحت سحائبه ... ولا الفؤاد اذا حلته أحزان

من وحد نجد وحزوا والقد يد ومن ... تهامة والى اللحى جيران

---

(104) انظر صفحة 67 من هذا الكتاب .

(105) فى طرة الكتاب أمام هذه الفقرة ما نصه :

اللائق ان نكتب أولا أسماحه واخاراته وتآلفه وغير ذلك من أحواله ، ثم بعد ذلك يذكر النظم ، هكذا افعل ان شاء الله تعالى بعد اخراجه من هذه المسودة . قاله مؤلفه أحمد وفقه الله .

من لى بظبى عزيــز الجـار ذى كرم غـزيـر حسن لـه بالمسك خـيـلان

مهفهف أدعــج ألما نـضـير فــلا نـظـير يشبهـه فى الحسن كـيـوان

مـا زلت يا أملى جسراً الى ألمــى مـا همت أو رنحت فـى البان قـيـان

ففتك لحظك لـى باسم ابن ذى يـزن وكيف لا وهـو للنسـرين صنوان

ان طـال وجـدى فثامالى بـه قصرت وان نـأى مطلب فـالصبـر أوطـان

شـربت راح الهوا من كـأس مبسمـه فهـا أنـا من رحيـق النقـر سكران

ريـق وخـال وخـد والعذار بـه خمـر ومسك وكـافور وريـحـان

فاعذب وعذب وجر وارض وصد وصل واهجر وته أنت للبدريـن خرتـان

مـل أيـن شئت فلا قصدى سواك ولا أسلـو هـواك ولا للـقلب سلـوان

وعـاذل رام بالاحسـان يخدعنى فطـال ما خدع الانسـان احسـان

عـدمت نصحك لـى ان بالصلاح أتـا فكيـف لـى وهو فى التحقيق خسران

فـرطت يا نفس أطلعت العـدو عـلى سـرى أما لك للأسـرار كتمان ؟

أعـانت النفس أعـدائـى على تـلـفى فـهـاهـم لصروف الدهر أعـوان

يا عجباً قدمـى عمداً أراق دمى (106) وليس لى لـعـهـود الالف خفـران

محضتنى النصـح اشفاقـاً على بـدنى ياليت لوكان دون النصح فـقـدان

فـأنت عندى كالأسرار فى خلـدى أخص كـل الـورا فى النصـح يقظان

من أشـرف النـاس لم تغـل نفوسهم وهـم أسـود لحمـل الضيم هصران

حسبـى بذكـرك بين الناس منقصـة فـذكر مثلك فى الاشراف نقصـان

لـوكـان حقك نصحـاً ما انفعلت لـه وهبـه حـقـاً فما للقلب اذعـان

قالـوا صبرت على الأحباب قلـت لهم صبـرت للوجـد أيـام وحـقـبـان

قالوا اسلهم ، قلت قلبـى لا يفارقهم قالوا اصطبر ، قلت صبرى فيه روغان

وأنـنـى سـوف أسلوهـم اذا ولجت سـم الخيـاط مـلاقيـح وبـزلان

وكيف أسـلـو عن السكان فى خلدى وهـم بصبح ووداد النقـع سـكـان

---

106) اخذه من قول الشاعر :

الـى حتفـى سعـى قدمـى أرى قـدمـى أراق دمـى

وهان دمـى فهـا ندمـى

من لي بهم وبباب الرقمتين وهل ... يبدو الحجون وشعب الغور والبان
وزمزم والصفا والحجر ملتزم ... والبيت والركن والمسعا وعسفان
وهل أرا طيبة يوما ومسجدها ... وهل أمر بربع فيه ألفان
وهل أنوح على باب السلام اذا ... ما جئته بوقار الحمل عصيان
أعفر الوجه اجلالا وتكرمة ... في تربة لجنود الوحي ميدان
وهل أرا الكوكب الدري الذي خضعت ... له الكواكب والأملاك أسدان
وهل أحيي الى المختار من مضر ... وصاحبيه بقول فيه اعلان
اقول يا سيد الكونين يا أملي ... ومن به للحصا والجذع ايمان
اشفع لعان أسير طالما جمحت ... به خيول الصبا طورا وأرفان
أنت الرسول الأمين السيف بدر هدا ... هاد له من جنود الله أعوان
هو البشير الذي من نوره ظهرت ... عوالم الله ألوان وأكوان
هو النذير السراج النور من شهدت ... له بصدق وبالبرهان رهبان
محمد المجتبا من خلق خالقه ... محمد المصطفا للناس أمان
محمد المرتضا في الحشر ان حشرت ... صحف ، وعلق للتحقيق ميزان
محمد خير من فاه اللسان به ... محمد خير من أنماه عدنان
صلى عليه الاه العرش ما طلعت ... شمس وما ماس في البستان أفنان
لا تترك الصب غاو في غوايته ... وفي عماه اذا ماضل عميان
لأن لي شغفا بالنور من مضر ... ولي بآل رسول الله اعلان
لا سيما سبطه المنصور من شهدت ... له المنابر والتأييد ايوان
هو الامام الهمام العضب بحر ندا ... ذو لبدة من أسود الحرب يقظان
هو الحسام عن العلياء صيقله ... أيامه بنواصي الدهر تيجان
امام حلم له الأدسات قد خلقت ... لعدله دار دارين وبغدان
كمسك دارين قد طابت شجيته ... أو عنبر الشحر ان عمته أعكان

سـهـل اذا يمم العـافـون سـاحتـه	صعب هـزبـر عـلى الكفـار غضبان
ليـث عـدا أنه من نسـل فاطمـة	غيث عـدا أنـه بالتبـر هـتـان
سيـل بـه راق وجه الأرض وابتسمت	وجيـدهـا فيه ياقـوت ومرجـان
فـكـم بيمنته الخيـرات قـد ضحكت	وكـم بكا الرمـح والهيجـاء نيـران
هـو النجـاح لنسـر النصر ان وقفت	عـن ساقـهـا الحرب والمقدام طعـان
ان رام عسكـره أرضـاً وحـل بـهـا	شـد النواحـى ولـلاسـلام بنيـان
أبـطـالـه وسـجـايـاه ومـنـتـه	وحلمـه للـورا رفـق ورضـوان
فبحـر جـودك لـن يخزا ملججـه	وخـائـض البحر قد يـأتيه خـزيان
أنـقـذتنـى من وثـاق الأسر يا أمـلى	ومن همـوم لـهـا فى الصـدر بنـيان
لا زلت ترفـل فى العلياء فـى حـلـل	بـهـا من النصـر والتـأييد ألـوان
مـا دام ثـغـرك للعـافيـن مبتسمـاً	ومـا همـا من جـزيـل البـذل هتان

* * *

قال حفظه الله : وانما ذكرتها مع ركاكة معانيها ، وسوء ألفاظها ومبانيهـا ، لقيامى بها بين يديه يوم وصول للحضـرة العلية حين خـروجي من الأسـر ، لأن المقصو ذكر مـآثـره ومفاخره التـى تكفلت باخراجـى من ربقة الأسر ، لكن قـد يتجاوز عنها لانشائهـا حالة العنا ، وللمقصود الذى ذكرنا ، والله الموفق .

* * *

وقال أسماه الله : وقد ذكرت بنية لـى يوماً حالة الأسر فقلت :

يا أم عـز حـان بينـى عنكـم	فتـقـاطـرت لفراقكـم أجـفـانـى
أجـرت دمـوعـاً بـل دمـاً بـل مهجة	حللتهـا فتـراكـمـت أحـزانـى
أجرى دموعك للفـراق وأسعـدى	فمصيبتـى فـى الأهـل والأوطـان

وله ميلادية قام بها بين يدى أمير المومنين مولانا المنصور بالله عـام الثلج ، وهو سبعة وتسعون وتسعمئة نصها :

هـل بارق من حبكـم يتـألـــق ... أم وجه لـيـلـى فى الغياهب مشرق

ان الغريمة قـد تكـامل حسنهـا ... وزهـا على الأقـطـار منهـا المشرق

سلسلت مطلـق عبرتـى شوقا لهـا ... انـى أسيـر حيث دمعـى مـطلـق

جسمـى حـوا ضـديـن من كلفى بها ... طـرف غـريـق أى وقلب مـحـرف

فـاخـال لمس الفرقـديـن ميسـرا ... ووصـالهـا مع قربـه لا يلـحـق

لـكـن وان بعدت ديـاركـم فـقـد ... يـدنيـكـم زور الأمـان فـأقلـق

يـاجنـة الفـردوس يا نيـل المنـا ... مـا حيلتـى مـن عبـرة تـترقـرق ؟

ان كـان يـرضيكـم هلاكـى فى الهوا ... فـلحـالتـى رق الـعـدو الأزرق

تـيهـى دلالا فـى جمـالك وارفـلـى ... ان عمك الحسـن فـخـالك يـعبـق

فبخـالك المسـكـى والركنيـن لا ... تـقصـى محـبـاً من فراقـك يشفق

انـى أمنـى النفس زورة حجـركـم ... وحطيمكـم حيث الـرضا يتـدفـق

هـذا الذى أبـقـا لنـا رمقـاً بـه ... أنـفـاسنا بين الجـوانـح تخفـق

يـاهـل تـرا أسعا ولـو عن مقتلى ... لضـريح من بالمعجزات مصـدق

ومـنـهـا :

يـامن لـواء الحمد معقـود لـه ... أنت الـرسـول الهاشمـى المعـرق

قد لذ لى ذلى لعـز جمـالـه ... وغـرامـه بيـن الجـوانـح محـرق

ومـنـهـا :

صـلى عليك الله مـا طلعـت ذكـا ... وأمـيـل فـى البستـان غضن مورق

ومنهـا تخلصـاً :

يـا من لـه ذنب عظيـم مـثـقـل ... أنـزل بـه المختار فهو الـدريـق

أو فاعلقـن ببنيه تظفـر بالمنـا ... لا خيـر فـى شخـص بهـم لا يعلـق

لا تقنطـــى يا نفس مما قــد مضــا | انــى علقت بهـــم وانــى معتـــق
اذ لــذت بالمنصـور نجـل المصطفا | طـود الـى شمس المكارم مشـــرق
هــل حمده المنســوق الا جوهـــر | بــل مدحه المنشــوق زهــر يعبــق

ومــنــهــا :

أبــطــأت حلمــاً أن تــؤاخــذ من هفا | لكن الــى الصفــح الجميــل تسبــق

ومــنــهــا :

كــم أضحك الخيرات وسط يمينـــه | وأسال عبــرة كل سيف يخفـــق
ليث الشـــرا غيث الورا لكــن لـــه | جــد كــريــم هاشمــى مـعـــرق
أخصبت ربعـــاً للمكـــارم ماحـــلا | وبنيت ركـنـــاً للعــلاء مـنـمـــق
وافتــر ثغر الدهـــر اذ سست الدنا | ان العـــراق لعدلكـــم يتـشـــوف
أبــديت فى الآفــاق عــدلا ضــافيــاً | تــقــفــوكــم الأمــلاك فيه وتــعلــق
سحبت بــه غــر الليالــى حـلـــة | كالغانيـــات سحبــن بــرداً يــألــق
يهنيكــم الميــلاد من بين الــــورا | للقــائــكــم دون البريــة يقلـــو
ضــخــم من الأيـــام أكـــرم ورده | ضخــم من الأمــلاك غيث مـــغـــدق
قصـــدا بـــه تعظيـــم مولــد جــده | مــن حسنــه منــه الأزاهــر تنـشق
لا زال فـــى عيـــن العــلا حــوراً وفــى | أنف الــهــدا شمســاً وعدلــك يشرق
ما أعطفت عطف القضيب يــد الصبــا | والطيــر ترقص والمـيــاه تصفـــق

وقـــال أبقــاه الله مخاطباً لبعض موالينا أولاد مولانا أمير المومنين أيد الله أوامره العلية ، ونشر بنواسم التمكين ألويته العلوية :

يــا مالكــاً حاز المفاخــر والثـــنـــا | يــادرة فـــى غـــرة الأيـــــــــام
يــا نجل منصـــور تملكــت الــعـــلا | فافخــر بمــا أوتيت مـــن انعـــام
ما أبصــرت عيناى جــوداً كــالــذى | أضحــا لكــم من جملــة الــخـــدام

كم بين من أضحى لجودك مالكاً　　　أو بين من فى الجود فى تهيام

عند الأنام جوادهم من جوده　　　فى طبعه يحصى من الاكرام

قد حزتم أسنا المحامد والعلا　　　وخصصتم بالمدح والاعظام

فالبس من الحمد المعطر حلة　　　تبقا محاسنها مع الأيام

ان الثياب جديدها يبلا ولا　　　يبلا الثنا من ألسن الأقلام

* * *

وقال يخاطب أمير المومنين مولانا المنصور أيده الله ونصره لما أخلا النصارى مدينة أصيلة (107) :

يا أيها المنصور ابشر بالعلا　　　الله بلغ فى العدا المأمولا

أنضاكم سيفاً لحتف عداته　　　وبكم غدا سيف الردا مفلولا

وهزمتم الشرك المتين بعزمكم　　　من غيرما سيف يرا مسلولا

وأذبتم كبد الخبيث مهابة　　　وفتحتم آرامه آصيلا

وغدت من الناقوس صفراً بلقعاً　　　يتلا بها فرقاننا ترتيلا

أبشر لواء الفتح معقود لكم　　　فاشكر الاهك بكرة وأصيلا

أكرم به من مالك بل صالح　　　أضحا لنيران العداة خليلا

لازال فى أنف الهدا شمساً وفى　　　عين العلاء يشاكل التكحيلا

قال : وسبب قولى (لنيران العداة خليلا) أن النصارا لما أرادوا الخروج منها عملوا مكيدة للمسلمين من جعلهم البارود تحت قصبتها ، وجعلوا فتيلة نار تبلغ البارود عند دخول المسلمين اليها ، فعصمهم الله من مكيدتهم وأرشدهم — أعنى المسلمين — للخديعة نصرانى هرب للمسلمين .

---

107) كانت أصيلة وقعت من جديد بيد البرتغاليين فى عهد السلطان عبد الملك السعدى لما نزع ابن تودة قائد الفحص وبلاد الهبط المهم ، واستنصر بهم ، ولما توفى السلطان المذكور جعل خلفه السلطان احمد المنصور استرجاعها من يد النصارى شغله الشاغل ، ولم يزل يضيق عليهم حتى أخلوها سنة 997 فى 2 ذى القعدة منه على ما فى **الاستقصا** او فى 20 ذى القعدة على ما فى **مناهل الصفا** . وفى هذا الفتح أنشد أيضا الوزير الكاتب عبد العزيز الفشتالى قصيدته التى أولها :

بكر الفتوح لكم تهلل بشرها　　　وافتر عن شنب المسرة ثغرها

وقد تقدمت فى صفحة 133 من هذا الكتاب

وقال أبقاه الله خاطبني صاحبنا الفقيه المدرس الأديب أبو الحسن بن محمد السملالى بأبيات ملغزاً فى مسألة من كلام الخليل فى باب الشهادات ونص الخطاب :

أيا من لـه فى العلـم فضـل محبـة ... وهمتـه تسمـو لأرفـع رتبـة
ومختصـراً يقرى ويوضـح لفظه ... فيحـظـا بقرب من خليـل وخلـة
فـفـى أى بـاب جـاء فى العبـد أنـه ... جـديـر بـأن يعطـا لـه أجر خدمـة
فيبقيه دائمـاً وان شاء جاد بـه ... ولا نـزع يتقـا ولأى بـضـربـة
وان مـات هـذا العبد والمـال وافـر ... فليـس لسيـد بـه مـن وراثـة
يورث بالتعصيـب فـاعجب لحـاله ... وهـذا غريب يقتضـى أن لحكمـة
فـلا زلت سيـدى تـزيع غيـاهبـاً ... وتـدنـى الشريـد للفـهـوم بفطنـة

قال فأجبته بقولى :

أسحر حـلال راق أم نـفـث حكمـة ... تـدل على قـدر عظيـم ورفـعـة
تنبـىء أن العلـم لا شـك آهـل ... مصـون بـأهل الفضل فى كل لحظة
على أنـنى لمـا سعدت بـقـربكـم ... وقـد نالنـى من فضلكـم رشف قطرة
تـحـققتـه من علمكم فى شهـادة ... اذا ادخـلا حـرابـهـا وسـط ربقـة
فـلا زلت تهـدى للمعمـا بفطنـة ... وتكشف عـن فكـر غياهب ظلمـة

قال وقلت فى كتاب لبعض المدنيين خمسة أبيات نصها :

بـالله بلـغ سـلام المـذنب الـعانى ... الى النبـى الـذى من آل عـدنـان
الـى النبـى الذى ترجـا شفـاعتـه ... للناس طـراً وأحـرا المذنب الجـانى
الـى النبـى الذى ترجا كرامتـه ... وجـاء تعظيـمـهـا فـى آى قـرءان
الـى النبـى الذى ترجـا كـرامته ... للعالميـن من الانسـان والجـان
صلى عليه الاه العـرش مـا طلـعـت ... شمس ، وما غـردت ورق بـأفنـان

* * *

وقال يمدح أمير المومنين نصره الله ويعارض الامام ابن حجر فـى قصيدته الشهيرة فى المستعين العباسى :

الملك أصبح ثابت الآساس … بابن النبى الطاهر الأنفاس

المالك المنصور منصور اللوا … من ساد فى الأنواع والأجناس

الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر … ابن الطاهر المولى أبو العباس

ابن الامام محمد مهدى الورا … ابن الامام القائم الآساس

يروى أحاديث العلا عن مرسل … طهرت خلائقه من الأدناس

صلى عليه الله ما طلعت ذكا … وجرت بأفلاك لنفع الناس

فرع نما فى دوحة علوية … فزكا شذا من عودها المياس

وألانه ريح النبوة فانثنا … يهتز من شرف على الأفراس

من معشر ردوا الخطوب اذا طمت … وبهم ليالى البؤس كالأعراس

الخالطين غنيهم بفقيرهم … حتى فقيرهم غدا ذا باس

ماذا عليك اذا نزلت بحيهم … أمنت من فقر ومن افلاس

ومنها :

نهضوا بأعباء الخلافة وارتقت … همم لهم فوق الأشم الراسى

فتبارك الله المعز لدينه … بعصابة عيذت من الوسواس

كفيت عيون الحاسدين وخلدت … أمداحهم تجرى على القرطاس

تروى المكارم عن عطاء يمينه … ومجاهد عنها لأهل شماس

أكرم براحته الكريمة انها … جمعت لنا بين الندا والباس

ومنها :

لولاه للتدبير فى أمر الورا … ما تم حال الملك بين الناس

ومنها :

وكذاك دم لاقامة الميلاد فى … عز وملك فى دنا الأخياس

ومنها :

مولاى عبدك راجياً من فضلكم … منناً زكت تجرى على الأنقاس

فتدارك العبد الضعيف برحمة — علوية تقصيه عن افلاس
أنكون من بعض العبيد ونشتكى — للدهر ما لاقيت من ابلاس
مالى سواك لأننى بين الوزا — لكنها تجرى على القسطاس
خذها أتت شبه العقيلة تنثنى — بنضارة وحيا بفرط ميـاس
وتقبل الأطراف من بسط العلا — تولى السلام لخيرة الجلاس
فبعثتها تختال فى نسماتها — تسعا على العينين قبل الراس
دم فى علا والنصر يخدم سعدكم — ما أطرب النسمات للأغراس

* * *

وقال أبقاه الله ولى نظم سميته **(الدرر المنيفة فى الآباء الشريفة)** نظمته عام أربعة وألف بفاس المحروسة بالله حاطها الله :

ياسائلا عن نسب المختار — من هاشم بحبوحة الأخيار
فهاكه فى قطعة مفيده — تغنيك عن قصائد عديده
سميتها بـ **(الدرر المنيفه)** — لمبتغى أنسابه الشريفه
هو محمد بن عبد الله — صلى عليه الله من أواه
واعلم أبوه نجل عبد المطلب — سليل هاشم وذا ابن المنتخب
عبد مناف بن قصى بن كلاب — ولد مرة بن كعب بن المهاب
لؤى بن غالب بن فهر — ابن العظيم مالك بن النضر
ابن كنانة وذا أبوه — خزيمة بن مدركة (أخوه (108)
طابخة) بن الياس بن مضر — ابن نزار بن معد المعتمر
أبوه عدنان بن أد بن مقوم — أبوه ناحور بن تيرح غشوم
أعنى به ابن يعرب بن يشجب — ابن ثابت ابن الطاهر المنتخب
أعنى به اسماعيل الكريما — نجل خليل الله ابراهيما
ابن تارخ بن ناحور بن سارع — بن راغ نجل فالغ المتابع

108) لعل الناظم يقصد أن مدركة بن الياس له أخ يسمى طابخة ، وقد أقحم اسم هذا الأخ وان لم يتعلق به غرض ليستقيم له وزن هذه المنظومة الركيكة .

أبـــوه غـاند بـــن شالــــخ وذا	أبـــوه أرفخشـــد فخـذ مجتهــــدا
أبوه سام بن نــــوح بن لمــــــك	ابن متوشلخ فخــــذه يرو عنـــــك
ابـــن خنـــوخ ابـن بـود ثـــم ذا	أبـــوه مهلائـــل فـعرف تجتـــدا
أبـــوه فنان فهكـذا حكـــــــوا	ابـــن أنـوش ابن شئت قـــــد رووا
أبـــوه آدم أبـــو الأنـــــــــام	عليـه منـــى أفضـــل الســـــلام
ثـم عـلى المختـــار خيـــر المرسلين	أزكـــا بنيــــه الطيبـــن الطـاهرين

* * *

قلت : أثبت هذه القصيدة وان كانت فيها أبيات غير موافقة للوزن ، لكونى لم أصححها على مؤلفها أبقاه الله لما اشتملت عليه من ذكر آباء مولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، فنسأل الله به صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء أن يختم لنا بالحسنا ، وأن ينيلنا مما نروم المقصد الأسنا ، وأن يديم وجود مولانا أمير المومنين المنصور بالله ، فبوجوده أشرقت شموس العلوم على اختلاف أنواعها وأجناسها ، وفى زمانه طهرت البلاد بمياه عدله من أدناسها ، وهذا دعاء للبرية شامل » (100)

ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر نظم شيخنا شهاب الدين أبقاه الله ، قـال أسماه الله من قطعة :

فان القـــوم ان منعـوك رفـــــدا	وأرخو دون مالهـم حجـــابـــا
أتـاك النصـــر من رب كريــــم	جـواد ليس مـن يرجـوه خـابـا
اذا سدت عـن الأرزاق طـــــاق	فقـد فتـح الكريـم لـذاك بـابـا
فثق بالله فى الأرزاق واهنـــــا	فليس الـرزق نعجـزه طـلابـا

(100) عجز بيت صدره : بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

وقال في ذلك أيضا :

رزقـــي عـــلى الله كــل حـــــين ليس عـــلى الكـــد واليميــــــن
ان أطلب الـــرزق باكتســــــاب خيبت فـــي السعـــي باليقيـــن

وقال أيضاً :

يهـدى اليـك المنا ياعبد فـي فاس فراقب الله واخـش الله فـي النـاس
واعلـــم بأن العـــلا تأتيـك طائعـــة رغماً عـلى الأنف أو سعيـا على الراس
فاشكـــر الهك اذ ولاك أنعمــــــه تولى الزيـــادة ما في الفضل من باس
ولا تخف نقص ما أوليت مـــن منن اذا شكرت الاهـــاً مذهب البـــاس

* * *

وقال مضمنا :

لـم أكـرم الشيب عـلى أنــــــه ينـزجـر المـرء من الشـــيـــب
ومـن أتـــا الفحـش عـــلى كبـرة فانـــه مـــن أعظـم العيـــب
يا خجلتـــي يـوم وقوفـــي غـــداً مفتضحـا مـن عـالـم الــغـيـب
يـا رب مـا قدمت مـن صـــالـــح أرجـــوه الا الفضـل مـن سيـب

وقال أيضاً :

ولمـــا رأتنـــي طويـت الحشــــا وءاليـت لا أســـأل النـاس شيـــأ
فقـالت ثكلتـــك مـن ممــلــــق فقلت وأطـرقت رأســـي مليـــــا
فـان اراقـــة مـــاء الحيـــــاة لـــدون اراقـــة مـــاء المحيـــــا

وقال أيضاً :

أننـــي عبـــد مســـيء مجــــرم مسرف ممـــا بــه جف القلـــــم
لا تعــاملنـــي بقـــدرى في الورا بـل فعـاملنـــي بفضـــل وكـــرم
يا الاه العـرش ياذا الطـــول جـد بمثـــاب لحقيــر فـــي الأمـــــم

انت جـــواد وغفـــار لمـــــــــن   جـــــاء يرجـو العفو والفضل بكـم

وقال ايضا رفعه الله :

اذا ما رماك الدهـر يومـــاً بأحمـق   فكـــن مثلـــه تدعـــا مـن النبلاء
ومهمـــا جفـــاك اصبـر له لاذايـة   وكن عـاقلا فى جملـــة العقـــلاء

قلت : ولما حللت الحضرة الفاسية كلأها الله فى أول رحلتى ، وذلك فـى شهر صفر من عام تسعة وألف ، وجدت شيخنا المذكور غائباً بثغر سلا المحروسة لكونه حينئذ يتولا خطة القضاء بها ، فلما قدم الحضرة فى تلك الأيام وعلم بى كتب الى يستدعينى الى حضور طعام قد أعده لملاقاتى جزاه الله أفضل الجزاء :

يا سيـــداً ان زرت عبـــداً يومـــه   فى داره فالأمـــر غيـــر بعيـــد
شرفتـه بحضوركـــم لا منقـــص   بحضـور سادات بـــدار عبيـــد
ان زرتـــه ونقلـــت أقدام العـــلا   لمحلـــه كانت لـــه كالعيـــد

فأجبته بقولى :

القلب منـــى فـــى جـوا والتهـاب   والجســم أضحـا عرضـة لانتهـاب
وليـــل فكـــرى مدلهـــم ومـــا   أنـــاره الاضيـــاء الشهـــاب

وانما أجبته ببحر مخالف لأبياته التى هى من الكامل اشارة أنى لاجابة دعائه سريع ، وأنه كامل ، حاز أشتات المحاسن ، ومرح من البلاغة فـى روضهـا غـب الغيث المريـع .

ولما أنشده بمراكش صاحبنا الفقيه الدراكة أبو عبد الله محمد بن شيـخ الجماعة ومفتى الحضرة أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمهما الله قولـه ملغزاً فى اسم سونة (110) :

110) انظر صفحة 197 من هذا الكتاب

اسم التي قد عذبت مهجتي ... ان اسمها للحظها وصف

وسيأتي تمامه في ترجمته (III) أجابه شيخنا المذكور بقوله :

ألؤلؤ ليس له وصف ؟ ... أم عنبر الشحر الذي يصفو ؟
أم مسك دارين علا نشره ... فأفعم الجو له عرف
لا بل حلال السحر من فاضل ... من آل بيت من له نقفو
من حبهم فرض ومن بغضهم ... كفر أتا ما ان بذا خلف
لغزتم فيما بدا صدره ... كطرة في غرة تصفو
فان ضممت الصدر للعجز قل ... ست كرام ما لهم وصف
وان ضممت الصدر مع ثالث ... سن الهدا ما ان به ضعف
لهفي على ما حل في قلبها ... كأنه من حجر صنف
فما ثلاثي له أحرف ... من فوق سبع ما به حيف
وفاؤه ان كان فاء يرا ... وصف الاه للورا كهف
وان ضممت الفاء مع لامه ... فما لكم في مضمري وقف
أو عينه فعل أو اسم فما ... في قلبه دن به لطف
وعينه ان كان عيناً حلا ... للقلب من خل اذا يجفو
ووصف عبد ان بغين أتا ... والفاء باء ما به الحتف
قد ورد اللغز لكم طالباً ... من ذهنكم لطفاً له عرف
أوردته متضحاً بيناً ... ذا بهجة فوق العلا يطفو
لا زلت بالألغاز ذا فطنة ... ما نم عن زهر الربا عرف

ولغزه هذا في ورد ، وقد أجابه عنه الشريف المذكور بما يأتي في ترجمته ان شاء الله (III) .

III) تقدمت الأبيات وتقدمت الترجمة أيضاً في صفحة 192 و 197 من هذا الكتاب

قال أسماه الله : وقلت مضمنا :

أتـانـي بمـاء يخجـل البدر حسنه — وقد لاح لي في الكأس أوهمني الغيرا
فقال هو الماء القـراح وانمـا — تجـلا لـه خدي فأوهمـك الخمرا

وقـال :

لـو سلـم الظبـي لمـا أن مررت به — ما ذا يروقك مـن بدر لـه شنب ؟
أساقـه الممتـلي أم ورد وجنتـه — فقلت مـن أربي أنيلـه وأبو (س)

وقال أبقاه الله :

ولما رأيت الغـانيـات تركننـي — وقـد كـان فـي وجهـي لهن نصيب
نطقت فما ذنبـي لكن فقلـن لـي — شبابك فضـل والمشيب ذنـوب

وقال أيضا :

ما في النساء مليـح يستلـذ بـه — الا التمتـع بالحسنـاء في الحـال
فبحسن ما ان لعهـد عندهـن لمن — يزعمـن ودا لـه فـي عصره الخالـي

قال حفظه الله : وقلت موريا ببني العنبر :

لما رأيت الخـال والخصر مـن — المـي بهـي الـثغـر كالجوهر
قلت أمن طـي ؟ فقـال نعـم — لكـن خـالي من بنـي العنبـر

وقال أيضا :

قـد ذبت وجـدا مـن هـوا أهيف — من لينـه يجـرح بالـوهـم
لمـا غـدا من طيـيء خصـره — ولحظـه ينمـا الى سهـم

وقال أيضا :

ساق كسا جسمي الضنا لما سقـا — من خمـر ريـق يالـه من ساق
أبدا لنـا ساقـا تكـامـل حسنـه — يا لهـف نفسـي يوم كشف الساق

وقال أيضاً :

رأيت الدهر غض الطرف عني — وأخرني وحظي في الصدور
وقدم معشراً لهم حظوظ — عظام في السخافة والفجور
فأظهرت التجلد عند هذا — وآثرت الخمول على الظهور
وغالطت الزمان بكل وجه — وتهت كتيه ربات الخدور
مخافة أن يرى مني لينا — ولو أخنا بقاصمة الظهور

وقال أيضاً :

دار تنكبتها والنفس راضية — فلا أبالي بمن بعدي بها نزلا
فقد يحل بها من ليس يعرفها — ولم يجد لخلو الكف من بخلا
لو كانت الدار رضوا أهلها مسكت — ولا ابتغا اهلها عن أرضها بدلا

وقال أيضاً :

ما أبصرت عيناي من منظر — كتادلا في زيها الأعجب
وما رأت أهلا كسلطانها — الصدر في الشرق وفي المغرب
نصره الله وملكه — ملكا عظيما فاخر المنصب
كي ينظم الأقطار في سلكه — من سوس الأقصا الى يثرب

وقال حفظه الله في اسم قمر :

غرني بدر بدا لي عند ما — تهت في بيداء حبه استتر
يا له كم غرني من غرتي — كيف لا يغرني وهو قمر

وقال أسماه الله :

ولما أن رأيت العيس زمت — وقربت النجائب للرحيل
تيقنت الفراق فسابقتني — دموع كالسحائب في النزول
وصار القلب يضطرب التهابا — ويذكر حاله حين الذميل

ومخضوب الأنامل سائرات ... على أكتاد ربات الديول
فبان الصبر عنى واعترتنى ... هموم قد تجلت عن مثيل
فصبراً يا قريح القلب منى ... تعز فى عزائك بالجميل
ولا تجزع وياطرفى فاكفف ... عن العبرات فاضحة القتيل

وقال معارضاً قول مانى لما لقى أبا تمام حبيب ابن أوس وهو قوله :

خمش الماء جلده الرطب حتى ... خلته لابساً غلالة جمر

فقال شيخنا حفظه الله :

جهل الحال كان بالوهم يدما ... أين ماء دهاق من وهم فكر

وقال أسماه الله :

أتيه بالفقر على ذى غنا ... كتيهه جهلا بذى فقر
كأننى فى عينه ملك ... فى يوم عقد التاج للكفر
لا أسأل المعروف الا لمن ... بأمره حكم القضا يجرى

قال : وقلت بجبل أركان :

يا شادناً ملك القلوب وحازها ... سفكت لواحظه دم العشاق
رفقا بمكلوم الفؤاد فانه ... أنفاسه تجرى مع الآماق

قال : ومعنى انفاسه دماؤه ، من باب ماله نفس سائلة أى دم جار

وقال أيضا أسماه الله مجيباً عن لغز صاحبنا الفقيه الأجل أبى زيد عبد الرحمن بن ابراهيم الدكالى المشترائى الذى أوله :

أحاجى فاضلا حبراً نجيباً ... ليعرب عن ضمائر ما بفهم

وسيأتى فى ترجمته

فقال شهاب الدين أبقاه الله :

مصال الشهد أم سحر حلال ... أم الدر المبدد دون نظم
أم الياقوت والمرجان كلا ... لقين جاءنا من بحر علم
فالاثنان اللذان قد استطالا ... هما قد أبليا لحمى وعظمى
فبعضهما مصحفه بهار ... ذكى نشره فى كل فهم
وراهب قلبه ان صحفوه ... تبدا للذكى بكل وهم
وبعض فالوصال به لذيذ ... والا فهو ضاهى ألف يوم
وخل زارع ببذر التصافى ... هو الخل الذى بالبذل يهمى
وأما من أتا من غير أرض ... فود بعضه من دون لوم
فلوم بعضه فى القلب شاة ... مصحفه يرا فى صدر ام
فهنيتم به من ضيف علم ... وبوركتم به للفضل ينمى
فلا زلتم ولا زالت حلاكم ... بسهم الزهر للاتقان تومى
فما شيء له سلطان قهر ... على الأملاك من عرب وعجم
ووصف الفضل بين الناس طراً ... وألفيناه فى قيس ولخم
فان عددت أحرفه ثلاث ... كعلمك آخر فى حال عزم
وأولاها كمثلك فى كرام ... اذا ما لحتم من فوق نجم
وثلثا الشيء عش دهراً طويلا ... تباهى بين أعيان بفهم

ولغزه حفظه الله فى عشق حسبما يظهر من كلامه لمن تأمله ، والله أعلم

وقال أيضا مجيباً صاحبنا الكاتب أبا عبد الله الوجدى أسماه الله عن لغره الذى أوله

اسم التى تيمنى حبها ... تصحيفه تربية للهوا

حسبما ذكرناه فى ترجمته (112) :

112) انظر صفحة 89

ونص جواب شيخنا الشهاب المذكور :

باريت قساً يا فصيحاً نـوا — مكارم الأخلاق لما انطوا
شنفت سمعى بالحلال الذى — ينسى لذيذ الشعر من قد روا
ألغزت فيمن قد غدا كعبه — للحسن محبوباً لأهل الهوا
فبعضه بر لأهل الهدا — وبعضه اسم حاصل من نوا
لا زلت ما بين الورا سيداً — ما غردت مفجوعة بالنوا

قلت : ومن الغرائب أنه كتب لى بهذا اللغز الكاتب أبو عبد الله الوجدى المذكور وأنا حينئذ بتلمسان لم أعمل الرحلة الى حضرة الامامة ، فأجبته بجواب ذكرته فى ترجمته ،فوافق قول الشهاب (فبعضه) البيت حذو النعل بالنعل، انتهى

* * *

وأخبرنى شيخنا شهاب الدين صاحب الترجمة أبقاه الله قال : كنت فى عام أربعة وألف بحضرة الامامة مراكش حماها الله ، قال فبينما نحن ذات يوم جالسون فى مشور مولانا أمير المومنين المنصور أيده الله واذا بالبشير أتاه بقتل الناصر ابن أخيه أمير المومنين أبى محمد عبد الله رضى الله عنه وكان قد ثار ببعض النواحى، قال فأنشدت أمير المومنين نصره الله مهنئاً ارتجالا :

هنيئا فى الصباح وفى المساء — بنصر جاء يوم الأربعاء
ببشرا أفعمت قلبى سرورا — وان ذاب الفؤاد من العناء
فدم ملكاً وصل بالله والبس — ثياب العز يا عين السناء
وعز الله جاءك فى جيوش — من الأملاك من أفق السماء

ومنها :

فلا زال السرور لكم رفيقا — ولا زالت سعودك فى ارتقاء

قال : وأنشد فى ذلك اليوم بعينه الكاتب أبو عبد الله بن عمر الجرارى :

بشراك جاء الهنا والنصر والظفر — وساعدت قصدك الأيام والقدر

وخاب سعى الذى رام الوصول الى ... ملك له العالم العلوى ينتصر

وكيف يطمع فى الملك الذى رضيت ... به الملائك والأحجار والشجر

من استظل بظل الكفر وانتصرت ... له الشياطين فاغترت به الحمر

تعساً له من غوى خاب مقصده ... وخانه الثقتان : السمع والبصر

بقيت تحمى ذماراً للحنفية ما ... تعاقب النيران : الشمس والقمر

وقال سيدنا الشهاب أيضاً فى نور تيكجفة ، ومن خطه نقلت :

انظر الى (تيكجفة) فكأنها ... أغصان تبر فى قضيب زبرجد

بل هى رمح زمرد وسنانه ... قد موهت أطرافه بالعسجد

وقال أبقاه الله :

ساق من الترك جاف من تجافيه ... وكيف لا وهو قاسى القلب ذو تيه

كسانى السقم من ساق كلؤلؤة ... يا حسرتى ذبت شوقاً من تجنيه

وأخبرنى أنه أنشده لنفسه الأديب محمد بن يعقوب مستجيزاً قوله :

يا راضعاً خمر الكؤوس ففتنتى ... فى خمرتى من ريق ذاك الساقى

قال فقلت مجيزاً :

أبدا لنا ساقاً تكامل حسنه ... يالهف نفسى يوم كشف الساق

ثم قال :

جنب الهوا خيل الصبا فجرت بنا

فقلت :

مرحاً بميدان من الأشواق

وقال شيخنا ابن أبى العافية أيضاً أسماه الله متغزلا :

تكامل الحسن فى ظبى فتنت به ... فخال حاجبه نقط على النون

ما حل خال حبيبى تحت طرنه ... الا ليعجم نوناً غير مكنون

وقال أيضاً فى ذلك :

فطرفه مثل سهم   وخده كالشقيق
ولؤلؤ الثغر منه   منضد فى العقيق
وريقه فى مذاق   تظنه كالرحيق

وقال أيضاً متغزلا :

ظبى من الترك حما ثغره   يا ليلته عن ذا التجنى يجور
لا تنكروا اذا حما ثغره   كذلك الأتراك تحمى الثغور

وقال أيضا :

شادن كالبدر مبسمه   وجهه كالبدر فى الغسق
ألبس الحمر غلائله   فغدا كالشمس فى الشفق
قمر كالغصن منعطف   عجباً يختال فى الطرق
سرقت منه ظباء الفلا   جيده والردف منه بقى

وقال حفظه الله فى سقى الخيل على اختلاف أنواعها ، ومن خطه نقلت :

يا سائلا سقى الجياد الضمر   ان الغداة معدة للأحمر
والشهب تسقى مطلقاً مما جرا   من شبه دمعى من عيون الأنهر
من راكد عند الأصائل شربها   وكذا الحديد بنصف ليل أزهر
بختامهم يسقى لديهم أشعل   فافهم سقاك الله ماء الكوثر

ولقيته يوماً بالمحلة المنصورة أعلا الله كلمتها ، وذلك بظاهر مراكش حماها الله ، وكان اذ ذاك الوباء ، فتذاكرنا أوطاننا وأهالينا ، وأيامنا بفاس وليالينا، فقال يخاطبنى : .

يا شهاب الدين هلا

فقلت :

زرت أخوانا وأهلا

فقال :

بعدت عنا ديار … جمعت بالقوم شملا

فقلت :

ليت شعرى هل نراهم ؟ … فيعود الحزن سهلا

وأنشد أسماه الله عام عشرة وألف ونحن بحضرة أمير المومنين أيده الله ميلادية مطلعها :

يا كعبة الحسن لولا سر معناك … لما سرا فى الدجا ركب لمغناك

نعم ، وما أبصرت عينان من قمر … مزمل فى بجاد الحسن الاك

لولاك ما رنحت ريح الصبا سحرا … أفنان بان اللوا والسفح لولاك

لولا محاسنك الغر التى عظمت … ما حن من أشعث يوما للقياك

ترفقى بمحب طالما جمحت … به خيول الهوا واللهو أفاك

ترفقى طالما أسهرت ناظره … شوقاً الى مسك خال من محياك

لو تسألينه اتياناً لحضرتكم … سعياً على الوجه مختاراً للباك

يا ربة الحلة السوداء من هيف … تيهى دلالا فكل الكون يهواك

ميسى اختيالا فما فى الأرض من مثل … له كزمزمك المروى ومسعاك

ولا كملتزم والمذنبون به … لاذوا قياماً ، فمن داع ومن باك

ولا كركنيك للعافين مستلم … به تساقط من أوزار نساك

ولا كمثل مقام ءامن عطر … لله ذاك المقام الطاهر الزاكى

كلفته دنفاً مما أكابد من … شوق الى الحرم السامى بعلياك

أو شوق طيبة دار الوحى كم تليت … ءاى الكتاب بها ردعاً لا شراك

دار بها خيم الـروح الأمـــين عـلى ... خـير الكريميـن أرسـال وأمـلاك
محمد المجتبا المختار أفضـل مـن ... أسـرا به الله فـوق السبع أفلاك
فالبـدر قـد شـق تصديقـاً لمعجزه ... والجذع حن حنين المدنـف الشاكى
والمـاء منسجـم تجرى أصابعـه ... منـه ، أيا فئة الاسـلام أرواك
ومن جمـاد غـدا بالنطـق متصفـاً ... لولاك ما كان موصوفاً بـادراك
كـم معجـز أعجـز الحساب فى عدد ... ما ذا عسى من حلاكم يذكر الحاكـى
صلى عليك اله العـرش مـا طلعـت ... شمس ومـا لاح بـدر بين أحـلاك

ومنها فى مدح أمير المومنين المنصور أيده الله :

كهف ملوك الورا المنصور طود عـلا ... تـاج الملوك وفخر المعدن الزاكـى
ان رام أرض العـدا ذلت لسطـوتـه ... عصائب الكفـر من شهـم وفتـاك

ومـنـهـا :

يا رتبة الملك حزت الفخر أجمعـه ... لك الهنـاء من المنصـور منشـاك
ويا حما الملك قد دامت مسرتكـم ... ويا خلافـة ديـن الله بشـراك
اذ ساسك الملك المولى الذى عظمت ... خصاله وسنام المجد أوطـاك
ولاك ملكـاً عظيماً ليس يشبهـه ... ملـك ، وعـزاً عـلى العليـاء أولاك
وفى الخلافـة حقـاً ما له مثـل ... والعـز يا عصبة الأفلاك وفـاك

ومـنـهـا :

لولاك يا ملـك الاسـلام ما نظمت ... لئالئى الملـك فى جيد بأسـلاك

ومـنـهـا :

يا مالك الدهر يا أندا الملوك يـداً ... دم فى العلا راقياً من فـوق أفـلاك
واخلد اماماً فان الملـك خلـده ... فيكـم اله الـورا من دون أشـراك

ولا تــــزل فــي ذرا العليـــا مرتقياً ما نال نــور الهــدا من نــار اشراك
ودم لميــلاد خيـــر الخلــق تكرمــه فــأنت أولى به يا أيهــا الــزاكـــي

ومن موشحاته حفظه الله قوله :

لاهتزاز البــان وقــت السحـــر هــامــت الأرواح
وقيــان الطيـــر فـــوق الشجـــر تــجلب الأفــراح

* * *

يا شقيـــق الــروح هـــات القدحـا مــن دنـــان الخـان
قهـــوة تــكسب قلبـــي الفــرحـا تــطـرب النشــوان
كــل مــن دارت عليـــه شطـحـا مــن يــدي وسنـان

* * *

أوطــف الجفنيـــن بـادي الخفـــر عـــاطــر الأرواح
صوتــــه يــــزري بنقــــر الوتر يخــجـل الاصبـاح

* * *

يــا لـــه مــن شــادن تيمنـــــي خــصـره الطيــي
طــرفــه السهمــي قـــد صيــرني لـعبـــة الحـــي
مــن اذا اشكـــو لـــه مــا صادنــي لـــج فـــي الغـي

* * *

لحظـه يسطـــو بسيــف الحـــور سطـــوة السفــاح
مــا لملهـــوف بـــه مـــن وطـــر بالهــوا قــد بـــاح

* * *

لا تلـــم يــا عاذلــي في حب مــــن فـــاق بـدر الـداج
حبـــه وســـط الفـــؤاد قــد كمن مــن سنـــا وهـــاج
مـــا بصـــدري من هـــواه مؤتمـــن صاحب المـعـــراج

* * *

دوحـــة المجـــد سمت مـــن مضر عـــرفـه فـــــواح
مصطفـــا من قـــد دعـــا للحجـــر فغـــدا صيـــــاح

* * *

يا رســـول الله غـــوث ومـــدد يـــا منيـــع الجـــار
أنت والله الكريـــم المعـتـمـــد لنـــزيـح الـــدار
كن شفيعـي يا نبيـــاً لا يـــرد انـــك المختـــار

* * *

بابنك « المنصور » فـرج غيـــرى ذى السنا الوضـــاح
طـــاهر الأحســـاب بـــاب الظفـــر للغنـــا مفتـــاح

* * *

قلت : ولما كتبت من تلمسان الى الحضرة العلية الفاسية لغزاً خاطبت بـه صاحبنا الكاتب البارع أبا عبد الله محمد بن على الوجدى وهو :

أيا ماجدا حـــاز أسنـــا المراتـب ويا خيـــر منش وأفضـــل كـاتب
أجبنى عن اسم اذا صحـفـــــوه فمـر بقـــوم أتـــا بعجـــائـــب
يدلهـــم ان أضلـــوا سبيـــــلا ولكنـــه قـــد يغـــر المصاحـــب
ويسرق أيضـا وليـــس تـقـــــا م عليـه الحـدود بمـا هو جـــالب
ويعـــدل نـصف القـــــران اذا انـــا بنت قلت جميـــع المـــآرب ؟
يـــرا فعـــل أمـــر اذا زال صـــدر ومن قـــال ماض فليـــس بكـــاذب
من القـــرء عدتـــه اثنـــــان ان أزلت حشـــا منـــه يـــا خيـــر صاحب
فـــلا زلت نورا وشانيـك يـرمـــــا ويقذف بالشهـــب مـــن كـل جانب
ودم سالما ءامنـــاَ فـــى ســـرور وعـــز ونيـــل لما أنت طـــــالب

أجابنى صاحب الترجمة شيخنا شهاب الدين أسماه الله بقوله :

أبـــدر تلألأ بيـــن الـكـــواكـب ... فأخجـــل من حسنـــه كل كاتـب
أمسك تضـــوع مـــن نشـــــره ... فأفعـــم من عرفـــه كل جـانـب
أم العقـد نظـم مـن لــؤلــــز ... فـأصبـــح طـوقـاً بجيـد المغارب
نعـم لغــز جــاء من فــاضـل ... نبيـــه نزيـــه كريـــم المناسب
هو المقـرى سمـا فى قريش (113) ... وقد حـاز فـى العلـم أسنا المراتب
فأشبـه فى الفضـل أصـلا ومــس ... يشـابه أبــاه فليـس بغـــاصب
فـلا شـك بيت العـــلا بيتهـــم ... وبيت الجـــلال وأعـلا المنـاصب
لغـزت بسحـــرك مـا صـــدره ... كما أنت فـى العلـم بيـن الأقارب
وان زال فالصـاب طعـــم لـــه ... وطـى الحشـــا للشتـاء منـاسب
وان زال ءاخـــره قـــم بـمــــا ... تيســـر مـــن مستحـب وواجـب
فلغـــزك يـــا قمـــر العلمــــا ... تبيـــن بالقلـب يـا خيـــر صاحب
الـــى كـل ذهـــن لـــه رمـــق ... يـذوق بـه من صفـــى المشـارب
فمــا اسم كأنت لـــه أحـــرف ... ثـــلاث وثلثــــاه جـــم الغرائـب
وان ضـــم صـــدر الـــى ءاخـــر ... تجـد قلـب من بالحـــروب مذارب
مساويـــه يكثـــران صحفـــوه ... مـــع الأقـــربـــاء وبـين الأجانب
وقلبـــى كتـــرس لـه كلمــــا ... تفكـــرت فـــى مسبـلات الذوائب
وطيـك للحشـو نـــم فـــى أمـــان ... فمــا ثـم واش يشـى للكثـائـب
فـــدم مثلـــه للـورا هـاديـــاً ... كمـــا يهتـــدا بضيــاء الكـواكب

---

113) تنتمى أسرة المقرى الى قبيلة قريش أشرف القبائل العربية ، وممن أثبت لها هذه النسبة أديب الأندلس العظيم لسان الدين بن الخطيب فى ترجمة القاضى أبى عبد الله المقرى جد المؤلف من كتابه **الاحاطة** ، وقد ذكر المؤلف فى كتابه **نفح الطيب** 7 : 129 ان بعض المغاربة كتب على هامش الفقرة التى نسب فيها ابن الخطيب القاضى المذكور الى قريش : القرشى وهم ! فكتب تحتها العلامة أبو الفضل ابن الامام التلمسانى ما نصه : بل صحيح ، نطقت به الألسن والمكاتبات والاجازات ، وأعربت عنه الخلال الكريمة ، الا أن البلدية يا سيدى أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية فى امام المغرب أبى عبد الله المقرى وهماً ، والحمد لله . هـ وعقب مؤلفنا أبو العباس المقرى على فقرة ابن الامام هذه بقوله : وممن صرح بالقرشية فى حق الجد المذكور ابن خلدون فى تاريخه ، وابن الاحمر فى **نثير الجمان** ، وفى **شرح البردة** عند قوله : (لعل رحمة ربى حين ينشرها) والشيخ ابن غازى ، والولى الصالح سيدى أحمد زروق ، والشيخ علامة زمانه سيدى أحمد الونشريسى ، وغير واحد ، وكفى بلسان الدين شاهداً مزكى !

ولا زلت للمشكـــلات امــامـــة تحلـل مـا اعتـاص مـن كل جانب
ولا زلت يــا أحمــد كعبـــــة تطــوف بهـا للعلـوم نجـــائـب

واللغز الأول فى قمر ، ولغزه حفظه الله فى نجم .

واجتمعنا ذات يوم مع جملة أعلام بالحضرة الفاسية ، فأخرج لنـا بعض أصحابنا شرح لامية العجم للامام صلاح الدين الصفدى رحمه الله ، فرأينا فيـه بيتاً فردا منسوباً للشرف العقيلى وهو :

خلص بجاه الحب قلب متيـــم غمـز الصدود عليه أعـوان الضنا

فسأل بعضهم تضمينه فضمنه الحاضرون وغيرهم حسبما ذكرت تضمين كل واحد فى ترجمته ، فقال صاحب الترجمة فى ذلك :

أمعذبى رفـقـاً عـلى جسمى الـذى حكمت فيه ظبـا القواضب والقنـا
يا قاسياً ما آن للرحمـى مـدا (114) كـم هكذا جسمى وقلبى فـى عنـا
« خلص بجـاه الحب قلـب متيـم غمـز الصدود عليه أعوان الضنـا »

قلت وضمنته ارتجالا — وهم حاضرون — بقولى :

ولقـد أقـول لمن برانى حبـه والقلب من أسر المحبـة فى عنـا
« خلص بجـاه الحب قلـب متيـم غمـز الصدود عليه أعوان الضنـا »

* * *

وكتب الى مولاى العم المفتى الامام أبى عثمان سعيد بن أحمد المقرى أدام الله وجوده يستدعيه اجازة ، ونص الخطاب :

الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث ، ورفع أهله العالمين فى القديم والحديث، وقيض له نقاداً جهابذة يذبون عن حوزته تحريف الجاهلين ويميزون بنقدهـم الصحيح والحسن والضعيف والطيب من الخبيث ، وبان لهم بذلك المرفوع مـن

(114) أى أما آن وقت ترحم فيه ؟

الموضوع ، والمتصل من المقطوع ، وقامت بهم ملكة يتحققون بها النبوءة فعلت بذلك درجات حملة السنة ورواة الحديث ، فلولاهم لامحت منه الرسوم ، والتحق الموجودة بالمفقود والمعلوم بالمعدوم ، وادلهمت وجوهه المشرقة ولا ميزت العروة الوثقا من السبب الواهي الرثيث ، والصلاة والسلام على من ارتدا بالمجد وانتعل بالفضل الأثيل الأثيث ، وعلى ءاله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين ورثوا عنه العلم فشرفوا بذلك التوريث ، وبعد فيطلب العبد الضعيف الوجل من ذنبه المختشى ، من السيد الكامل أبى عثمان سعيد بن أحمد المقرى القرشي ، الذى ملك أزمة العلوم ، وحاز قصب السبق فى المنثور والمنظوم ، أن يتفضل عليه بالاجازة العامة ، الجامعة التامة ، فيما لسيدنا من مروى ومقروء ومجاز ومسموع. وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام من حماة الدين لأهل الاسلام ، وأن يبتدىء بالمسلسل بالاولية حديث الرحمة ليكون اول مروى العبد عنه وله الفضل العميم، والثواب الجسيم :

ولما نأيتم ولم أستطع — أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت اليكم برجل الرسول — وخاطبتكم بلسان القلم
فأزكا سلام لخير امام — أخص به « المقرى » العلم
سعيد بن أحمد نجم العلا — سراج الهدا فى دياجى الظلم
فانى استجزتك من أرض فاس — لتسعف يا بحر علم فكم
لما صح عنكم وجاز لكم — رواية كل بشرط متم
فلا تحرم العبد من فضلكم — ومن فيضكم راح رشفاً بفم
فدمتم ودام العلا تالياً — لكم والأمانى كبعض الخدم
وسلم بفضلك يا سيدى — على كل من حاز فضل القلم
كذا عن بنيك الكرام الأولى — تحلوا حلاء العلا والكرم
ولا تنس عبدك من دعوة — يفوز بها من دواهى النقم

ومــن كل هــول ومــن كــل شر — ومن كل كـرب بيـوم النـدم
وكـاتبـه أحمـد راجيـا — شفـاعتـه يـوم زل (115) القدم
سليـل محمد نجـل الـذى — بعـافيـة فـى الـورا متسـم
بتاريـخ تسـع وألـف مضت — لهجـرة خيـر الـورا والأمـم
عليـه صلاة وأزكـا سـلام — مـن الله ربـى بـارى النسـم

وسلام كريم يعتمد سيادتكم العلمية ، من كاتبه أحمد بن محمد بـن أبـى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى كان الله له بمنه

ووقع من صنو أبينا المفتى سيدى سعيد أسماه الله الجواب بنظم اخترعه العدل الفقيه أبو عبد الله الحباك رحمه الله ، أمـره بذلك مولانا العم المذكور فقال

الا مرحبـاً مثلمـا المسـك نـم — وأهـلا وسهـلا كقطـر الديـم
وبشرا كنيـل الغنـا للعديـم — وكالبـرء بعـد الضنـا والسقم
وكالوصـل من بعـد طول الصدود — وكالنوم فى عيـن من لـم ينـم
بمن قد أتانا برجـل الرسـول — وخاطبنـا بلسـان القلـم
سليـل ابن عافيـة أحمـد — رئيس العلـوم ومبـدى الحكـم
وقطب الثنـاء وشمس السمـاح — وغيث النـوال وبحـر الكـرم
سـلام كآسـاس عليـاكـم — كريـم مديـد نميـم يعـم
يـروقكـم حبـره مقلـة — وقـرطاسـه مبسمـاً يتسـم
يخصكـم ثـم أحبـابكـم — وكـل الـذى حـاز فضل القلـم
ومـن بعـد ذا اننـى قـاصر — مقـر بجهلـى بيـن الأمـم
ولست بأهـل لمـا قـد طلبتـم — وما قـد ظننتـم بنا مـن همـم

115) مصدر زل ، أى يوم تزل القدم

وطلب الاجـــازة مـــن مثلنـــــــا أدل دليـــــل وأقـــوا علــــــــم
عـلى أن أهـل العلـــوم مضـــــوا ولم يبـق منهـم على الأرض فــــم
ولكــــن أجـزتكـم مكـرهـــــاً ولا بطـــل بـــل لأمـــر مهـــم
بمـا صـح عنـا وجـاز لنــــــا روايـــة كــل بـشرط متـــــم
فسوف يجيئـك رســـم بـــذاك الى أرض فـــاس وقيت الألــــم
وعشت سعيـــداً ومت شهيـــداً وساعدك السعـــد بيـــن الأمـــم
ويطلب منكـــم سعيـــد دعـــاء بحسن خواتمنـــا يختتـــــم
كتبت بتاريــــخ تسـع وألـــف مضت بعــد هجــرة مجـلى الظلـم
عليـه مـن الله أعـــلا صــــلاة وأزكـــا ســـلام وأنمـــا كــــرم

* * *

وكتب لمولانا العم المفتى أدامه الله مع هذا الاستدعاء نظماً آخر فى شأنى ، وهو مما يدل على عظيم قدر صاحب الترجمة أبقاه الله ، والا فانى دون ما يظـن بمراحل ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ونص ما كتب :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً

ينهى لعلامة الأعلام ، وحجة الاسلام ، السيد الصالح المجيد ، أبو عثمـان القرشى سيدى سعيد ، أبقا الله بمنه وجوده ، وأدام سعوده .

سعـدت بغـــرة وجهـك الأيـــام يا سيـــداً دانت لـــه الأعـــلام
يا بحـــر علـــم ان طمت أمواجـــه قذفت بـــدر شـــاده الاســـلام
خطبتـــه من حـــور العـلاء عقيلـة عرفتـــه مذ حليت بـــه الأيـــام
فتبــــارك الله المعـــز لدينـــه بعصابـــة شرفت بهـــا الأقـــلام
من ذا يساجـل فى العـلاء حلاهـــم هيهـات ما البـدر المنيـــر يـــرام

أرسلت للغـرب القصى بـدرة ... قـد أبهـرت وغلت لهـا الأسـوام

جمـع العلوم عـلى حداثـة سنـه ... قـد بـارك الله بـه العـلام

أكـرم بـه من عـالم علامـة ... جمـع العـلا وزكت بـه الأحـلام

بيت بـه طـاق العلـوم وأسرجت ... لهدايـة بمنـاره الأفهـام

فجزيت خيـراً يـا سعيد عن الورا ... بابن الأخ العـلامـة الصمصـام

أدبتـه هذبتـه علمتـه ... ما ان يقـاس بعلمـه بهـرام (116)

ضاءت بكـم يا مقرى سما العـلا ... وعلت بكـم بين الـورا أقـوام

دامت كرامتكم ودام المجـد فـى ... أكنافكـم ما جلـت الأقـلام

وكريم السلام ، يعتمد سيادة الصالح الامام ، واولاده الأعـلام ، فـرسان المنابر والأقلام ، من أحمد بن محمد ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى ، خـار الله له بمنه وكرمه .

ولما استجازه نائبه بمحروسة سلا الفقيه الأديب حسين بن أبى القاسـم الملولى الدرعى مروياته بقوله :

أراوية العلـم الـذى زانـه العمل ... وكعبة أفضال يطـوف بهـا الأمـل

ويا دوحـة الفضـل الذى طاب محتداً ... وطاب نجاراً وارتـدا الجـد واشتمل

عبيدك بالنعمـا حسين بن قاسـم ... وقـاه الـه العرش من وقفـة الخجل

ببـاب الهدا يبغـى اجازة سيـد ... به يرتجـى من ربـه نيل ما سـأل

ليشرف اذ يدعوك شيخـاً وينتمـى ... لجانبك الرحب السليم من الدغـل

وينظـم فى سلك الذين تحملـوا ... تفاريع هـذا العلـم عنك بـلا خلـل

(116) أبو البقاء ابراهيم بن عبد الله الدميرى ، تاج الدين قاضى القضاة بمصر ، وأحد كبار فقهاء المذهب المالكى ، وهو أجل من تكلم على مختصر خليل ، توفى عام 805

أجابـه بقولـه :

أجزت لكم ما قد رويت اجـــازة ... معممة فى كـل ما العبد قـد حمـل

وما صح عنه من نظام وما لـــه ... من النثر والتأليف مع كل ما نقـل

وفى كل مقروء تثبت عنـدكـم ... وفى كل مسمـوع بدا ما به خلـل

وكل مجـاز ثـم كل منـــاول ... فدونك فارو العلـم واقرنه بالعمـل

وكاتب هـذا أحمـد بـن محمـد ... ويعرف بابن العافية مكثـر الزلـل

بتاريـخ ألف بعـد هجـرة مرسل ... عليه صلاة الله ما النجـم قـد أفـل

وخاطبه ببيتين وهما :

بشعلـة مـن شهـاب ... أحـرق كـل حسـود

فهـو المـلاذ المنيـع ... أحـرق كـل حسـود

قال الشهاب حفظه الله : فأجبته ، وكنت ألقبه حسام الدين ، عـلى عـادة المشارقة فى اسم الحسين .

قلدت للمجـد سيفـاً ... صلت بـه فـى الأنـام

ولا غـريـب لأنـى ... محـصـن بالحسـام

قال الشهاب حفظه الله : وكتبت له من التورية فى اسم داود سنة ثمـان وتسعين وتسعمئة :

ومعشوق كلفت بـه زمـانـاً ... بديـع الشكـل ذى عقـل ولـب

فـان تخبـر شمائلـه تجـده ... عـزيـز النفس ذا ود وحـب

وقال شيخنا شهاب الدين أيضاً حفظه الله من المعمى فى اسم عمرو :

العين شاعت فـى الـورا ... فى ذا الزمان الفـاسـد

مـر حبيبـى مـدنـفـاً ... مـن بعـد عيـن الحاسـد

وقـــال مضمنـــاً :

وأهيف قـد بابلـــى لواحــــــظ ... جنونى بـه فـى العـاشقـين فنـون
تبـــدى بصبح الجيد فاشتقت قربه ... « ألـذ الكـــرا عند الصباح يكـون »

وقال مضمناً أيضاً :

وقائلـة لمـا رأتنـى مملقـــــا ... أتنفـــق جـوداً بعـد عسر وتبـذل
فقلت لها كفى الملامـة فى النـــدا ... « هى النفـس ما حملتهـا تتحمـل »

وقال أسماه الله ملغزاً فى دينار :

فما اسم له حرف خمســة ... ولكنمـــا حرفـه واحـــد
اذا زال ءاخـــره شرعـــة ... لمـن ربـــه عـالم قاصـد
وان ضـم قلب لأولــــه ... فطيب يطيب بـه الـزاهـد
وقلبك منه وعـــاء لمـــا ... تـألـم من فعلـــه العـابد
وان ضم أولـــه للـــذى ... بـآخـره جوهـر مـاجـد
وان زال قلب فجمـــع لمـا ... تفقـده الغـائب الرائـــد
وان زال قلب ومــا قبلـه ... فمفـرد ذا الجمـع يا واحد
وان زال قلب وما بعـــده ... فشيخ النصارى به قاعـــد
وان زال صدر وما بعـــده ... فذو لهب جـــاءه المـــارد
فان نار فى مقـولى بعضــه ... كما نار دين بـه شاهـــد
فلا عجب اذ كلفـت بـــه ... فمنه المفـاصل والساعـــد
فحلوا اللغيـــز فلا غيركـم ... يجود به أيهـا الماجـــد
فلا زلتـم تمتطون العـــلا ... مدا الدهر ما أمكم قاصـــد

وقال حفظه الله لما أطلعنى صاحبنا الأديب محمد بن يعقوب على معمى له فى اسم عـامر :

فديتك من وجدى وقلبـــى طــائـــر　　أبيت وجفـــن العيـــن منـــى سامـــر

وليت الذى أهواه رق لـــذى الهـوا　　وأضحا لعينى واصلا وهو آمر (117)

قلت فى الاسم نفسه :

رمــا قلبــى بسهــم اثر عين　　أصابتنى مليــح الوجنتــين

فلا تعذل على جــزعى فانـــى　　مصــاب اللب ذو هجرولب

قال وقلت فى اسم على :

سبانــى بابلى النغمـــــة　　بديــع الحسن ذو لمـــــه

فــان تخبـــره تلفـــــه　　عـــلى القــدر والهمـــــه

وقــال أسمــاه الله ممــا خــاطبت بــه صدر الأفاضل الأديب ابن يعقوب المتقدم الذكــر :

وفتا تقدم من تقــادم فـــى العــــلا　　أكرم به من عمـــدة وحميـــــــم

حاز المفاخر كلهـــا متقدمــــــــاً　　والصدر محمـــول عـلى التقديـــم

قال : فأجابنى بقوله :

أوريت زند قريحـــة وقـــــــادة　　ولهيب عقلـــك بالذكـــا مشبـوب

أبدا الشهـــاب لنا العجاب بنظمـــه　　وكذا الشهاب على الدوام مصيـــب

وقال أسماه الله لما خاطبنى صاحبنا بديع الزمان أبو عبد الله محمد بـن ابراهيم الفاسى رحمه الله بقوله :

اذا رمت أن تحظا بكـــل فضيلـــة　　ويرفع عنك سترهــا وحجــابهـــا

فواف شهاب الدين وانــزل بأرضــه　　تجدها سماء والشهاب شهابهــــا

117) فى الطرة أمام هذا الشطر : لم يثبت فى الأصل وأضحى ، وانما هو بياض

أجبته بقولي فيه :

أبدا من السحر الحلال عجائبـــــا حسبي علاه في الأنــام أذيـــع
لا تعجبوا مما بدا من فضل مـــن بهر الأنـــام فانه لبديــــــع

وقال أسماه الله : لما استدعا مني بديع الزمان المذكور ما تأخر من نظمي سنة تسع وتسعين وتسعمئة كتبت له هذه الأبيات :

حسبي من الحب ما أضمرته وكفـا ومن دموعي ما بالخد قد وكفـــا
وقد رضيت بما أبقيت من رمقـــي وان على القلب جيش السقم قد وكفا
بالله رفقاً على قلب حللت بــــه وارحم خضوعــي يامن ملني وجفــا
واعلم بأني رضيت الحب منــزلـة وفي مغانيه لذ العيش لي وصفـــا
تبــارك الله لاحــي يمــاثلكـــم ما ان يصفكم على الأطـلاق من وصفا
لله درك ما أحلاك فـــي خلـــدي يا سيدا في مغاني الحسن قــد وقعا
يا كعبة الفضــل يا بيتاً أطوف بــه ما ذا الجمال الذي قدامكم وقفـــا
وقفت في عرفات العرف أسألـــه وصلا فأنقذني من هجـــره وعفـــا
ياما أمليح بعد الهجـــر وصلهـــم ان أقفر الدهـــر من هجرانهم وعفـا

وقال أسماه الله متغـزلا :

يا شاذنا لفـؤاد الصب قد قطعـــا رفقا بمضنا شتات الحب قد جمعـــا
لا تهجــرن كئيبــاً ذاب من كمـــد يا وقفة البان صنو البـدر اذ طلعـــا
بعقرب الصدغ بالقد الرطيب جنـي بأرقم الشعر اذ للقلب قـــد لسعـــا
بما حوا الجيد من خال ومن هيـــف بما حوا الخصر من لين اذا ارتفعـــا
جد لي بوصل ولو في النوم يا أمـــلي هذا التجني فؤاد الصب قد نزعـــا
فاعذب وعذب وصل واهجر وصد وصل كن كيف شئت ففيك الحسن قد جمعا
لا تتلفن فؤاداً أنت ساكنـــــــه يا ثمرة القلب ان القلب قد قطعـــا

وقال أسماه الله وأطال وجوده :

غريرة ان نأت لسعت فـؤادى   وان وصلت فدرياق السليم (118)

تبشر بالصلاح بكل وقت   وان زارتك فى الليل البهيم

تكلمنى بلحظ أو بلفظ   وتوجب فى الهوا مطل الغريم

كأن المسك ان فاحت شذاها   نسيم من نسيم من نسيم

وقال أيضا حفظه الله :

الحسن فى القلب والاحشاء أسراك   فامنن على فانى بعض أسراكا

لا تجف صباً تجافا عنه مضجعه   وبات بالسقم مختاراً للقياكا

بالله رفقاً على قلب حللت به   لا تنصبن حبال التيه أشراكا

وقال أسماه الله من قصيدة يمدح بها أمير المومنين المنصور بالله أيده الله ويهنئه بفتح السودان ، وهى من غر قصائده ، مطلعها :

بشراك بالفتح المتين المتاح   قطفته بين القنا والصفاح (119)

ومنها :

قد فتح السودان من حزمه   شهم الملوك الصيد طود السماح

الطاهر المنصور من هاشم   بحر الندا منى أراش الجناح

---

118) الدرياق لغة فى الترياق : دواء تدفع به السموم ، والسليم : اللديغ أو الجريح المشرف على الهلاك ، سموه به تفاؤلا

119) أورد عبد العزيز الفشتالى فى **مناهل الصفا** الأبيات التالية من هذه القصيدة :

قد دوخ الأرض وأقطارها   وعم بالصيت بسط البطاح

فليهنك النصر الذى حزته   دون الملوك فى معانى الكفاح

واسعد فقد دانت ملوك الورا   لما رأت فى الانقياد النجاح

أحمد المنصور طود العلا   واسطة العقد وبحر السماح

رجت بلاد السود من جنده   فافتتحت بالسيف أى افتتاح

فتــــح متيــــن هـــو تاريـــخـــــــه   فابشر بفتــح للنواحــى افتتاح (120)
لا زالت الأقطـــار تعنــــو لكـــــم   من سعدكم طـــول المـــدا تستباح

وقال حفظه الله وأسماه :

ويدخــــل الجنـــة عـــشر ذكـروا   كبــــش الذبيــــح أمــــره مـقــرر
ناقـــة صالـــح وحـــوت يـونـس   هدهد بلقيس فخــذه وائتــــــــس
وعجــــــل ابراهيـم ثـم البقـــــره   وناقــة المختــار فاعــرف خبــــره
وكلب أهـــل الكهـف ثــم النملة   ثــم حمـــــار لعزيــر مثبـــــت
وجاء عن مقــاتل ما قد ذكـــــــر   فدونك العلـــم وحقـــق ما سطـــر

وقـــال :

يا مالكى رفقاً على جسمى الـــــذى   أضنيته بجمالـــك الفتــــــــــان
واستوص بى خيراً فانـــى مدنـف   أبداً أجـــود بدمعـــى الهتــــــان
فبخالك المسكـــى الذى عاينتـــه   فى جبهــة لمعاقـــد التيجـــــــان
لا تحرمن شفتى من لثــــم لـــــه   ولوجنـــة حـمـــراء كالعقيــــــان

وقال أسماه الله ملغزاً فى اسم زينب :

اسم التى نفت عن الطـرف الوسـن   اذا تصحفـــه فقلبــــــــه حســـن
ونصفــه زى التقـــا معظـــــــم   عند ذوى الفضــل ومن يدعـــا أسن
وان أزلت صـــدره فما بقــــــى   ينب عــن المحذوف يا نعـم السكن
وآخـر ان زال زيــــن للفتـــــا   علم به يدعـــى من أربـــاب الفطـن
رتبت تصحيفـــاً لــــه فى مقـــولى   وهو رشاً أسكـــن فى القلب الحـزن
تالله قـــد أبديـــت ما أخفيتــــــه   من لغــز أحلا من الشهـــد الحســن

---

(120) رواية هذا البيت فى **مناهل الصفا** :

فتح مبين هـــو تاريـخــــــه   ينمو على الأرض مديد الجناح

وقد أجابه عنه صاحبنا الفقيه الكاتب الأديب أبو عبد الله محمد بن على الوجدى حفظه الله حسبما ذكر فى ترجمته (121) :

وقال أسماه الله فى نظم ابتداء بنيان مراكش حاطها الله ، وأتا بتاريخ ذلك على طريق المشارقة فى ذلك ، وله فى ذلك اليد الطولا ، وانما يحسن ذلك اذا اشتمل على تورية ، وهو حفظه الله يحافظ على ذلك كثيراً ولم يقع له الا بتورية :

يا فاضلا مؤرخاً   بالفضل والتاريخ ساد
مراكش تاريخه   البلد الحسن جاد

وقال أيضاً فى ذلك ، من المتدارك المخبون :

بلد قد شاده لمتونة   باستقام فياحسنه وطن
مراكش فاعلم وأبن تا   ريخه جاد البلد الحسن

وقال حفظه الله مما كتب فى مقص المولى الواثق بالله أعزه الله بالذهب :

عانقته كيلا أذوق فراقه   كالسعد عانق واثق المنصور
فاذا توسط حاسد ما بيننا   نفريه فرى لواحظ اليعفور

وقال أسماه الله :

يا سائلا طبعه للعلم منحرف   وقلبه باصطلاح الناس مشغوف
الكم كلية جزئية ذكروا   والكيف بالسلب والايجاب موصوف

وقال أسماه الله فى الأشياء التى يقبل فيها قول المدعى مع يمينه الا القاضى فى الوجهين وهى مسطورة فى كتاب **(التنبيه والأعلام)** لليفرنى رحمه الله :

121) انظر صفحة 129

فحائــز العشر ومــــودع وقـــــاض ... ومن غصب ثــم المــدمــى لا اعتراض
والــزوج فى اللعــــان واللــص اذا ... أتـــا بشىء وادعـــا الغير العـــدا
كــذاك سمسار وســــارق ومــــن ... يختــطــف السرة حشوهــــا الثمــن
ونهبـــاء الدور والمغتصبــــــــــه ... قبل قولهــم فهـــاك المرتبــــــه
مــع يميــــن الكـــل الا القاضى قط ... يقبل فى الحاليـــن من غير شطـط

وقال أيضاً :

لــولا ولومـــا ثــم هــــــــــلا وألا ... ألا اذا وليــت المستقبـــــــــــلا
فهــى للتحضيــض أو ان وليـــــت ... مـــاض فللتــوبيـــخ حقــاً رويت

وقال فى مستحقى الحضانة :

الأم والجـــدة مـــن بعـدهـــــا ... بعدهمـــا الخـــالة والجـــــدة
أعنـــى التـــى للأب ثـــم ابنهــــا ... والأخت للمحضــــون والعمـــة
ثمت بنت الأخ يتلـــــو لهـــــا ... عصابـــة قـــد تمت العـــــــدة

وقال فى الرسوم التى لا تنسخ :

ديـــن كتـــابة وصيـــــة فــــلا ... ينقـــــل صكهــــا كـــــدم نقــلا

وقال أسماه الله فى أسماء الأطعمة :

عقيقة (122) مأدبة (123) عتيره (124) ... خرص 125 نقيعة 126 كذا الوكيره 127
كذاك اعذار (128) وليمة (129) جرت ... للعــرس بعــد الــزف يوماً شهــرت

---

122) شعر كل مولود . والشاة التى تذبح عن المولود يوم اسباعه عند حلق شعره

123) طعام يصنع لعرس أو مطلق دعوة

124) شاة كان العرب يذبحونها لآلهتهم فى شهر رجب

125) طعام النفساء ، وهو بالناء أيضاً

126) طعام يصنع للقادم من السفر

127) طعام يعمل عند الفراغ من البناء

128) طعام يتخذ لسرور حادث ، وخصصوه بطعام الختان

129) طعام يتخذ لجمع أو دعوة

وقال حفظه الله فى الأشياء التى يكتفا فيها بالعدل الواحد على خلاف فى جلها :

ما يكتفا فيه بعدل واحد   والخلف فى الأكثر صف للماجد

وهى مزكى السر والمجرح   محلف وقائس من يجرح

وترجمان قائف وقاسم   محوز ثم طبيب عالم

وبيطر وناظر العيوب   وكاتب القاضى الزكى الأريب

موجه منه الى الاعذار   واللوث والقتل من الكفار

وخارص معرف النساء   وناظر الشهر بلا امتراء

لأجل تاريخ وزد مستنكهاً   وعارفاً بقبلة منتهباً

وبالنصاب للزكاة زد لذا   الخريت والموقت المفتى بدا

راو ورافع على الخطوط   وشاهد الغيلة بالتقسيط

وشاهد الشتم ونحوه فقط   وغيرها عدلان فيه يشترط

مقوم السلع والعيوب   فرجلان الشرط كالمنهوب

وفى جزاء الصيد والمشاجره   فى الزوج مع زوجته المعاشره

وقال حفظه الله فيما تنعكس اليه الموجهات بمصرية الكتاب من الحضرة العلية الامامية حماها الله ، ارتجالا :

ممكنتين اعكس الى ممكنه   وموجبات الغير للمطلقه

أما السوالب فان عمت معا   بحسب الأفراد والأزمنه

كنفسها العكس والا لم ترا   معكوسة أصلا سوا ما ذكرا

من خاصة جزئية فانها   كنفسها تعكس فاحفظ كيفها

وقال حفظه الله فيما يناقض الموجهات :

وصفية عمت فحين نقضها   والوقت يطلقه بوقت ممكن

والنشر مطلقه دوام نقضه   بمقابل غير فلذ بالمتقن

ونقيض الجزءين مما ركبت ... ردد سوى جزئية فاستحسن

شرطوا لها تقييد موضوع بما ... قد كان للمحمول حكماً فاجتن

علماً وذا الموضوع من ثانيه ... ومن الأولى المحمول فاعلم واعتن

وقال أيضاً فى الزيادات التى ذكرها أهل التصريف :

زيادة فى الفعل سبع تعرف ... فعدها خذه كما قد وصفوا

تزاد للمعنا وللالحاق ... والمد والتعويض باتفاق

كذاك للتنكير والبيان ... وزد لها زيادة الامكان

وقال فى اسم الفاعل المقصود به الجمع :

فسافر وباقر وجامن ... وحاضر للجمع كل حاصل

وقال أيضاً أسماه الله فيما له صدر الكلام :

وما له صدر كالاستفهام ... والشرط والشأن على التمام

وما التعجبية المشهوره ... كم خبرية فخذ تقريره

وقال فى أسماء ظن :

علم للعلم رءا وجد درا ... وهب تعلم غيرها ظناً يرا

أصار صير ورد اتخذا ... تخذ جعل وهب لتصيير برا

وقال فى نظم المسائل التى يرجع فيها بقيمة البناء والغرس مقلوعين :

فقيمة البناء مقلوعاً أتت ... فى سبعة معدودة قد ثبتت

فى الغصب والثنيا وفى العوارى ... وفى الكرا وغرس أرض الجار

كذاك فى أرض لموروث وفى ... أرض الشريك حصلنه تقتفى

باذن أو بغيره قد نقلا ... عن ابن قاسم امام النبلا

وقال أيضاً فى مسائل التأديب ، حددها بعض الفقهاء القضاة رحمهم الله .

ومن نضا سيفه يوماً على أحد فالأربعون له ان للقتال نضا
والسيف يروى لبيت المال مرجعه وقيل يقتل والحكم بذاك مضا
ومن قضاه على وجه المزاح فقد جفا ويضرب عشراً حكمه فرضا
والأربعون اذا ما دعوة كسرت لقاض أو حاكم للمسلمين قضا
من قبل امرأة يوماً وأكرهها يزاد عشراً كما ان كان منها رضا

وقال أيضاً :

ومن يقل لمسلم يا شارب يا خائن يا فاجر فواجب
محتم تعزيره كقوله يا ءاكل الربا وزد من مثله
يا فاسقاً ويا حمار هكذا للعتقى لا شهب الحد بذا
فى يا حمار اذ به قد شبهه فى كونه يركب فافهم ما اشتبه
وكل من لمسلم أذاه بقوله أدب ولا تخشاه
أدبه يروا على قدرهما كشاتم لمجلس الحكم انتما
عشر من الأسواط زجراً تلزمه كرافع صوتاً على من يخصمه
ومن لشخص ناك بين الفخدين ثم المساحقة شدد زجر ذين
وضارب المسلم جاز فعله بمثله ومن تعادى قوله
فى مالك عوقب والسجن يرا كالشهر ، فالحكم بهذا سطرا

وجمع بعض الأئمة الحالات التى تجوز فيها الغيبة فى بيت من الشعر فصدره المترجم أسماه الله فيما يلى :

ألا ان اغتياب الناس ظلم عظيم الوصف من أردا المناكر
تجنب غيبة الا حروفاً ببيت جاء عن بعض الأكابر
(تظلم واستغث ، واستفت ، حذر ، وعرف بدعة ، فسق المجاهر)

وقال أسماه الله في حصر الموجهات :

يا سائلا عـن المـوجهـــــات	فسبعـــة مـــن الضروريــــــات
مطلقـة وهـي التـــي ما قيـــدت	الا بموضوع فهـكـذا ثـبـــــت
مشروطـة ان قيـــدت بالـوصـف	أعنى لموضـــوع بغيـــر خلــف
وبالعمـــوم ان حذفت قيـــد لا	وبالخصـــوص ان يكـن لها تـلا
وقتيـــة مطلقـــة ان وقتـــت	بـه معينـاً وقيـــد لا نفـــت
وان تـلـــت للا فقـــل وقتيـــه	دواتـم ثـلاثـة سنيـــــــة ؛
دائمـة مطلقـــة وهـــي كـــذا	مـا قيدت الا بمـــوضـــوع بـــدا
كـــان بوصفـــه وقيـــد لا نفـــي	عرفيـــة عمت ومعـــه فاكتـــف
بـأنهـــا عرفيـــة مخصـوصـــه	والممكنـــات خمسـة منصوصـــه
ممكنـة العمــــوم والخصـــوص	والوقت ان عيـــن بالتنصيـــص
وبالدوام ان بـــه قـد قيـــدت	حينيـــة اذا بحيـــن رويـــت
والمطلقـــات أربـــع فمطلقـــه	نسبتهـــا فعليـــة محققـــه
وان تعـــرضت بنفـــي للـــدوام	فهـــي الوجوديـــة خذهـــا بالتمام
لا دائمة وان تعرضـــت الـــــي	نسبتهـــا بـــلا ضرورة تـــلا
فـهـي الوجوديـــة لا ضـــروره	ان قيدت بالحيـــن فالمشهـــوره
حينيـــة مطلقـــة فـــي المنطـــق	فحقـــق العلـــم تفـــز وتـرتـــق

وقال أسماه الله فيما بين الحقيقية والخارجية من النسب ، وعني بالشريف الايجاب الكلي وبضده السلب الجزئي :

أعـــز الحقيقـــي الشريـــف وضده	للوجـه ان للخـارجـي كما جـــرا
والموجب الجـزئـي عمـــم مطلقـا	مع موجب للـوجـــه مـــع سلب عرا
واخصـــص بسالبـــة مع السلبي معا	ما باينت للموجبيـــن كما تـــرا

وقال فى عكس الموجهات :

الممكـن اعكسـه لموجـب ممكـس … والغير موجبـه الى الا طــلاق
وسوالب الست اعكسـن كنفسهـا … ان كان كليـاً لـدا الحـذاق
ان لـم يكـن لم ينعكس أصـلا سوى … جزئيتيـن تخصصـاً للـراقى
اعكسهمـا كالنفـس تظفـر بالمنا … بالمستـوى لا زلت ذا اعـلاق
عكس النقيـض فحكم ايجـاب به … كالمستـوى فى السلب بالاطـلاق
والسلب فى النقض كايجـاب بـدا … فاعلـم تكن من أفضـل السبـاق

وقال أسماه الله :

لا تصحبـن فاسقـاً … ولا بخيـلا موثـقـا
كذالـك الكـذوب … والأحمـق المغلـوب
وقـاطـع للـرحـم … وفـقـت للـتـعـلـم

وقال أسماه الله فى أول موروث فى الاسلام :

أول مـن ورث فـى الاسـلام … عـدى بن نوفـل الهمـام
وفى ابنتـى قيس ابن ثابت نـزل … (يوصيكـم الله) على النبـى الأجـل
وقيل فى ابنتى سعد بن الربيـع … وهـو الصحيـح حققنـه يا رفيـع

وقال أسماه الله :

فعين قيس بـن عبـاد ضمهـا … وخفف البـاء التـى تؤمهـا
وقد أتـا أيضاً بعيـن تكسـر … ربيعـة نجـل عبـاد يذكـر
وكل من بقـى عبـاد شهـر … عند البخـارى فحقـق ما سطـر

وقال حفظه الله فى المواضع التى يجوز فيها الغرر :

أجز غررا فى الصلح والرهن ثـم زد … لذاهبـة والخلـع تظفر بما عهـد

وقال حفظه الله في أسباب الحجر :

صبا جنون ورق والمدبـــــــر زد　　مفلســـاً ومريضـــاً والنكاح يـــرا
في زوجة فهي أسبـــاب المحجر خا　　أنواعه وادع بالرحمـــى لمن حصرا

وقال حفظه الله في الوداع :

كأس من السم يوم البين أعـذب من　　مد السواعـــد والتوديـــع للقبـــل
قد كنت من غـــرتي بالدهر أحقـره　　حتى بكيت دمـــاً يومـــاً من المقل
ان الفـــراق عن الأحباب تيمنـــي　　كيف التصبـــر عنهـم وهـم أمـــلي

وقال حفظه الله وقد مات حافده هذا البيت الفرد لنختم به نظمه :

فلا تبتئس بالـــرزء في الأهـل والولد　　فلله ما أعطـــا ولله ما أخـــــــذ

ولنقتصر على هذا القدر من نظم الشيخ المذكور ، فانا ان تتبعناه أدى ذلك الى الطول الممل ، وفيما ذكر كفاية ، والله تعالى يديمه علماً يهتدا به ، وسرياً عمادا فاضلا بديعاً يقتدا بعلومه وءادابه بمنه وكرمه .

أنشدني صاحب الترجمة قال : أنشدني أبو راشد يعقوب اليدري قـال : أنشدني شيخنا أبو الحسن علي بن هارون قال : أنشدني ابن غازي قال : أنشدني الاستاذ الكبير الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن جماعة الأوربي النيجي الشهير بالصغير ، قال : أنشدني أبو عبد الله العكرمي ، قـال العكـرمي المذكور أنشدني شيخ الشيوخ أبو عبد الله محمد بن عرفة لنفسه :

صلاة وصوم ثـم حـج وعمـــــرة　　طـــواف عكـوف فالتمـــام تحتمـا
وفي غيرها كالوقـف والطهر خيرن　　فمن شاء فليقطـع ومن شاء تممـــا

وبه عنه متمثلا :

يقولون هـذا ليس بالأمـــر عندنـــا ومن أنتـم حتى يكون لكـــم عنــــد

وبه عنه متمثلا :

حسبت الهوا سهلا وما كنت داريـــاً ومن يجهـل الأشياء يستسهل الصعبا

أشياخه (130) : أخذ عن جملة أعلام من أهل المغرب والمشرق، فمن أهل المغرب الشيخ فرضي وقته ، أبو يوسف يعقوب اليدرى رحمه الله (131) أخذ عنه الحوفية وغيرها ، وختم عليه الحوفية عدة مرات ، وأجازه كل ما تجوز له وعنه روايتـه ، وأخذ اليدرى المذكور عن الامام أبى الحسن على بن هارون وغيره من طبقته ، وكل مولد اليدرى المذكور سنة (ثمانية اوعشرة ومئة)

ومنهم الشيخ القدوة المحقق ، خاتمة الشيوخ ، أبو العباس أحمد بن على المنجور رحمه الله ، لازمه شيخنا سنين كثيرة ، وانتفع به ، وأجازه جميـع مـا اشتملت عليه فهرسته وجميع تآليفه التى منها **الحاشيتان على الكبرى ، ومراقى المجد فى شرح ءاى السعد ، والفهرستان الكبرى والصغرى ، وشرح المنتخب ، وشرح علاقات المجاز لابن الصباغ** وغير ذلك من تآليفه .

وأخذ المنجور المذكور عن الامام سقين العاصمى (132) الشهير الاستاذ بالمغرب، وعن الامام أبى الحسن بن هارون ، وعن العلامة أبى عبد الله اليستثنـى وعـن

130) فى الأصل أمام كلمة اشياخه ما يلى :

اللائق ان يذكر هذا قبل سرد نظمه ، وسأفعل ذلك عند اخراجه من هذه المبيضة ان شاء الله ، قاله مؤلفـه

131) يعقوب بن يحيا اليدرى الفاسى ، فقيه فرائضى حيسوبى يستحضر النوازل ، أخذ عن ابن هارون ، وعبد الواحد الونشريسى ، توفى سنة 909 انظر ترجمته فى **نيل الابتهاج** ص 349

132) أبو زيد عبد الرحمان بن على سقين (مصغر مشدد القاف كما فى **المنح البادية**) السفيانى العاصمى الفاسى الفقيه المحدث ، الرحلة الراوية ، ولد عام 873 وتوفى بفاس عام 956 انظر ترجمته فى **الفكر السامى** 4 : 102

الونشريسى سيدى عبد الواحد المحقق العلامة ، وعن الزقاق ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم رحمة الله على جميعهم .

ومن أشياخه المغاربة الامام مفتى الحضرة المراكشية ، أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمه الله ، أخذ عنه جميع ما اشتملت عليه فهرسته المسماة بـ **(الالمام ببعض من لقيته من علماء الاسلام)** .

أخذ المفتى الشريف المذكور عن سقين ، وولى الله رضوان ، وعن جملة أعلام من أهل سوس ، وعن الشيخ الجرارى ، وشيخ الشيوخ أبى مهدى وغيرهم، وممن ذكر فى فهرسته المذكورة الشيخ المنجور ، وابن مجبر ، وأجازه من أهل المشرق ابن فهد وأبو عمران موسى النشائى ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم المقدسى ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان العلقمى وغير هؤلاء كالامام أبى عبد الله محمد بن أحمد الفـ . . المالكى وغيره رضوان الله تعالى على جميعهم .

وأخذ المفتى المذكور عن شيخنا صاحب الترجمة جملة أحاديث له فيها سند عال رواها عن المشارقة فنديج (133) معه بسبب ذلك .

ومن أشياخه المغاربة أيضا المفتى الفقيه أبو زكرياء يحيا السراج رحمه الله ، وأخذ السراج المذكور عن ابن هارون ، والزقاق ، وأبى مالك عبد الواحد الونشريسى ، واليستتنى ، وغيرهم ، وكان للسراج رحمه الله يد طولى فى معرفة مختصر خليل ، والمغنى لابن هشام .

(133) تدبج فلان مع فلان ربه ، أى قرأ معه على استاذ واحد ، وهذا المعنى عرفى مغربى

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضاً الفقيه الامام بلدينا أبو عبد الله محمد بن جـلال (134) رحمه الله ، وقد أخذ ابن جلال عن أعلام تلمسان كالامام سيدى محمد بن موسى ، والشيخ سيدى سعيد المنوى وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

ومن جملة أشياخ صاحب الترجمة الفقيه المفتى الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغى المسارى رحمه الله ، وأخذ الترغى عن الاستاذ أبى القاسم بن ابراهيم ، وغيره من أعلام وقته ، وأجازه الترغى جملة ما اشتملت عليه فهرسة المنتورى ، وهو يرويها عن أبى القاسم بن ابراهيم المشترائى ، وأبو القاسـم يرويها عن الدقون ، والدقون يرويها عن المواق عن مؤلفها الامام المنتورى رضوان الله على جميعهم .

ومن أشياخ صاحب الترجمة شيخنا المفتى الناسك المحدث أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار أبقاه الله ، روا عنه البخارى وغيره ، وأجازه كل ما يحمله عن أشياخه ، وأخذ القصار عن ولى الله سيدى رضوان ، عن الامام أبى زيد سقين العاصمى ، عن زكرياء والقلقشندى كلاهما عن شيخ الاسلام ابن حجر حسبما ذكر ذلك فى ترجمة الشيخ القصار المذكور .

ولشيخنا صاحب الترجمة أشياخ من المغاربة غير من ذكر يطول ذكرهم ، وقد اشتملت على جميع ذلك فهرسته حفظه الله ، وستأتى قريباً تسميتهـا فـى جملـة مصنفـاته .

وأما شيوخه المشارقة الذين لقيهم فى رحلته فكثيرون ، منهم الامام الحافظ الشيخ أبو سالم ابراهيم بن عبد الرحمان بن على بن أبى بكر العلقمى ، أخذ عنه صحيح البخارى سماعاً الى أبواب الوتر ، وأجازة لباقيه ، والعلقمـى المذكـور

---

(134) عاصر ابن القاضى المترجم (960 – 1025) شخصين من أسرة ابن جـلال المغراوى التلمسانية. أولهما الشيخ الفقيه الخطيب المدرس المفتى محمد بن عبد الرحمان بن جـلال التلمسانى المولود بتلمسان عام 908 والمتوفى بفاس فى رمضان عام 981 وهو الذى قدم من تلمسان الى فاس فى عهد السلطان ابى عبد الله محمد الشيخ السعدى حيث تولى التدريس والخطابة بجامع الأندلس ثم بجامع القرويين . وثانيهما ولده الفقيه محمد المتوفى عام 1008 ولم يترجح لدى حتى كتابة هذه السطور عن أيهما أخذ ابن القاضى . انظر ترجمة الأول فى **نشر المثانـى** 1 : 51 وترجمة الثانى فى **دوحة الناشر** : 90

يروى عن الشيخ عبد الحق السنباطى ، عن الامام شيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر العسقلانى صاحب التآليف التى منها **فتح البارى فى شرح البخارى** ، وأسانيد ابن حجر مذكورة فى فهرسته . ويروى العلقمى المذكور أيضاً عن أخيه شارح **الجامع** للجلال الاسيوطى ، وللعلقمى المذكور شيوخ ءاخرون .

وأخذ شيخنا صاحب الترجمة عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الرملى عن القاضى زكرياء الأنصارى عن ابن حجر أيضاً .

وأخذ شيخنا صاحب الترجمة أيضاً عن الشيخ على بن أبى بكر الملقب نور الدين القرافى ، عن الامام الاسيوطى ، وأسانيد الاسيوطى وتآليفه معروفة ، قرأ عليه صدراً من البخارى ، وشيئاً من **الموطأ** وفاتحة الكتاب بسندها ، وأجاز له كل ما يجوز له وعنه .

وأخذ صاحب الترجمة شيخنا شهاب الدين حفظه الله عن مفتى مصر أبى الحسن على بن غانم المقدسى الحنفى ورواياته مشهورة .

وأخذ شيخنا أيضاً عن الامام أبى عبد الله البهنسى ، وتآليفه مشهورة .

وأخذ أيضاً شيخنا المذكور عن الشيخ الامام ، حامل لواء الفقه المالكى ، سالم السنهورى رحمه الله ، والشيخ سالم يروى عن نجم الدين الغيطى ، وعن الولى العالم الشيخ البنوفرى وغيرهما من أعلام عصره ، أخذ شيخنا صاحب الترجمة عن الشيخ سالم المذكور **الشفا** للامام أبى الفضل عياض ، **والفية العراقى** وصدراً من البخارى .

ومن أشياخ صاحب الترجمة حفظه الله الشيخ منصور المنوفى ، أخذ عنه **الفية العراقى** وقرأ عليه قليلا من البخارى وسمع عليه من سير ابن اسحاق وشيئاً

من تصريف العزى ، والشيخ منصور المذكور يروى عن نجم الدين الغيطى وشاركه في القاضى زكرياء الأنصارى رحمهم الله .

وأخذ شيخنا صاحب الترجمة أيضاً عن الشيخ أحمد بن الامام عبد الحق السنباطى ، وأجازه كتابه المنظوم الذى جمع سبعة عشر علماً وشرحه أيضاً ، عارض به نقاية السيوطى وزاد عليه ، ويروى الشيخ المذكور عن نجم الدين الغيطى وغيره .

وأخذ صاحب الترجمة أيضاً شيخنا شهاب الدين حفظه الله عن الامام عبد الرحمان بن فهد العمرى المكى محدثها ، قرأ عليه البخارى بتمامه ، **ومشكاة المصابيح** للتبريزى ، **والمقدمة** لابن حجر **لفتح البارى** ، وألفية العراقى بكمالها ، والبيضاوى فى التفسير بكماله ، وابن فهد المذكور يروى عن عمه عبد العزيز بسنده المشهور .

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضاً الامام الشهير أبو زكرياء يحيا بن محمد الحطاب التاجورى الأصل المكى الدار ، قرأ عليه بعض مختصر خليل ، وبعض الموطأ رواية يحيا بن يحيا الليثى ، والخزرجية بشرحه لها المسمى بعيون الغامز ومناسك خليل بشرح والده بكمالها ، وأجازه الحديث والفقه وشرح والده لمختصر خليل الذى أخرجه هو أعنى الشيخ يحيا من مبيضته ، الى غير ذلك من شيوخه المذكورين فى فهرسته .

قلت وقد أجازنى شيخنا شهاب الدين بن أبى العافية صاحب الترجمة أسماه الله جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وما أخذ عن هؤلاء الأعلام المذكورين هنا وغيرهم ، وكتب لى بذلك بخطه ثلاث مرار ، مرة بفاس المحروسة ، ومرتين بحضرة الامامة مراكش حاطها الله ، وكان تاريخ ذلك يوم عرفة المعظم من عام تسعة وألف بالمحلة المنصورية أعلا الله كلمتها ظاهر مراكش حماها الله ، وأما تاريخ اجازة فاس فبعد ذلك بأشهر .

فمن جملة ما أجازنيه بعد أن قرأته عليه كتاب أبي القاسم الحوفي الشهير في الفرائض أجازنيه عن شيخه أبي راشد يعقوب اليدري ، عن ابن غازي ، عن أبي العباس أحمد المزكلدي ، عن أبي حفص عمر الركراكي بسنده ، ح وأجازنيه أيضا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي ، عن أبي القاسم بن ابراهيم المشترائي ، عن أبي العباس أحمد الدقون ، عن محمد بن يوسف المواق ، عن المنتوري صاحب الفهرسة ، عن ابن جزي ، عن أبي عبد الله بن ربيع ، عن الاستاذ أبي علي الشلوبين ، عن مؤلفه القاضي الورع الزاهد أبي القاسم أحمد بن محمد بن خلف بن عبد العزيز الكلاعي الاشبيلي الشهير بالحوفي رحمه الله تعالى ، وحين بلغنا في قراءة الكتاب الى الخلاف بين البصريين والكوفيين في مسألة الانكسار على ثلاث فرق ، أنشدني شيخنا ابن أبي العافية المذكور لنفسه حفظه الله :

الوفق للكوفي والوقف للبصري
فحققن هذا تظفر بالوفي

وأجازني شيخنا المذكور تلخيص ابن البناء بعد قراءته عليه عن أبي راشد يعقوب اليدري عن أبي الحسن بن هارون ، عن ابن غازي ، عن أبي العباس المزكلدي عن أبي حفص عمر الرجراجي ، عن أبي زيد عبد الرحمان بن سليمان اللجائي ، عن مؤلفه ابن البناء الأزدي المراكشي رحمه الله . ح وأجازنيه أيضا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي ، عن أبي القاسم بن ابراهيم المشترائي ، عن أبي العباس الدقون ، عن أبي عبد الله المواق ، عن المنتوري ، عن ابن السراج ، عن محمد بن سعيد الرعيني ، عن مؤلفه أبي لعباس بن البناء رحمه الله ، وأجازني جميع تآليف ابن البناء بهذين السندين (135)

(135) في الطرة امام هذه الفقرة ما نصه :

هذا يكتب بعد قولي : قلت ، لأنه المقدم في الاجازات ، وسنكتبه هناك ان شاء الله عند اخراجه من هذه المسودة

وأجازني شيخنا المذكور حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن الشيخ المسن سيدى ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر العلقمي الشافعي حافظ أهل زمانه ، المنفرد بعلم الحديث واتقانه بالديار المصرية ، قال وهو أول حديث سمعته منه وأملاه على بلفظه ، ولفظه عن شيخ الاسلام عبد الحق السنباطي ، وهو أول حديث سمعه منه ، عن شيخ الاسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن على العسقلاني الشهير بابن حجر شارح البخاري وهو أول حديث سمعه منه . عن الزين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو أول حديث سمعه منه ، عن الصدر أبي الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم الميدومي ، وهو أول حديث سمعه منه ، عن الشيخ أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني ، وهو أول حديث سمعه منه ، عن أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو أول حديث سمعه منه. قال حدثنا أبو سعد اسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري . وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا والدي أبو صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه. قال حدثنا أبوطاهر محمد بن محمد بن عبش الزيادي وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيا بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثنا عبد الرحمان بن بشر بن الحكم النيسابوري ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا سفيان بن عيينة ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الراحمون يرحمهم الرحمان ، تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

هذا حديث حسن أخرجه الامام وكذا الحميدي في مسنديهما عن سفيان ابن عيينة ، والبخاري في بعض تصانيفه عن عبد الرحمان بن بشر ، وأبو داود في سننه عن مسدد ، وقال فيه الترمذي انه حسن صحيح .

ويروى شيخنا المذكور الحديث المذكور أيضا عن الشيخ عبد الرحمان بن فهد المكي العمرى ، عن عمه عبد العزيز عن ابن حجر وعن جماعة ، ويرويه أيضا عن الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد الرملي الأنصارى الشافعى ، عن القاضى زكرياء الأنصارى عن ابن حجر به .

ويرويه أيضا عن الشيخ الامام الحافظ الحجة أبى الحسن على بن محمد بن على الشهير بابن غانم المقدسى الخزرجى الحنفى ، عن جماعة من أصحاب ابن حجر به ، وأجازنى حفظه الله الحديث المذكور من هذه الطرق كلها .

وأجازنى أبقاه الله الفاتحة بعد أن قرأتها عليه بمد مالك(136) ، بحق روايته لها كذلك عن الشيخ أبى الحسن على بن أحمد بن على الأنصارى القرافى الشافعى ، بقراءته لها على قاضى القضاة المالكية بمصر أبى عبد الله محمد بن ابراهيم التتائى شارح خليل والارشاد وغيرهما ، بقراءته اياها على برهان الدين اللقانى ، بقراءته أياها على علم الدين سليمان معلم أولاد الجان ، بقراءته أياها على شمهروش قاضى الجان ، بقراءته أياها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأجازنى شيخنا المذكور أبقاه الله موطأ امامنا مالك بن أنس رضى الله عنه رواية يحيا بن يحيا الليثى . عن الشيخ أبى راشد يعقوب بن يحيا اليدرى ، عن الشيخ أبى الحسن على بن موسى بن هارون المطغرى ، عن الشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن غازى العثمانى ، قال أخبرنى به الامام أبو عبد الله محمد بن الحسين النيجى الشهير بالصغير ، قال أخبرنى به الامام أبو عبد الله السلوى ، عن أبى شامل الشمنى ، قال أخبرنى عبد الوهاب الأسكندرى بقراءتى عليه بها ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد الدمامينى سماعا ، قال أخبرنا الخطيب أبو الحسن يحيا بن محمد بن الحسين بن عبد السلام التميمى ، قال أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى ، قال أخبرنى أبو محمد عبد الله بن

(136) من آية ملك يوم الدين

محمد بن علي الحجري ، أخبرنا أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن بقي (137) وأبو جعفر أحمد بن عبد الرحمان بن محمد البطروجي ، وأبو الحسن يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أخبرنا أبو عيسى يحيا بن عبد الله ، أخبرني عم أبي عبيد الله بن يحيا أبو مروان ، أخبرني أبي يحيا بن يحيا الليثي .

قال حفظه الله ، وأرويه أيضا عن أبي راشد المذكور ، عن أبي محمد عبد الرحمان سقين ، عن الامام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السخاوي المصري الشافعي ، عن أبي اسحاق ابراهيم بن علي البيضاوي ، عن أبي اسحاق ابراهيم بن موسى سماعاً ، وأبي اسحاق ابراهيم بن فرحون المالكي ، وأبي اسحاق التنوحي اجازة عن أبي عبد الله محمد بن جابر الواديءاشي (138) ، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي ، عن أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي ، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخزرجي ، عن أبي عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع ، عن القاضي أبي الوليد يونس الصفار بسنده فيها السابق، قال لي شيخنا حفظه الله : وأرويها أيضا بسند العلقمي والمقدسي والرملي الى ابن حجر بما في فهرسته لها من الأسانيد .

وأجازنيها أيضا بهذا السند الذي ذكر لي ، وبسند آخر وهو الى ابن غازي كالأول، قال ابن غازي أخبرنا اجازة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي عن أبيه قراءة عليه ، قال قرأت جميعه بحرم الله تعالى الشريف على امام مقام المالكية به قاضي القضاة نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري ، وتناولته من يده متلفظاً بالاجازة فيه ، ومقدار النصف منه أيضاً عن المسند المعمر بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن

---

137) في الطرة امام هذا الاسم ما يلي :
بقي هنا شيء يدل عليه ما بعده في الروايات الآتية ، فتأمله
138) في الهامش امام اسم ابن جابر ما يلي :
سندنا في فهرسة ابن جابر

محمد المخزومى الدمامينى الشافعى بشارع المرجانى من ثغر الاسكندرية حرسه الله تعالى ، وناولنيه وأجازنيه وأنبأنى به مولاى الجد الخطيب أبو عبد الله فـي اجازته من غير واحد بسماع الأول على جماعة ، منهم أمام المقام الكريم ضياء الدين أبو الفضل محمد بن خليل بن عبد الرحمان بن محمد بن عمر القسطلانى المالكى بسماعه له على الحافظ فخر الدين أبى عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى بقراءته له غير مرة على أبى القاسم محمد بن محمد سراقة الانصارى . ح ، وبه لابن غازى قال : وباجازة الأول أيضاً أعلا من هذا . . . . من أقضى القضاة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن عثمان بن موسى القرشى الفهرى الآمدى الحنبلى ، قال أنبأنا به الحافظ المسند شرف الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدى اجازة ، ح ، وبه لابن مرزوق قائلا : وبقراءة الجد الخطيب بالاسكندرية على الامام شهاب الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم المرادى القرطبى ، قال أنبأنا بجميعه جماعة ، منهم الامام المعمر الكاتب أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبى سماعاً عليه ، قال هو وابن سراقة وابن مسدى أنبأنا قاضى الجماعة أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقى قراءة بقراءته له على الفقيه أبى عبد الله بن عبد الحق بن أحمد بن عبد الحق الخزرجى ، واجازة له مع المناولة من القاضى أبى مروان عبد المالك بن مسرة اليحصبى ، وقرأ عليه صدراً منه ، ومن القاضى أبى مروان عبد الرحمان بن محمد بن قزمان ، وقرأ عليه بعضه وهو يسمع ، وأجازته المجردة من الشيخ أبى الحسن على بن أحمد بن أبى بكر الكنانى المقرئى . ح ، قال ابن مسدى وأنبأنا الامام أبو الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن واجب القيسى سماعا عليه ، قال أنبأنا به أبو مروان بن قزمان المذكور سماعا عليه . ح ، وبسماع الثانى لجميعه من الشيخ الامام الخطيب جـلال الدين أبى الحسن يحيا بن محمد بن الحسن التميمى سنة سبعة عشرة وسبعمئة ، وقراءة المولى الجد الخطيب لبعضه ومناولة سائره من يد ناصر الدين المشدالى بسماعهما من أبى عبد الله محمد بن

عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السبتى المرسى بسماعه من أبى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجرى ، قال أنبأنا به الامام أبو القاسم أحمد بن . . . . . ابن أحمد بن بقى ، والحافظ أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمان البطروجى قـراءة عليهما لجميعه ، قالوا ستتهم أنبأنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع سماعاً عليه بسماعه من القاضى أبى الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث بسماعه من أبى عيسى يحيا بن عبد الله بن أبى عيسى بسماعه من عم أبيه أبى مروان عبيد الله بن يحيا بسماعه من أبيه يحيا بن يحيا بسماعه من الامام مالك الا الأبواب الثلاثة المشكوك فيها فعن زيادة عن مالك سند عال جليل متصل بالسماء .

وأجازنى شيخنا أبقاه الله صحيح البخارى عن الشيخ ابراهيـم بـن عبد الرحمان العلقمى ، عن عبد الحق السنباطى ، عن الامام ابن حجر .ح ، وعن الشيخ عبد الرحمان بن فهد ، عن عمه عبد العزيز ، عن ابن حجر بما فى فهرسته .

وأجازنى حفظه الله جميع تآليفه وما له من منظوم ومنثور ، كل ذلك بشرطه المعتبر المأثور ، وكتب لى حفظه الله بجميع ذلك خطه ، ونص ما كتب بخطه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ما ذكره السيد الفقيه المشارك المتفنن الحافظ النبيه أبو العباس أحمد بن السيد الأجل الأكمل أبى عبد الله سيدى محمد المقرى القرشى صحيح ، وكتب أقل عبيد الله تعالى أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن عبد الرحمان بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى خار الله له وهيأ له رشداً من أمره . وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، وأجزت له الفهارس التى أذكرها بأسانيدها الى أربابها وما اشتملت عليه من المقروآت والمجازات والمسموعات وغير ذلك .

منها **فهرسة الشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثمانى المكناسى** (139) ، أجزته أبقاه الله تعالى بمنه بها عن الشيخ أبى راشد يعقوب بن يحيا اليدرى والشيخ أبى العباس سيدى أحمد بن على المنجور ، كلاهما عن الشيخ الامام المفتى الحافظ أبى الحسن على بن موسى بن هارون المطغرى عن مؤلفها ابن غازى وبجميع تآليفه .

فهرسة الامام شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى ، أجزته أصلح الله حاله بها عن الشيخ البرهان سيدى وسندى أبو سالم ابراهيم ابن عبد الرحمان بن أبى بكر العلقمى المصرى ، عن الشيخ عبد الحق السنباطى . **ح** ، وعن الامام أبى عبد الله سيدى محمد بن أحمد الرملى الأنصارى الشافعى ، عن القاضى زكرياء الأنصارى ، كلاهما عن ابن حجر المؤلف .

فهرسة الامام ابى عبد الله المنتورى رحمه الله تعالى بمنه ، أجزته بها أصلحه الله وسدده عن الشيخ الاستاذ أبى عبد الله محمد بن يوسف الترغى المستارى ، عن الشيخ الاستاذ أبى القاسم بن ابراهيم المشترائى ، عن أبى العباس أحمد الدقون الصنهاجى ، عن أبى عبد الله محمد بن يوسف المواق الغرناطى ، عن أبى عبد الله المنتورى المؤلف .

فهرسة أبى جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى بمنه ، أجزته بها نفع الله به بالسند لابن غازى عن أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم محمد بن يحيا بن محمد النفزى الحميرى الشهير بالسراج الرندى ، عن أبيه عن جده عن أبى البركات البلفيقى ، عن أبى جعفر بن الزبير عن المؤلف .

(139) اسم هذه الفهرسة : التعلل برسوم الاسناد ، بعد ذهاب أهل المنزل والناد

فهرسة الشيخ أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي ءاشي ، أجزته بها بالسند قبله للسراج ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي الحجاج يوسف بن . . سين بن أبـي بكر التسولي ، عن أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي المؤلف .

رحلة ابن رشيد الشيخ الامام محمد بن عمر بن رشيد الفهري ، أجزته بها بالسند قبله للسراج ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي العباس أحمد القباب الفاسي ، عن يحيا بن محمد بن عمر بن رشيد ، عن أبيه محمد بن عمر المؤلف .

مصنفات العراقي : عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله تعالى بمنه . أجزته بها بالسند لابن حجر عنه .

مصنفات أبي العباس أحمد بن أبي محمد البرنسي الشهير بزروق رحمه الله تعالى ، أجزته بها عن أبي زكرياء يحيا بن محمد الحطاب المالكي التاجوري النجار عن أبيه محمد عنه ، وعن أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضري ، عن أبي عبد الله الخروبي عنه .

مصنفات خليل بن اسحاق المالكي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، أجزته بها عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الرملي ، عن زكرياء الأنصاري ، عن أبي النعيـم رضوان العقبي ، عن البدر حسين البوصيري خاتمة أصحاب خليل ، عنه . وصلى الله على سيدنا محمد وءاله انتهى .

هذا نص كتابه حفظه الله حسبما كتب لي بذلك خطه ورواياته حفظه الله في جملة أحاديث وفي قصائد مسلسلات ، وغير ذلك وهو كثير جداً لا تسعه هذه العجالة ، ولا يبقى ببعضها الا تأليف مستقل .

وأما تآليف شيخنا صاحب الترجمة أسماه الله فكثيرة ، منها : **درة الحجال في غرة أسماء الرجال** في سفرين ضخميـن جعله تذييـلا لوفيـات ابن خلكـان رحمه الله

ومنها **المنتقا المقصور ، على ماثر الخليفة أبى العباس المنصور** ، ضمنه من ماثر أمير المؤمنين نصره الله كل غريب

ومنها **درة السلوك ، فيمن حوا الملك من الملوك** ، تأليف منظم ، عارض به **رقم الحلل فى نظم الدول** ، للسان الملة أبى عبد الله بن الخطيب السلماني رحمه الله .

ومنها شرحه عليه المسمى **بدرر الملوك فى شرح درة السلوك .**

ومنها **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد** . ذيل به وفيات ابن الخطيب القسنطينى الشهير بابن قنفذ .

ومنها **القانون الوفى بجداول الحوفى** ، وهو كتاب عجيب فى بابه ، ولما رفعه الى أمير المومنين نصره الله كتب على أول ورقة منه بيتين من نظمه ، وهما :

لما رأيت مقامك السامى الذى	ملك العلا والنصر صار مطيعا
أيقنت أنك وارث الدنيا لذا	أهديت علم الارث فيه جميعا

ومنها **الفتح النبيل بما تضمنه من أسماء العدد التنزيل** ، وكتب عليه أيضاً :

لما ملكت من المفاخر والعلا	ما لا يعد بظاهر الأحساب
أهديت علم العد فيه جميعه	كيما يعين أكبر الحساب

ومنها **غنية الرائض فى معرفة أهل الحساب والفرائض .**

ومنها **مدخل فى الهندسة .**

ومنها **نظم تلخيص ابن البناء .**

ونظم منطق السعد ، ضاعا معاً فى أسره ، ولا حول ولا قوة الا بالله

ومنها **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس** ، وهو كتاب جامع طالعته فرأيت فيه عجائب تدل على غزارة حفظ مؤلفه ، وقد ذكرنا فى ترجمة الكاتب الوجدى حفظه الله الأبيات (140) التى مدح بها هذا الكتاب ، وقد مدحته أنا ، وكتب مؤلفه حفظه الله على أول ورقة منه مخاطباً لأمير المؤمنين نصره الله وأدام وجــوده :

كان الملوك اذا تعاظم قدرهم	أمروا بتثبيت العلا ترسيخا
جمعوا لهم فى الكتب أخبار الورا	فجمعت من أخبارك التاريخا

ومنها **نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل** ، عهدى به قارب اتمامه . فهذه التآليف كلها رفعها للخزانة المنصورية الأحمدية العلوية عمرها الله وقد فعل ، فهو المسؤول سبحانه أن يديم وجود أمير المومنين ويعلى كلمته بمنه وكرمه ويبقى نصره .

ومنها فهرسته المسماة **برائد الفلاح فى ذكر ما لى من الأسانيد الصحاح** . وقد اشتملت على فوائد .

هذا ما علمت من تآليفه حفظه الله .

وفى مدح تآليفه البديعة يقول الكاتب البارع الأديب المكثر البليغ أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملى رحمة الله عليه :

مصنفات ابن أبى العافيه	أحيت رسوم الأدب العافيه
وأطلعت شموسه بعد أن	كانت زمانا كالسها خافيه
وشنفت وقرطت عصرنا	وألبسته حللا ضافيه

(140) انظر صفحة 83

23 ـ أحمد بن أبى القاسم التادلى

الشيخ العارف الناسك الصالح العلم الحجة المؤلف المفيد السنى ، أبو العباس أحمد بن أبى القاسم التادلى .

لقيت هذا الشيخ حفظه الله بحضرة الامامة حاطها الله ، وأخذت عنه واستفدت منه ، وهو نفع الله بعلومه ءاية من ءايات الله فى المجاهدة ، لا يكاد يفتر عن ذلك أصلا ، استغرق نهاره وليله بأنواع الطاعات ، من صلاة وذكر وقراءة قرءان واقراء علوم الحقيقة ، شاهدته وكثير من تآليفه يقرأ بين يديه ، وشاهدت من كثرة حفظه لحكايات الصالحين عجباً ، يذكر بكل محل ما يناسبه ، ومع ذلك يأتى أيضاً ببعض الحكايات التاريخية ، وله ولوع باقتناء الكتب والمطالعة .

وقد قصد الناس زيارته حفظه الله ورضى عنه من البلاد الشاسعة ، ورأيته يوم الجمعة بجامع الكتبيين من الحضرة الامامية حاطها الله والناس يزدحمون على تقبيل يده وطلب الدعاء منه حتى لا يخلص منهم الا بعد جهد نفعهم الله بنياتهم .

وقد استجزته رضى الله عنه فأجازنى كل ما تجوز له وعنه روايته وجميع تآليفه وما أخذ عن شيوخه ، كالامام الشهير أبى عبد الله الخروبى الطرابلسى (141) وغيرهم ممن يطول تعداده .

فمن تآليفه رضى الله عنه **سراج الباحث فى شرح المباحث** ، فى ثلاثة أجزاء ، ومختصره مختصر مختصره ، ومنها **الدرة النفيسة فى فضائل الأدعية الشريفة ، والزهرة المنيفة** فى فضل **حزب المريد الحاذق** ، ومنها **لباب اللباب فى معاملة الملك الوهاب** ، ومختصره فى جزءين ، ثم مختصره يطلع فى جزء واحد ، ومنها

141) محمد بن على الخروبى الطرابلسى المنشأ نزيل الجزائر ودفين خارجها من أهل الحديث والفقه والتصوف والصلاح ، ورد على المغرب فى غرض السفارة من السلطان العثمانى الى السلطان السعدى ، توفى سنة 963 انظر ترجمته فى **الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** 4 : 150

الزهرة العالية فى فضائل الوسيلة الكافية ، ومنها **بداية المريد المقدام ، ومقدمات الأحلام فى تحقيق مبادىء الاسلام** ، ومنها **تصحيح البداية وتحقيق النهاية** ، ومنها **مطلع الأنوار السنية فى بعض معانى الحكم العطائية** ، يطلع فى أربعة أجزاء ، ومختصره فى جزءين ، ومختصر مختصره فى جزء واحد . ومنها **بداية المريد فى الجد والمجاهدة ، وتحقيق المراقبة والمشاهدة** ، ومنها **نزهة الناظرين ومصباح السالكين وشمس العارفين فى بعض معانى مقامات السالكين** للامام الهروى المعروف بشيخ الاسلام ، فى سفرين ، ثم مختصره ومختصر مختصره ، ومنها أرجوزة **مفتاح السعادة** على بيان المقامات العشرة ، التى ذيل الأنصارى واختصرها ابن العريف ، وهى تنيف على ألف بيت ، ومنها **رجز** يحتوى على من لقيه من العلماء الأعلام وأرباب التصوف أهل المقام . ومنها **نور المصباح فى فضائل حزب الفلاح** ، يحتوى على جزء ، ومنها رجز على الحكم سماه **نتائج الأفكار** ينيف على ألف بيت ، ومنها **كتاب فى الحض على المعروف** ، شرح رجز له على الأربعين حديثا التى احتوت على فعل المعروف واغاثة الملهوف ، ومنها رجز أسماه **نصيحة الضعيف ، الراغب فى ذروة المنيف** ، ومنها ءاخر سماه **وسيلة الصديق يصل به لكعبة التحقيق** ، ومنها **غنيمة الدهر** فى الأدعية والاذكار وبعض فضلها واسم الله الأعظم **وشرح جزب البحر** ، ومنها **شرح الشريشية على مقامات الصوفية** لأبى العباس الشريشى ، وهى رائيته الشهيرة ، ومنها **ماءثر الشيخ أبى يعزا** رضى الله عنه ونفعنا به ، ومنها أيضا **ماءثر الشيخ سيدى أبى مدين ، والشيخ سيدى أبى العباس السبتى** رضى الله عن جميعهم ، ونفعنا بهم ، ومنها **شمس المراسم فى معرفة الولى وحقيقة الولاية والقطب والغوث والخاتم** ومنها أجوبة أبى العباس احمد بن عبد الله السجلماسى عن حقيقة الولى والقطب وما يتعلق بذلك من الأسرار ، وما لهم من بعض حقائق الأنوار ، سماه **انشاد الشريد الى مقامات حقائق التفريد** ، ومنها **شرح** ءاخر غير الذى تقدم **على الحكم العطائية** فى ثمان وسبعين كراسا ، ومنها

حزب **الوسيلة الكافية لمن أراد أن يختم الله له بالعافية** فى الدنيا والآخرة تقرأ صباحا ومساء ، ومنها **حزب المريد الحاذق** ومنها **حزب الفتح المستبين** الى غير ذلك من تآليفه رضى الله عنه التى لم تحضرنى الآن تسميتها ، ويوم استجزته حفظه الله ونفع به أخرج لى ستين مجلداً كلها من تصنيفه وأجازنيها على الشرط المألوف المعتبر عند أهله ، وأجازنى جميع ما له من منظوم ومنثور وأدعية وأذكار ، وكل ما رواه عن شيوخه أيمة هذا الشأن ، كالشيخ أبى عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابلسى ، والخروبى المذكور أخذ عن الامام الشهير الحجة ، سيدى أبى العباس أحمد بن محمد زروق ، وأخذ زروق عن الشيخ أبى الخير السخاوى وغيره ممن ذكر فى تآليفه رضى الله عنه .

وأجازنى أيضا أسماه الله ما تحمله عن شيخه السيد الامام سيدى يعزا الجزولى ، عن سيدى محمد الحطاب امام الحرم ، عن الشيخ زروق ، وبمثل ذلك عن سيدى محمد بن عبد الرحمان الشريف عن بركـ . . . الحطاب عن أبيه عن الشيخ زروق ، وبمثل ذلك عن ابى محمد عبد الله الوردى ، عن طاهر بن زيان ، وصافحنى رضى الله عنه وشابكنى كما صافحه وشابكه الخروبى وغيره بالسند المتقدم الى الامام زروق ، وباقى ذلك فى تأليف الشيخ زروق ، وأذن لى رضى الله عنه فى لبس الخرقة من طريق سيدى عبد القادر وسيدى أبى الحسن الشاذلى ، وسيدى أبى مدين رضى الله عنهم ، وأفاض علينا من أنوارهم ، وكتب لى حفظه الله وأسماه خطه بذلك يوم خروجى من حضرة الامامة حاطها الله ، وهو يوم السبت الخامس عشر من ربيع الثانى من عام عشرة وألف سنة ، كل ذلك بمنزله بحارة ياسر من الحضرة المراكشية حماها الله ، وكان له ، نفع الله بعلومه ، زاويه بتادلة كلأها الله يطعم بها أبناء السبيل ، وقد سكن الآن حضرة الامامة وترك أحد أولاده بالزاوية المذكورة مقتفيا سننه فى ذلك ، سلك الله بالجميع أحسن المسالك

وله سبط اسمه عبد العزيز من أعيان أهل الطلب ، مجتهد فى القرءان ، قد لازم شيخنا الامام أبا العباس أحمد الشهير بابا من أهل السودان أعانه الله .

وقد سألنى صاحب الترجمة وأكد على أن أستجيز له مولانا العم ، المفتى العلم ، أبا عثمان سيدى سعيد ابن مولاى الجد أبى العباس أحمد بن أبى يحيا بن عبد الرحمان بن أبى العيش المقرى أدام الله وجوده ، وما ذلك الا لحرص صاحب الترجمة حفظه الله على أنواع العلوم ، والا فقد شارك مولانا العم فى الخروبى وغيره ، وقاربه فى السن لأنه أناف على الثمانين ، والله تعالى يديم وجود كل من فيه مصلحة للخلق من ملك ذى عدل ، أو فقيه ذى فضل ، بمنه وكرمه .

24 ـ أحمد بابا التنبكتى السودانى

الشيخ المؤلف الكبير المصنف العلم الطائر الصيت ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت .

لقيته بمراكش حضرة أمير المومنين مولانا المنصور أيد الله أمره ، وانتفعت به واستفدت منه ، وكنت كثيراً ما أذهب معه الى زيارة الصالحين بحضرة الامامة مصحوبين بجملة أعلام ، فنتذاكر فى طريقنا فنوناً جمة ، وأعارنى جملة كتب من خزانته الفريدة ، المبدئة فى اقتناء الغرائب المعيدة . وأجازنى جميع تآليفه المفيدة ، وكتب لى خطه بذلك مراراً عديدة .

فمن تآليفه شرحه على مختصر خليل لم يكمل ، رأيته من الزكاة الى النكاح فى سفرين ، وهو من تجزئة خمسة أسفار ، وسماه **المقصد** .

ومنها **تنبيه الواقف على مسالة** « **وخصصت نية الحالف** » فى كراس .

ومنها تعليق على الألفية مسمى بـ **(النكت الوفية لشروح الألفية)** وءاخر عليها أيضا لم يكملا .

ومنها **فتح المحيى ، فى مسالة حيى** ، فى ورقتين ، شرح على قول الألفية (وحيى افكك) البيت .

ومنها **المسك الأنم ، الى معرفة هلم** ، فى كراسين .

ومنور الحالك فى شرح بيتى ابن مالك اللذين نظمهما فى لغات أيمن .

ومنها **نيل الامل فى تفضيل النية على العمل** ، فى شرح حديث نية المومن ابلغ من عمله مع حديث الصحيحين (اذاهم عبدى) الحديث .

وءاخر فيه ، مسمى **غاية الأمل فى تفضيل النية على العمل .**

ومنها **غاية الاجادة فى مساواة الفاعل للمبتدأ فى شرط الافادة** ، فى كراسين .

وءاخر سماه **النكت المستجادة فى مساواتهما فى شرط الافادة .**

ومنها **التحديث والتأنيس فى الاحتجاج بابن ادريس** ، فى اللسان ، فى اربع ورقات .

واختصار شرح صغرى السنوسى فى اربع كراريس .

ومنها **اختصار ترجمة السنوسى** فى ثلاث كراريس ، اختصره من **المواهب القدوسية فى المناقب السنوسية** للشيخ سيدى محمد بن عمر الملالى رضى الله عنه.

ومنها **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ذيل به **ديباج ابن فرحون** واستدرك عليه نحو السبعمئة ترجمة ، وقد وهب لى مسودته وكتب لى الاجازة على ظهر أول ورقة منها . ونصها :

« الحمد لله كما هو أهله ، وأفضل صلاته على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، يقول كاتبه الفقير أحمد بابا ابن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت لطفه الله بهم ووفقه لمرضاته ، أجزت الفقيه الحافظ المتفنن النبيه سيدى أبى العباس أحمد بن محمد المقرى من قرابة الامام العلامة أبى عبد الله المقرى قاضى الجماعة رحمه الله ونفعنا به ءامين . أن يروى عنى هذا التعليق فى التاريخ وجميع ما جمعته فى الفنون ، وذكر حفظه الله فى هذه الاجازة جميع التآليف

المتقدمة ، وزاد **الحواشي على خليل** ، **وجلب النعم ودفع النقم في مجانبه الظلمة ذوي الظلم** ، في كراسين في غاية الاتقان في موضوعه . وجزء في **تكفير الكبائر بالاعمال الصالحة** وسببه كلام الامام ابن مرزوق في ذلك في غاية الافادة ، **وترتيب جامع المعيار** مع الزوائد عليه ، قال كتبت منه مسائل التوحيد والتفسير ، وشرح **العقيدة البرهانية** للسلالجي لم يكمل ، **ومطلبي ومأربي** ، **في أعظم اسماء ربي** ، في كراسة ، **وتعليق على مواضع من خليل** ، وعلى **مواضع من ابن الحاجب** ، ومسائل متضمنة فنوناً في صورة أسئلة ، قال وجهتها لفاس ومراكش وغيرهما ، قال وأجزته غير ذلك مما جمعته في العربية والفقه والحديث . قال وأجزته أيضاً أن يروي عني جميع مختصر الشيخ خليل بحق قراءتي له قراءة بحث وتحقيق وحضوري أيضاً كذلك على شيخنا الامام الولي الصالح القدوة الفهامة سيدي محمد بغيع الونكري(142) نحو عشر مرات في أزيد من عشر سنين، بحق قراءته له على سيدي أحمد بن سعيد الفقيه الحافظ المحقق الصالح القدوة حفيد سيدي البركة محمود بن عمر وهو حضر فيه قراءة بحث على جده لأمه البركة أبي الثناء سيدي محمود بن عمر الفقيه الامام الولي الصالح المشهور . ح ، وأجازنيه أيضاً في عموم اجازته سيدي الفقيه المتفنن العلامة والدي أحمد بن محمد بحق قراءته له على عمه سيدي محمود بن عمر المذكور ، بحق قراءته له هو على الشيخ عثمان المغربي ، على العلامة نور الدين السنهوري ، على العلامة البساطي وغيره ، عن أصحاب خليل بهرام والأقفهسي وغيرهما ، عن مؤلفه خليل رحمه الله ، ولنافيه طرف غير هذا ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، كتبه الفقير أحمد بابا بتاريخ أواسط المحرم من عام عشرة وألف .

وكتب لي أيضاً يوم خروجي من مراكش حماها الله في ذلك ما نصه : الحمد لله وكفى ، وسلام على سيدنا محمد المصطفى ، وءاله وصحبه أولي الخير والوفا . وبعد فيقول العبد الفقير ، ذو القصور والتقصير ، أحمد بابا ابن الفقير أحمد بن

---

142) محمد بن محمود بن ابي بكر الونكري التنبكتي المعروف ببغيع بباء مفتوحة ، فغين معجمة ساكنة فياء مضمومة ، فعين مهملة مضمومة ، ويكتب أحياناً بغيغ وهو خطأ . فقيه شهير من كبار علماء السودان المغربي قال الشيخ احمد بابا لا يبعد عندي ان يكون هو العالم المبعوث على رأس هذا القرن ، ولد عام 930 وتوفي عام 1002 انظر ترجمته في **نيل الابتهاج** ص 341

الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت خار الله له في أموره ، وحفظه من غير الدهر وشروره ءامين ، لما يسر الله تعالى لي ملاقاة السيد الفقيه المتفنن اللبيب المحصل الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المقرى من ذرية الامام الأكبر ، العالم الأشهر ، أبي عبد الله المقرى التلمساني نفعنا الله ببركته ، جالسته وحادثته واستفدت منه فوائد ، طلب مني أعلا الله شأنه أن أجيزه في الحديث وفيما لي به رواية من كتبه فأسعفته بذلك لأنه أهل لذلك وزيادة فأقول وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب ، أجزت الفقيه المشار اليه أسعده الله تعالى أن يروى عني جميع ما يجوز لي وعني روايته مما أخذته من شيوخنا وسادتنا الفضلاء معقولها ومنقولها متى شاء وبأى لفظ شاء على شرطه المعتبر ، عند أهل الأثر ، وهو البراءة من التصحيف والتحريف ، فمن ذلك **موطأ** امامنا الأعظم امام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، والصحيحين البخارى ومسلم، **والشفا** لأبي الفضل عياض(143) وغيرها من الكتب الستة وغيرها من الأجزاء الحديثية وكتب الفقه ، وسندها كلها يطول الآن كتبه ولنكتب ما لا بد منه .

أما صحيح البخارى فأرويه عن جماعة منهم سيدى والدى سماعاً منه مراراً بقراءته هو مع الاتقان والتحقيق ، وسيدى شيخنا العالم الصالح المحقق محمد بن محمود بغيع سماعا منه أيضا ، وهما يرويانه سماعاً عن شيخهما الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد عرف باند عمحمد سماعاً منه غيرما مرة واجازة قائلا أخبرني به اجازة شيخنا شيخ الاسلام، قاضي القضاة أبو الفتح ابراهيم بن علاء الدين القرشي الشافعي القلقشندى قال أجازني به شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن علي بن عبد العزيز المهدوى ، أخبرنا مشافهة عن يحيا بن سعد عن جعفر بن علي الهمداني ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الديباجي اجازة ، أنبأنا عبد الله بن محمد بن محمد بن علي الباهلي ، حدثنا الحافظ أبو علي الجياني ، أنبأنا أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيا الحذاء سماعاً ، وأبو عمر

143) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي . مقدم وفيه في الحديث والتفسير والأدب والشعر والأصول والفقه والعلوم العربية صاحب الكتب الذائعة الصيت في المشارق والمغارب **كالشفاء** . **ومشارق الأنوار** . **وترتيب المدارك** . **وشرح مسلم** . **والتنبيهات** وغيرها . ولد بسبتة عام 476 وتوفي بمراكش عام 546 انظر عنه كتاب **ازهار الرياض ، في أخبار القاضي عياض وغيره مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض** تأليف أبي العباس المقرى صاحب هذا الكتاب

يوسف بن عبد الله بن عبد البر اجازة ، قالا : أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهنى أنبأنا أبو على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى ، أنبأنا أبو عبد الله امام الأيمة حجة الاسلام محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه ، ولنا فيه والحمد لله أسانيد غير هذا .

وأما صحيح مسلم فأرويه أيضاً سماعا عن سيدى الفقيه المحدث العالم المتفنن والدى أحمد بن محمد ، وعن شيخنا الفقيه المحقق سيدى محمد بغيع سماعاً منه أيضاً جميعه عن شيخهما المحدث اند عمحمد المذكور فوق سماعا لهما منه لجميعه مراراً ، قائلا أخبرنا به شيخنا شيخ الاسلام جمال الدين ابراهيم بن علاء الدين اجازة ، قال أخبرنى به أبو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر ، قال أخبرنى به المسند أبو عبد الله النيسابورى مشافهة ، عن أبى الفضل سليمان بن حمزة المقدسى ، عن أبى الحسن على بن المغير ، عن الحافظ أبى الفضل السلامى، عن الحافظ ابن منده ، عن الحافظ أبى بكر الجوزقى ، عن أبى بشر مكى بن عبد الله ، عن الامام أبى الحسين مسلم القشيرى النيسابورى ، وبحق روايتى له عن شيخنا الامام محمد بغيغ عن شيخه شيخ الاسلام البرهمتوشى الحنفى ، بحق قراءته لجميعه عن الامام العلامة خاتمة المحدثين شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوحى الحنبلى عرف بابن النجار ، عن شيخ الاسلام البدر أبى السعادات محمد بن شيخ الاسلام عبد الرحمان البلقينى سنة ثلاث وثمانين وثمانمئة ، عن المسند أبى ذر عبد الرحمان بن شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشى الحنبلى سماعاً عليه واجازة ، والمشايخ المسندون الشمس محمد بن سليمان بن أبى بكر الأدرعى الدمشقى ، ومحمد بن محمد بن يوسف الذهبى الحنبلى ، والعلامة أبو الحسين على بن يوسف بن اسماعيل بن بردس ، والبدر محمد بن على بن عبد الرحمان ، والقطب موسى اليونينى البعليون اجازة . قال الأول أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد البيانى سماعاً ، وقال اللذان بعده أنبأنا به أبو

محمد عبد الرحيم بن غنائم الترمذى سماعاً ، قال أولهما لجميعه ، وقال الآخر لبعضه واجازة لباقيه ، وقال الثلاثة الباقون أنبأنا به الشهاب أحمد بن عبد الكريم بن أبى الحسين البعلى سماعاً ، قال البيانى والترمذى أنبأنا به أبو الحسن على بن مسعود بن نفيس الموصلى ، والشرف أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن تاج الأمناء أبى الفضل أحمد بن محمد ابن عساكر الدمشقى ، قال الترمذى حضورا عليهما فى الرابعة واجازة ، قال الآخر سماعا من لفظ أولهما ، زاد فقال أنبأنا به النجم أبو الفداء اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن الخباز الأنصارى الحنبلى ، والتاج أبو محمد بن صالح الجعبرى سماعاً ، قال ابن نفيس وابن الخباز أخبرنا به الشيخان الرضى ابراهيم بن عمر بن مضر بن فارس الواسطى ، وأبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى . ح ، وأخبرنى به عالياً المسند المعمر الرحلة (144) أبو السعود محمد بن محمد بن محمد العراقى سماعا عليه لمجلس الختم بسماعه له بفوت على المسند المعمر أبى الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك بسماعه عن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الهادى أنبأنا به أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى زاد ابن الخباز فقال : وأخبرنا به الأمين قاسم بن أبى بكر بن القاسم الأربلى ، وأبو بكر ابن عمر بن يونس المدنى ، والرشيد محمد بن أبى بكر بن محمد العامرى ، قال الجعبرى أنبأنا به الحافظ أبو على الحسن بن محمد بن محمد البكرى ، وقال أحمد بن عبد الكريم البعلى : أخبرتنا به زينب بنت عمر بن كندى سماعاً ، قالت هى والبكرى والأربلى والشرف بن عساكر أنبأنا به الرضى أبو الحسن المريد بن محمد بن على الطوسى ، قال الشرف والمرأة اجازة ، وقال الآخران سماعاً ، وقال ابن مضر أنبأنا به أبو الفتح منصور بن عبد الله بن عبد الله القراوى ، وقال ابن عبد الدائم أنبأنا به أبو عبد الله

144) رحلة بضم الراء وتسكين الحاء : رجل جليل القدر يرتحل اليه من الآفاق .

محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الحراني سماعاً لجميعه الا ما فاته منه مما كان مع كونه ثقة يحلف أنه أعيد له ، قال المزرى والعامرى أنبأنا به أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الجرستانى سماعاً ، قال هو وابن منده والفروى والمريد أنبأنا به فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدى الفراوى وهو جد والد أحدهم سماعاً الا الجرستانى فاجازة ، قال أنبأنا به أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسى قراءة عليه ، قال أنبأنا به أبو أحمد بن محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودى ، قال أنبأنا به أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد ، قال أخبرنا به الحافظ أمير المومنين أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى رحمه الله .

وأما كتاب **الموطأ** فأخبرنى به والدى سماعاً منه لجميعه فى نحو عشرين مجلساً ، وعن شيخنا الفقيه محمد بغيع قراءة منى عليه لجميعه واجازة ، وهما يرويانه عن شيخهما المسند الاثرى اند عمحمد بحق روايته له اجازة عن العلامة شرف الدين عبد الحق السنباطى ، قال أخبرنا به أبو الحسن على بن الفخر عثمان بن محمد البارنبائى ، عن الحافظ الشمس محمد بن عبد الرحمان السخاوى ، أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البكرى المالكى ، أخبرنا به الشرف أحمد بن عبد الرحمان بن عسكر البغدادى المالكى سماعاً ، قال أخبرنا به والدى عبد الرحمان سماعاً واجازة مقرونة بالمناولة ، أخبرنا به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولانى اذناً ، قال أخبرنا به القاضى أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث الصفار ، أخبرنا به أبو عمر عثمان بن محمد ابن يوسف اللخمى المعافرى عرف بالقسطيلى ، أخبرنا به أبو عيسى يحيا ابن عبيد الله بن يحيا بن يحيا ، قال أخبرنى به عم أبى أبو مروان عبيد الله بن يحيا بن يحيا ، قال أخبرنى به أبى يحيا ، قال أخبرنى به الامام الحجة أبو عبد الله نجم السنن مالك بن أنس الأصبحى رضى الله عنه سماعاً ، ولنا فيه أسانيد أخر كثيرة لم يسع الآن كتبها .

وأجزته أيضاً أن يروى عنى صحيح البخارى والسنن الأربع لأبـى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة ، بحق روايتى لها اجازة عن شيخنا الامام محمد بغيع ، بحق روايته هولها عن شيخه العلامة البرهمتوشى حضورا وسماعاً منه مجالس من أول كتاب الايمان من البخارى واجازة لباقيه ، والسنن الأربع بروايته للبخارى قراءة لجميعه عن شيخ الاسلام أحمد الفتوحى الحنبلى بسنده ، والسس الأربع بأسانيدها ، وفى كتبها طول .

وأحـزته أيضـا أن يـروى عنـى كتـاب **الشفـا** للقـاضى عيـاض بحق روايتـى لـه قـراءة لأولـه واجـازة لبـاقيه عـن سيـدى القـدوة الصـالح القاضى الذى لا يخاف فى الله لومة لائم ، العاقب بن شيخ الاسلام أبى الثناء سيدى محمود بن عمر ، بحق قراءته هو ل، كذلك عن شيخ الاسلام ناصر الدين اللقانى ، بحق روايته هو عن شيخ الاسلام أبى الفضل جـلال الدين السيوطى بسنده ، وقد أجاز شيخ الاسلام السيوطى الشيخ الامام ناصر الدين اللقانى جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وأجاز شيخ الاسلام اللقانى سيدى قاضى القضاة العاقب بن محمود جميع ما يجوز له وعنه ، وكتب له خطه ، وأجازنى شيخ الاسلام سيدى العاقب جميع ما يجوز له وعنه روايته كذلك ، وكتب لى خطه وهو موجود عندى الى الآن والحمد لله ، وأجزت أنا سيدى الفقيه المقرى جميع ذلك .

ح ، وأروى كتاب **الشفا** أيضا سماعا من سيدى والدى لجميعه واجازة ، قال أخبرنى به اجازة الشيخ العلامة أمين الدين الميمونى نزيل مكـة ، عـن شيـح الاسلام زكرياء الأنصارى بسنده . قال الوالد رحمه الله : وأخبرنى بـه أيضـاً شيخنا المحدث اند عمحمد بن الامام الفقيه المحقق الأثرى التارختى بروايته له عن الشرف عبد الحق بن محمد السنباطى ، قال أخبرنى به قطب الدين محمد بن محب الدين الجوجرى : قال أخبرنى به ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بـں الحسن بن الفرات الحنفى أنبأنا به العلامة البرهان ابراهيم بن احمد التنوحى سماعاً ، قال أنبأنا به أبو المحاسن يوسف بن محمد المقدسى الدلاصى سماعـاً ،

قال أخبرنا به أبو الحسن يحيا بن محمد تامتيت اللواتى ، أنبأنا به أبو الحسن يحيا بن محمد بن الصائغ الأنصارى ، قال أنبأنا الحافظ ابو عمرو عثمان بن التوزى اذناً ، قال أنبأنا به أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان عرف بابن برطله ، عن الشيخ أبى الحسن على بن أحمد الغافقى ، قال أنبأنا به مؤلفه أبو الفضل عياض به رحمه الله تعالى وهذا قل من كثر وغيض من فيض .

وقد أجاز لوالدى رحمه الله جماعة من السادة الأئمة ، منهم الامام ناصر الدين اللقانى ، والشريف المحدث يوسف الأرميونى تلميذ الامام السيوطى المتولى لغسله بعد موته ، والامام العارف بالله أبو المكارم محمد البكرى المشهور فى جماعة آخرين .

وأجاز سيدى الامام العاقب أيضا سيدى الامام العلامة الحجة الفهامة محمد بن محمد الحطاب شارح خليل وغيره وصاحب الفهرسة المشهورة .

وممن أجازنى مكاتبة من مكة ولده الامام الجامع يحيا بن محمد الحطاب . وهو يروى عن أبيه وعمه عن جده وغيره ، ومروياتهم فى حد الكثرة بحيث لا يحاط بها ، وأطلق لى فى الاجازة بجميع ما يجوز له وعنه روايته .

وممن أجازنى أيضاً سيدى الشيخ الحاج الفاضل محمد بن محمد عرف بحمد فادم الفلانى ، وهو يروى عن جماعة منهم الامام محمد بن محمد الحطاب المتقدم ، والشيخ الصوفى شمس الدين المرصفى سبط العارف بالله خليل المرصفى ، وعن الشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراوى فى جماعة ءاخرين ، وقد أطلق لى الاجازة فيما يجوز له وعنه روايته ، وخصص أيضاً أشياء كثيرة بأسانيدها وفى كتبها طول .

ومما أروى عن سيدى العاقب عن الامام محمد بن محمد الحطاب الحديث المسلسل بالدعاء فى الملتزم بسنده عن عبد الحق السنباطى بسنده ، والمسلسل بالعد فى اليد فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عن العاقب عن الامام

الحطاب بسنده ، والمسلسل بختم المجلس بالدعاء بسنده ، وأروى عن والدى المسلسل بالأولية .

وقد أذنت فى رواية جميع ذلك الفقيه المقرى حفظه الله تعالى وأصلحه ونفعنا به ءامين ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم ، وهذا ما تيسر الآن كتبه مع ضعفى غاية ، فليعذرنى السيد ، وبقية المرويات ان أحب سيدى أن يأخذها فهى عند قاضى الجماعة سيدى أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى بفاس ، فليحصلها باسانيدها من ثمه فانه كتب الجميع عنى ، والله تعالى ييسر لنا وله ما فيه الخير والسلام .

وكتب الفقير أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحيا الصنهاجى التنبكتى المالكى وفقه الله وغفر له بتاريخ يوم السبت خامس عشر ربيع الثانى عام عشرة وألف سنة أرانا الله ختامه فى عافية بمدينة مراكش المصونة حاطها الله . انتهى .

وأنشدنى حفظه الله للشيخ سلامة الأنبارى فى شرحه على المقامات قال وذكر ست مصدوقات لجلس ، والنظم قوله :

لقيت يوماً مبدربا جلسا (145) يقود من بطن قديد جلسا (146)
ثم ارتقى من بعد ذاك جلسا (147) يشرب فيه لبناً وجلسا (148)
مع رفقة لا يشربون جلسا (149) ولا يؤمون لهم جلسا (150)

---

145) رجلا طويلا
146) جملا
147) جبلا عاليا
148) عسلا
149) خمرا
150) مجلسا

قال وذيلها الشيخ أبو المكارم سيدى العارف بالله محمد بن العارف بالله أبى الحسن البكرى مستدركاً عليه ثمانية معان ، فقال مرتجلا :

ويطـؤون من بسيط جلسـا (151) ويخصفون من وريق جلسـا (152)
ويصحبون من نساء جلسـا (153) خريدة لبست فتـاة جلسـا (154)
قد نزلوا من الريـاض جلسـا (155) أمضوا به من الزمان جلسـا (156)
عدد له دون البرايا جلسـا (157) مفوقـين من سهـام جلسـا (158)

قال حفظه الله : هكذا أنشدنيها سيدى والدى الفقيه أحمد بن أحمد قائلا : أنشأها الشيخ وقت الاصفرار فى نبط موضع على ثلاث مراحل من الينبوع منشداً لنا أياها رحمه الله ورضى عنه ءامين .

ولصاحب الترجمة حفظه الله منظومة فى المبعوثين على رأس كل مئة قال فيها فى المئة العاشرة .

وعـاشر القـرون فيـه قـد أتـا محمـد امـامنـا وهـو الفتـا

وأفاد أن ذلك يرجع للأماكن ، فكل مكان يقيض الله له على رأس كل مئة من يجدد دينه ، فلذلك ادعا أن شيخه المبعوث على رأس المئة العاشرة يعنى بتنبكتو

151) أرضا غليظة
152) شجـرة
153) امرأة شريفة
154) المرأة الملازمة فناء الدار
155) غديـرة
156) وقتـا
157) أهل مجلس
158) سهما طويلا

ومن نظمه حفظه الله ما ذيل به على سبيل المداعبة قول بعضهم ، وكان المنجور رحمه الله ورضى عنه كثيراً ما يتمثل به :

بصبح تقول المعا (159) للضروس أحبة قلبى أراكم جلوس

فقال صاحب الترجمة رعاه الله :

ترجوت من مضغكم لقمة تزيل البلا وتعيش النفوس
اذا الذوق أمرا لنا لذة تجلت لروحى حميا الكؤوس
وان لذ فيها ببلع اللها وساعد بالأكل بعد البؤوس
وساعد من ردها المبتغا ودارت على الحلق منى ضروس
تسنى لنفسى عيش الهنا ففازت بوقت كليل العروس
فذا مطلب النيل لى مسعد يطارد عنى بلاء العبوس

ولصاحب الترجمة حفظه الله يد طولا فى نوازل الفقه والتاريخ لا يجارا فى ذلك ، وكذا فى علوم الحديث ، مع المشاركة التامة فى غيره ، ولهم بتنبكتو رئاسة القضاء .

ولما أن ملك أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله أصقاع السودان ، واستفتح القاصى بها والدان ، استقدم صاحب الترجمة وجملة أعلام من أهل بيتهم قبضوا كلهم فى الطاعون ، ولم يبق الا صاحب الترجمة فسح الله فى أجله ، وهو الآن تحت جراية أمير المومنين أيده الله .

وله سبط اسمه محمد برع فى العلوم أخبرت أنه توفى بعد سفرى من حضرة الامامة حاطها الله ، فمن نظم سبطه المذكور رحمه الله يتشوق الى تنبكتو

يا سائق الأظعان ان جئت من أربع تنبكتو فجىء سنكرى
وحى ثاويها من الصب أو فصف لهم حالى وما يعترى

---

(159) المصران جمعه أمعاء

وليكن هذا ءاخر ما يتعلق بالفقيه أحمد بابا المذكور على سبيل الاختصار ، والله الموفق بمنه .

25 ـ عبد الواحد الركراكى

الفقيه الفهامة القوى الادراك ، ذو المحاسن التى امتنعت من الاشتراك ، صاحبنا أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الركراكى .

لقيته بمراكش حماها الله ، وهو ابن أخى قاضى الجماعة بها الفقيه المعقولى أبى عبد الله محمد بن أبى عبد الله الركراكى ، أخذ صاحب الترجمة عن عمه المذكور، وأخذ أيضاً عن شيخ الجماعة أبى مالك سيدى عبد الواحد الشريف رضى الله عنه ، وعن المفتى الحافظ الامام أبى عبد الله الترغى المسارى (160) وغيرهم ، وأخبرنى أنه أخذ عن المنجور رحمه الله .

له مشاركة تامة فى العلوم ، يستظهر مختصر خليل ، ويشارك فى الأصليين والمنطق والبيان واللسان وغير ذلك .

وله تآليف أنبأت بقوة ادراكه ، منها اختصاره **منظومة ابن زكرى فى علم الكلام** ، حذف منها ما تكرر وزاد زيادات ليست فيها ، وصدر منه هذا التأليف برسم الخزانة المنصورية عمرها الله ، ومنها **شرحه لنظم معنى اللبيب** للامام الشهير باليدون مزج فيه الشرح بالمشروح امتزاج الحياة بالروح ، وهو أيضاً بقصد الخزانة المنصورية عمرها الله ، وله غير ذلك .

وهب لى حفظه الله حواشى اللقانى على توضيح الامام خليل بن اسحق المالكى رحمه الله ، وتلك الحواشى لم يرها أهل تلمسان قط ، فلما قدمت بها وشاهدوها سروا بها كثيراً ، وكان ذلك لتشوفهم لحضرة الامامة مثيراً ، وقد قدمت معها بعدة

---

160) **محمد** بن الاستاذ أبى يعقوب بن يوسف الترغى المسارى من بيت بنى ترغة من قبائل جبال غمارة المجاورة لبنى سلمان ، الشيخ الامام المقرئى الخطيب المفتى ، ولد بفاس ، وبها توفى عام 1009 أنظر ترجمته فى **الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** 4 : 209

كتب غرائب جمعت من الفنون نظيماً ونثيراً وذلك كله من بركات الامام المنصور بالله أمير المومنين ابن أمير المومنين ابن أمير المومنين أيد الله دولته الطيبه الأعراق ، وملكه من السوس الأقصا الى أقصا العراق ، بمنه وكرمه .

26 ـ محمد القصار القيسى

الشيخ المفتى العلم المتفنن الأدرا المنتصر للعلوم كل الانتصار ، أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي القيسى الشهير بالقصار لقباً لا صناعة

لقيته حفظه الله بفاس متولى خطة الفتيا والامامة والخطابة كان له فى علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال من رواة الحديث الاطالة والاصابة ، أخذ عن جملة أعلام ، كالامام المعقولى الشهير ، أبى عبد الله اليستيثنى (161) والامام حامل لواء علم البيان أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل خروف التونسى(162) وولى الله تعالى أبى النعيم سيدى رضوان بن عبد الله الجنوى رحمة الله على جميعهم ، رمن الامام رضوان معظم رواياته ، لأنه كان أعنى رضوان رحمه الله مقدماً فى علم الرواية وحامل راياته ، أخذ رضوان المذكور عن سقين ، عن زكرياء الانصارى ، والقلقشندى كلاهما عن شيخ الاسلام ابن حجر .

وكتب للشيخ القصار صاحب الترجمة حفظه الله بالاجازة من مصر الامام أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطى ، وكتب له أيضاً بالاجازة قاضى قضاة المالكية بالقاهرة المعزية الشيخ بدر الدين القرافى محمد بن يحيا ابن عمر بن يونس المصرى رحمه الله ، ونص ما كتب له به :

لقد أبديت حقا لا مجازاً ... بما صار الفقيه به مجازا

محمد بن قاسم من بفاس ... وبالقصار قد عرف امتيازا

كذا ولداه كل قد تسمى ... محمد ، زاد مجدهما نجازا

---

161) محمد بن عبد الرحمان اليستيثنى ، ويقال اليسيتنى نسبة الى يسيتن قبيلة بربرية من اعمال دبدو ، عالم فاس ومفتيها ، ومحيى العلوم الدائرة فيها ، ولد عام 897 وتوفى ليلة الاربعاء فاتح عام 959 انظر ترجمته فى **نيل الابتهاج** ص 338 **والفكر السامى** 4 : 102

162) محمد بن أبى الفضل المدعو التونسى الانصارى الملقب جار الله ، الامام الفقيه الاصولى وجدد بها سند العلوم المعقولية ، وكان له أيضاً علي المنقولات سند عال ، توفى سنة 966 انظر ترجمته وجدد بها سند العلوم المعقولية ، وكان له أيضاً علي المنقولات سند عال ، توفى سنة 966 انظر ترجمته فى **الفكر السامى** 4 : 102

وكاتبنــــى باخـــــلاص وصـــــدق — وقـــد طلب الافـــادة واستجـــازا
بسلسلـــة الحديـث عــن الأعـــالى — ذوى فضل ومجــــد لا يـــــوازا
عــلى وجـه سأبديــه صريحـــاً — يكـون لما حـــواه مستجـــــازا
وينفـع طالبـــاً ويجيـــد نفعـــاً — وعند الله مـــن فضـل يجــــازا
ويدعـــو لى بقصــد ظهـر غيـب — بخاتمـة تكـون لنـــا مفـــــازا
واشياخـــى يبلغهـــم رضــــاه — تحيـــات . . . . . نشـــــازا
بحرمـــة أحمـــد المختـــار طـــه — عليه صـــلاة ربـى لا تــــوازا

قلت ولنذكر هنا طرفا من أشياخ بدر الدين القرافى المذكور لأنا قد اتصلت به وبهم رواياتنا من عدة طرق ، فنقول : من شيوخ البدر المذكور الامام العلامة المحقق الناقد الخاشع السالك زين الدين أحمد الجيزى بجيم مكسورة ثم مثناة تحتية ثم زاى مكسورة نسبة لبلدة على النيل تجاه الروضة روضة مصر ، بينها وبين مصر بحر النيل ، أخذ الجيزى المذكور عن شمس الدين اللقانى فى صحبه والد البدر ، وابتدأ مع والده عليه فى القراءة بيوم واحد ، قرأ عليه الموطأ الى الرضاع قراءة دراية ، وكان حسن الأدب مع المصنفين ، اذا وقف على اشكال يقول ما فهمنا مرادهم ، وكان اذا أشكل عليه شىء لا يفتأ حتى ينجلى عنه الاشكال، وقرأ عليه أول الصحيحين والشفا ، واجازه باقى الستة ، وكل ما يجوز له وعنه روايته ، يروى عن اللقانيين ، وكان يستحضر مسائل الرضى حتى كان يعلم فى أى ورقة هى المسألة ، حضر البدر عنده فى جامع الازهر فى التفسير وخليــل . . . . . مرة وفى المغنى ، وكان فى ءاخر عمره يحب الحج ، ويطلب من الله أن تكون خاتمته هنالك فتوفى بعد أن حج وزار فى الحجة سنة سبــع وسبعيــن وتسعمئة ، وكان كثيراً ما ينشد فى . . . . . .

ومن شيوخ البدر أيضاً يوسف المدعو جمال الدين ابن زكرياء المعين طلبة العلم بمصنفات والده ، قرأ عليه البخارى الى كتاب الصلاة ، أوله بحق روايته

عن والده الشيخ زكرياء وشيخ الاسلام ابراهيم بن أبي شريح الشامي، والقلقشندى ابراهيم وشيخ الاسلام السيوطى ، والامام أبى الجود محمد الشهير بابن النجار الدمياطى ، وشيخ الاسلام عبد البر بن الشحنة الحنفى ، وشيخ الاسلام ابـن الكركى ابراهيم بكاف وراء مفتوحتين ، ثم كاف مكسورة .

ومن شيوخ البدر أيضاً أبو عبد الله محمد بن الولى العارف أبى الصفا أحمد شهاب الدين بن الشيخ العارف أبى الفضل عبد الرحمان بن الاستاذ الوارث القطب الربانى العالم صاحب الكرامات ، سيدى محمد شمس الدين أبى الاخلاص التيمى البكرى الصديقى الشاذلى الشهير بالحنفى ، قال البدر أنه ءاخر اجتماع له مع والده أى البدر ضمه ضمة فهم منه أنها وداع ، ولم يجتمعا بعد ذلك ، أجاز له الطيلسان ، وارخاء العذبة ، والجلوس على السجادة ، وتلقين الذكر . أخذ عن الشيخ عبد القادر الشاذلى صحيح البخارى عن الشاوى شهاب الدين أحمد بـن طريف ، عن أبى الفضل العراقى .

ويروى البكرى المذكور أيضاً عن قريبه أبى الخير خير الدين ابن القطب سيدى محمد الحنفى ، قال أخبرنى بالبخارى شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر الواسطى بحق سماعه من صدر الدين الميدومى .

ويروى البكرى أيضاً عن الديمى نسبة لقرية من قرى مصر .

ومن شيوخ البكرى الامام السيوطى ، يروى عن أربعة من أصحاب الميدومى ، سمع عليه صحيح مسلم ، وقرأ عليه فهرس أسماء مؤلفاته ستمئة مؤلف ، وأجاز له

ومن شيوخ البكرى ، زكرياء ، والقاضى شهاب الدين الصيرفى ، وكلاهما عن ابن حجر ، ونور الدين الفيشى من أصحاب ابن حجر ، وعلم الدين البلقينى ، والجـلال المحلى .

ومن شيوخ البدر أيضاً خاتمة المحدثين ، من ظهرت فيه دعوة جد الحسن صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءاً سمع مقالتي » الحديث : محمد بن أحمد نجم الدين الغيطي المصري ، سمع عليه من صحيح مسلم ومن البخاري ، وسمع عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وأجازه اجازة مقرونة بالمناولة .

من شيوخ النجم المذكور زكرياء ، وكمال الدين أبو الفضل **محمد بن علي** القادري الطويل قاضي القضاة ، والسيد أبو البقاء محمد بن السيد حمزة **الحسيني**، والشيخ عبد الحق السنباطي ، والأمير بن النجار ، والبدر المشهدي ، والشيخ أبو السعود شهاب الدين بن الشيخ عز الدين عبد العزيز السنباطي .

ومن شيوخ البدر أيضاً المسند المعمر بهاء الدين محمد الشنشوري (163) نسبة لقرية بمصر أبي عبد الله بن نور الدين علي العجمي التركي ، عرف جده ووالده بالعجمي ، الشافعي ، يروي عن زكرياء ، والجلال السيوطي ، والفخر الديمي ، سمع عليه من صحيح البخاري والموطأ ومسلم ، وأجاز له الستة والشفاء والسيرة وغيرها ، ويروي عن الطويل والشيخ عبد الحق السنباطي والقلقشندي، وأجاز البدر في تواليف السيوطي وزكرياء وخصوصا عشاريات السيوطي .

ومن شيوخ البدر المعمر المسند شرف الدين موسى الشهير بالبلقيني الحنفي ، أخذ عن الجلال الأسيوطي وقاضي القضاة ابراهيم الكركي .

ومن شيوخ البدر ايضاً الشيخ محمد بن أحمد بن أحمد الفيشي نسبة الى قرية من مصر ، أبوه وجده عالمان ، أخذ عنه البدر سيرة شيخه خاتمة المحدثين الشيخ محمد الشامي العثماني الشافعي تلميذ السيوطي المسماة **سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، وأجاز له **الموطأ** والبخاري وجميع ما يجوز له

---

163) في الطرة امام كلمة الشنشوري ما يلي :
بشينين معجمتين ، الأولى مفتوحة ، والثانية مضمومة ، بعدهما نون وواو ، ثم راء بعدها مثناة تحتية ، نسبة الى قرية من قرى مصر

وعنه روايته ، من شيوخه شمس الدين اللقاني ، والمعمر الرحلة محمد بن عمر النشيلي ، والرحلة الشيخ أبو حفص عمر العبادى شيخ البرقوقية وغيرهم .

ومن شيوخ البدر نور الدين القرافى الأنصارى ، قرأ عليه الحديث المسلسل بالأولية من صحيح البخارى أوله وءاخره ، وأجاز له ما له من رواية ومؤلف .

ومن شيوخ النور قاضى القضاة شيخ الاسلام محمد التتائى المالكى شارح **خليل** وصاحب **السلسبيل الفائض فى علم الفرائض** ، قرأ عليه كتابه المذكور والفاتحة ، وأجاز له كل ما يجوز له وعنه ، ويروى عن السيوطى ، وقرأ على مشايخ السيوطى الشهاب الحجازى شاركه فيه الطويل وهو أعلا من عنده ، ويروى النور المذكور عن المقرى قريش العثمانى البصير عن شمس الدين الجزرى شيخ السيوطى عن الشمس ابن الحبار عن محيى الدين النووى .

ومن أشياخ البدر والده شرف الدين يحيا بن عمر بن يونس سبط ابن أبى جمرة من قبل الأم ، ينتمى لسعد بن عبادة سيد الخزرج ، أخذ عن اللقانى قرأ عليه مختصر خليل غير مرة .

ومن أشياخه ، أعنى البدر ، زين الدين عبد الرحمان بن على الأجهورى بضم الهمزة ثم جيم ساكنة ثم هاء مضمومة ثم واو ، ثم راء مكسورة نسبة لقرية من مصر ، أخذ عن الشهاب أحمد الفيشى واللقانى ، رزق السعادة فى التلاميذ ، وتخرج به سيدى أحمد بن سيدى أحمد بن عبد الحق السنباطى الشافعى والبدر المذكور .

ومن أشياخ البدر أيضا الولى الصالح سيدى عبد الرحمان التاجورى الورع الزاهد ، أخذ عن اللقانيين ، وكان ناصر الدين اللقانى يقول فيه : من أراد أن ينظر الى أحد من الصحابة فلينظر اليه ، ويخاطبه بمخاطبة السادة ، أكثر طلبته من

المغاربة ، حضر عنده البدر المدونة والرسالة والموطأ ، وربما وقع اللغط بين البدر وبينهم ، فيقول الشيخ الحق مع المصرى ، ولم يعلم أنه ذكر الدنيا بشىء من مدح ولا ذم ، من أرباب المكاشفات ، ولم يجز البدر ، وأنشد لنفسه بذلك .

وليت ولو قد اوليانى تحسرا   وفات مرام كان حالى به اعتلا

ولـه :

رب متعنى دوامـا   بصديـق وخليـل

سند البدر المذكور فى خليل عن جماعة عن الشمس اللقانى عن نور الدين السنهورى بفتح السين وضم الهاء نسبة الى قرية من مصر .

أجاز لشيخنا القصار فى الصحيحين والموطأ وباقى الكتب الستة والشفا والسيرة وجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه من مقروء ومجاز وجميع المرويات والمؤلفات والمسانيد والمعاجم ، والمستخرجات ، والمشيخات ، وأجزاء مفردات ، وكتب أسماء الرجال ، والجرح والتعديل ، وكتب فقه الأيمة الأربعة ، وأصول وكلام وتصريف ووعظ ونحو ومعان وبيان وبديع وتاريخ .

وتواليف البدر القرافى شرح مختصر خليل سماه **عطاء الله الجليل الجامع لما عليه من شرح جميل**، جمع فيه بهرام والمواق وحلولو والسنباطى وحاشية ابن غازى ، **والقول المأنوس على القاموس** ، **وأحكام التحقيق فى أحكام التعليق** ، **والدرر النفائس فى هدم الكنائس** ، **والدرر المنيفة فى الفراغ عن الوظيفة** ، **والدرر المنثرة ، فى هبة أم الولد والمدبرة** ، **وهداية السالك لمعرفة أسماء شراح مدونة الامام مالك** ، وشرح **الموطأ** ، **والمدونة** ، **وتقييد على أوائل من الحديث** ، **وبهجة النفوس فى محاكمة بين الصحاح والقاموس** ، **وذيل على الديباج** لابن فرحون فى نحو خمس كراريس أيضاً .

ولما حدث البدر المذكور شيخنا القصار فى كتابه بالفاتحة من طريق الجان أنشد لنفسه :

خصصتك أمرا ليس يخفاك شأنه	فشد يدا واداب لجمع مفاخر
وكن حاملا للعلم تحمد سره	وتلقى رضا البارى بحسن الذخائر
وجد وجد بالنفس فى طلب العلا	تلاحظ وجه الله فى اليوم الآخر

وكان تاريخ اجازة البدر المذكور لشيخنا المفتى ابى عبد الله القصار فى أواسط ربيع الثانى عام خمس وتسعين وتسعمئة .

قلت : وأجازنى شيخنا المفتى الشيخ القصار صاحب الترجمة جميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه ، وكانت اجازته اياى يوم سفرى من الحضرة الفاسية الى تلمسان حماها الله يوم الخميس سابع عشر القعدة من عام عشرة وألف ، فمما أجازنيه الحديث المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا جار الله تعالى سيدى محمد خروف الأنصارى التونسى ، وهو أول حديث سمعته منه ، وشيخنا ولى الله تعالى سيدى رضوان رحمهما الله تعالى ، وهو أول حديث سمعته منه بسنده ، قالا حدثنا شيخ الاسلام سقين ، وهو أول حديث سمعناه منه ، قال حدثنا شيخ الاسلام زكرياء ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا ابن حجر ، وهو أول حديث سمعته منه ، وبقية السند فى فهرسة ابن حجر الى عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، قال الترمذى حسن صحيح ، وقد رفعت الحديث من ابن حجر الى عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما فى ترجمة الامام الكبير

الشهير أبى العباس أحمد بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى فاغنا ذلك عن تكراره (164) .

وأخبرنى شيخنا القصار المذكور حفظه الله بموطا امامنا مالك رضى الله عنه اجازة ، قال أخبرنى به الشيخ الولى الصالح أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى قراءة لبعضه وسماعا لبعضه واجازة ومناولة لجميعه ، وحدثنى به عن مفتى فاس ومحدثها أبى زيد عبد الرحمان بن أحمد بن على القصرى العاصمى الشهير بسقين ، عن شيخ الاسلام القلقشندى وزكرياء عن ابن الفرات عن ابن جماعة عن ابن الزبير عن ابن خليل عن ابن زرقون عن الخولانى عن الطلمنكى عن أبى عيسى عن عبيد الله بن يحيا عن أبيه عن مالك رضى الله عنهم .

وأعلى منه به الى ابن الفرات عن ابن أميلة عن ابن البخارى عن المؤيد عن السيدى عن البحيرى عن زاهر عن العباس عن أبى مصعب عن مالك .

وحدثنى به شيخنا القصار أيضا عن شيخ الاسلام أبى الطيب الغزى اجازة عن زكرياء بسنديه ، وهو أعلا منهما والحمد لله .

الجامع الصحيح للامام محمد بن اسماعيل البخارى ، أخبرنى به شيخنا القصار المذكور اجازة عن أبى النعيم رضوان قراءة عليه الا قليلا واجازة ومناولة لجميعه ، عن سقين قراءة عليه غير مرة ، عن زكرياء والقلقشندى ، عن ابن حجر ، عن التنوخى ، عن الحجار ، عن الزبيدى عن أبى الوقت ، عن الداودى ، عن الفربرى ، عن البخارى رضى الله عنهم .

(164) انظر صفحة 291

وأخبرني به أيضاً عن الغزى عن زكرياء وهو عال .

وأخبرني به أيضاً عن المنفرد بالمنطق والكلام وأصول الفقه والبيان بفاس جار الله سيدى محمد خروف الأنصارى رحمه الله سماعاً لبعضه ، قال بقراءة صديقي العالم الصالح سيدى ابراهيم ابن شيخي ولى الله الفقيه الفرضي الاستاذ النحوى سيدى أبي شامة ابن شيخي الفقيه المحصل سيدى عبد الرحمان ابن الفقيه المحصل سيدى ابراهيم الدكالي رضي الله عنهم ، ومناولة لبعضه واجازة لجميعه عن شيخ الاسلام الكمال الطويل القادرى عن الحجازى عن ابن أبي المجد عن الحجار به ، وهما عاليان والحمد لله على ذلك كثيرا .

صحيح الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى رضي الله عنه ، أخبرني به اجازة عن ابى النعيم رضوان سماعا لبعضه بقراءة أبي اسحاق ابراهيم بن ابى شامة السابق واجازة ومناولة لجميعه عن سقين قراءة لجميعه ، عن زكرياء عن الزركشى ، عن البيانى عن ابن عساكر عن المؤيد عن الفراوى عن عبد الغافر عن الجلودى عن ابن سفيان عن مسلم .

وأخبرني به أيضاً عن الغزى عن زكرياء به .

وأخبرنا به أيضاً عن خروف عن الطويل عن العلم البلقيني عن التنوخى عن ابن حمزة عن ابن المنير عن ابن ناصر عن ابن مندة ، عن الجوزقى ، عن مكى ، عن مسلم رضي الله عنهم ، وهما عاليان والحمد لله ، فيقع بسبب ما ذكر في ثنائيات الموطأ وثلاثيات البخارى بيني وبين حبيب الله ومصطفاه من خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة عشر .

وأخبرني شيخنا المذكور أبقاه الله اجازة ، قال : أخبرنا الغزى اجازة ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن أميلة ، عن ابن البخارى ، عن ابن طبرزد ، عن ابن عبد الباقي ، عن اسحاق الحنبلي ، عن أبي محمد البزار ، عن أبي مسلم .

عن محمد عبد الله الأنصارى ، عن حميد ، عن أنس أن الربيع بنت النضر عمتـه لطمت جارية فكسرت سنها فعرضوا عليهم الارش فأبوا ، فطلبوا العفو فأبوا ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال يا رسول الله أتكسر سن الربيع ؟ والذى بعثك بالحق لا تكسر سنها ، قال : يا أنس كتاب الله القصاص ، فعفا القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ، رواه البخارى عن الأنصارى ، هذا عـن حميد ، عن أنس ويقع لى بثلاثة عشر لكن حسن .

وأخبرنا رضى الله عنه اجازة قال : أخبرنا الغزى اجازة عن زكرياء عن ابن الفرات عن ابن أميلة عن البخارى عن الصيدلانى عن الجوزادنية عن ابن ريزة ، عن الطبرانى ، حدثنا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة أربع وسبعين ومئتين ، حدثنا أبو عمر زياد بن طارق ، وكان قد أتت عليه مئة وعشرون سنة ، قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوزان ذهب يفـرق السبـى والشاء فأنشأت أقـول هـذا الشعـر :

أمنن علينـا رسـول الله فى كـرم ... فانك المـرء نرجـوه وننتـظـر
أمنن على صبية قد عاقهـا قـدر ... مشتـت شملهـا فـى دهرها غيـر
أبقت لنـا الدهـر هتافـا على حـزن ... على قلوبهم الغمـاء والغمـر
ان لم تداركهـم نعمـاء تنشرهـا ... يا أرجـح الناس حلما حين يختبـر
أمنن على نسـوة قد كنت ترضعهـا ... اذ فوك تملأه من محضهـا الـدرر
اذ أنت طفـل صغيـر كنت ترضعهـا ... واذ يزينك ما تـاتى ومـا تـذر
لا تجعلنا كمن شالت نعـامتـه ... واستبق منا فانا معشر زهـر
أنا لتشكـر للنعمـاء اذ كفـرت ... وعندنا بعد هـذا اليـوم مدخـر

فألبس العفو من قد كنت ترضعـــه من أمهـاتك ، أن العفو مشتهـــر
يا خير من مرحت كمت الجياد بــه يوم الهياج اذا ما استوقد الشـــرر
أنا نؤمل عفـوا منك تلبســـه هذى البرية اذ تعفـو وتنتـــصر
فاعـف عفا الله عمـا أنت راهبـه يـوم القيامة اذ يهـوى لك الظفـر

قال : فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال : ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وقالت قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسولـه ، وقـالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله ، صححه الضياء المقدسى ، ونازعه ابن حجر فى تصحيحه ، ومال الى أنه حسن ، وأجاب ابن عباس عما تكلم به ابن عبد البر وغيره وأطال فى ذلك .

وأخبرنى رضى الله عنه اجازة قال أخبرنى الغزى اجازة عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن جماعة ، عن مونسة ، عن عفيفة ، عن حمزة العلوى ، عن أبى الشيخ ، حدثنا محمد بن زكرياء القرشى ، حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل معروف صدقة ، وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، حديث حسن من هذا الوجه ، وقد ورد بسند صحيح من غير هذا الطريق .

بشارة عظيمة : قال محمد بن عبد العظيم المنذرى لراءيه فى النوم : دخلنا الجنة وقبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال ابشروا ، كل من كتب بيده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معه فى الجنة .

غاية عالية : أخبرنا شيخنا المذكور أبقاه الله اجازة ، قال حدثنا خروف رحمه الله ، حدثنا الامام سيدى فرج الشريف الطحطحائى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم يقول : من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها ، ورواه عنه شيخ الاسلام الديمى .

تصانيف الامام عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله : أخبرنا بها شيخنا الامام ابو عبد الله صاحب الترجمة أبقاه الله اجازة ، عن أبي النعيم رضوان، عن سقين ، عن القلقشندي ، وزكرياء ، عن ابن الفرات ، عن الدلاصي ، عن ابن تامتيت ، عن ابن الصائغ عنه ، وعن الغزي عن زكرياء به ، وهو عال والحمد لله .

تصانيف القرافي وابن حجر وزكرياء : أرويها عن شيخنا القصار المذكور عن أبي النعيم رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن حجر عن العراقي ، وعن الغزي عن زكرياء عن ابن الصلاح ، أخبرنا به أبقاه الله اجازة عن رضوان سماعاً لبعضه ومناولة واجازة لجميعه ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن حجر ، عن ابن أبي المجد ، عن ابن المهتار ، عنه ، وأخبرنا به أيضاً عن الشيخ خروف ، عن الطويل ، عن الحجازي ، عن ابن أبي المجد به ، وأخبرنا رضي الله عنه وابقاه بتصانيف العراقي أيضا عن خروف عن الطويل عن الحجازي عنه .

رسالة ابن أبي زيد رضي الله عنه : أخبرنا بها رضي الله عنه اجازة عن الشيخ رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن أميلة ، عن البخاري ، عن الخشوعي ، عن الرازي عن ابن الوليد ، عنه ، وهذا عال ، وأخبرنا بها عن الغزي عن زكرياء ، وهذا أعلا والحمد لله .

مختصرا ابن الحاجب الأصلي والفرعي ، أخبرنا بهما رضي الله عنه اجازة عن الشيخ رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن أبي الفتح المراغي ، عن أبي طلحة الحراوي ، عن الدمياطي ، عنه ، وأخبرنا بهما أيضاً عن الغزي ، عن زكرياء به .

تصانيف الامام البيضاوي . أخبرنا بها رضي الله اجازة عن رضوان عن سقين عن زكرياء ، عن ابن حجر ، عن أبي هريرة ابن الحافظ الذهبي ، عن ابن الياس عنه . وأخبرنا بها أيضا اجازة عن زكرياء به .

جمع الجوامع لابن السبكي وجميع تصانيفه : أخبرنا بها رضى الله عنه اجازة عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عنه ، وأخبرنا بها أيضاً اجازة عن الغزى عن زكرياء به .

البـــردة ، أخبرنا بها أبقاه الله اجازة عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء عن ابن الفرات عن ابن جماعة عن الناظم ، وأخبرنا أيضاً بها اجازة عن الغزى عن زكرياء به .

وأتصل بسيدنا القطب الجامع سيدنا ومولانا عبد القادر الكيلانى عـن شيخنا القصار المذكور ، عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء (165) عن ابـن حجر عن التنوخى ، عن الحجار ، عن ابن القبيطى ، عنه ، وأتصل به أيضاً عـن الشيخ القصار المذكور ، عن خروف ، عن الطويل القادرى ، عن الحجازى ، عن ابن أبى المجد ، عن الحجار به ، وأتصل بسيدنا ومولانا أبى الحسن الشاذلى عنه عن رضوان ، عن سقين ، عن القلقشندى ، عن الواسطى ، عن الميدومى ، عن أبى العباس المرسى ، عنه . وأتصل بسيدنا ومولانا أبى عبد الله الساحلى عنه أعنى القصار ، عن الاستاذ أبى العباس التسولى ، عن الدقون ، عن المواق ، عن الصناع ، عنه .

وأجازنا شيخنا المذكور أبقاه الله كتاب **قوت القلوب** للامام أبى طالب المكى رحمه الله عن الغزى عن زكرياء عن ابن الفرات عن ابن جماعة ، عن ابن الزبير ، عن ابن الشارى ، عن الحجرى ، عن عبد الحق بن عطية ، عن أبيه غالب ، عن أبى بكر محمد بن نعمة القرشى ، عن عبد الحكم بن محمد الصقلى ، عن أحمد بن شعيب المقرى ، عن أبى طالب المكى رضى الله عن جميعهم بمنه وكرمه .

---

(165) فى الطرة : كان مولد زكرياء عام 820 وتوفى عام (920) فعمره مئة سنة رحمه الله

كتاب **احياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي رضى الله عنه ، أخبرنا به اجازة عن الغزي ، عن زكرياء ، عن أبي النعيم رضوان الحافظ ،عن ابن أبي المجد ، عن سليمان بن حمزة ، عن محمد بن حماد الحراني ، عن أبي سعد عبد الكريم السمعاني ، عن محمد بن ثابت ، عن أبي حامد الغزالي سماعاً رضى الله عنهم أجمعين .

وأخبرنا بهما أيضا رضى الله عنه اجازة أي بالاحياء والقوت عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء به ، وأخبرنا رضى الله عنه اجازة عن الغزي ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن جماعة ، عن ابن الزبير ، عن أبي عبد الله محمد بن عياض، عن الخشوعي ، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الحطاب ، عن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي ، عن موسى بن عرفة السمسار ، عن أبي عمرو أحمد بن الفضل النفزي ، عن اسماعيل بن موسى ، عن عمر بن شاكر ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر ، انتهى .

قلت ولنقتصر على هذا القدر من أسانيد شيخنا الامام المفتي أبي عبد الله القصار المذكور أبقاه الله فانها كثيرة جداً ، وكذلك مسلسلاته في جملة من النظم بأسانيدها الى أربابها لم أذكر منها شيئاً خوف الاطالة ، منها ما أنشدناه في عمود اجازته ، قال أنشدنا أبو العباس التسولي ، قال أنشدني أبو العباس الدقون، قال أنشدني أبو عبد الله المواق ، قال أنشدني المنتوري ، قال أنشدني ابن بقي قال أنشدني ابن شاطر ، قال أنشدني أبو العباس أحمد بن البناء الأزدي .

قصدت الى الوجازة في كلامي	لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحذر فهوما دون فهمي	ولكن خفت ازراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني	وشأن البسط تعليم الصغار

ولما طلبت منه حفظه الله الاجازة كتب لى خطه وأذن لى فى كل ما يجوز لـه وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهله ، وأنشدنى حينئذ لنفسه وذلك بمصرية بدويرة جامع القرويين المعينة لامام الصلاة :

أجزت لكم مروينـا مطلقـا وما لنـا سائلا أن ترحمـوا بدعاء

وكان مولده حفظه الله سنة أربعين أو تسع وثلاثين وتسعمئة .

وأماما صدر عنه من التآليف فاخبرت أن له حاشية عجيبة على شرح الكبرى للامام السنوسى انتقد فيها كثيرا من حاشية المنجور ، ولـه غيرهـا ممـا لـم يحضرنى تعيينـه .

ومن نظمه رحمه الله ، وهو نظم فقيه :

ألفين واثنين وستمئـه أسند للنبى البخارى يثبت

وقال أيضا :

وصل البخارى شش خب ومعلقـه نطق ومقطوعه زده وما وقفـا

وقال أيضا أدامه الله فى خبر الواحد المحتج به .

وصـل عـدالـة وضبـط عـاضـد ما شد ما اعتـل لنقـل الواحـد

وقال أيضا حفظه الله يمدح صحاح الجوهرى رحمه الله .

جزى الله عنا الجـوهرى بجنـة كسا كلنا من تاجه المرتضا تاجا
اذا ما رءا ياقوتة منـه مشكـل يذوب فاعطا الملك من كان محتاجا

وقال يذم أم الفواحش :

ما ذا عسى فى الخمر أن أقـولا بـول مريـض يذهب العقـولا

وقال حفظه الله في أدوات الاستفهام جمعها في بيت واحد :

فهل أى ما من أين أيان كيف كـم　　　متى همز أنى أم سلـن عن الحكـم

وقال حفظه الله :

ثلاثـة لا يلامـون عـلى خلـق　　　قـد ساء ذو مـرض والجـوع والعدم

ومن فوائده حفظه الله من استدل في الضروري عمي من حيث يبصر وجهل من حيث يستبصر ، قاله الباقلاني ، ثم نظمه الشيخ القصار المذكور فقال :

مـن استـدل فـي الضروري عمـى　　　من حيث يبصر وللجهـل نمـى
من حيث يستبصر قـالـه الامـام　　　الباقلانـي محقـق الـكـلام

وقال حفظه الله يمدح سعد الدين التفتازاني رضى الله عنه :

جزى الله سعد الديـن مني بجنـة　　　وأسكنـه منهـا بخيـر مقـام
فقد كنت أهواه فـزاد محبـة　　　بمـا سـاق من رضوان خير امـام

وقال حفظه الله وقد ظهر في وجهه أثر عض الناموس بالحضرة المراكشية :

لما وعا قلبـي محبـة حـضرة　　　دام الامـام بهـا أبـو العبـاس
ظهـرت شواهـدها بوجهي أنجمـا　　　والنجـم هـاد شاهـد للنـاس

ووجدت بخطه حفظه الله أثناء رسالة كتب لشيخنا تلميذه الامام الفرضي العلامة أبي العباس بن أبي العافية الشهير بابن القاضي أبقاه الله ما نصه : وبعد أعزكم الله فقد حملني الفرح على أن قلت :

يا سيدي ابن القاضي شرفت الـوطـن　　　بمصنفاتكم وحليـت الـزمـن
فأطال ربي للزيادة عـمركـم　　　وأدام ينبـوع العلوم مـع المنـن
مولاي أحمد عـالم الخلفـاء مـن　　　أحياء العلـوم وأهلها نجل الحسن

فهذا ما وقفت عليه من نظمه حفظه الله، وهو الآن متولى خطة الفتيا مضافة الى الامامة والخطابة، وقد كنت تركته عزل عن الفتيا وجعل مكانه الفقيه القاضي أبو الحسن علي بن عمران حفظه الله ، ثم أخبرني الثقة في هذا التاريخ أنه لما قدم مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيد الله أوامره وظفر أجناده وعساكره الى الحضرة الفاسية رد اليه الفتيا ، وولى الفقيه ابن عمران قضاء حضرة الامامة حماها الله .

وكان سبب تلقيب صاحب الترجمة بالقصار على ما أخبر به أن رجلا قصارا قدم على بعض اجداده بالوصية فجرت عليه وهو حفظه الله بادي الصلاح ذو تؤدة وسمت حسن مع التواضع ولين الجانب . وله خزانة كتب عظيمة جدا جمعها كلها من غير أن يترك أسلافه من ذلك شيئا . والله تعالى يعينه وينجده بمنه وكرمه .

هذا ءاخر الغرض المتعلق به على سبيل الاختصار ، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

27 ـ علي بن عمران السلاسي

الفقيه القاضي المفتي العلامة المتفنن أعجوبة الزمان أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاسي .

قاضي الحضرة الفاسية ومفتيها . ومولي العلوم على أحسن الوجوه لطلابها ومؤتيها ، حافظ لا تدرك غايته ، ومحقق حمدت في فهم العلوم سعايته ، يقوم على مختصر خليل أتم قيام يستيقظ لازالة الاشكالات والناس نيام ، مع المشاركة في التفسير والأصلين والبيان والمنطق والنحو ، وله رواية في الحديث عن الشيخ أبي راشد يعقوب اليدري ، وعن المفتي أبي عبد الله القصار ، وقرأ على اليدري الحوفية قراءة تحقيق فظهر منه من حسن الفهم ما تعجب منه من حضره ، وأخذ عن اليدري أيضا تلخيص ابن البناء الازدي رحمه الله ، وأخذ النحو عن أبي

العباس أحمد بن علي القدومي رحمه الله ، وأخذ أنواع العلوم عن الشيخ الاستاذ النحوي أبي العباس أحمد بن علي الزموري ، ولازمه كثيراً وبه كان جل انتفاعه ، وبه تأدب ، وأخذ عن غير من ذكر من مشيخة عصره ، ثم برز على أعلام المغرب حفظا وفهماً ، وقد حدثت أن مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله قد ولاه في هذه الايام قضاء الحضرة المراكشية حاطها الله ، وناهيك بمن ينتقيه أمير المومنين نصره الله لقضاء حضرته .

وهذا الشيخ صاحب الترجمة حفظه الله ءاية من ءايات الله في السير فكاد أن يحفظ اكتفاء الكلاعي عن ظهر قلب حتى لا يند عليه منه شيء ، ويسرد تلك القصائد المطولات التي فيه حسبما شاهدته .

قلت : وأول يوم دخلت فاسا حاطها الله رابع صفر من عام تسعة وألف حضرت مجلس صاحب الترجمة في مختصر خليل وبحلقته جمع وافر من نجباء الفقهاء ، فوجدته في القراءة عند قول صاحب المختصر في الفريضة المنبرية لقول علي رضي الله عنه صار ثمنها تسعاً ، فنقل هذا المترجم له هنالك ما ذكر الشراح ، ثم استطرد ما ذكره العقباني بلدينا الامام القاضي سيدي سعيد رحمه الله ، وبعد ذلك قال ان الضمير في قوله ثمنها يعود على الزوجة فسلمه جميع الحاضرين ، وكنت وراءهم لست في الحلقة الأولى لكوني غريباً لم أتجرأ أن أجلس معهم في الحلقة لقصور باعي في العلم بالنسبة الى أولئك ، فقلت حفظكم الله ان الضمير يعود على الفريضة لا على الزوجة ، فقال بعض الحاضرين لا خصوصية اذن للثمن ، لأن كل فرض في مسائل العول ينقص صاحبه منه ، فالثلثان للبنتين في مسألتنا قد نقصا ، وكذا السدسان اللذان للأب وللأم ، فقلت وهذا مشترك الالزام فلا خصوصية للزوجة كما هو ظاهر ، على أنا نقول انما خص الثمن بالذكر لقوله فيه صار تسعاً ، وذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يخطب في

خطبة فاصلة العين ؟ فلما سئل عن هذه المسألة قال صار ثمنها تسعاً على فاصلة خطبته ، ومر فى خطبته ، فقال الشيخ صاحب الترجمة ما ذكرته حسن ان كان ثم ما يعضد أن الضمير يعود على الفريضة لا على الزوجة ، فقلت هذا أبو اسحاق التلمساني صاحب الرجز يقول :

كـــزوجـــة وأبويــــن وابنتيــــن ... فاعلم فان العلم للانسان زيــــن
وهى التى يدعونها للمنبــــــــــر ... دونهـــا فاعلمـــن بهـــا واذكـــر
اذ سائــل ســـال عليـــا خاطبـــا ... عنها فافتاه عنهـا مجـــاوبـــــا
وقـــال صار ثمنهـــا تسعهـــــا ... لحكمـــة بالغـــة جمعهـــــــا

فقال الصواب ما ذكرت ، فاراد بعض الحاضرين المعارضة فقال له الحق ما ذكر ، وليس اعتراضك بشيء ، وانما ذكرت هذه الحكاية لأجل الانصاف الذى وقع من شيخنا صاحب الترجمة حفظه الله وذلك شان الأكابر ، ووقع بيننا فى ذلك المجلس أبحاث قيدتها فى غير هذه العجالة .

ولصاحب الترجمة حفظه الله نظم رائق ، وأمداح فى أمير المومنين مولانا المنصور بالله وولى عهده مولانا المأمون أيدهم الله ، فمن ذلك قوله فـى بعـض الموالد الشريفة :

أهاج اشتياقى حاجـر ومسيـــــل ... فللدمــــع فى صحن الخدود مسيــل
ودمعى سريع للعقيــق مضـــــارع ... ووجدى وليلـــى وافـر وطويـــــل

وهى طويلة من غر قصائده حفظه الله لم أقف على باقيها .

وله مطلع ءاخر

اروا الحديث عن العقيق وبانه

وقال أسماء الله مخمسا بيتى أمير المومنين مولانا المنصور بالله وقد تقدم ذكرهما :

زمانى لحظ منه يا قوم فاتر فيا عجبا من فاتر وهو باتر
ولما جنا حبى ومالى ناصر طرقت حماه والأسود خوادر
به فتولى فى الظبا وهو يشرد

ألم يدر انى مقدم ومقدم وفى الحرب والهيجا هزبر وضيغم
ولست أبالى ما الخميس العرمرم فعلمت اساد الشرا كيف تقدم
وعلم غزلان النقا كيف تشرد

مولده حفظه الله سنة ستين وتسعمئة أعانه الله بمنه وكرمه .

28 ـ أبو القاسم بن أبى النعيم الغسانى

القاضى العلم العلامة المشارك البيانى أبو القاسم بن محمد بن أبى القاسم بن محمد ابن أبى النعيم الغسانى ، قاضى حضرة فاس حماها الله .

لقيته بها واستفدت منه ، وقرأت عليه نحو النصف من **التلخيص** وأخذته عنه ، انفرد بمعرفة البيان وبرز فيه على أهل عصره ، وعز نظيره فى الأمصار فلا جرم أن دعى عزيز مصره مع المشاركة فى الأصلين والمنطق والعربية والعروض والقيام بعلوم التفسير ، قد نسب من ذلك الى الفخر وورثه ارث ذوى الفروض .

ولما أبت من الحضرة المراكشية حماها الله وافدا على ولى العهد أنجده الله ، قام شيخنا المذكور على قدم اعتنائه ، حتى قضا الغرض فأوقف فكرى بصنيعه على مساجد مدحه وثنائه .

أخذ حفظه الله عن الامام المنجور ، وعن القاضى الحميدى ، وعن المفتى السراج رحم الله جميعهم ، وغيرهم ممن يطول ذكره .

وهو أحد القواسم المشهورين بالمغرب ، والثلاثة الباقون سيدنا الماهر أبو القاسم الوزير أبقاه الله ، والقاضى أبو القاسم بن قاسم بن سودة رحمه الله ، والعروضى القاسم بن ابراهيم المدجن القصرى ، وصاحب الترجمة أدراهم ، الا أن أبا القاسم الوزير حفظه الله اختص بمعرفة علم الطب ، وصاحب الترجمة شارك فى سائر العلوم أتم مشاركة .

29 ـ عبد الرحمان بن ابراهيم المشترائى

الفقيه العلامة الخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن ابراهيم المشترائى الشهير بابن ابراهيم ، من أهل فاس .

لقيته بها ، وبيتهم بيت علم وصلاح ، كان جده الامام عبد الرحمان بن ابراهيم علم عصره ، أخذ عن ابن غازى وغيره ، وأخذ عنه مولاى العم المفتى أبقاه الله ، والشيخ المنجور ، وغيرهم ، وعمه الامام أبو القاسم من أكابر الأعلام ، أخذ عنه الاستاذ الزمورى ، والحافظ الترغى ، وبلدينا المفتى أبو عبد الله المرى وغيرهم .

أخذ صاحب الترجمة عن القصار ، وشيخنا أبى العباس ابن القاضى ، وعن السراج ، والحميدى ، والزمورى ، وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، وله مشاركة تامة فى الفقه والأصلين والمنطق وعلوم الحديث وغير ذلك .

وأخبرت أنه سافر فى هذا التاريخ لبلد السودان الشاسعة ، ولا أدرى ما سبب ذلك مع أنه كان خطيبا بجامع باب الجيسة من الحضرة الفاسية حماها الله .

وله مجالس للتدريس ، وله نظم رائق لم أكتب منه الا النادر ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بديع المنصور أمير المومنين أيد الله أمره ، وأدام نصره :

قصر تفرد بالمحاسن قلبه   فأفاد قصر القلب والافراد

وهى من غر قصائده ، أنشدنيها بلفظه ولم أحفظ منها الا هذا البيت ولا حول ولا قوة الا بالله ، وكذا أنشدنى لنفسه أيضاً أخرى فى مدح أمير المومنين نصره الله ، ولم يتعلق بحفظى أيضاً منها الا بيت فرد وهو :

أنا الدخيل فأقفو كل قافية ... وللدخيل من الاشباع ما عرفا

ولا يخفى ما اشتمل عليه هذا من أنواع التورية بعلم العروض .

وقال حفظه الله ملغزاً ، وذكر الجواب عن هذا اللغز فى ترجمة شيخنا أبى العباس ابن القاضى حفظه الله ، وفى ترجمة الكاتب الوجدى (166) :

أحاجى فاضلا حبراً نجيبا ... ليعرب عن ضمائر ما يفهم
فما اثنان استطالا واستداما ... وقد قسما الزمان بدون ضيم
وخل زاد بالبعد امتلاء ... ويسقم ان يواصل أى سقم
وضيف جاءنا من غير أرض ... فناولناه شاة دون عظم

وقال حفظه الله :

حشيشه يعتادها شادن ... حشاشة القلب اليه تطيش
لا تعجبوا اذ عاد يعتادها ... فالظبى لا يعهد غير الحشيش

واجتاز ذات يوم مع الكاتب أبى عبد الله الوجدى بدرب الغفيرى ، فقال الكاتب الوجدى ارتجالا :

أيا درب الغفير عليك منى ... سلام فى الصباح وفى المساء

فقال صاحب الترجمة مجيزاً له :

عليك تحية من عند صب ... يحن الى الشوادن والظباء

166) انظر صفحة 85 وصفحة 256

فقال له الوجدى المذكور لو قيل فى المساء مع الصباح كيف يقال فى البيت الثانى ؟ فقال بديهة : « يحن الى الشوادن والملاح » ، ونظمه كثيراً جداً ومع ذلك فهو فى غاية الاجادة ولم نقف منه الا على ما ذكرت .

ولما قدمت الحضرة الفاسية حماها الله كان أحد المسرعين الى برى وتأنيسى جزاه الله أفضل الجزاء بمنه .

وكانت ولادته حفظه الله بمدينة فاس المحروسة سنة تسع وستين وتسعمة وتولا خطابة جامع باب الجيسة بعد موت أبيه وله حفظه الله مشاركة فى علوم الأوائل من هندسة ونجوم وغير ذلك ، والله تعالى يسلك بنا وبه سبل هداه ، ويرده من الصقع السودانى سالما ظافرا بما أمل قصر أم طال مداه ، بمنه وكرمه .

30 ـ محمد بن رضوان النجارى

السيد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن رضوان النجارى ، من أهل فاس .

لقيته بمراكش حماها الله ، وهو من ذرية الامام رئيس الكتاب الشهير أبى القاسم ابن رضوان صاحب المؤلف فى السياسة وغيره .

لصاحب الترجمة حفظه الله نظم لا بأس به ، فمنه قوله فى السد الذى أنشأه أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله حسبما تقدم الالمام بذكره (167)

شنى مكارم لم تعد لقياس	حاز الفخار بها أبو العباس
شمس الخلافة قطبها وامامها	وجمال مفرقها وتاج الراس
سبط الرسول المصطفا وامامنا	ذو الفخر والآلآء ملك الناس
فأقلها تأسيسه وسداده	سداً تعاظم أمره من فاس
حتى غدا من عزمه متكملا	مستوعباً مستوثق الآساس

(167) انظر صفحة 23

من بعد تعطيل المساجد جملـــــة من فاس أندلس عــلى أجنـــــاس

وغـدا الريـاض لأجـل ذاك مواحلا من بعد غضتهـا وحســن كـــاس

لله هـــزتـه اذا ذكـــر النـــــدا فتسـح أنملـــه عـــلى الجـــلاس

فتخالهـــا وكـــاف مـــزن مسبل كم معسر أغنـــاه مـن افـــــلاس

وقال مجيزا شطر أبى الحسن الهوزالى ، قال أعنى الهوزالى :

رشأ كان عـــذاره وجفـــونــــه

فقال صاحب الترجمة :

مـن نرجس هـذا ، وذا مـــن ءاس

لعبت محاسنـــه وساحـر طرفـــه بفـــؤاد صب مـردف الأنفــــاس

وقــــال :

سهرت لذكـــر فراقـك الآمـــاق وتنـــاثـرت بدموعهـــا الأحـــداق

وتبـــادرت بسجـامهـا فكأنهـــا صوب تحدر للمسيـــل يـــراق

وقال حفظه الله مضمناً البيت الذى ذكرنا حكايته فى ترجمة الشهاب :

يا جؤذراً رام الفـــؤاد برميـــــه والصد أغـرا اذ تصـــدا وانثنـــا

حكـم الصـدود عـلى . . . . اذاقـــه طعـم الأســا فغـدا بقتـل معلنـــا

(خلص بجاه الحب قلب متيــــــم غمـز الصدود عليـــه أعوان الضنا)

ولم أقف من نظمه على أكثر من هذا .

ولــد حفظه الله سنة 667 وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه (168)

168) بالطرة ازاء هذا السطر : وتوفى سنة 1014

31 ـ علي السجلماسي

الفقيه النحوي الأديب المشارك المتفنن البارع الخط أبو الحسن علي بن الزبير السجلماسي الملقب بين الأصحاب بالعضد .

لقيته بفاس أخره الدهر وحقه أن يقدم ، وهدم بناء علمه وحقه أن لا يهدم ، شغل نفسه مدة بالتدريس في البيان والعربية ، ولم تك نفسه عن ادراك غايتهما بأبية ، وكتب مرة عن الأمير الأجل المولى أبي المعالي زيدان بن أمير المومنين نصره الله .

أخذ عن الحميدي ، والسراج والزموري ، وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، وبرع في النحو حتى صار الآن من أكابر النحويين بالحضرة الفاسية ، وله نظم منه قوله في السد الذي انشأه أمير المومنين نصره الله :

قل للامام جزاه الله مكرمة ... حيث أعتنا بانسداد السد للأمم
كهف الأنام وغوث المسلمين لقد ... أضحت مآثره ناراً على علم
أعظم به من امام زانه شرف ... ومد ساعده بالمجد والكرم
وكيف لا ينقضي سد بفاس وقد ... توجه الأمر من مولاي ذي الهمم
لا زال يرفل في ثوب الفخار اذن ... ويرتقي في معالي المجد بالقدم

وقال مضمنا :

قد قلت للظبي الذي سلب الحشا ... والقلب مني راعه لما رنا
(خلص بجاه الحب قلب متيم ... غمز الصدود عليه أعوان الضنا)

وقال حفظه الله :

بوادي الجواهر (169) أبصرت من ... سبا مهجتي بالجفون المراض
يروم اقتطاف أزاهره ... ويمرح ما بين تلك الرياض
فقلت له بعد أن أثخنت

(169) هو وادي فاس

الى هنا أنشد لنفسه ، فكمله الكاتب أبو عبد الله الوجدى بان قال :

حشاى بلحظ مـن الهنـد مـــاض

صددت وطرفـــك يبـــدى الجفـــا ... حذار الوشـــاة وقلبـــــك راض

فقـال كذاك لطيـف الحجـــــا ... يـــوارى السرور ويبـــدى انقباض

وقـــال :

لا تعجـبـوا مـن شـــادن ... لــه خـديــد جلنــــار

ان ســل من سيف لـــــه ... لحيــن صب ذا الفقــــر

اذ هـــو فى قتـــلى عـــلى ... لكنــــه يبـــدى النفـــار

وخاطب الكاتب أبا عبد الله الوجدى بلغز هو :

أحاجى خبيرا باللغـور وحلهـــا ... ومن شأنه كشف المعما بلا عـسر

ومن نظمه كالدر يسحر ذا النهـــا ... ويسبى عقول القارضين ومن يدرى

ومن نثره كالعقد فى نحر غـــادة ... فمن أجل هذا يدريه ذوو الشعـــر

عن اسم غـدا قلبى بحسن جمالـــه ... أسير غـــرام قط لا ينقضى أســـرى

وقلب لـــه قـاس اذا ما قلبتـــه ... على أن قلب القلب فيه شفـــا ضرى

ولن أنت أسقطت الأخيـــر وثانيـا ... وجـدت . . . .

ومن دون أن يطـــوى الأخير . . . . بدت نفر ياصاح لا ريث فـى الأمـــر

أجبنى جوابـاً من جواهـــر فكركـم ... ليذهب دجـن الجهل بالنظم والنثـر

فلا زلتم صدراً لدا كل محفـــــل ... وعوناً على فك الرموز بلا نكـــر

وهذا سلام الله منـى اليكــــــم ... سلام محب سالم القلب والصـــدر

على عدد الايام والرمل والحصـــا ... وما غرد القمـــرى فى غصن خضـر

32 ـ عبد العزيز الجيار

الأديب الشاعر المفلق ، صاحب النادرة الغريبة ، أبو فارس عبد العزير بن محمد بن عمر الجيار ، من أهل فاس .

لقيته بها ولم ينشدنـي شيئا من نظمه ، انما أنشدنيه النقات الذين سمعوه منه ، وله في الخمريات أخبار ينقلها عنه أهل ذلك المذهب ، فمن نظمه قوله مضمناً

ولما أن دعا للبيـن داع — صروف الدهـر وانهلت مـئـاقـي
أتـا متمثـلا في الحـال حبـي — ببيت كـاد أن يدنـي سياقي
أتظعن عـن حبيبـك ثـم تبكـي — عليه فمن دعـاك الـى الفـراق
فصرنا في البكا فرسـي رهـان — وأنشد كلنـا ممـا يلاقـي
فما في الارض أشقـا من محـب — وان وجـد الهـوا حلـو المـذاق !

وله أيضاً :

جمعت معاني الحسن في غاية المجد — بما قد قراك اليـوم من نعم تسـدى
مدام ونقل واجتماع أحبـة — جدير بهـذا أن تسمـا أبا السعـد
واني على ريب الزمـان لمنشـد — لما قد أراني من غـرام ومن وجـد
أحبكم ما دمت حيا فان أمـت — فوا كبدي من ذا يحبكـم بعـدي ؟

وقال يهجو :

أيا من ليس يعـرف قـام زيـد — وأفنا عمـره فـي الاشتغـال
ولم ينصب من التحذيـر شيئـاً — ولـم يجـزم بغيـر الاعتـلال
متى صدرت في بـاب المنـادا — فهمـت اشـارتـي عـن كل حال

وقال يهجو بعض القضاة :

وقـاض لا يـرا بالعجب بـاسـاً — تشعـب عجبـه لمـؤرخيـه
أراد بـه القيـام عـلى أنـاس — فاقعـده الزمـان عـلى أخيـه

وقال مخمسا ، نسبه له الأديب ابن يعقوب رحمه الله :

أفاض دموعي داعـــي البيـــن اذ بدا وحـادي جمال الحي قطـع مذ حـدا
فؤادي ، وأضحى مني الحـال منشداً (وقائلة ما بـال دمعـك مســـودا
وقد كان مبيضـاً وأنـت نحيــــل)

أمن بعد حب لن تــرا منـــه مالكـا أمن طول هجـر لم تجد فيه مشتكـا
وهل فيك داء صير الدمـــع حالكـاً (فقلت لها قد جـف دمعـي من البكا
وهـذا سواد العيـــن فيه يسيـــل)

ويا ليت حبي فاهـــم ما أردتــــه اذا جـــاء يومــاً زائـراً وقصدتـه
وأنشد من شوقـــي له ان وجدتـــه (فناء دموعـــي في هواك حمدتـــه
وجرى السواد اليوم فيـــه دليـــل)

وقال في معنا بيتي أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله اللذين تقدما وهما : (وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم) الى ءاخرهما (170) :

يا من يقـــول لواش بي يغالطـــه قلبي له حجـــر لـم لا أنا فيــــه
لمـا اعترفت بـأن القلب مـن حجر أذهبت غمـي لكونـي ها أنا فيـــه

وقال في ذلك أيضاً :

وساق له في القلب معنا يبيـن عـن اذاية طبـــع لا مـرد لبـــأســـه
تأملت منه القلب في حـال صبــــه فألفيتـه يعـــزا لبعـــض لباســـه

ولا يخفا ما اشتمل عليه هذان البيتان من المحاسن ، فمنها التجنيس في القافية ، ومنها التورية في قوله القلب لأنه يحتمل الجنان وهو المعنى البعيد المورا عنه ، ويحتمل عكس ساق وهو قاس وهو المورا به ، وكذا قوله صبـه يحتمل العاشق ويحتمل مصدر صب بترشيح الساقي ، والحاصل أن المراد أنـه

(170) انظر صفحة 41

كان لابساً النوع المعروف بقلب حجر (171) فتأمل القلب فوجده بعض لباسه ، وهو ما ذكرنا والله الموفق .

وقال ايضا فى الاستخدام ، وكتب بها لبعض أصحابه ، وكان معه . . سبوب اسمه الكميت :

فلو زرتنى يا صاح بالأمس زورة — لألفيت كل الحسن تحت لواءى
شربت كميتا فيه ثم ركبته — وصيرته من أقرب الندماء

وقال :

فلولا أمير المومنين يسبقه — الى ذلك المعنا لظلت ألوكها
ولكن أتاها وهى بكر ففضها — فهان على مثلى لذاك سلوكها

وقال صاحب الترجمة أيضاً :

خليلى انى قد بليت بشادن — عليه عيون علقت بحياتى
وكنت أصلى عندما قد رأيته — ألا يا فتاى هل تصح صلاتى

وقال ، ولنجعله آخر ما نكتب من نظمه :

دعوت الهى وقلت اسمحن — أيا فالق الحب ثم النوا
فجد لى فقلبى اذا امتحن — طننت بأنى أمنت النوا
فقال عذولى لا تفرحن — فقلت لكل امرء ما نوا
فمنى الجوارح لا تفضحن — الهى والا

ولد بقرب الستين وتسعمئة

171) لون أزرق يميل الى الرمادى . ما زال معروفاً بهذا الاسم الى اليوم بفاس

33 ـ محمد الفجاف

الأديب الأريب أبو عبد الله محمد الفجاف من أهل فاس .

لقيته بمراكش حاطها الله ، وهو أحد المتولين لتسفير الكتب بالباب الامامى المنصورى أعلا الله أعتابه ، اختص بحفظ مقامات الحريرى ، وله مشاركة فى التاريخ والأدب ، وله نظم رائق ، فمنه قوله (172) :

34 ـ الحسن بن يوسف الزياتى

النحوى أبو محمد الحسن بن يوسف بن مهدى الزياتى نزيل فاس .

انتهت اليه رياسة علم النحو ، لم أتذاكر معه شيئاً ، وله نظم منه قوله :

وقالوا الى كم تشتكى غصص الهوا ؟ ... فقلت الى أن يعترينى أوانى

فكم ليلة قد بت خال من الهوا ... وأصبح قلبى بين الخفقان

وأضحا لسان الحال والشوق منشدا ... تقاسمتما يا قاسمان جنانى

فمنكم بلحظ نائم الجفن فاتر ... خلعت به شوقاً اليه عنانى

وخد يرينا الورد لكن لحظه ... حماه فلا يلفى اليه تدانى

ومنكم بلحظ بين السقم فاتك ... وجيد له داعى الغرام دعانى

فلم تلفيا والله فى الحسن ثالثاً ... ولم ألف فى فرط المحبة ثان

وقال مواليا :

قاسوا الذى صاد قلبى بتجافيه ... بالبدر ، هيهات ما فى البدر ما فيه

أرا بخديه ورداً قلت أقطفه ... قالوا فان سهام العين تحميه

---

172) ترك المؤلف هنا صفحة بيضاء كان ينوى من غير شك اثبات بعض أشعار الفجاف فيها

وقال منه أيضاً :

سحر جفونـه يا اخـوان خلفنـي — بادى البلاهـة مفنى القلب مبليـه

مملوك حبك ياحبى فيا أسفـي — لوصلتـه فلعـل الوصل يحييـه

وله منه :

حملتنى من عظيم الشـوق يا أملى — ما لا يكـاد لسانى اليوم يحصيـه

قد كنت قدماً رحيب الصدر واسعـه — حتـى نظرتك يا من لا أسميـه

وقال أيضاً :

رفقاً على القلب اذ فى القلب سكناك — وارع ذمامى فان الله يـرعـاك

وارفـق بطـرف كئيب أنت نـاظـره — قد طالما شهدت عينيه عينـاك

وعـامل الجسم بالاحسـان يـا أملى — اذ هـو مأوى لقلب هـو مـأواك

واعكس ظنون أنـاس طالما زعمـوا — قطعك عنى ، وذاك الظـن حاشاك

واردد كيود العدا فى نحرهم أبـداً — أنهـاك أن تامـن الأعـداء أنهـاك

وما يضرك لو واصلت يـا أملـي — صبا كئيبـا بطـول الدهر يهواك

وله أيضاً :

يفنى ويقضى زمانى فى الهـوا عبثـا — وهو يروح ويغـدو فـى تجنيـه

منعـم العيش سالى البال ذو طـرب — ما ذاق يومـاً عـذاب الصد والتيـه

نسب له هذه المقطوعات التى ذكرنا شيخنا أبو العباس ابن القاضى أدامه الله بمنـه .

هـ

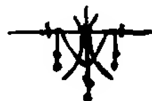
فهرس

صحيفة

صحيفـة

صحيفة

صحيفة



جدول الخطأ والصواب

لم يسلم متن هذا الكتاب من أخطاء رغم ما بذل من جهد في تحقيقه وتصحيحه. وبعض هذه الأخطاء ناتج عن تلاشي الكتاب وعبث الأرضة والرطوبة بكتابته مما عسر معه تحقيقه فابقى كما هو أو كما ظن أنه هو ، أما بعضها الآخر فناتج عن غفلة حصلت اثناء التصحيح .

وفيما يلي بعض هذه الأخطاء :

ص	س	خطأ	صواب
كه	12	الملاحضة	الملاحظة
كح	4	ما فى الخبايا	ما فيها من خبايا
ل	22	الخزن	الخزى
لب	11	غير هنا	غيرها
لب	19	لابسى	لابس
14	14	أقاضى	أقاصى
16	6	والقبس القبس	القبس
23	1	التاريح	التاريخ
24	3	نجده	نجدة
24	13	البخارى	النجارى
24	18	وأتقن من ذؤابة هاشم	وأتقن سد فاس بعد ما
29	11	خمراً	حمراً
30	12	ثناه . . . . الطروسا	ثناه يملا الطروسا
30	16	. . . كا . . . سيما	مسكا شميماً
30	17	. . . . خندريسا	وجيء بها خندريسا
31	12	غضانها	غصانها
33	12	أنبر	أخبرت
38	10	ابو . . . بن عمرا . . .	أبو الحسن على بن عمران السلاسى
43	4	كقا	كقنا
51	5	هيجت	هجت
68	12	دلك	ذلك

ص	س	خطأ	صواب
73	6	بعز	يفر
73	7	ثياب	ثبات
74	5	الجذيب	الجديب
75	3	وبلفظه	وبلفظة
76	1	أنامل	أناملى
77	9	لا بستنى	لا بستى
81	15	مقه	مقة
90	2	الغز	اللغز
91	6	شاذن	شادن
93	11	ملجاً	ملجأ
93	15	ووحشه	ووحشة
94	4	بحبابه	بحبابة
168	14	الهورالى	الهوزالى
173	2	المرينى	المرى
203	8	95	94
205	15	94	95
206	3	95	96
206	4	96	97
206	15	97	98
207	13	98	99
207	24	الدر البهية	الدرر البهية
211	14	99	100
213	12	100	101
213	14	فريض	قريض
240	13	وسبعين	وتسعين
272	8	حرف	أحرف
337	8	يفهم	بفهم
337	13	حشيشه	حشيشة
339	19	667	967
342	18	يحرم	يجزم
352	8	316	317

مَطبُوعَات القصُرالملكِي

1) **الشمائل النبوية .**
تأليف محمد بن عيسى الترمذى ـ مكناس 1282

2) **العذب السلسبيل ، فى حل الفاظ خليل .**
تأليف السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ـ فاس 1326

3) **نظم مصطلح الحديث .**
نظم السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ـ فاس 1327

4) **نيل النجاح والفلاح ، فى علم ما به القرآن لاح**
نظم السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ـ فاس 1327

5) **الجواهر اللوامع ، فى نظم جمع الجوامع .**
نظم السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ـ فاس 1327

6) **ياقوتة الحكام ، فى مسائل القضاء والأحكام .**
تأليف السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ـ فاس 1327

7) **مفتاح الأقفال ، ومزيل الأشكال (فى الصرف)**
تأليف محمد بن أبى القاسم السجلماسى ـ فاس ـ 1328

8) **نظم الشمائل المحمدية**
نظم السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ـ فاس 1328

9) **الاصابة فى تمييز الصحابة .**
تأليف شهاب الدين بن حجر العسقلانى 4 اجزاء ـ القاهرة 1328

10) **الاستيعاب ، فى أسماء الأصحاب .**
تأليف الحافظ أبى عمرو يوسف بن عبد البر ـ 4 أجزاء ـ القاهرة 1328

11) **البحـر المحيـط .**
تأليف محمد بن حيان الجيانى الشهير بأبى حيان 8 أجزاء ـ القاهرة 1328

12) **النهر المـاد فى البحـر .**
تأليف محمد بن حيان الجيانى الشهير بأبى حيان 8 أجزاء ـ القاهرة 1328

13) **الدر اللقيط ، من البحـر المحيط .**
تأليف احمد بن عبد القادر القيسى 8 أجزاء ـ القاهرة 1328

14) **هدى الأبرار على طلعة الأنوار .**
تأليف عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى الشنجيطى ـ فاس ـ 1329

15) **نفحة المسك الدارى ، لقارى صحيح البخارى .**
تأليف حمدون بن الحاج السلمى ـ فاس ـ 1329

مَطبُوعَات القصْر الملكِي

16) **فيض الفتاح ، على نور الاقاح .**
تأليف عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى الشنجيطى – جزآن – فاس 1329

17) **اليمن الوافر الوفى ، فى امتداح الجناب المولوى اليوسفى .**
جمع النقيب عبد الرحمان بن زيدان ، جزآن – فاس 1342

18) **الدرر الفاخرة ، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة .**
تأليف النقيب عبد الرحمان بن زيدان – الرباط 1356 – 1937

19) **الفتوحات الالهية ، فى احاديث خير البرية .**
تأليف السلطان محمد بن عبد الله العلوى – الرباط 1364 – 1945

20) **عصر المنصور الموحدى .**
تأليف محمد الرشيد ملين – الرباط 1365 – 1946

21) **دروس التاريخ المغربى .**
تأليف العباس الجرارى – الجزء الخامس – الرباط 1365 – 1946

22) **انبعاث امة .**
مجموع خطب ص . ج الملك المرحوم **محمد الخامس** وخلفه العظيم ص . ج الملك **الحسن الثاني** 7 أجزاء – الرباط 1956 – 1957 – 1958 – 1959 – 1960 – 1961 – 1962

23) **الأردن ملك وشعب .**
أعده الديوان الملكى – الرباط 1379 – 1960

24) **تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات – الرباط 1381 – 1962**
سجل وثائق رسمية متعلقة باقليم توات – الرباط 1381 – 1962

25) **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف .**
تأليف محمد الصغير اليفرني – الرباط 1382 – 1962

26) **روضة النسرين ، فى دولة بنى مرين .**
تأليف اسماعيل بن الأحمر – الرباط 1382 – 1962

27) **العز والصولة ، فى معالم نظم الدولة .**
تأليف عبد الرحمان بن زيدان العلوى جزآن – الرباط 1 – 1382 – 1 – 1962

28) **نظم السلوك ، فى الانبياء والخلفاء والملوك .**
نظم عبد العزيز الملزوزى – الرباط 1382 – 1963

29) **التحفة السنية ، للحضرة الشريفة الحسنية ، بالمملكة الاصبنيولية .**
تأليف أحمد بن محمد الكردودى – الرباط 1383 – 1963

30) **عروسة المسائل ، فيما لبنى وطاس من الفضائل .**
تأليف محمد الكراسى – الرباط 1383 – 1963